الإسماعيلية

بين الحقائق والأباطيل

هاشم عثمان



منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

هاشم عثمان

الاسماعيلية

بين الحقائق والأباطيل

تقديم

الدكتور عارف تامر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة -
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - ٨٣٣٤٤٧

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم

«مقدمة في رسالة»

صديقي العزيز الأديب الأستاذ هاشم عثمان المحترم

لا بدّ لي قبل كل شيء من كلمة شكر أوجهها إليك، بعد أن وقع اختيارك عليَّ لكتابة مقدمة كتابك «**الاسماعيلية بين الحقائق والأباطيل**». فأنا عندما أُلبّي طلبك، وأستجيب إلى دعوتك أشعر أني أُؤدي خدمة أدبية لباحث درس موضوع الاسماعيلية دراسة عميقة، ولمنصف استهوته نصرة الحق والصدق، فكرَّس نفسه لخدمتها، ولمحاربة الجهل والباطل والتعصب الديني البغيض الذي تغلغل في النفوس منذ القديم وما زال يفتك في المجتمعات الإسلامية، وينفث السموم، ويهدد الإنسانية بالشرور والحروب.

الاسماعيلية... ولا أشك أنك تعلم عنها أكثر ممّا أعلمه.. هذه الاسماعيلية لا تخرج عن كونها نظاماً فكرياً فلسفياً تأويلياً صاغ قواعده ومراده الأئمة الكرام الذين ورثوا العلوم والمعرفة من الرسل النطقاء أصحاب الكتب السماوية المبشرين والمعلمين، كما أنها خلاصة الفكر الإنساني العرفاني، وزبدة الدين، والمدرسة التي أقامها من شهد لهم العالم بالتفوق في خدمة الإنسانية المتطلعة، وتهذيب الأجيال، وزعزعة الكفر والإلحاد والتخلف والفساد. فهذه الدعوة في كافة أدوارها وعهودها كانت أُممية ذات شمول

ومنهاج يدعو إلى العالمية وعدم الانتماء إلى قومية واحدة، أو عرق معروف، وإنما إلى قوميات وعروق وأجناس مختلفة انتشروا في كافة الأقطار والبلدان، ثم اجتمعوا تحت ظل عقيدة آمنوا بها، وأخيراً اندمجوا وتكاثروا واتحدوا تحت قيادة «معلم» حكيم، قادهم في سبيل الخير والمعرفة والفلاح. ويجب أن لا يغرب عن البال أنها المجموعة التي نمت وترعرعت في رحاب الرسول الكريم محمد، واستجابت إلى الوصي العظيم علي. فكانت مع الرسول المبعوث في شريعته وقرآنه وتنزيله وظاهره، ومع الوصي المعلم في بلاغته وتأويله وباطنه وحكمته.

نحن... ولا فخر أصل الإسلام، وحماة الشريعة، وأساطين الفلسفة، وفرسان التشيع، وعلماء الظاهر والباطن، والذائدون عن حرمة الإسلام الصحيح، والجاعلون الإمامة شعاراً وقدوة ورمزاً يقود إلى عالم الجنان، وإلى رحاب المبدع الخالق... أجل... لقد عرفنا وتعلمنا كيف نفرق بين الجواهر والحصى، وكيف نعزل الصواب عن الخطأ، والحق عن الباطل. فليس إسحٰق عندنا كإسماعيل، ولا يحيى كخزيمة، ولا جرجس كعمران، ولا المهدي كالمعز، ولا الحسن كالحسين، ولا الكاظم كمحمد بن إسماعيل.

إنّ النكبة التي أصابت الاسماعيلية في صميمها لم تأتِ من أعدائها الذين ناصبوها العداء وعملوا على التشنيع بها وتسويد صحيفتها، ولكنها جاءت من بعض الاسماعيليين الذين اعتنقوا المبادئ الهدامة، واستجابوا، وانحرفوا ولم يقرأوا أو يدرسوا ما تركه لنا الأجداد من مؤلفات ورسائل وينابيع طافحة بالحكمة والفلسفة والعلوم. وأني لا أدري ماذا أقول لهم بعد ابتعادهم، وتركهم ما جاء به النعمان، والمؤيد، والكرماني، والسجستاني، والرازي، وابن سينا، والطوسي، وإخوان الصفاء وغيرهم من الدعاة والحجج، وهكذا ضاعوا في دنيا من الأوهام والأساطير، وسطروا في التاريخ سطوراً لا شبه لها الاَّ سطور الخوارج.

بعد هذا... اسمح لي أن أنتقل إلى موضوع كتابك، ولا أخفي عليك بأني فضلت الإيجاز المعبر على التطويل الممل، وكان عليَّ أن أقول وأقول

ولكني أرجأت كل قول وبيان حتى لا أُتَّهم بأني أدعو إلىٍ الفرقة، وأنت تعلم أني ما كنت يوماً من الأيام إلا من دعاة الوحدة «الشيعيّة» خاصة. ولكن ما حيلتي وأنا لا أرى على الساحة من العقلاء من يساعدني على اجتياز العقبات. ولا أدري فيما إذا كنا جميعنا قد تحولنا في نهاية المطاف إلى مجانين ودعاة تفرقة وأغبياء؟

أيها الصديق.

كتابك نال إعجابي فلا تخف. لقد قرأته بإمعان فلمست فيه الجهد والتنسيق والمعرفة، والاطلاع الواسع، واستيعاب الموضوع، مما يجعلني أقول بأنه جدير بالاعتبار والتقدير، ودون مبالغة هو أطروحة أكاديمية أو مجموعة مصادر لا غنى لكل باحث وطالب عن قراءتها والتزود منها والاعتماد عليها.

في نهاية المطاف. . أدعوك إلى المزيد من الكتابة عن الاسماعيلية، وعن الباطنية خاصة ممّا يعزّز القرابة، ويمهد للإخاء وللمحبة. وختاماً:

عوفيت وطبت وسلمت.

للمخلص

د. عارف تامر

سلمية ـ سورية ١٥/ ٨/ ١٩٩٧

كلمة تمهيدية

لم يبق من الفرق الإسلامية الكثيرة، التي ظهرت إلى الوجود، خلال العصور الإسلامية المتتابعة، من العصر الأول إلى اليوم، غير عدد قليل جداً منها: العلويون، والاسماعيلية، والموحدون (الدروز)، واليزيدية، والإباضية.

وفي المقابل، ظهرت في العصور الحديثة، فرق جديدة هي: البابية، والبهائية، والقاديانية، والوهابية. ولكل من هذه الفرق أتباع ومريدون في العديد من البلاد الإسلامية والعربية، ولها نفوذها في بعض هذه البلاد.

وجود هذه الفرق بين ظهرانينا، يفرض علينا الاهتمام بها، ودراستها دراسة دقيقة، شاملة.

وكانت خطوتنا الأولى، في هذه السبيل، دراستنا [العلويون بين الأسطورة والحقيقة]، ثم [الوهابيون وأسلافهم في التاريخ][1] وها نحن اليوم، نتحدث عن الاسماعيلية. وفي الجعبة دراسات مماثلة عن الموحدين (الدروز)، واليزيدية، والبابية، والبهائية، والإباضية، بحيث يشكل مجموع هذه الدراسات موسوعة عن الفرق الدينية المعاصرة، تضع القارئ أمام حقيقة كل منها.

وخلافاً للعلويين، والموحدين (الدروز)، واليزيديين، فإن الحديث عن الاسماعيلية يسير في خطين يكمل أحدهما الآخر.

الخط الأول: تاريخي، يتضمن بداية الدعوة، وانتشارها في اليمن

(١) قيد الطبع، سيظهر قريباً بإذن الله (يطبع على نفقة المؤلف).

والمغرب، وتأسيس الدولة الفاطمية التي ضمت جميع بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام واليمن والحجاز، ثم الدولة الاسماعيلية في قلعة (ألموت) وغيرها من القلاع ببلاد فارس[١] والدولة الاسماعيلية في (مصياف) بزعامة سنان راشد الدين.

الخط الثاني: ديني، يدور حول العقيدة الاسماعيلية.

ومن غير الممكن، الحديث عن العقيدة الاسماعيلية من دون أن يكون الباحث ملماً إلماماً تاماً بما يلي:

أولاً: مرتكزات الفكر الشيعي عموماً، وخاصة نظرته إلى النبوة والإمامة والوصاية وولاية آل البيت عليهم السلام، والتأويل والتنزيل. لأن الاسماعيلية، فرع من فروع الشيعة الإمامية.

ثانياً: معرفة قواعد الصوفية، بدءاً من مرحلة اختيار المريد وتلقينه آداب السلوك، ثم التدرج به حتى الوصول إلى المعرفة. فطريقة تلقين المريد واحدة عند الصوفية، والإسماعيلية.

ثالثاً: معرفة الفلسفات اليونانية ـ الفيثاغورية، والأفلاطونية، والأفلاطونية الجديدة ـ والهندية. وكذلك البوذية، والزرادشتية والمانوية.

رابعاً: التعمق في علم الباطن، ومعرفة دقائقه ورموزه ومصطلحاته، لأن العقيدة الإسماعيلية تقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الظاهر والباطن.

خامساً: دراسة فلسفة وتاريخ كل إقليم من الأقاليم التي وجدت فيها الإسماعيلية «فالإسماعيلية في اليمن بعباداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية وتأثير البيئة، غير الإسماعيلية في سورية. وفي سوريا غيرها في إيران وهلم جرا...»[٢].

---

(١) هذه القلاع هي: آلموت، شركوه، شهرك، نويزرشاه، لمبسر، قسطين لار، ميمون دج، قلا دوش هند، بازركاه، سيوهين، كياكلا قلعة، كياند شت.

(٢) عارف تامر: مع كتاب منتخبات اسماعيلية، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (٦) ج١ و٢.

من ذلك يتبين أن دراسة الإسماعيلية، ليست سهلة. ويزيد من صعوبتها التداخل الكبير بين عقائدها وعقائد الموحدين (الدروز). لأن عقيدة الموحدين خرجت من رحم العقيدة الإسماعيلية.

هذا التداخل، أوقع في الزلل العديد من المؤرخين، منهم على سبيل المثال، المؤرخ العراقي المعروف عبد الحميد الدجيلي، الذي نشر مقالاً، على حلقتين، بعنوان «رسائل إسماعيلية قديمة نادرة»[١] استعرض فيه عدداً من الرسائل التي عثر عليها أثناء تصفحه كتب الأب انستاس ماري الكرملي ضمنها ست مجموعات خطية، هي: كشف الحقائق، رسالة التنزيه لجماعة المؤمنين، ميثاق النساء، رسالة الرضى والتسليم إلى كافة الموحدين وإلى جميع من شك في مولانا ـ جل ذكره ـ وفي وليه قائم الزمان، من عبد مولانا ـ سبحان قدرة مولانا وتعالى لاهوته، رسالة الرشد والهداية، رسائل التأويل، رسالة بدء التوحيد لدعوة الحق، الرسالة الواعظة، رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد إلى كافة الموحدين المتبرِّين من التلحيد، رسالة السيرة المستقيمة، الرسالة الدامغة في الرد على الفاسق النصيري، رسالة النساء الكبرى، رسالة الصيحة الكائنة، رسالة تقليد الرضي سفير القدرة، رسالة مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء، رسالة الإنضاء، رسالة شرط الإمام صاحب الكشف، رسالة التحذير والتنبيه، رسالة الغيبة، رسالة الزناد، رسالة الشمعة..

وجميعها من رسائل الموحدين (الدروز) لا علاقة للإسماعيلية بها.

وينبغي القول: إن تجربتنا في الكتابة عن العلويين، ذللت لنا كثيراً من الصعاب. ونبهتنا إلى نقاط مشتركة بين جميع الفرق التي اصطلح على تسميتها باطنية.

أما بالنسبة إلى دراستنا هذه فهي من قسمين:

القسم الأول: (الاسماعيلية) وتتفرع عن هذا العنوان الفصول التالية:

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد (٣) جزء ٢ لعام ١٩٥٥ ص ٤٠٥ والمجلد ٤ جزء ١ لعام ١٩٥٦ ص ٢٥٠.

* أصل التسمية.
* تاريخ ظهور الإسماعيلية.
* موطن الإسماعيلية.
* عقائد الإسماعيلية.

- عقائد الإسماعيلية كما تحدث عنها المؤرخون القدماء.

- عقائد الإسماعيلية كما تحدث عنها المؤرخون المحدثون.

* الإسماعيلية من خلال آثارهم.

القسم الثاني: **(الدولة الفاطمية)** ويتضمن هذا القسم العناوين التالية:

* مرحلة التكوين والنشوء.
* مرحلة الانتشار والسيطرة.
* الدولة الإسماعيلية في اليمن.
* الدولة الإسماعيلية في مصر.
* الدولة الإسماعيلية في بلاد فارس.
* الدولة الإسماعيلية في مصياف.

وبهذا التقسيم نكون قد أحطنا بالموضوع من جميع جنباته التاريخية والعقائدية، وقدمنا الإسماعيلية للقارئ بأكمل مظهر.

بقيت كلمة أخيرة هي أن هذه الدراسة تعنى بالخطوط العامة من دون الخوض في الجزئيات.

القسم الأول

* أصل التسمية
* تاريخ ظهور الإسماعيلية
* موطن الإسماعيلية
* فرق الإسماعيلية
* عقائد الإسماعيلية
  * عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء.
  * عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين.
* الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية.
* الإسماعيليون من خلال آثارهم.

أصل التسمية

أول ما يلاحظه الباحث، وهو يستعرض الكتب التي تتحدث عن الفرق الدينية، أن أصحاب هذه الكتب يطلقون أكثر من اسم على الفرقة الواحدة. وكان قصدهم من ذلك، على ما يبدو، أن يصلوا بالعدد إلى /٧٣/ حيث نقل عن سيدنا محمد ﷺ أنه قال: «افترقت أُمة موسى على إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وافترقت أُمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وستفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار...»... فهم مثلاً، أطلقوا على الشيعة كثيراً من الأسماء، منها: الرافضة، الإمامية، الاثنى عشرية، المتاولة، العلوية، الظنية، الجعفرية، و...

وحملت الإسماعيلية ما يقرب من /٢٦/ اسماً منها:

* العلويون: نسبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام[١].
* الفاطميون: نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢].
* المصريون: نسبة إلى استقرارهم بمصر[٣].
* أصحاب الدعوة الهادية[٤].

---

(١) القلقشندي ـ مآثر الاناقة، ج ٢، ص ٢٤٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) القلقشندي ـ صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٦.

* القصاد: كما جاء اسمهم في ديوان الإنشاء بمصر[1].

* الفداوية: لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه[2].

* السبعية: نسبة إلى سبعة ناطقين بالشرائع، أي الرسل السبعة[3].

أو لأنهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة العالم السفلي[4].

* الحشاشون: بزعم تخدير أتباعهم بالحشيش.

* الإسماعيلية: لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام[5].

* العبيدية: نسبة إلى عبيدالله بن ميمون القداح[6].

* المفتدون: وهو الاسم الذي يعرفون به في أفغانستان[7].

* الميمونية: نسبة إلى ميمون القداح[8].

* الخرمية والبابكية: نسبة إلى بابك الخرمي[9].

* المحمرة: لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك الخرمي وكانت شعارهم.

* الأساسية أو الأساسين: لأنهم يسمون وحي الإمام أساس[10].

* وقالوا أيضاً: إن اسم الإسماعيلية يختلف من بلد إلى آخر. ففي العراق

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ج١، ص ١٢٠.
(٣) تاريخ جودت.
(٤) ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ق٢ ج٥ ص ١١٠.
(٥) عبد الواسع اليمني ـ تاريخ اليمن ص ١٥٩.
(٦) المرجع السابق.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مادة اسماعيلية.
(٨) محمد زاهد الكوثري ـ مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٨.
(٩) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١، ص ٦١.
(١٠) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٠٧.

يعرفون بالباطنية، لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً.

والقرامطة، والمزدكية[١].

وفي خراسان التعليمية والملاحدة[٢].

ولدينا قول آخر مفاده أن الذين بالشام منهم يقال لهم الحشيشية، ومن كان بآلموت يقال لهم الباطنية والملاحدة، ومن كان بخراسان يقال لهم التعليمية وكلهم إسماعيلية[٣].

وهناك من أطلق على الإسماعيلية، أسماء فرق، وطرق صوفية، معروفة لا تربطها بالإسماعيلية أية رابطة. من هؤلاء الشيخ محمد زاهد الكوثري، كتب يقول: «... ويدعون... في الشام بالنصيرية والدروز والتيامنة. وفي فلسطين بالبهائية. وفي الهند بالبهرة والإسماعيلية. وفي اليمن باليامية نسبة إلى القبيلة المعروفة. وفي بلاد الأكراد بالعلوية حيث يقولون علي هو الله. وفي الأتراك بالبكداشية والقزلباشية على اختلاف منازعهم. وفي بلاد العجم بالبابية ولهم فروع إلى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه وتظهر لكل قوم بمظهر تقضي به البيئة. وقدماؤهم كانوا يسمون أنفسهم بالإسماعيلية»[٤].

وهذا الكلام غريب في بابه ويدل على جهل بمعرفة الفرق وأصولها ومعتقداتها. فالإسماعيلية، فرقة مستقلة تختلف عن النصيرية وعن الدروز.

والتيامنة هو الإسم الذي أطلقه المؤرخون على سكان وادي التيم بلبنان، وهم خليط من الدروز والنصيرية والقرامطة والمجوس.

والبابية أتباع علي محمد الشيرازي (١٢٣٦هـ ـ ١٢٦٤هـ ـ ١٨٢٠م ـ ١٨٤٨م) الذي ظهر في شيراز، وادعى أنه الباب فعرف أصحابه بالبابية[٥].

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج١، ص ٤٢١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ابن ميسر ـ أخبار مصر، ص ٤٠٧.
(٤) محمد زاهد الكوثري ـ مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٨.
(٥) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٤١.

والبهائيون، فرع من البابية، وهم أتباع ميرزا حسين علي، المعروف ببهاء الله، شقيق صبح الأزل، خليفة الباب.

والبكداشية، فرقة صوفية تنتسب إلى حاج بكتاش المتوفى سنة ٧٣٨/ هـ ـ ١٣٣٧/ م وشاعت خلال القرن السادس عشر الميلادي في الأناضول.

والقزلباش، هو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على أتباع التنظيم الصوفي، الذي أنشأه حيدر بن الجنيد. وتعني كلمة قزلباش، الرؤوس الحمراء، ويرمز صاحب الطريقة باستحداث لباس جديد للرأس يعرف باسم تاج حيدر ذي الاثنتي عشرة ذؤابة، إشارة إلى الاثني عشر إماماً[١].

وفي مملكة التورانيين، وبلاد الهند، يسمى كل شيعي، وكل إيراني قزلباش[٢].

جميع هذه الأسماء، والألقاب أصبحت، اليوم، في ذمة التاريخ. ولم يبق منها غير اسم الإسماعيلية.

---

(١) محسن الأمين ـ أعيان الشيعة المجلد ١، ص ٢٠.

(٢) ابن الحنبلي ـ در الحبب في تاريخ أعيان حلب، ج١، ق١، ص ١٠٦.

تاريخ ظهور الإسماعيلية

ليس من السهل تحديد تاريخ ظهور الدعوة الإسماعيلية على وجه الدقة، بحيث يقال إنها ظهرت في يوم كذا من شهر كذا من عام كذا. والسبب في صعوبة ذلك، أنها ابتدأت سرية، ثم إن الأقوال حول تاريخ ظهورها، متضاربة ومتباعدة تباعداً كبيراً.

ويمكن حصر هذه الأقوال على الشكل التالي:

هناك من قال: إن أول دعوة إسماعيلية كانت في اليمن سنة ٢٦٨/ هـ ـ ٨٨١/ م[(١)].

وهناك من قال: إن أمر الإسماعيلية ابتدأ عام ٢٨٨/ هـ ـ ٨٩٠/ م[(٢)] وهذا التاريخ قريب جداً من تاريخ ظهور القرامطة.

وهناك من قال: إن دعوة الباطنية ظهرت، أولاً، في زمن المأمون وانتشرت في زمن المعتصم[(٣)].

والمأمون، كما نعرف، بويع بالخلافة سنة ١٩٨/ هـ ـ ٨١٣م وتوفى سنة ٢١٨/ هـ ـ ٨٣٣/ م وبويع المعتصم بالخلافة سنة ٢١٨/ هـ وتوفي سنة ٢٢٧/ هـ ـ ٨١٣ ـ ٨٤١/ م. فيكون ظهور الدعوة والحالة هذه، محصوراً بين عامي ١٩٨ و٢٢٧/ هـ ـ ٨١٣ و٨٤١/ م ثمة من قال: إن مبدأ أمرهم أن المكتفي بالله طلب

---

(١) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٠٥.

(٢) عبد الواسع اليمني ـ تاريخ اليمن، ص ١٥٩.

(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق، ص ٢٦٩.

عبيدالله لأمر بلغه عنه ففر من الشام إلى العراق ثم لحق بمصر في جماعة من خاصته، ولحق بأفريقية من بلاد المغرب[1].

والمكتفي، كما تحدثنا كتب التاريخ، حكم بين ٢٨٩ ـ ٢٩٥/ هـ ـ ٩٠١ ـ ٩٠٧/ م أي أن حكمه بدأ بعد سنة واحدة من تاريخ ظهور أبي عبدالله الشيعي بالمغرب سنة ٢٨٨/ هـ ـ ٩٠٠/ م.

رأي رابع مفاده أن الإسماعيلية هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأسدي الأجدع[2] وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي[3].

وأبو الخطاب مات قتلاً سنة ١٣٨/ هـ ـ ٧٥٥/ م.

من الأقوال أيضاً، أن الإسماعيلية كانوا قديماً يسمون قرامطة، وأن مذهبهم هو مذهب القرامطة[4].

ومن الثابت تاريخياً أن بداية تحرك القرامطة، كان بسواد الكوفة، سنة ٢٧٨/ هـ[5].

بعد غربلة هذه التواريخ المختلفة، يبقى أمامنا تاريخان لبداية ظهور الإسماعيلية، هما الأولى بالاعتبار.

فنحن إذا اعتبرنا أن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي، فإن معنى ذلك أن بداية ظهور الإسماعيلية هي الفترة التي سبقت وفاة أبي الخطاب سنة ١٣٨/ هـ ـ ٧٥٥/ م وإذا اعتبرنا أن الإسماعيلية، هم القرامطة، فيكون ظهور الإسماعيلية، هو نفس تاريخ ظهور حركة القرامطة، أي سنة ٢٧٨/ هـ ـ ٨٩١/ م.

(١) القلقشندي ـ مآثر الانافة ج٢، ص ٢٤٨.
(٢) النوبختي ـ فرق الشيعة ص ٦٨.
(٣) أبو حاتم الرازي ـ كتاب الزينة.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ مجلد ٤ ق١ ص ٢٠٠.
(٥) ابن الأثير ـ الكامل، أخبار سنة ٢٧٨هـ وغيره من كتب التاريخ.

وبين هذين التاريخين، كما هو واضح، مدى زمني شاسع يبلغ ١٤٠ سنة.

ونحن نميل إلى القول: أن تاريخ ظهور الإسماعيلية، كان في الفترة التي سبقت وفاة أبي الخطاب.

وسبب أخذنا بهذا التاريخ، هو أن الإسماعيلية تقول إن الإمام بعد جعفر عليه السلام ابنه إسماعيل. وإسماعيل توفي عام ١٤٥/هـ - ٧٥٧/م قبل وفاة والده بأربع سنوات.

والمدة الفاصلة بين وفاة إسماعيل ووفاة أبي الخطاب قصيرة جداً جداً. سنتان فقط. وهذا التاريخ، يضعنا أمام حقيقة لا تقبل الجدال أو المناقشة هي أن الإسماعيلية أسبق في الظهور من العلويين (النصيرية)، والموحدين (الدروز) واليزيديين.

موطن الإسماعيلية

انتشر المذهب الإسماعيلي في مدن وبلدان وأقاليم عديدة، تمتد من المغرب الأقصى إلى آسية الوسطى، وتشمل بلاد المغرب الأقصى وأفريقية ومصر والشام واليمن والعراق وفارس و. . . . و. . .

وما أن بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الفاطمية، حتى أخذت أعداد الإسماعيليين تتناقص شيئاً فشيئاً نتيجة أعمال القتل والمذابح التي تعرضت لها هذه الفرقة بسبب معتقداتها الدينية. والنظرة التي كان ينظرها جمهور أهل السنّة إليهم، وهي أنهم «زنادقة على دين المجوس»، «يبطنون الكفر»، «فتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال». . . . فكان أن انقرضوا من كثير من البلدان. ونقصت أعدادهم إلى درجة كبيرة في بلدان أُخرى.

في بلاد الشام، كان لهم وجود كبير في حلب ودمشق وفي قلاع الدعوة، بمنطقة مصياف، وما جاورها.

بلغ تواجدهم في حلب ذروته زمن رضوان بن تنشى، الذي حكم في الفترة ما بين ٤٨٨/هـ ـ ١٠٩٥/م و٥٠٧/هـ ـ ١١١٣/م. وكان رضوان قد مال إليهم وشايعهم، وحفظ جانبهم، وصار لهم في حلب بفضله جاه عظيم وقدرة زائدة، مما جعل الناس يتبعون مذهب الإسماعيلية طلباً لجاههم. وكان هذا سبباً في انتشار مذهب الإسماعيلية في حلب، حيث كان لهم فيها دار دعوة[1]، وفي

---

(١) ابن شداد ـ الأعلاق الخطيرة ج١، ص ٦٥.

مناطقها كسرمين والجوز وجبل السماق وبني عليم وبزاعة والباب واعزاز وأفامية[١] ولما ملك شمس الملوك ألب أرسلان حلب سنة ٥٠٧/ هـ ـ ١١١٣/ م، أخرجهم من حلب بعد أن قتل منهم ٣٠٠ نفساً وأسر ٢٠٠، وطيف برؤوسهم في البلد.

وبعد ١١ سنة على هذه النكبة، نزلت بهم نكبة مماثلة، على يد بلك ابن بهرام بن أرتق، وذلك في عام ٥١٨/ هـ ـ ١١٢٤/ م، حيث قبض بلك على نائب بهرام داعي الإسماعيلية، بحلب، وأمر بإخراجهم منها، فباعوا أموالهم ورحالهم وخرجوا[٢].

والمصير نفسه لاقاه الإسماعيليون في بزاعة، الواقعة في وادي بطنان بين منبج وحلب، وكان عددهم فيها كبيراً ثم ثار عليهم أهل البلاد المجاورة ووضعوا السيوف فيهم واستأصلوهم عن آخرهم[٣].

وفي عام ٦٦٥/ هـ ـ ١٢٦٦/ م قضى السلطان الملك الظاهر على وجودهم في سرمين، من أعمال حلب[٤]. وفي دمشق، قتل تاج الملوك بدري نحو ستة آلاف شخص منهم في سنة ٥٢٣/ هـ ـ ١١٢٨/ م[٥] فقضي عليهم في دمشق، وتفرقوا في البلاد واليوم يوجد الإسماعيلية في قرى الخوابي وسلمية ومصياف والقدموس والجندالية (التابعة لقضاء أنطاكية) وأدار (التابعة لقضاء جسر الشغور) ودلين والشبرونية (التابعتين لقضاء الحصن)، وقسم قليل منهم يقطن في مدينة دمشق[٦].

وفي لبنان توجد أقلية منهم في نفيشة وكوشة والشيخ محمد (التابعين لقضاء عكار)[٧] وكان في مصر أعداد كبيرة من الإسماعيلية. وفي سنة ٦٠٤/ هـ ـ ١٢٠٧/ م توفي الأمير داود بن العاضد في محبسه، فاستأذن أصحابه الملك

---

(١) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج٢، ص ١٤٧.
(٢) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠.
(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٢٤.
(٤) ابن شداد ـ الأعلاق الخطيرة ج٢ ص ٤٨.
(٥) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٢٣هـ.
(٦) عبد الله بن المرتضى ـ الفلك الدوار ص ٢٧٠.
(٧) المرجع السابق.

الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه فأذن لهم. واجتمع معهم من كان مستتراً من دعاتهم. فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم وقبضوا على المعروفين منهم، ففر من بقي وزال من ذلك الحين أمرهم من ديار مصر ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم(١).

لكن بالرغم من ذلك بقيت طائفة منهم في أصفون بالصعيد الأعلى(٢).

وكان الإسماعيليون ينتشرون في أغلب مدن اليمن: عدن لاعة، ويافع، وزبيد، ولحج، والمذيخرة، وحصن كوكبان، وحبابه، ومطرف، وذي جبلة، والحيمة، وحراز، وبيت ردم، وخريز(٣).

ويوجدون، اليوم، في مطرح قرب مسقط(٤).

وفي بلاد فارس كانت لهم مدن وقلاع كثيرة. ومن أماكن تواجدهم في بلاد فارس: طريثيث وبيهق (من أعمال نيسابور)، وطبس (مدينة في برية بين نيسابور وأصفهان)، وزوزن (كورة بين نيسابور وهراة)، وفي خراسان، وأصبهان، وما يجاور قزوين.

ومن قلاعهم المشهورة في بلاد فارس: قلعة أصفهان، المعروفة بشاه ذر، وألموت، وسنكوه (قرب أبهر)، وخالنجان (قرب أصفهان)، واستوناوند (بين الري وآمد)، وأردهن، وكردكوه، والناظر (بأرجان)، والطنبور (قرب أرجان)، وقلعة كلام، وقلعة بيرة بجوار قزوين، وقلعة خلادخان (بين فارس وخوزستان)، ولمبسر (بالقرب من قرية رازميان مركز رودبار شهرستان)، وشيركوه، وشهرك، ونويزرشاه، وقسطين لار، وميمون دج، وقلادوش هند، وبازركاه، وسيوهين، وكياكلا قلعة، وكياندشت، وهامون ذر.

وبقيت هذه القلاع بأيديهم إلى أن سقطت بيد هولاكو سنة ٦٥٤/ هـ ـ

---

(١) المقريزي ـ كتاب السلوك ج١، ص ١٦٩.
(٢) شيخ الربوة ـ نخب الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٣.
(٣) عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني ـ تاريخ اليمن ص ١٥٩ و٢٥١.
(٤) في جربه بتونس يوجد أعداد كبيرة من القرامطة.

١٢٥٦/م ويتواجد الإسماعيلية في إيران، اليوم، في مناطق كهك، ومحلات، وبيرجند، وقاين. وفي أفغانستان في مناطق بلخ وبدخشتان وكافرستان ووادي جلال آباد وكمر[١].

وفي آسيا الوسطى في خوقند، وقره تكين، وفي الولايات الواقعة في حوض نهر جيحون الأعلى (ساري گل، وخوان، وياسين)[٢].

وفي الهند في أقاليم أجمير، ومرداره، وراجبوتانا، والبنجاب، وكشمير، وبومباي، وبروده، وكورك، وكجرات[٣].

وتعتبر كراتشي، اليوم، مركز قيادة الإسماعيلية الرئيسي في العالم.

ويوجد أعداد من الإسماعيلية في زنجبار، وتنزانيا، وتنجانيقا، ومدغشقر، وجنوب أفريقية، ودار السلام، ونيروبي، وكمبالا..

فهم أوسع انتشاراً، في العالم، من النصيرية والدروز والإباضية واليزيدية والوهابية، وأكثر عدداً.

---

(١) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية، ص ١٠٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

فرق الإسماعيلية

كان الإسماعيليون فرقة واحدة، ثم انقسموا بسبب الخلاف على الإمامة إلى فرقتين. مستعلية أو مستعلوية، ونزارية.

حصل ذلك بعد موت المستنصر بالله أبي تميم معد، سنة ٤٨٧/هـ ـ ١٠٩٤/م، وكان المستنصر عهد في حياته، بالخلافة، لابنه نزار فخلفه أمير الجيوش الأفضل بدر الجمالي، وبايع المستعلي بالله أحمد أبو القاسم. وسبب ذلك أن الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً ونزار خارج، والدهليز مظلم فلم يره الأفضل فصاح به نزار إنزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك. فحقد الأفضل عليه، فلما مات المستنصر، قام الأفضل بخلع نزار خوفاً منه وبايع المستعلي، فاضطر نزار إلى ترك القاهرة والتوجه إلى الاسكندرية عند ناصر الدولة أفتكين، والقاضي جلال الدين ابن عمار، فتبعه الأفضل بالعساكر، وجرت بين الطرفين، معارك انتهت بتغلب الأفضل، والقبض على أفتكين والقاضي جلال الدين بن عمار وقتلهما[1] وأخذ الأفضل نزار وسلمه للمستعلي فبنى عليه جداراً كان سبباً في موته.

لكن أتباع نزار يقولون إنه لم يقتل، ولكنه خرج من الاسكندرية حملاً في بطن جارية تقية على نفسه، وخاض بلاد الأعداء إلى آلموت[2] حيث أسس الدولة النزارية.

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٧٢.
(٢) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج٥، ص ٦٥.

ومن يومها انقسم الإسماعيليون إلى فرقتين: مستعلية ونزارية.

يقول المستعلية إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد، ثم إلى ابنه الآمر بأحكام الله أبي علي المنصور، ثم إلى ابنه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد، ثم إلى ابنه الظافر بأمر الله أبي المنصور اسماعيل، ثم إلى ابنه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى، ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ، وهو آخرهم[١].

بينما يقول النزارية، إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه نزار بالنص من أبيه ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح حينما التحق بالمستنصر في مصر، بتوجيه من الداعي ابن عطاش أكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته فقال له ابن الصباح: من الإمام بعدك؟ فقال له: ابني نزار فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر ودخل خراسان وعبر إلى ما وراء النهر، يدعو إلى إمامة المستنصر وابنه نزار من بعده.

رد المستعلية على هذا الكلام بالقول: إن ابن الصباح سأله من صاحب الأمر؟ فقال: أبو المنصور فظن أنه يعني نزاراً في حين أنه يعني أبا المنصور أحمد أبا القاسم المستعلي بالله[٢].

عاشت كل فرقة من فرقتي الإسماعيلية، في بلد مستقل عن الآخر.

المستعلية في مصر واليمن والهند.

والنزارية في بلاد فارس والشام.

والإسماعيلية اليوم طائفتان: الآغاخانية والبهرة.

الآغاخانية أو الخوجات، كما يطلق عليهم في الهند، هم من النزاريين وينتسبون إلى آغاخان المحلاتي[٣].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الداعي ادريس عماد الدين القرشي ـ كتاب زهر المعاني ص ٢٥٦.
(٣) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٤٠.

أما البهرة أو البوهرا، فهو الاسم الذي عرف به المستعلية في اليمن والهند[1] وتعني كلمة بهرة، التاجر في اللغة الكجراتية.

وذكر بعض المؤرخين، أن البهرة من الإسماعيليين الذين هاجروا من مصر واليمن وبعض الأقطار العربية، إلى الهند، واختاروا السكن هناك سنة ٤٦٠/هـ[2] وكان رئيس هذه الفرقة يعيش في اليمن حتى العام ٩٤٦/هـ ـ ١٥٣٩/م. وكان البهرة يدفعون له ضريبة العشر والزكاة. إلى أن هاجر يوسف بن سليمان من اليمن إلى الهند سنة ٩٤٦/هـ ـ ١٥٣٩/م وسكن في سدهپور.

وبعد وفاة رئيسهم، صار داود بن عجب شاه رئيساً لهم.

وفي سنة ١٥٨٨/م انتخب البهرة في گجرات داود بن قطب رئيساً لهم. ولكن البهرة في اليمن لم يبايعوه، وانتخبوا رجلاً يدعى سليمان لإمامتهم. فعرفوا باسم السليمانية[3] وهكذا انقسمت البهرة إلى فرقتين: الداودية والسليمانية.

وتنقسم الداودية إلى قسمين هما: البهرة العلية والبهرة الناكوشية[4].

في القرن الحادي عشر الهجري، أصاب إسماعيليِّي سوريا خلل في شؤونهم الدينية والاجتماعية. وكان محمد الملقب بسويدان شيخاً عليهم. فلم يستطع إصلاح شؤونهم، فبعث الإمام المعصوم الحاج خضر مصلحاً ومرشداً وزوده بكتاب موجه إلى الإسماعيليين بلزوم طاعته. لكن سويدان وأتباعه رفضوا الانصياع له، وانشقوا عنه فسميت الفرقة التي تبعته السويدانية. أما بقية الإسماعيليين فتبعوا الحاج خضر فسموا الحجاوية نسبة إليه[5].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٢.
(٤) المرجع السابق.
(٥) عبد الله بن المرتضى ـ الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار ص ٢٤٤.

البهرة

قليلة هي الدراسات التي ظهرت بالعربية عن الطائفة الإسماعيلية المسماة بالبهرة. وكل ما ذكر عنها، عبارة عن تلميحات في معرض الحديث عن فرق الاسماعيلية، لا تفقع غليلاً. ولا تكفي لتكوين فكرة كافية عن هذه الفرقة التي يعتبر تاريخها جزءاً من تاريخ اليمن والهند.

وعلى الرغم من أن البهرة هم أحفاد رجال الإسماعيلية المستعلية أو الطيبية، الذين هاجروا إلى الهند من مصر واليمن بصورة خاصة بعد القضاء على الدولة الفاطمية في مصر، الصليحية في اليمن. إلا أنهم اشتهروا باسم البهرة، نسبة إلى أعمال التجارة التي يتعاطاها أفراد هذه الطائفة. لأن كلمة بهرة تعني التاجر باللغة الكجراتية. والبهرة هم الفرع الثاني من الإسماعيلية بعد انشقاقها إلى فرعين: نزارية ومستعلية أو طيبية.

وتاريخ البهرة هو تاريخ الإشهاد الستة وهم: نزار بن معد (العزيز بالله) والحسن بن نزار (الحاكم بأمر الله) وعلي ابن الحسين (الظاهر لإعزاز دين الله) ومعد بن علي (المستنصر بالله) وأحمد بن معد (المستعلي) والمنصور بن أحمد (الآمر بأحكام الله) الذي قتل سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م على يد جماعة من النزارية وكان قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة دعا حججه وأبوابه والخلصاء من دعاته وأوليائه وأصحابه وجدد أمامهم النص على ولده الإمام الطيب أبي القاسم وأخذ البيعة له. .

وهكذا انقسم الإسماعيلية إلى قسمين: نزارية ومستعلية أو طيبية.

وكان الموطن الأساسي للمستعلية اليمن ومن أشهر ملوكهم الملكة الحرة

الصليحية. . وكان لهم في اليمن نفوذهم القوي ورجالاتهم العظام.

ولما انقرضت الدولة الصليحية سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م تخلى رجال الإسماعيلية المستعلية عن كل نشاط سياسي لهم وانصرفوا إلى التجارة متخذين التقية لباساً لهم.

وقد هيأت التجارة بين اليمن والهند فرصة لنشر الدعوة الإسماعيلية الطيبية في الهند، ولا سيما في ولاية جوجرات جنوب بمباي، وأقبل جماعة من الهندوس على اعتناق هذه الدعوة وكثر عددهم وباعتبارهم كانوا من التجار، عرفت الدعوة في الهند باسم البهرة. وكان أول إمام لهم نشر دعوته في الهند عادة عبد الله اليمني. ثم جاء بعده شخص يدعى محمد علي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م وسرعان ما توفي في الهند ودفن في كامباي وقبره مشهور يزار.

وكان رئيس هذه الفرقة يعيش في اليمن حتى سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٥١م وكان البهرة يدفعون له ضريبة العشر والزكاة إلى أن هاجر يوسف بن سليمان إلى الهند في السنة نفسها، وأقام في سدهمپور. وبعد وفاة يوسف انتقلت الرئاسة إلى داود بن عجب شاه.

في عام ١٥٨٨ انتخب البهرة في كجرات داود بن قطب رئيساً لهم، ولكن بهرة اليمن لم يرضوا به وانتخبوا لرئاستهم شخصاً يدعى سليمان وهكذا انقسمت البهرة إلى قسمين:

داودية: أتباع داود بن عجب.

سليمانية: أتباع سليمان.

وبعد ذلك جاء سليمان إلى كجرات ومات في أحمد آباد ودفن هناك، ويعتبر قبره مزاراً لأتباع طائفته.

وتجدر الإشارة إلى أن البهرة الداودية تنقسم بدورها إلى قسمين هما: البهرة العلية والبهرة الناكوشية. وهذه الأخيرة متأثرة بالعقائد الهندوسية وهناك فرقة ثالثة تدعى البهرة الجعفرية نسبة إلى جعفر الشيرازي. ومما يسجل للبهرة

الداودية بالهند، أنهم أنشأوا لهم في مدينة سورات مدرسة لتدريس اللغة العربية والعقائد الإسماعيلية، وأطلقوا عليها اسم الجامعة السيفية[1].

وقد اعتاد طاهر سيف الدين داعي البهرة الداودية أن يلقي بنفسه محاضرات على أتباعه في شهر رمضان من كل عام باللغة العربية.

وإلى جانب ذلك حافظ البهرة على تقاليدهم القديمة، كما حافظوا على التقاليد الإسماعيلية واستطاع دعاتهم أن ينقذوا من الضياع عدداً كبيراً من مؤلفاتهم الدينية والأدبية التي صنفها دعاة الإسماعيلية في مصر واليمن وفارس.

ومما يمتاز به البهرة التعاطف الشديد بينهم مما جعلهم في حالة مالية يحسدهم عليها الكثيرون. فلا تجد بينهم فقيراً أو محتاجاً وهم يقدسون أعمالهم وداعيتهم المطلق ويطيعونه طاعة عمياء.

يرتبط البهرة بمصر ارتباطاً روحياً لأنها تمثل القاعدة الفاطمية، وبها أضرحة الفاطميين وآثارهم. ونظراً لهذا المقام الروحي الذي تمثله مصر، جاء إلى القاهرة في السبعينيات والثمانينيات جماعات من البهرة واتجهوا فور وصولهم إليها للبحث عن مراقد وآثار الأئمة الفاطميين والعمل على بعثها وتجديدها. ومن أشهر الآثار الفاطمية التي قاموا بتجديدها مسجد الحاكم بأمر الله المسمى بالجامع الأنور الملاصق لسور القاهرة من الجهة الشمالية. وهم يقيمون، اليوم، حوله وعلى مقربة منه ويمارسون طقوس عبادتهم فيه.

وهم يعتقدون أن الحاكم بأمر الله حي وغائب لم يمت وهذا ما جعلهم يهتمون بمسجده[2].

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية، ص ٤٨.

(٢) مجلة الشباب ـ القاهرة ـ تحقيق عن البهرة بمصر ـ العدد ٢٤٨ مارس ١٩٩٨.

عقائد الإسماعيلية

على الباحث، قبل الشروع في دراسة عقائد الإسماعيلية، أن يضع نصب عينيه، النقاط التالية:

أولاً: إن للإسماعيلية دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان(١). وهذا يعني أن الدعوة الإسماعيلية مرت بمراحل زمنية متعددة، كانت خلالها تتطور من زمن إلى زمن تبعاً للظروف والأحوال.

ثانياً: إن دراسة الإسماعيلية، مرتبطة أشد الارتباط بدراسة فلسفة وتاريخ كل إقليم على حدة. فالإسماعيلية في اليمن، بعباداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية وتأثير البيئة والمجتمع على أفكار وعقائد معتنقيها غير الإسماعيلية في سوريا. وفي سوريا غيرها في إيران وهلم جراً... ومن هنا يمكن القول إن دراسة الإسماعيلية في اليمن تحتاج إلى دراسة الزيدية وأثرها في الإسماعيلية، وأثر الإسماعيلية فيها، كما أن دراسة الإسماعيلية في إيران تحتاج إلى دراسة الزرادشتية والمانوية وأثرها في الفلسفة الإسماعيلية في إيران وبالعكس، وفي سوريا تحتاج إلى دراسة الصوفية والخطابية العلوية، وفي الهند إلى دراسة البوذية وما يتفرع عنها...(٢).

ثالثاً: بما أن الإسماعيلية هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد ابن زينب الأسدي الأجدع، وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي،

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ص ٤٢١.

(٢) عارف تامر ـ مع كتاب منتخبات اسماعيلية مجلة معهد المخطوطات العربية مج٦ ج١ و٢.

وأن الإسماعيلية كانوا قديماً، يسمون قرامطة، فلا بد، والحال هذه، من الرجوع إلى مقالة كل من الخطابية والقرامطة، ودراستها دراسة وافية للوقوف على التطورات التي لحقت بالعقيدة الإسماعيلية، عبر العصور، حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

رابعاً: إن أقوال المؤرخين، حول عقيدة الإسماعيلية، سارت صعوداً وهبوطاً، وفي منحنيات ومنعطفات كثيرة. وكلما تقدمنا في الزمن وجدنا هذه الأقوال تتبدل وتتغير من واحد إلى واحد، ومن عصر إلى عصر.

وهذه الملاحظة نفسها، سبق أن لفتت انتباهنا، ونحن نتحدث عن عقائد العلويين[1] مما يدل على أن لدى كتّاب الفرق، والمؤرخين، مقولة واحدة تجاه جميع الفرق، التي اصطلح على تسميتها باطنية. وهذا ما يدعونا إلى غربلة هذه الأقوال وتمحيصها، ومناقشتها مناقشة واعية.

خامساً: لا بد عند البحث، في عقيدة الإسماعيلية، من التمييز بين كتابات المؤرخين القدماء، وكتابات المؤرخين المحدثين والمعاصرين، والموازنة بينها، وإظهار ما فيها من تقارب وتباعد.

ومن دون مراعاة هذه النقاط تكون كل دراسة عن عقائد الإسماعيلية ناقصة. وها نحن نبدأ بكتابات المؤرخين القدماء.

(أ) عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء

تحدث المؤرخون القدماء، عن عقائد الإسماعيلية، تحت عناوين مختلفة:

* العنوان الأول: **الخطابية**.
* العنوان الثاني: **الباطنية + القرامطة**.
* العنوان الثالث: **الإسماعيلية**.

---

(١) راجع كتابنا العلويون بين الأسطورة والحقيقة.

الخطابية:

سنقطع في حديثنا عن الخطابية، مدة زمنية مقدارها ٢٣٩ سنة، نصاحب خلالها أربعة من أهم كتاب الفرق، عاشوا في فترات زمنية متباعدة، هم على التوالي: **النوبختي** (ت: ٢٢٨/ هـ)، **الأشعري** (ت: ٣٣٠/ هـ ـ ٩٤١/ م)، **البغدادي** (ت: ٤٢٩/ هـ ـ ١٠٣٧/ م)، **الشهرستاني** (ت: ٤٦٧/ هـ ـ ١٠٧٤/ م)[١].

تتلخص أقوال الخطابية، كما سجلها النوبختي، أن الإمام بعد جعفر بن محمد عليه السلام، ابنه إسماعيل. وأن محمد بن إسماعيل، من أولي العزم. وأولو العزم عندهم سبعة: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام ومحمد بن إسماعيل.

وأن الله تبارك وتعالى جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم. ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا... وزعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، الذي حكاه الله عز وجل في كتابه. وأن الدنيا ١٢ جزيرة. في كل جزيرة حجة. وأن الحجج ١٢. ولكل حجة داعية، ولكل داعية، يد، أي رجل له دلائل وبراهين يقيمها ويسمون الحجة (الأب) والداعية (الأم) واليد (الابن).

وقالوا: إن جميع الأشياء المفروضة في القرآن والسنة لها ظاهر وباطن. وإن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة، أمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها، وعليها العمل وفيها النجاة. وإن ما ظهر منها في استعماله الهلاك والشقاء، وهي جزء من العقاب الأدنى[٢]. وللأشعري، المناصر للنوبختي، كلام آخر، هو: يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منه رسولان: واحد ناطق، والآخر صامت.

---

(١) لم نذكر فخر الدين الرازي لأن أقواله عن الخطابية لا تخرج في مضمونها عما قاله هؤلاء الثلاثة.

(٢) النوبختي ـ فرق الشيعة ص ٦٨.

فالناطق محمد ﷺ، والصامت علي بن أبي طالب عليه السلام. يعلمون ما كان وما هو كائن، وطاعتهم مفترضة على جميع الخلق. وأن أبا الخطاب نبي. وأن أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبي الخطاب. وقالوا: الأئمة آلهة وولد الحسين أبناء الله وأحباؤه. ثم قالوا ذلك في أنفسهم، وتأولوا قول الله تعالى: **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾** قالوا: فهو آدم ونحن ولده. وعبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله. وأنه أعظم من علي عليه السلام، ومن جعفر بن محمد الذي هو إله أيضاً[(1)].

إننا هنا أمام قولين مختلفين، لشخصين متعاصرين، يتحدثان عن موضوع واحد. يدعونا سياق الحديث إلى التساؤل: أيهما الصحيح؟!

ومن نصدق منهما. النوبختي أم الأشعري؟!

وما هو سبب هذا الاختلاف في القولين؟!

وهل أقوال الخطابية مختلفة إلى هذا الحد، أم أن النوبختي والأشعري كتبا ما شاء لهما الهوى، وأرخى كل منهما عنان قلمه فجمح هذا الجموح الغريب؟؟

ومع ذلك، فإننا إذا انتقلنا إلى البغدادي، الذي جاء بعد /٢٠١/ سنة من النوبختي، و/٩٩/ سنة من الأشعري، وجدنا عنده، أقوالاً جديدة مفادها أن الخطابية حلولية يدَّعون حلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي الخطاب[(2)]. وأنهم يقولون: بتناسخ روح الإله في الأئمة عليهم السلام، كما يقولون بقدم العالم.

البغدادي في كلامه يناقض نفسه بنفسه فهو يقول: إن الخطابية ينكرون الرسل والشرائع كلها.. ثم إذا به يقول: قالوا: إن النبي هو الناطق.. وتأولوا أركان الشريعة.. قولهم النبي هو الناطق، يعني أنهم يعترفون بالرسل. لأن النبي رسول.

---

(١) الأشعري ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج١، ص ٧٥.
(٢) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٢٤٢.

وقوله إنهم تأولوا أركان الشريعة، يعني أنهم يعترفون بالشريعة لكنهم يؤولونها بما يتناسب وقواعد مذهبهم.

ومن جهة أُخرى، قول البغدادي «ينكرون الرسل» يتناقض مع ما ذكره النوبختي «زعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين» كما يتناقض، أيضاً، مع ما ذكره الأشعري «يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسل الله وحججه على خلقه».

وقول البغدادي إنهم يدعون حلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي الخطاب هو قول فخر الدين الرازي في [اعتقادات فرق المسلمين والمشركين] للشهرستاني، المعاصر للبغدادي، كلام عن الخطابية لا يخرج في مضمونه عما قاله الأشعري. قال عن أبي الخطاب: «زعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة. وقال: بإلهية جعفر بن محمد، وإلهية آبائه رضي الله عنهم، وهم أبناء الله وأحباؤه».

لكن الجديد، الذي أضافه الشهرستاني على الأقوال السابقة، هو «الإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار... وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها»(١).

وكما يلاحظ، أن عبارة «لا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار» غامضة أشد الغموض. لم يبين الشهرستاني المقصود منها. فهل المقصود، يا ترى، أن النبوة متصلة، وأن الأرض لا تخلو من إمام. أم لها معنى آخر؟!

ولدينا عن الخطابية قول خامس يخالف الأقوال السابقة كلها هو قول الملطي في «التنبيه والرد» مفاده أن الخطابية يزعمون أن أبا بكر وعمر الجبت والطاغوت، وكذلك الخمر والميسر... وقد فسروا في كتاب الله أشياء كثيرة بما يشبه هذا.

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج١، ص ١٧٩.

ولم يقتصر الأمر عند المؤرخين القدماء على الاختلاف في الأقوال حول الخطابية، وإنما تعدى ذلك إلى تقسيمها إلى فرق عديدة منها:

* **البزيغية**: أتباع بزيغ بن موسى الحائك الكوفي(١).

* **الغرابية**: سموا بهذا الاسم لقولهم إن محمداً ﷺ كان أشبه بعلي عليه السلام من الغراب بالغراب والذباب بالذباب(٢).

* **المخمسة**: سموا مخمسة لقولهم إن الله عز وجل هو محمد ﷺ ظهر في خمسة أشباح، وخمس صور مختلفة. ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين(٣).

* **المفضلية**: أتباع مفضل الصيرفي. كانوا يقولون بربوبية جعفر الصادق عليه السلام(٤).

القرامطة:

أطلق المؤرخون، وكتاب الفرق، على الإسماعيلية عدداً من الأسماء والألقاب منها... القرامطة.

وجاء حديثهم عن مذهب القرامطة، متناقضاً، لا ينطبق فيه قول مع آخر.

منهم من قال: إنهم خوارج زنادقة مارقة من الدين(٥) ولم يزد.

ومنهم من قال إنهم فرقة من الزنادقة والملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت وفردك، وكانا يبيحان الحرمات(٦).

---

(١) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٥٤.
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٧.
(٣) المرجع السابق ص ٤٥٨.
(٤) المرجع السابق ص ٤٨٢.
(٥) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر، واليافعي اليمني ـ مرآة الجنان وغيرهما، أخبار سنة ٢٧٨/ هـ.
(٦) ابن كثير ـ البداية والنهاية، أخبار سنة ٢٧٨هـ.

فريق ثالث بنى حديثه عن مذهبهم على كتاب شخص مجهول لا نعرف محله من الإعراب، يدعى الفرج بن عثمان، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفرج بن عثمان، وهو من قرية يقال لها نصرانة، داعية إلى المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية، وهو جبريل. وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان، وقال له: إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك روح القدس، وأنك يحيى بن زكريا، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات. ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها. وأن الأذان في كل صلاة أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، مرتين. أشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحاً رسول الله، أشهد أن ابراهيم رسول الله، أشهد أن موسى رسول الله، أشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله. وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية. والقبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى بيت المقدس. ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، والسورة الحمد لله بكلمة، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه بأوليائه. قل إن الأهلة مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرَّفوا عبادي سبيلي. اتقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أُسأل عما أفعل، وأنا العليم الحكيم. وأنا الذي أبلو عبادي، وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي، وأخلدته في نعمتي، ومن زال عن أمري، وكذب رسلي، أخلدته مهاناً في عذابي، وأتممت أجلي، وأظهرت أمري، على ألسنة رسلي، وأنا الذي لم يصل عليَّ جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا أذللته، وليس الذي أصر على أمره وداوم على جهالته، وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين، أولئك هم الكافرون. ثم يركع ويقول في ركوعه سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون! يقولها مرتين. فإذا سجد قال: الله أعلى، الله أعلى، الله أعظم، الله أعظم.

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة، وهما المهرجان والنوروز. وأن النبيذ حرام والخمر حلال، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة. وأن من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية. ولا يؤكل كل ذي ناب، ولا كل ذي مخلب»[1].

أول ما يستوقفنا في هذا الكلام، أن قائله يعتبر أحمد بن محمد ابن الحنفية رسول الله. والخطابية، كما رأينا، تقول بإمامة محمد بن إسماعيل. وليس في أقوالهم أي ذكر لأحمد بن محمد بن الحنفية. ومع ذلك، ولنفترض أن هذا الكلام صحيح مئة في المئة، فإننا إذا وضعناه إلى جانب كلام الخطابية، وقارنا ما بينهما، وجدنا كلاً من القولين يسير في اتجاه مغاير للآخر. مما يبعث، في نفسنا، الشك بصحة القولين كليهما.

وتزداد حيرتنا، ويزداد شكنا أكثر عندما نقرأ، عن مذهب القرامطة، كلاماً مختلفاً جداً، حدثنا به ابن الجوزي، يدور، في مجمله، حول فكرتين رئيسيتين، الأولى: عصمة الأنبياء، والثانية: تأويل التكاليف الشرعية.

لنستمع إلى كلامه:

«... إن مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم. والمعصوم يطلّع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع. ولا بد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه. وهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان أحدهما علة لوجود الثاني. واسم العلة السابق واسم المعلول التالي. وإن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه. وقد يسمون الأول عقلاً والثاني نفساً. والأول تاماً والثاني ناقصاً. والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف... والنبي، برأيهم، عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية. وإن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه إلا أنه شخص. وإن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي كلام الله مجازاً لأنه

---

(١) تاريخ الطبري ج١٠، ص ٢٥، وراجع أيضاً ابن الأثير ـ الكامل ج٦، ص ٦٩ وغيره.

مركب من جهته، وهذه القوة الفائضة على النبي تتربى كنطفة، واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القرآن والأخبار، وأنه يساوي النبي في العصمة. ولا يتصور في زمان واحد إمامان بل يستظهر الإمام بالدعاة وهم الحجج. ولا بد للإمام من اثنتي عشرة حجة أربعة منهم لا يفارقونه. وكلهم أنكر القيامة. وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبداً. وأوّلوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام ولم يثبتوا الحشر ولا النشر. ولا الجنة ولا النار. ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله..

.... وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية والفلاسفة من الباطن والروافض في الظاهر.... ثم إنهم يعتقدون استباحة المحظورات ورفع الحجر...

وقالوا: كل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن. فمعنى الجنابة مبادرة المستحب بإفشاء سر إليه. قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والاختلاف أن يسبق الإنسان إلى إفشاء السر في غير محله. والصيام الإمساك عن كشف السر، والحرمات عبارة عن ذوي السر، والبعث عندهم الاهتداء إلى مذهبهم.

ويقولون: ﴿**للذكر مثل حظ الانثيين**﴾ الذكر الإمام والحجة الأنثى.

وقالوا: ﴿**يوم يأتي تأويله**﴾ أي يظهر محمد بن إسماعيل.

وفي قوله: ﴿**حرمت عليكم الميتة**﴾ قالوا: الميتة الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت إلى التأويل. وقالوا: إن النساء والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة. يترددون في هذه الصور ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح: «اللهم إني أبرأ إليك من روحه وبدنه وأشهد له بالضلالة اللهم لا تجعلني من المذبوحين»[١].

والقول بعصمة الإمام هو قول الشيعة عموماً.

---

(١) ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ق٢، ج٥، ص ١١٥.

فإنهم يرون وجوب العصمة في الإمام. لأنه إذا كان غير معصوم، لا يطمئن إليه في تبليغ الأحكام، مضافاً إلى إمكانية اتخاذه سلوكاً مخالفاً للعدالة في إمامة المسلمين وزعامتهم.

ويعتبرون الأئمة ملهمين من قبل الله كالنبي ﷺ.

ويقولون إن للإمام رئاسة عامة، ومنزلة فوق منزلة البشر.

وبما أن الإمام معصوم، فيجب على الله أن يظهره للناس، ولهذا قالوا: إنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم.

وما دمنا بصدد الحديث عن القرامطة، فلا يغيبن عن البال ما كتبه، محمد ابن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، عن مذهبهم، وكان زعم أنه دخل في المذهب ليقف على حقيقتهم وحقيقة معتقدهم.

يفهم من كلامه أن الزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة والصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلاَّ وله باطن يدل على ذلك. فالظاهر من تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام. وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنهما سبعة أحرف فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة.

والخمر والميسر اللذان نهى الله تعالى عنهما أبو بكر وعمر لمخالفتهما علي وأخذهما الخلافة دونه فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه مما أنبتت الأرض.

والصوم الكتمان، كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين.

والطهارة طهارة القلب وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره. وأن الجنابة هي موالاة الأضداد. أضداد الأنبياء والأئمة.

ويفسرون الآية ﴿**وإن كنتم جنباً فاطهروا**﴾ معناه إن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح.

والزينة في الآية ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ هي ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك.

ومن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب وأهل العقول دون الجهال لأن المستحسن من الأشياء ما خفي. ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مشجنة. وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس.

هذه هي الدرجات التي يعلِّمها الداعي من يدخل في الدعوة. ومتى عرفها سقطت عنه الفرائض من صلاة وصوم وحج وزكاة... [١].

بهذا الكلام، صار لدينا، عن مذهب القرامطة، ثلاثة أقوال لا وجه للشبه بينها، وتناقضها مع بعضها البعض يجعلنا نشك في صدقها.

وعن مذهب القرامطة نقل لنا المعري ما سمعه عنهم وهو: «حكى لي أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه، ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام، ويقولون للهمج والطغام: «هذا الفرس لركاب المهدي، يركبه متى ظهر».

ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدهر القديم، لما حضرته المنية، جمع أصحابه، وجعل يقول لهم لما أحس بالموت «إني قد عزمت على النقلة، وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً، ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء..»[٢].

تذكرنا حكاية انتظار القرامطة للمهدي، بحكاية مماثلة رواها ياقوت

---

(١) محمد بن مالك الحمادي اليماني ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ١١.
(٢) المعري ـ رسالة الغفران ص ٤٣٤.

الحموي عن أهل قاشان وهي «قرأت في كتاب ألفه أبو العباس أحمد بن علي ابن بابه القاشي في فرق الشيعة، إلى أن انتهى إل ذكر المنتظر فقال: ومن عجائب ما يذكر ما شاهدته في بلادنا قوم من العلوية من أصحاب التنايات يعتقدون هذا المذهب فينتظرون صباح كل يوم طلوع القائم عليهم»[١].

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين وقفوا، من القرامطة، نفس الموقف الذي وقفوه من الخطابية وهو تقسيمها إلى فرق هي:

* **البقلية**: ظهروا سنة ٢٩٥/ هـ وزعيمهم يدعى أبو حاتم الذي حرم على أتباعه أكل القرع واللفت، وأمرهم بالاكتفاء بأكل الخضروات، ومنعهم من ذبح الحيوانات وأكل لحومها[٢].

* **العقدانية**: سموا عقدية لأن الحل والعقد في أمورهم بأيديهم. وهؤلاء كانوا من عرب البادية[٣].

* **الأبوسعيدية**: أتباع الحسن بن بهرام الجنابي، المكنى بأبي سعيد[٤].

الباطنية

بعض المؤرخين، تحدثوا عن الإسماعيلية، تحت عنوان الباطنية. على اعتبار أن من ألقاب الإسماعيلية المشهورة، الباطنية.

ولدينا بهذا الخصوص، ثلاثة أقوال لثلاثة أشخاص متعاصرين: **البغدادي (ت: ٤٢٩/ هـ ـ ١٠٣٧/ م)**، **الشهرستاني (ت: ٤٦٧/ هـ ـ ١٠٧٤/ م)**، **الإسفرايني (ت: ٤٧١/ هـ ـ ١٠٧٨/ م)**.

عن الباطنية، قال البغدادي: إنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع.

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان/ مادة قاشان.
(٢) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٥٨.
(٣) المرجع السابق ص ٣٨٩.
(٤) المرجع السابق ص ٧١.

وأنهم يرفضون المعجزات. وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي. بل ينكرون أن في السماء ملكاً، وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم ويتأولون الشياطين والأبالسة على مخالفيهم.

ويزعمون أن الأنبياء «قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة والإمامة».

وكل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر. وإذا ذكروا النبي والوصيّ قالوا إن النبي هو الناطق والوصي أساسه الفاتق. وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم. والحج زيارته وإدمان خدمته. والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام، والزنا إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق.

وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا ذلك بقوله ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ وحملوا اليقين على معرفة التأويل[1].

الشهرستاني، في حديثه عن الباطنية، فرّق بين الباطنية القديمة، وأصحاب الدعوة الجديدة ـ دعوة الحسن بن الصباح ـ.

عن الباطنية القديمة، قال: «خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج» لكنه لم يذكر لنا اسم أي كتاب من كتبهم. مخالفاً بذلك الشرط الذي أخذه على نفسه «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم» أما في حديثه عن الدعوة الجديدة، فقد ذكر الفصول الأربعة التي ابتدأ بها الحسن بن الصباح دعوته وتجاهل مؤلفات الإسماعيليين الذين ظهروا قبل الحسن بن الصباح بعشرات السنين، كأبي يعقوب السجستاني المتوفى سنة ٣٣١/ هـ ـ ٩٤٢/ م وأبي حاتم الرازي المتوفى بنفس الفترة تقريباً. كما تجاهل مؤلفات الإسماعيليين المعاصرين له ومنهم شيخ فلاسفة الإسماعيليين أحمد حميد الدين الكرماني المتوفى بحوالي عام

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٢٦٩.

٤١١/ هـ ـ ١٠٢٠/ م وله ما يقرب من ٣٢ كتاباً، وداعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى عام ٤٧٠/ هـ ـ ١٠٧٧/ م. . . وهذه أمور تستلفت النظر، وتثير علامات استفهام كثيرة.

ذكر الشهرستاني عن الباطنية القديمة: «. . . قالوا في الباري تعالى: إنّا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز»، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليها، وذلك تشبيه، فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين. .

فقيل فيهم أنهم نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات من جميع الصفات.

قالوا: وكذلك نقول في القدم. إنه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره، وكلمته، والمحدث، خلقه وفطرته.

أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطه أبدع النفس التالي الذي هو غير تام. قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة، فحدثت الأفلاك السماوية، وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضاً فتركبت المركبات من المعادن، والنبات، والحيوان، والإنسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان، وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله.

وفي العالم العلوي عقل، ونفس كلي. فوجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل. . ويسمونه الناطق، وهو النبي، ونفس مشخصة، وهي كل أيضاً، ويسمونه الأساس، وهو الوصي.

وقالوا: تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوحي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير، ويدخل زمان القيامة، وترتفع التكاليف، وتضمحل السنن والشرائع.

وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية تبلغ النفس إلى حال كمالها، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به ووصولها إلى مرتبته فعلاً، وذلك هو القيامة الكبرى فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب، وتبدل الأرض غير الأرض وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم، وفيه يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر، والمطيع عن العاصي، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المضل المبطل. فمن وقت الحركة إلى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون إلى ما لا نهاية هو الكمال.

ثم قالوا: ما من فريضة وسنة وحكم من الأحكام الشرعية إلا وله وزان من العالم. عدد في مقابل عدد. وحكم في مطابقة حكم، فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية. والعالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان التركيبات في الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام. ولكل حرف وزان في العالم، وطبيعته يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس، كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان. وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلق منه. فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات، وأن التسمية مركبة من سبعة واثنتي عشرة وأن التهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأُولى وست في الثانية، واثني عشر حرفاً في الأُولى، واثني عشر حرفاً في الثانية. وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك خوفاً من مقابلته بضده. وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم، قد صنفوا فيها كتباً، ودعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم، ويهتدي إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم[(١)].

وإذا كان كلام **الشهرستاني** يبتعد كثيراً عن كلام **البغدادي**، فإن كلام **الأسفرايني**

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج١، ص ١٩١.

عن مذهب الباطنية، يشبه في بعض فقراته كلام البغدادي.

ونص ما ذكره الأسفراييني هو: . . . قالوا: إن الله تعالى خلق النفس. وكان الله هو الأول، والنفس هو الثاني. وربما قالوا: العقل هو الأول، والنفس هو الثاني. وزعموا أن هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربعة. . . وأباحوا لأتباعهم اللذات والشهوات ونكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات، وتأولوا أركان الشريعة. فقالوا: معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم. ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية.

وكانوا يؤولون الملائكة على دعاتهم وقالوا: إن الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم.

وسموا موافقيهم المؤمنين، ومخالفيهم الحمير والظاهرية. وكانوا يقولون: إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك. ويؤولون عليه قوله تعالى: ﴿**فليعبدوا رب هذا البيت**﴾ ويقولون الرب هو الروح، والبيت هو البدن، يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن الذي لا تكليف عليه[1].

كلام الأسفراييني متناقض مع بعضه البعض.

ونرى هذا التناقض جلياً واضحاً في العبارتين التاليتين: «الرب هو الروح، والبيت هو البدن، يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن» و «قالوا: إن الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الأول. . .» . . . . فكيف ينسجم القول: لا إله ولا نبي سوى هذا البدن مع القول: إن الله تعالى هو الأول؟!

الإسماعيلية

ما كتب عن عقائد الإسماعيلية تحت عنوان «**الإسماعيلية**» لا يخرج في

(١) الأسفراييني ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ٨٣.

مضمونه، عما قرأناه عن الخطابية والباطنية والقرامطة، مع إضافة نقاط جديدة.

ولكي لا يتشعب الحديث، ويطول، نكتفي بما كتبه **نشوان الحميري** (ت: ٥٧٣/ هـ - ١١٧٧/ م) **والقلقشندي** (ت: ٧٦٦/ هـ - ١٣٦٤/ م)، مع ملاحظة الفارق الزمني بين الاثنين. قال **نشوان الحميري**: «. . . وقالت الإسماعيلية عن الجعفرية: أن الله لا شيء، ولا لا شيء، لأن من قال: إنه شيء فقد شبهه، ومن قال إنه لا شيء فقد نفاه، فقالوا فيه بالنفي والإثبات جميعاً»[1].

وهذا الكلام، يشبه قول الباطنية القديمة الذي حدثنا به **الشهرستاني** «إنّا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود. . . . . فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين»[2].

القلقشندي قد أخذ أقواله، عن مذهب الإسماعيلية، من ثلاثة مصادر هي:

(١) = **التعريف بالمصطلح الشريف**.

(٢) = **مسالك الأبصار**.

(٣) = **الصبر**.

والأفكار الرئيسية، التي يدور حولها كلامه هي:

- الإسماعيلية طائفة كافرة يعتقدون بالتناسخ والحلول. . .

- يرون أن الأرواح مسجونة في هذه الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر. فإذا انتقلت على الطاعة تخلصت وانتقلت للأنوار العلوية، وإن انتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية.

- منهم من يدعي ألوهية الإمام بنوع الحلول. ومنهم من يدعي رجعة من مات من الأئمة بنوع من التناسخ والرجعة.

---

(١) نشوان الحميري - الحور العين ص ٢٠.

(٢) الشهرستاني - الملل والنحل ج١، ص ١٩١.

ـ من معتقدهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه، أو لم يكن في عنقه بيعة إمام، مات ميتة جاهلية.

ـ يرون أن العلم لا يكون إلا بالتعليم من الأئمة خاصة.

ـ للأئمة أدوار. في كل دور منها سبعة أئمة ظاهرين أو مستورين. فإن كان أهل الدور ظاهرين يسمى الدور **دور الكشف**، وإن كانوا مستورين يسمى **دور الستر**.

ـ يقولون بوجوب موالاة أهل البيت ويتبرؤون ممن خالفهم، وينسبونهم إلى الأخذ بالباطل، والوقوع في الضلال.

ـ من أكبر الكبائر عندهم رمي الأئمة من آل البيت عليهم السلام بكبيرة، أو موالاة أعدائهم، أو معاداة ولي.....[1]

وكما قسم المؤرخون، وكتاب الفرق، الخطابية والقرامطة إلى فرق عديدة، قسموا الإسماعيلية إلى فرق منها:

* **الخلطية**[2].

* **الخنفرية**: أصحاب علي بن فضل الخنفري، الداعية الإسماعيلي في اليمن[3].

* **البرقعية**: أتباع محمد بن علي البرقعي، الذي خرج في الأهواز سنة ٢٥٥/ هـ[4].

* **السنانية**: أتباع سنان راشد الدين[5].

* **الصباحية**: أتباع الحسن بن الصباح[6].

---

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج٣، ص ٢٣٥.
(٢) الدكتور محمد جواد مشكور ـ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٣٦.
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.
(٤) المرجع السابق ص ١٥٤.
(٥) المرجع السابق ص ٢٨٩.
(٦) المرجع السابق ص ٣٤٩.

* **المباركية**: أتباع رجل يدعى مبارك كان مولى لإسماعيل ابن الإمام الصادق[1].

* **الناصرية**: أتباع حميد الدين ناصر خسرو القبادياني، داعية المذهب الإسماعيلي في خراسان[2].

هذه هي مجمل أقوال المؤرخين القدماء، عن الإسماعيلية، والمآخذ عليها كثيرة نختصرها بما يلي:

أولاً: الزعم بأن **الإسماعيلية** هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأسدي، وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي، وهذا غير صحيح.

ورجالات الإسماعيلية يلعنون، في كتبهم، هذا الشخص.

لنقرأ ما كتبه الداعي إدريس عماد الدين القرشي عن أبي الخطاب: «وكان من الغلاة اللعناء في زمان الإمام الصادق عليه السلام... الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي في عصر الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام من أجل دعاته، فاستغواه الشيطان وأضله عن سبيل الإيمان وأصابه ما أصاب المغيرة ابن سعيد لعنهما الله، فكفر وادعى النبوة، وزعم أن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إله تعالى الله عز وجل عن قوله وبهتانه، واستحل المحارم كلها ورخص فيها...»[3].

وتابع الداعي إدريس قوله: «فبلغ أمره الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فلم يقدر عليه بأكثر أن لعنه وتبرأ منه، وجمع أصحابه فعرفهم ذلك، وكتب إلى شيعته في البلدان بالبراءة منه، واللعنة عليه....»[4].

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٥.

(٣) ادريس عماد الدين القرشي ـ عيون الأخبار وفنون الآثار ص ٢٨٧.

(٤) المرجع السابق.

ثانياً: اتهام الإسماعيلية بالقول بالحلول والتناسخ وإباحة الحرمات وقدم العالم و. . . . و. . . و. . . . ليس جديداً علينا.

وقد طالت هذه الاتهامات فرقاً كثيرة غير الإسماعيلية كالنصيرية[1]، وغيرها. . . .

وكنا فصلنا هذه النقطة تفصيلاً وافياً في كتابنا [العلويون بين الأسطورة والحقيقة][2].

فلا موجب لإعادة الكلام، هنا.

ثالثاً: وجد في زمن المؤرخين القدماء، عدد كبير من علماء الإسماعيلية ومفكريهم، خلفوا لنا كماً ضخماً من المؤلفات.

من هؤلاء على سبيل المثال، لا الحصر. .

* **عبدان** وهو من أكثرهم كتباً وتصنيفاً[3] من كتبه: كتاب الرحا والدولاب ـ كتاب الحدود والإسناد ـ كتاب اللامع ـ كتاب الزاهر ـ كتاب الميدان ـ كتاب النيران ـ كتاب الملاحم ـ كتاب المقصد.

* **عبدالله بن أحمد النسفي البردغي** (ت: ٣٣١/ هـ ـ ٩٤٢/ م) وله من الكتب: كتاب عنوان الدين ـ كتاب أحوال الشرع[4].

* **أبو يعقوب السجستاني** المتوفى بحدود سنة ٣٣١/ هـ ـ ٩٤٢/ م وله من المؤلفات: أساس الدعوة ـ كشف المحجوب ـ تأويل الشريعة ـ أسس البقاء ـ الافتخار ـ إثبات النبوة ـ تحفة المستجيبين ـ الينابيع ـ سلم النجاة ـ المحصول ـ المقاليد في منال الأمر ـ مسليات الأحزان ـ الوعظ ـ خزانة الأدلة ـ الكتاب القريب في منال الكثير ـ تألف الأحزان.

* **أبو حاتم الرازي** المتوفى بحدود ٣٣١/هـ ـ ٩٤٢/م وقيل سنة

---

(١) هاشم عثمان ـ العلويون بين الاسطورة والحقيقة.
(٢) صدر الكتاب عن مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر ـ بيروت.
(٣) ابن النديم ـ الفهرست ص ٢٦٤.
(٤) المرجع السابق.

٣٢٤/ هـ ـ ٩٣٥/ م وله من الكتب: كتاب الزينة ـ أعلام النبوة ـ الإصلاح ـ الجامع.

* **القاضي النعمان** المتوفى سنة ٣٦٣/ هـ ـ ٩٧٣/ م وله ما يزيد على ٤٧ مؤلفاً منها: كتاب التوحيد والإمامة ـ منهاج الفرائض ـ دعائم الإسلام ـ تأويل الشريعة ـ إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق ـ حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه والتأويل ـ نهج السبيل في معرفة علم التأويل ـ كيفية الصلاة على النبي.

* **ابن كلس** المتوفى سنة ٣٨٠/ هـ ـ ٩٩٠/ م ومن مؤلفاته: كتاب الفقه ـ الرسالة الوزيرية ـ كتاب في آداب الرسول ـ كتاب القراءات ـ كتاب علم الأبدان وصلاحها.

* **الكرماني** المتوفى سنة ٤١٢/ هـ ـ ١٠٢١/ م وله ما يصل إلى ٣٣ كتاباً منها: كتاب المعاد ـ كتاب تنبيه الهادي والمستهدي ـ التوحيد في المعاد ـ رسالة المقادير والحقائق ـ الوديعة ـ فصل الخطاب وإبانة الحق المتجلي عن الارتياب ـ كتاب الإصابة في تفضيل علي على الصحابة ـ راحة العقل. . . وغيرها.

* **المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي** المتوفى سنة ٤٧٠/ هـ ـ ١٠٧٧/ م من مؤلفاته: المجالس المؤيدية ـ شرح المعاد ـ الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير ـ الابتداء والانتهاء ـ تأويل الأرواح ـ نهج العبادة وغيرها. . .

* **الداعي ابراهيم الحامدي** المتوفى سنة ٥٥٧/ هـ ـ ١١٦١/ م ومن مؤلفاته: كنز الولد.

* **الداعي محمد بن طاهر بن ابراهيم الحارثي** المتوفى سنة ٥٨٤/ هـ ـ ١١٨٨/ م ومن مؤلفاته: كتاب الأنوار اللطيفة.

* **بنو حماد** أصحاب الدعوة بالجزيرة وما والاها، وصنفوا كتباً كثيرة منها: كتاب الحق النير ـ كتاب الحق المبين ـ كتاب بسم الله الرحمن

الرحيم[1] وغيرهم. . . . وغيرهم. . .

لم نجد من المؤرخين من اهتم بهذه المؤلفات وعرض ما فيها من أقوال وأفكار وناقشها. وبدلاً من ذلك وجدناهم يستخدمون في كتاباتهم، عبارات مضللة مثل «قالوا» و«زعموا» و«يزعمون» و «في كتبهم». . من دون أن نعرف شخص القائل، أو اسم كتاب من «كتبهم» حتى نتأكد من صحة هذه الأقوال. وهذا الأسلوب نفسه واجهنا في كتابات المؤرخين القدماء عن النصيرية.

رابعاً: قسم المؤرخون القدماء الإسماعيلية، بأسمائها وألقابها المختلفة، إلى فرق كثيرة منها: البزيغية والغرابية والمخمسة والمفضلية والبقلية والعقدانية والأبوسعيدية والسبعية والخلطية والخنفرية والبرقعية والسنانية والصباحية والمباركية والناصرية و. . . و. . .

تختلف أقوال كل فرقة منها عن الأُخرى.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو: أية فرقة من هذه الفرق صاحبة الأقوال التي عرضها لنا المؤرخون؟! لأنه من غير الجائز التعميم في معرض التخصيص. بأن نقول هذه الأقوال هي للإسماعيلية، والإسماعيلية، فرق متعددة لكل فرقة مقولتها الخاصة.

خامساً: وضعنا المؤرخون القدماء، في أقوالهم المشار إليها، وجهاً لوجه أمام عبارات غامضة تحتاج إلى توضيح. منها قول الشهرستاني «الإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة. ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار» ولم نعلم ما هو المقصود من عبارة «ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار».

وقوله أيضاً: «إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع» من دون أن نعرف ما هي هذه الأحكام.

ومنها قول **البغدادي** عن الأنبياء «كل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر. . .».

---

(١) ابن النديم ـ الفهرست ص ٢٦٤.

فما هو هذا الدور المسبع؟؟ وما هي مدته؟؟

سادساً: في أقوال هؤلاء المؤرخين تناقضات كثيرة، تثير في الذهن أكثر من علامة استفهام، منها على سبيل المثال:

* قال **البغدادي**: إنهم ينكرون الرسل. . .

في حين قال **الأشعري**: إن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه. وذكر **شيخ الربوة** على لسان الإسماعيلية، أن الرسل أولي العزم سبعة سابعهم خاتمهم.

* ومن ذلك أيضاً:

يقول **الأسفرايني**: إنهم أسقطوا فرائض العبادات.

في حين ذكر **الطبري**، أن الصلاة أربع ركعات. . . والحج إلى بيت المقدس والصوم يومان في السنة.

* ومن ذلك أيضاً:

قال **الاسفرايني**: أنهم تأولوا أركان الشريعة. ومثل ذلك قال البغدادي.

بينما ذكر، **شيخ الربوة**، أن لهم تأويلات واستنباطات من الحروف المقطعة في أوائل سور من القرآن ومن آيات منه وقلب معانيها وتأويلها إلى أشخاص وأشياء يرونها.

* ومن ذلك أيضاً:

ما قاله **البغدادي** عن تأويل الزنا. إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق. بينما قال **ابن الجوزي**: إن الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى من لم يسبق معه عقد العهد.

* ومن ذلك أيضاً:

قال **الشهرستاني**: إن الأئمة. . آلهة. وقالوا بإلهية جعفر بن محمد.

وقال **الأشعري**: الأئمة آلهة.

أما **ابن الجوزي** فقال: يقولون بإلهين قديمين.. العلة (**السابق**) المعلول (التالي).

* ذكر **الأسفرايني**، أنهم يقولون بقدم العالم.

في حين ذكر **الشهرستاني** أنهم قالوا: نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته، والحديث خلقه وفطرته.

* ظهرت تناقضاتهم بأجلى مظاهرها عند حديثهم عن العدد /٧/ وفيما يلي أقوالهم:

- **الشهرستاني**: تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة...

- **الأسفرايني**: العقل (الله) والنفس يديران العالم بتدبير الكواكب السبعة.

- **النوبختي**: إن للأئمة أدواراً في كل دور منها سبعة أئمة ظاهرين أو مستورين.

- **البغدادي**، عن الأنبياء: وكل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر.

ونكتفي بهذا القدر من التناقضات لكي لا يطول بنا الحديث.

سابعاً: ما نسبه المؤرخون إلى الإسماعيلية، من أقوال، يشبه إلى حد كبير ما وجه إلى الشيعة عموماً منذ بدء تكون نواة التشيع وحتى نهاية الخلافة العباسية. فمن المعلوم، أن معاوية بن أبي سفيان نال الخلافة بالخديعة والمكر، وشن من موقعه كحاكم حرباً إعلامية مسعورة سارت في اتجاهين:

الأول: شتم أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر لزرع بغضه في قلوب الناس.

الثاني: حمل صنائعه بالمغريات المادية على وضع الأخبار...

وهكذا فتح باب الدس والاختلاق على مصراعيه.

ولم يكتف صنائع معاوية باختلاق الأقاويل، بل تعدوا ذلك إلى اختلاق الشخصيات والروايات.

ولما دالت دولة الأمويين، وجاء العباسيون، لم تتغير النظرة إلى الشيعة. ذلك لأن الشيعة أصبحت، في العهد العباسي، قوة كبيرة يحسب لها ألف حساب، وقوتها أرَّقت مضاجع الخلفاء العباسيين، وخاصة بعدما لمسوا التفاف الناس حول العلويين في الثورات التي قاموا بها، أو التي قامت باسمهم.

وازداد الأمر سوءاً بعد ظهور الدولة الفاطمية على مسرح الأحداث، وميل عواطف الناس، في المشرق، إليها.

ولهذا فلا عجب إن رأينا خلفاء بني العباس قد سلكوا نفس المسلك الذي سلكه، من قبلهم، الأمويون، وهو اللجوء إلى سلاح الدسّ والاختلاق.

فالخليفة **المهدي** ـ حكم من ١٥٨ إلى ١٦٩/هـ ـ أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد. والمقصود بهم الشيعة والإسماعيلية والمعتزلة. والخليفة **القادر** ـ حكم من ٣٨١ إلى ٤٢٢/هـ ـ أمر بكتابة محضر يتضمن الطعن في نسب العلويين خلفاء مصر[١].

كما وضع كتاباً بمذاهب أهل السنة، وكفر كل من يقول بخلافه[٢]. وبموجب هذا الاعتقاد القادري أصبحت الشيعة، وكل من لف لفها، وتفرع عنها، فرقة كافرة أفتى الفقهاء بقتلهم وقطعهم ونفيهم[٣].

هذا على الصعيد الرسمي.

أما على الصعيد العام، فكان الشعور ضد الشيعة في أعلى درجات الاحتقان والتهيج. ونتيجة لهذا الشعور العدائي، كانت الاعتداءات عليهم تترى وتلقى التأييد من الحكام. وكما دخلت إلى قاموس السياسة، في زمن

(١) ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٧، ص ٢٥٨.
(٢) المرجع السابق ج٨، ص ١٠٩.
(٣) المرجع السابق ج٨، ص ٣٨.

الأمويين، تهمة السبئية لأصحاب علي وشيعته، حلّت في العهد العباسي تهمة الزندقة والقرمطة.

وكما قالوا عن عبد الله بن سبأ إنه من أصل يهودي، قالوا عن ميمون القداح أنه كان يهودياً ديصانياً.

وصارت تهمة الدعاية للمذهب القرمطي تطال كل شيعي[1] وقد عبر **الحسين بن حمدان الخصيبي**، عن ذلك بقوله:

صرت أُدعى ومذهب الحق ديني قرمطياً وصرت أُعزى بدخله
حسبي الله والنبي وخمس بعد سبع منهم مناهج سبله
وسلامي على تقي نقي..... يتولاهم بصالح عقله

وهكذا جعلوا **الشيعة = السبئية + القرمطية+ المجوسية+ الدهرية+ الباطنية+ الحلولية**.

وعليه تكون التهم التي وجهت إلى الشيعة عموماً، منذ بدء تكون نواة التشيع إلى نهاية الخلافة العباسية، هي:

* **الإلحاد**: ويعني الكفر بالله ورسوله وكتبه ورسله واليوم الآخر.
* **الغلو**: ويعني تأليه علي عليه السلام والأئمة من بعده.
* **الرفض**: ويعني شتم الصحابة.
* **إباحة المحارم**.
* **التناسخ**: ويعني إنكار البعث والنشور والجنة والنار.
* **الجهل**
* **شرب الخمر**
* **ترك الصلاة**

---

(١) المرجع السابق ج١، ص ٢١٠.

وباعتبار أن الإسماعيلية، خرجت من جلباب الشيعة، فقد حملت كل هذه التهم، مثلها مثل النصيرية.

ثامناً: يفهم من كتابات المؤرخين القدماء، أن الإسماعيلية تيارات مختلفة، واتجاهات مختلفة، منهم الغلاة، ومنهم المعتدلون. وأن **مبارك ابن علوان** يمثل اتجاهاً، **والفرج بن عثمان** يمثل اتجاهاً آخر، **وأحمد الكيال** اتجاهاً ثالثاً، **والحسن بن الصباح** اتجاهاً رابعاً... وهكذا... مع الإشارة إلى أن أقوال الواحد منهم لا تمثل آراء الإسماعيلية بعامة. لكن المؤرخين، كما لاحظنا، أخذوا أقوال بعض غلاة الإسماعيلية، وحرفوها وأضافوا إليها ونمقوها وزخرفوها، ثم عرضوها علينا على أنها أقوال الإسماعيلية. وهذا غير صحيح. وصار علينا والحال هذه أن نستعمل ميزاناً في غاية الحساسية والدقة لتمييز الأقوال الصحيحة من الأقوال الباطلة، والحقيقية من المختلقة والمدسوسة.

فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعنا أن للإسماعيلية يميناً كهذه: «إني والله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر، الذي لا إله إلا هو، وحق أئمة الحق، وهداة الخلق، علي وبنيه أئمة الظهور والخفاء، وإلا برئت من صحيح الولاء، وصدقت أهل الأباطيل، وقمت مع فرقة الضلال، وانتصبت مع النواصب في تقرير المحال، ولم أقل بانتقال الإمامة إلى السيد الحسين، ثم إلى بنيه بالنص الجلي، موصولة إلى جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهادية، والأثرة الباقية، وإلا قدحت في القداح، وأثمت الداعي الأول، وسعيت في اختلاف الناس عليه، ومالأت على السيد المهدي، وخذلت الناس عن القائم، ونقضت الدولة على المعز، وأنكرت أن يوم غدير خم لا يعد في الأعياد، وقلت: إن لا علم للأئمة بما يكون، وخالفت من ادعى لهم العلم بالحدثان، ورميت آل بيت محمد بالعظائم، وقلت فيهم بالكبائر، وواليت أعداءهم، وعاديت أولياءهم»[1]. وليست صيغة اليمين هي التي استوقفتنا، وإنما وجود يمين ثانية عباراتها مغايرة تماماً واليمين الثانية وصلتنا بصيغتين مختلفتين.

---

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج٢، ص ٢٤٦، نقلاً عن التعريف.

الأولى:

ذكرها **البغدادي** ونصها:

«جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ما تسمعه مني وما تعلمه من أمري ومن أمر الإمام الذي هو صاحب زمانك وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والإناث. فلا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً ولا تظهر شيئاً يدل عليه من كتابه أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الإمام صاحب الزمان أو أذن لك في إظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه. وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في حالتي الرخاء والغضب، والرغبة والرهبة. قال: نعم. فإذا قال نعم ـ قال له: وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أُسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطناً. وألا تخون الإمام وأولياءه وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أمور لهم. وأنك لا تتأول في هذه الإيمان تأويلاً ولا تعتقد ما يحلها وأنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وأنك إن خالفت في شيء مما ذكرناه لك فالله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً. وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين. وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً. وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقاً منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به. فإذا قال نعم قال له كفى بالله شهيداً بيننا وبينك»[1].

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٢٨٨. وهناك يمين ثالثة ذكرها النويري في «نهاية الأرب». راجع مذهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ج٢، ص ١٥٨.

الثانية:

ذكرها **الغزالي**. ونصها:

يقول الداعي للمستجيب «جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ﷺ، وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق، أنك تستر ما سمعته مني وتسمعه، وعلمته وتعلمه من أمري وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته، وأمور المطيعين له على هذا الدين، ومخالصة المهدي ومخالصة شيعته من الذكور والإناث، والصغار والكبار، ولا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدل به عليه، إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم في هذا البلد أو في غيره، فتعمل حينئذٍ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه. جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك في حال الرغبة والرهبة والغضب والرجاء، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني وجميع من أُسميه لك وأبينه عندك مما تمنع عنه نفسك، وأن تنصح لنا وللإمام ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً، وألا تخون الله ولا وليه ولا أحد من إخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنا بسبب من أهل ومال ونعمة، وأنه لا رأي ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يبطله. فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته، فأنت بريء من الله ورسله الأولين والآخرين، ومن ملائكته المقربين، ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين، وأنت خارج من كل دين، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه، وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه، وخذلك الله خذلاناً بيناً يعمل لك بذلك النقمة والعقوبة إن خالفت شيئاً مما حلفتك عليه بتأويل أو بغير تأويل، فإن خالفت شيئاً من ذلك فلله عليك أن تحج إلى بيته ثلاثين حجة نذراً واجباً، ماشياً، حافياً، وإن خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذي لا رحم بينك وبينهم. وكل مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه فهم أحرار، وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في قابل فهي طالق ثلاثاً بتة إن خالفت شيئاً من ذلك. وإن نويت أو

أضمرت في يميني هذه خلاف ما قصدت فهذه اليمين من أولها إلى آخرها لازمة لك. والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك. وكفى بالله شهيداً بيني وبينك»[1].

تاسعاً: بالرغم من التناقض في كتابات المؤرخين القدماء، حول الإسماعيلية، هناك بعض النقاط المشتركة تلتقي عندها هذه الأقوال، منها: القول بأن كل ما في القرآن والسنة له ظاهر وباطن. والقول بأنهم تأولوا أركان الشريعة.

صفوة القول: إن الإتهامات التي وجهها المؤرخون القدماء، إلى الشيعة وفروعها ـ العلويين (النصيرية) والإسماعيلية واحدة تقريباً، مع أن هذه الفرق الثلاث تقترب من بعضها في نقاط، وتبتعد عن بعضها في نقاط.

(ب) عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين

نقصد بالمؤرخين المحدثين، المؤرخين الذين ظهروا في النصف الأخير من العهد العثماني. وهؤلاء قلة قليلة، وصل إلينا من آثارهم، الكتب التالية:[2]

* **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان** ـ بيروت/ ١٨٦٢/ م.
* **تاريخ جودت** ـ بيروت ١٣٠٨هـ (١٨٠٩م).
* **ولاية بيروت** ـ بيروت ١٣٣٥هـ (١٩١٦م).

سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان:

مؤلف هذا الكتاب، المفكر اللبناني نوفل نوفل، أحد رجال النهضة

---

(١) الغزالي ـ فضائح الباطنية ص ٢٨.

(٢) لم نذكر دائرة المعارف لبطرس البستاني، لأننا تحدثنا عنها في فصل خاص بعنوان «الاسماعيليون في دوائر المعارف العربية».

الأدبية. كان مؤرخاً معروفاً، غزير الإنتاج. قدم للمكتبة العربية العديد من المؤلفات منها: زبدة الصحائف في أصول المعارف ـ زبدة الصحائف في سياحة المعارف ـ صناجة الطرب في تاريخ العرب ـ أصل معتقدات الأُمة الشركسية ـ دستور الدولة العلية ـ حقوق الأمم ـ سوسنة سليمان في أُصول العقائد والأديان.

تحدث نوفل نوفل في [السوسنة] عن أديان الناس الوثنية والمجوسية إلى الأديان الإلهية(١). وفي السياق تحدث عن الاسماعيلية تحت عنوانين: الخطابية والقرامطة.

قال عن الخطابية: إنهم فرقة من فرق الروافض الغلاة، أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ثور ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق، وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الأئمة أنبياء وأن لا بد من رسولين، لكل أمة، أحدهما ناطق والآخر صامت. فكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً. وأن جعفر ابن محمد كان نبياً ثم انتقلت النبوة إلى أبي الخطاب الأجدع.

وخلاصة ما قاله عن القرامطة، أن ميمون القداح بن ربطان النوبي كان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل، وأنه رتب مذهباً جعله على تسع درجات، وأن الداعي يأخذ على من يريد الدخول في الدعوة العهد التالي:

جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الإمام الذي عرفت إقراري له ونصحي لمن عقد ذمته، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والإناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليه ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد

---

(١) عبد الله نوفل ـ تراجم علماء طرابلس وأدبائها ص ٧٧.

وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله ظاهراً وباطناً وعلانية سراً وجهراً فإن ذلك يؤكد العهد ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم. فيقول المدعو نعم.

ثم يقول الداعي له: والصيانة له بذلك وأداء الأمانة على أن لا تظهر شيئاً أُخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد.

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن تمنعني وجميع من أُسميه لك وأُثبته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليه ولا أحداً من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب في أهل ولا في مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السماوات والأرض الذي سوّى خلقك وألّف تركيبك وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع والمثاني والقرآن وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه وخذلك الله خذلاناً بيناً يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير

إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وأنت بريء من حول الله وقوته مُلجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن بها إبليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار إن خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل مملوك لك من ذكر وأنثى في ملكك أو تستفيده إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك فهم أحرار لوجه الله وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستحلف لك لإمامك وحجتك وأنت الحالف لهما وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأُحلفك به فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك. قل نعم.

فيقول نعم(١).

* * *

وبعد أن يحلف الطالب هذه اليمين، يكشف له الداعي أسرار الدعوة شيئاً فشيئاً ودرجة درجة، إلى تمام الدرجة التاسعة.

وذلك على التسلسل التالي:

الدعوة الأولى: يسأل الداعي من يدعوه إلى مذهبه عن مشكلات وتأويلات ومعاني أمور شرعية وشيء من الطبيعيات والأمور الغامضة مثل: ما معنى رمي الجمار، والعدو بين الصفا والمروة، ولِمَ كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وما أبواب النار، وما ثمانية أبواب الجنة... الخ. فإن لم يعرف الإجابة عنها تركه وتفكيره فإذا طلب الجواب عنها أفهمه الداعي

---

(١) نوفل نوفل ـ سوسنة سليمان ص ١٧٣.

أنه لا يجوز إطلاعه على أجوبة هذه الأمور قبل أخذ العهد عليه.

الدعوة الثانية: بعد أخذ العهد يقول الداعي للمدعو إن إقامة الحق وأخذ ما شرعه الله لعباده لا يكون إلا عن طريق الأئمة الذين نصبهم الله تعالى للناس وأقامهم لحفظ شريعته.

الدعوة الثالثة: يقول الداعي لمن يدعوه إن الأئمة سبعة بعدد الكواكب السيارة والسماوات والأرضين و... وهؤلاء الأئمة هم: علي والحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان.

وإن عند محمد بن إسماعيل علم المستورات وبواطن المعلومات وعلم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وسر الله تعالى. وإن دعاته هم الوارثون لذلك كله.

الدعوة الرابعة: يخبره أن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لأحكامها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال الناطقين بالأمور سبعة فقط كعدد الأئمة. ولكل واحد من الأنبياء صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أُمته. ويكون معه ظهيراً له في حياته وخليفة له بعد وفاته. ولكل مستخلف خليفة الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة أشخاص يقال لهم الصامتون يسمى أول هؤلاء السوس. ولا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاد دورهم من استفتاح دور ثانٍ يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى قبله وتكون الخلفاء من بعده أمورهم تجري كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبداً وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الأخير.

فكان أول هؤلاء الأنبياء النطقاء آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث.

الثاني من الأنبياء النطقاء نوح وكان صاحبه وسوسه ابنه سام.

الثالث من الأنبياء النطقاء ابراهيم الخليل وكان صاحبه وسوسه ابنه إسماعيل.

الرابع من الأنبياء النطقاء موسى بن عمران وكان صاحبه وسوسه أخوه هارون ولما مات هارون في حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون.

الخامس من الأنبياء النطقاء المسيح عيسى بن مريم وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا.

السادس من الأنبياء النطقاء محمد وسوسه علي بن أبي طالب.

ثم من بعد علي ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارهم وهم: الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد بن علي ثم جعفر ابن محمد ثم إسمعيل بن جعفر وهو آخر الصمت من الأئمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي انتهى إليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور.

الدعوة الخامسة: القول إنه لا بد مع كلِ إمام قائم في كل عصر ما، حجج متفرقون في جميع الأرض عددهم (١٢) رجلاً في كل زمان.

الدعوة السادسة: تفسير معاني شرائع الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة وطهارة وغير ذلك، حتى يعتقد المدعو أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة.

الدعوة السابعة: يقول الداعي للمدعو إنه لا بد لصاحب الدلالة والناصب للشريعة من صاحب معه يعبر عنه، وهذا هو إشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي. فإن مدبر العالم في أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه.

الدعوة الثامنة: إن مدبر الوجود والصادر عنه إنما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الأعيان كلها ناشئة وكائنة عدد الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم.

والتالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وإن الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وإن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء. وهكذا تجري أمور العالم في

أكواره وأدواره وإن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الثامنة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معانٍ فلسفية تنبئ عن حقيقة آلية السماء والأرض وما يشتمل العالم عليه من الجواهر والأعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بإفصاح يعرفه كل أحد.

الدعوة التاسعة: إن ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وإن الوحي هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهم ما يلقى إليه ويتنزل عليه فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به الله شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الجميع ولا يجب حينئذ العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته. ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم السياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء.

وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأمراض والأسباب(١).

وأول ما يلاحظه الباحث المدقق، أن نوفل نوفل استند في حديثه عن الخطابية والقرامطة، إلى مصدرين لم يشر إليهما، هما **[مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين]** للأشعري، و**[فضائح الباطنية]** للغزالي.

نقل عن الأشعري ما قاله عن الخطابية.

ونقل عن الغزالي، الحديث عن القرامطة.

لكنه حرّف الكلم عن مواضعه، وأضاف إلى النصوص الأصلية التي نقلها، عبارات وجملاً من نسج خياله مثال ذلك:

(أ) قال عن أبي الخطاب إنه محمد بن أبي ثور.

واسمه عند أكثر المؤرخين محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع.

(ب) وقال عن ميمون القداح إنه ابن ربصان النوبي.

---

(١) نوفل نوفل ـ سوسنة سليمان ص ١٧١.

وعند المؤرخين ابن ديصان.

(جـ) نقل صورة العهد الذي يحلفه المستجيب، عن المقريزي[1] من دون الإشارة الى المصدر.

ثم إنه بدافع التعصب الديني حذف عبارة «صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين» التي وردت بعد جملة «سنن رسول الله».

وحذف أيضاً عبارة «صلوات الله عليهم أجمعين» بعد «ما جاء به النبيون من ربهم».

وكذلك حذف عبارة «صلى الله عليه وسلم» التي وردت بعد قول: رسوله..

ثانياً: ونقل عن المقريزي أيضاً، الدرجات التسع التي يلقنها الداعي لطالب الدخول في الدعوة. لكنه لم يلاحظ الاختلافات ما بينها وبين ما جاء في [الفرق بين الفرق] للبغدادي و[فضائح الباطنية] للغزالي و[كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة] لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني.

وما في أقوالهم من تضارب وتناقض.

ثالثاً: ذكر نوفل نوفل أن لكل نبي من الأنبياء النطقاء سوساً.

وسوس إبراهيم الخليل ابنه اسمٰعيل.

وعند الغزالي سوس إبراهيم هو إسحٰق.

رابعاً: قال نوفل نوفل إن أتباع أبي الخطاب خمسون فرقة... ولم يسمِّ هذه الفرق. ولا ندري من أين جاء بهذا العدد الضخم. لأن فرق الخطابية، كما ذكر المؤرخون، لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهم، حسبما ذكر الشهرستاني، وهو من أشهر كتاب الفرق، المعمرية، والبزيغية، والعجيلية، والعميرية، والمفضلية. ومجموع عدد الفرق عند المؤرخين /٧٣/ فرقة موزعة على الشكل التالي: ٢٠ روافض، و٢٠ خوارج، و٢٠ قدرية، و١٠ مرجئة، و٣

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٩١، طبعة بولاق عام ١٢٧٠/هـ.

نجارية وبكرية وضرارية وجهمية وكرامية[١].

فإذا أضفنا إلى هذا العدد أتباع أبي الخطاب وهم ٥٠ فرقة، صار لدينا /١٢٣/ فرقة. وهذا يتناقض مع ما جاء في الحديث: ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة... إذا كان هذا الحديث صحيحاً.

تاريخ جودت

كتبه بالتركية الوزير أحمد جودت باشا، وترجمه إلى العربية عبد القادر الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت.

اشتمل الكتاب على الكثير من وقائع الزمان والحوادث، وأخبار الدولة العلية العثمانية. ومن بين فصوله فصل خاص، عن البلاد العربية ـ مصر والعراق ولبنان ـ وتحت عنوان، إدارة جبل لبنان، وفي الصفحات الخاصة بعادات الدروز وعقائدهم، تطرق إلى ذكر عقائد الإسماعيلية، في فقرة عدتها ١٦ سطراً، يفهم منها أن الاسماعيلية تدعى السبعية نسبة لسبعة رسل أو ناطقين هم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والإمام محمد المهدي.

ويقولون بثبوت سبعة أئمة عليهم مدار الاقتداء والاهتداء، هم الإمام وذو المصة وأكبر الداعين وآخذ العهد والمكلب والمنيب، وبأنهم أولوا الوضوء بمحبة الإمام والتيمم بأخذ الإنابة من المأذون في غياب الإمام[٢].

كلام جودت، عن الاسماعيلية، هو نفس كلام بطرس البستاني، في دائرة معارفه مع خلاف بسيط هو أن جودت ذكر بين الأئمة السبعة الذين عليهم مدار الاقتداء، المنيب، في حين سماه بطرس البستاني المؤمن[٣].

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ١٩.

(٢) تاريخ جودت ج١، ص ٣٦٣.

(٣) دائرة معارف بطرس البستاني ج٣، ص ٦٢٧.

ولاية بيروت

صدر هذا الكتاب بطبعتين، واحدة باللغة التركية وأُخرى بالعربية، متضمناً «المشاهدات والمباحث، عن طبقات الأمم، وطبقات الأرض والجغرافية، والتاريخ والآثار العتيقة، والأحوال الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية والصحية، والدين، واللغات والآداب، والصنائع النفيسة، والمعارف والزراعة، والتجارة، والطرق، والصنائع» في ولاية بيروت بقسميها الجنوبي (ألوية بيروت وعكا ونابلس) والشمالي (طرابلس الشام واللاذقية).

جاء الحديث عن الإسماعيلية، في القسم الشمالي من الكتاب، تحت عنوان «**فصل الأديان والمذاهب**» ص ٦١.

وكذلك عند الحديث عن قضاء المرقب (لواء اللاذقية) ص ٣٩٥.

في فصل الأديان والمذاهب، قسم المؤلفان حديثهما عن الاسماعيلية إلى العناوين التالية:

* **كيفية ظهور الاسماعيلية وانتشارهم**

* **ملخص تاريخ الإسماعيليين** (١ ـ الدولة العبيدية ٢ ـ حكومة القرامطة ٣ ـ الدولة الإسماعيلية الشرقية ٤ ـ مؤسسات حسن الصباح السياسية ٥ ـ ملكشاه والإسماعيليون ٦ ـ بركيارون والإسماعيليون ٧ ـ محمد السلجوقي والإسماعيليون ٨ ـ سنجر والإسماعيليون ٩ ـ الإسماعيليون في سورية ١٠ ـ أيام محمد الثاني والإسماعيليين ١١ ـ صلاح الدين الأيوبي والإسماعيليون ١٢ ـ آخر أيام الإسماعيليين).

* **دعوة الإسماعيليين وتعاليمهم الدينية.**

* **أسس الإسماعيليين الفلسفية.**

ويهمنا من هذه العناوين، الأول والأخير فقط. واستبعدنا ما جاء تحت عنوان «دعوة الإسماعيليين وتعاليمهم الدينية» لأنه منقول بالحرف عن [سوسنة

سليمان]، وقد تحدثنا عن **[السوسنة]** في الصفحات السابقة فلا موجب لتكرار الكلام.

خلاصة ما جاء في **[ولاية بيروت]** عن الإسماعيليين أنهم استحالوا الى الباطنية أولاً ثم إلى القرامطة وأنهم عمدوا لنشر دينهم في العراقين وإيران بواسطة الباطنية والقرامطة[1] وأن **الحسن بن الصباح** رتب الدعوات الإسماعيلية ومراتب تعليمها ونظمها وجعلها قانوناً متحتم الرعاية على الدعاة وهذه المراتب هي: الذوق، التأنيس، التشكيك، الربط، التدليس، التأسيس، الخلع، السلخ[2].

ويعتقد **الإسماعيليون** أن عدد الأئمة سبعة كعدد أيام الأسبوع، وعدد السمٰوات والكواكب، وعدد الرسل الناطقة سبعة أيضاً.

ويقولون بوجود سبعة أئمة بين كل رسولين ناطقين لأجل إتمام الشريعة. وكل ناطق ينسخ شريعة الناطق السابق، ثم يأتي الأئمة السبعة فيتمون هذه الشريعة. ويسمون الأئمة السبعة بالأئمة (المستترة). وما عدا هؤلاء لا بد من وجود سبعة أشخاص يقتدى بهم في كل زمان هم:

١ ـ **الإمام**: يستمد فيوضه من الله.

٢ ـ **الحجة**: يستمد من الإمام ويكون حجة لوجوده.

٣ ـ **ذو المصة**: يأخذ العلم، ويمتصه من الحجة.

٤ ـ **الداعي الأكبر**: وهو أعظم المؤمنين.

٥ ـ **الداعي المأذون**: يأخذ العهد ممن يشاء أن يدخل في الدين من أهل الظاهر ويدخله في ذمة الإمام، ويؤذن ليفتح لهم باب العلم والمعرفة.

٦ ـ **المكلب**: من علت مرتبته في الدين، ولم يؤذن للدعوة، وهو يعاون الداعي.

---

(١) محمد بهجت ورفيق التميمي ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٦٧.
(٢) المرجع السابق ص ٩٤.

٧ ـ **المؤمن**: من اتبع الداعي، وآمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه أي فرقته[١].

والديانة الإسماعيلية، تحيل جميع الحادثات الكونية الى أصل واحد، إلى سبب أول وهذه العلة الأولى تسمى الله وهو منزه عن كل وصف[٢].

ويقولون إن القوة المدركة عاجزة عن الإحاطة بالخالق، ولذلك لا يقال عنه: موجود ولا غير موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا يستطاع وصفه بهكذا أوصاف[٣].

والله هو إله المتقابلين وخالق الخصمين وحاكم بين المتضادين. ويقولون: إن الإله الذي تجب معرفته على هذه الصفة لم يخلق الدنيا[٤].

ويقولون: إن الله فطر العقل أو عقل الكل قبل كل شيء واختلط في العقل الأول فتجلى بحال إله خارجي يفهمه الإنسان ويتجه إليه في عبادته. وأوجد بواسطة العقل الأول النفس الثانية أو روح الكل. وبهذا يتكون تثليث الإسماعيليين[٥].

وعن كيفية الخلق يقول الإسماعيليون: لما تاقت النفس إلى كمال العقل، احتاجت الى الحركة من النقص الى الكمال. واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة أيضاً، وبهذا وجدت الأفلاك السماوية. ودارت بتدبير النفس بحركة دورية، ثم حدثت حركة أُخرى، بتدبير النفس أيضاً كان منها المعدن والنبات والحيوان، وغيرهم من المركبات. ثم اتصلت النفوس الجزئية بالأبدان، وامتاز الإنسان بما لديه من القدرة الخاصة على تلقي النور وأخذه. فكان عالمه مقابلاً للعالم الكلي.

---

(١) محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٩٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

وهم يؤمنون بأن العقل العلوي تجسَّد في العالم السفلي وأوجد النبي أو الناطق. وأن النفس الكلية تجسدت في العالم السفلي فأوجدت الأساس أو الأس، الوحي[١].

ويقولون: إن الناس تحركت بالشرائع، وذلك بتحريك النبي والأساس كما تحركت الأفلاك بتحريك العقل والنفس. لأن سلامة العقل البشري في العالم السفلي لا تحصل إلا بكسب العلوم التي وضعها النبي المجسد من عقل الكل[٢].

ويقول الإسماعيليون: إن الشريعة التي يؤسسها الأنبياء قطعية. ولهذه الشرائع معنى ظاهر ومعنى باطن، فالعارف يطلع على المعنى الباطن، أما الجهلاء فيستسلمون للمعاني الظاهرة من حقائق الكون[٣].

ويقولون: إن النساء والمال سبب القتال والتناحر بين الناس لذلك يجب تحليل النساء، وإباحة الأموال، وبهذا ينقطع الشقاق وينعم عيش الإنسانية[٤].

وخلص المؤلفان الى القول: اتبع الإسماعيليون هذه التلقينات وبلغوا ذروة الإلحاد بمروقهم عن الدين وتملصهم من ربقة قيوده[٥].

في الفصل المخصص لقضاء المرقب تحدث المؤلفان عن الاسماعيلية تحت عنوان أصلي هو «البحث المحلي عن الإسماعيليين» وعدة عناوين فرعية هي:

إسماعيليو بيروت

أسس الإسماعيليين الحالية

شكل الإسماعيلية اليوم: (١ ـ استمالة الاسماعيلية ٢ ـ عبادة الإسماعيليين

---

(١) محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ١٠١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

وأدعيتهم ٣ ـ التظاهرات الدينية ٤ ـ الطعن في الإسماعيليين وقذعهم).

الأحوال الاجتماعية في الإسماعيليين:

يتوزع اسماعيليو قضاء المرقب في ناحيتي القدموس والخوابي.

يشغلون في القدموس مركز الناحية و١٢ قرية أهمها الشعرة، لصوراته، كاف الحمام، عقر زيتي، قدموس، زريقة، قلعة العليقة، حماسة القبلية.

ويشغل الذين يسكنون الخوابي ١٧ قرية هي: عورو، بطاحية، خوابي، بري كييه، بيت ديبه، عقر زيتي[١] جمعاشية، راس تركن، خربة الفرس، بيت سلهب، مازوغا، بيت قاسم، بحوه، بيت الأسمر، برمانة رعد، البلوعة، النعامات، العلبية.

وهم ينقسمون الى فرقتين كبيرتين:

ـ **الحجاويون** يسكنون نواحي الخوابي.

ـ **السويدانيون** يقيمون في ناحية القدموس.

كان الإسماعيليون بدون إمام. وفي عام ١٢٨٣ سمعوا بخبر شخص يدعى محمد الحسن الحسين ادعى الإمامة في بومباي بالهند، فقصده وفد منهم ولما تأكدوا من توافر شروط الإمامة فيه بايعوه، وأخذوا يرسلون إليه زكاتهم. وفي عام ١٢٨٨ توفي محمد الحسين فخلفه ابنه علي شاه ثم توفي علي شاه سنة ١٣٠٨ فخلفه ابنه محمد شاه.

الحجاويون هم وحدهم الذين قالوا بإمامة محمد علي شاه. أما السويدانيون فلا يعترفون بإمامته بحجة عدم توافر شروط الإمامة فيه. وحسماً للخلاف بين الفرقتين جرى الاتفاق على تشكيل هيئة منهما مهمتها تحري حقيقة محمد علي شاه. وتوجهت هذه الهيئة الى الهند سنة ١٣٢٢. وبعد هذه الزيارة

---

(١) تكرر اسم عقر زيتي مرتين مرة في قرى القدموس ومرة في قرى الخوابي.

قبل بعض السويدانيّين بإمامة محمد علي شاه بينما رفضها البعض الآخر[١].

وفوض محمد علي شاه، الشيخ أحمد محمد، أحد أعضاء الهيئة، رتبة (مكة) أي الداعي، وعززه بشخصين أحدهما (**كامريا**) أي وزير الميمنة أو قابض المال، والآخر (**باهي**) أي وزير الميسرة[٢].

ساعد الشيخ أحمد في نشر الدعوة أخوه اسماعيل الذي أطلق عليه اسم (**سيف الدعوة**) وأخذ الشيخ أحمد وشقيقه اسماعيل يشيدان المعابد ويعلمان الناس كيفية عبادة صورة محمد علي شاه التي أحضرها الشيخ أحمد معه من الهند.

وقد لفت نشاطهما نظر الحكومة فألقت القبض عليهما وعلى شقيقهما نصر وعدة أشخاص آخرين وأودعتهم سجن الشام. وفي السجن مات الشيخ أحمد وشقيقه، وأطلقت الحكومة سراح الباقين ومنهم نصر شقيق الشيخ أحمد. وبعد إطلاق سراحه بمدة قصيرة سافر الى الهند وحصل على المشيخة ثم رجع إلى بلده[٣] وتوفي عام ١٩١٥ ولم يخلفه أحد[٤].

وتحت عنوان «**عبادة الإسماعيليين وأدعيتهم**» قال المؤلفان: إنه بالرغم من قيام الإسماعيليين ببعض العبادات الإسلامية بالظاهر، فإنهم في الحقيقة يعبدون محمد علي شاه الذي يعتقدون بربوبيته.

وإن لهم صلاتين في كل يوم، الأولى وقت الفجر، والثانية وقت العشاء وتمتد كل واحدة منهما ساعتين. ويؤدون هذه الصلوات في محل يسمونه (المعبد)، وهو عبارة عن غرفة صغيرة لها بابان متقابلان، مبيض داخلها بالكلس. معلقة صورة محمد علي شاه في أنسب موقع فيها. في منتصف الغرفة مائدة من الخشب طولها متران وعرضها نصف متر وارتفاعها ٣٠ ـ ٤٠ سنتمتراً وفي كل قرية من قرى الإسماعيلية معبد.

---

(١) رفيق التميمي ومحمد بهجت ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٣٩٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) رفيق التميمي ومحمد بهجت ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٣٩٨.
(٤) المرجع السابق.

يدخل الاسماعيليون هذه المعابد في أوقات الصلاة، ويؤلفون حلقة حول المائدة، وتوجد نساء في آخر حلقة. ولا بد من وجود الشيخ، أو وكيل الشيخ في تلك الصلاة(١).

وقبل الشروع بالصلاة يأتون بصورة محمد شاه ويضعونها على المائدة، ويصرخ الشيخ السلطان محمد علي شاه، ثم يشرعون في العبادة ويسجدون. وبعد السجود يقول الشيخ على الله فيجاوبه الحاضرون بصوت واحد صحيح الله. وهكذا يتمون الدعاء ويؤدون الصلاة. ويكون ركوعهم أو سجودهم أثناء الصلاة عبارة عن إخفاض رؤوسهم تجاه الصورة، ويتلون كلمات [كار، كرم، رك، شرم] أثناء الصلاة ويشيرون بأيديهم الى رؤوسهم ويمين صدورهم ويسارها على وجه التصليب. وبعد انتهاء الصلاة يضعون نقوداً في أنقاب المائدة(٢).

وكيفية الصلاة هي:

[بعنوان مولاهم الهندي]، [شيخ أحمد محمد]، [قابض مال شيخ نصر]، [وزير الميسرة]

الله مريا مكة دعا برو كامريا دعا برو پاهي دعا برو

جمله جوى دعا برو سلامة مولانا

سلطان محمد شاه علي (ويسجدون وعند القيام من السجود يقول الشيخ) على الله (يجيبوه الجماعة) صحيح الله مولانا سلطان محمد شاه حاضر إمام حق نام پيرشاه (عدد ١٠٠) شاه جى قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه علي (ويسجدون وعند الرفع يقولون كما مر والبسملة والحمد لله ولا إله إلا الله) رحيم قسيم كريم خداوند حضرت بزرك باق پرور دغار ديلم ديس مان حاويسى بجهم ديسى خندراق سرى مولانا سلطان محمد شاه علي (ويسجدون ويتكلمون الألفاظ كما سبق) حق يا شاه حضرت عاد ابيافت وسرى مشى قورب اكرى سن وسرى فريش رام ترسن بو دشيت سلم بسلام ملكان اسلام حاران

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ص ٤٠١.

سامان ساقان عدنان معد نزار مضر الياس مدركه خذيمه كنانه نضر مالك فهر لؤي قيبرك مرئ قلا بره ك قصي عبد مناف هاشم عبد المطلب أبو طالب وبى سرى حق مولانا مرتضى علي حق مولانا شاه حسين حق مولانا شاه زين العابدين حق مولانا شاه محمد الباقر حق مولانا شاه جعفر الصادق حق مولانا شاه اسماعيل حق مولانا شاه محمد اسماعيل حق مولانا شاه وفي أحمد حق مولانا شاه تقي محمد حق مولانا شاه رضى الدين عبد الله حق مولانا شاه محمد المهتدي حق مولانا شاه قايم حق مولانا شاه منصور حق مولانا شاه معز حق مولانا شاه عزيز حق مولانا شاه حاكم حق مولانا شاه ظاهر حق مولانا شاه مستنصر بالله حق مولانا شاه نزار حق مولانا شاه هادي حق مولانا شاه مهتدي حق مولانا شاه قاهر حق مولانا شاه علا ذكريا غلام حق مولانا شاه جلال الدين حسن حق مولانا شاه علاء الدين محمد حق مولانا شاه ركن الدين خير شا حق مولانا شاه شمس الدين محمد حق مولانا شاه قاسم شاه حق مولانا شاه إسلام شاه حق مولانا شاه سلام شاه حق مولانا شاه مستنصر بالله حق مولانا شاه عبد السلام حق مولانا شاه غريب ميرزا حق مولانا شاه أبو النور علي حق مولانا شاه مراد ميرزا حق مولانا شاه ذو الفقار حق مولانا شاه نور الدين علي حق مولانا شاه خليل الله علي حق مولانا شاه نزار علي حق مولانا شاه سيد علي حق مولانا شاه حسن علي حق مولانا شاه قاسم علي حق مولانا شاه خليل الله علي حق مولانا شاه حسن علي حق مولانا شاه علي شاه حق مولانا شاه سلطان محمد شاه صاحب الأمر والزمان روح الوجود وحي معبود (والسجدة) اللهم يا مولانا أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام وعليك ألف سلام أحينا ربنا بسلام وأدخلنا دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام بفضلكم ورحمتكم يا مولانا (عدد ٥) بلطفك وكرمك يا مولانا (عدد ٥) لا حول ولا قوة إلا بالله يا مولانا (عدد ٥)ذود ذود فرياط پدمي يا مولانا اللهم يا سيدي منك مددي وعليك معتمدي إياك نعبد وإياك نستعين يا أبا الغوث أغثني يا علي أدركني بلطفك الخفي توابي رحمتي مرحمتي سبحو محمد مربى علي محمد يك خدا حق شناس دفع بلا لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي صحيح الله حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير غفرانك ربنا وإليك

المصير دعا پنج يا جيجه ونيتى شاه جى درغامه قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه (ويضعوا أياديهم اليمين على الأرض ثم يرفعوهم الى التصليب ويقولوا) كار كرم رك شرم (وثم يضعون أيديهم بأيدي بعضهم ويقولوا لبعضهم) شاه ديدار (ويسجدون ثم يرفعون ويقولوا) مولانا سلطان محمد شاه حاضر إمام حق نام پيرشاه (عدد حب المسبحة) يا شاه بفصل دهيك درغايك عمر دارك ايشى كداريك بنج باهيك ديدار حوقيب كريم چيريكى چوطغى موبكى موكدى مولانا سلطان محمد شاه علي على الله (سجدة وحالة السجود) بر وكيل جمله معدر قدرخيش خشندر خبده مرده بنده سرتابه غنا غار ياشاه تونخيش بخشى هار مشكل وإحسان مولانا سلطان محمد شاه علي (ويرفعون من السجود البسملة) لا إله إلا الله الحي القيوم ملك الحق المبين لا إله إلا الله الملك الحق اليقين مالك يوم الدين العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين صحيح الله حقاً حقاً (يجاوبوه) صدقاً صدقاً استغفر الله العظيم وبحمده لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار نادي مولانا علي مظهر العجائب تجده عوناً لنا في النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي (وينفخوا على أكتافهم وصدورهم) على الله صحيح الله.

(وبالصبح تسبيح) نجيتنا في حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم حضرة مولانا مرتضى علي حضرة فاطمة الزهراء حضرة إمام حسن حضرة إمام حسين يا مولانا سلطان محمد شاه علي (سجدة) على الله پيرجى پيرنجى پير اول نبي بر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم پير إمام حسن پير شاه قاسم پير جعفر شاه پير زين العابدين پير أمير أحمد پير سدكور تور پير نور الدين پير محمد المنصور پير غالب الدين پير عبد المجيد پير مستنصر بالله پير أحمد هادي پير هاشم شاه پير محمد شاه پير محمود شاه پير محب الدين پير خالق الدين پير عبد المؤمنين پير إسلام الدين پير صالح الدين پير صلاح الدين پير شمس الدين پير نصير الدين پير شهاب الدين پير حيدر الدين پير حسن كبير الدين پير تاج الدين پير بندیادی مردی جوامردی پير حيدر علي پير علاء الدين پير بابا آغا هاشم شاه پير محمد زمان پير آغا عزيز پير آغا مهرب بيغ پير آغا علي أكبر بيغ

پير آغا علي أصغر بيغ پير امرزا شاه علي پير مولانا سلطان محمد شاه علي صاحب الأمر حاضر جوق يا رب بحق اونده قوله قول سن بتول بخشى مراه بفاطمة تحتت الرسول «سى» غنزه شهيده أوليا أنبيا سنته صوصو حسين بك لك توبى هزار پير پيغمبر يا مولانا سلطان محمد شاه علي (سجدة) نبجستنباغ قى وباغ فنا دشمان دين خانبجتنباغ حق نام پير شاه (عدد المسبحة وسجدة) دعا نيت خير لاهى خير عاقبت خير همتان خير يا علي حو خير أول خير آخر خير باطن خير ظاهر خير حقيقة خير كريم يا مولاي علي رسمى شر ظالمك شهدكى شر شيطان شهدكي كريم يا مولاي يا علي كريم خير ويانتى خيرجى شاه جي درغام قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه على الله ميريا على محمد كت جمله جى مشكل إحسان كرى صاحب ستجوكان قول قبول كرى صاحب راجيه دركا بيد درشاه ديدار نصيب كرى صاحب شهيده ياركورجى أولادجى كلام ميهر سكسه وجى صاحب اون بانيجي مبين بهندار مين يركته وجى وصاحب قرينينه وزلايى قرخيجنو اكار سادكرى صاحب جاخ صاحب كت جمله جى وان مرا دون حاصل كرى صاحب سكو سو رى كرى خير بيداكرى الله ميريا على محمد كت جمله جى ونيتى قبول كرى مشكل احسان مولانا سلطان محمد شاه علي آلاهي آمين شاه غريب منده بفضلكم مولانا سلطان محمد شاه حق نام پير شاه (تسبيح بعد قلب المسبحة السجدة) فرمان حقكم يا مولانا يا علي (عدد ١٣ صلاة) اللهم صلي على محمد وآل محمد (عدد ١٣ ويسجدوا) دعا نيت خير آلاهى خير عاقبت خير همتا خير يا علي صو خير أول خير آخر خير باطن خير ظاهر كريم يا مولاي علي كريم خير ويانتي خيرجى [سجدة وحالة السجود يقولوا] شاه جى درغامه قبول كرى مولانا السلطان محمد شاه العلي (ثم يقول الشيخ) على الله (يقولون الجماعة) صحيح الله. بسم الله الرحمن الرحيم مدد علي شفاعت رسول اطاعت خدا حضرة قبول بر سدكورتور نيفرياد برشى شوتنى نيفرياد بر آغا علي أكبر بيغ نيفرياد بر علي أصغر نيفرياد بر مزار محمد الباقر بيع نيفرياد وبرسى كال معطى سلامة نيفرياد بر مولانا شاه حسن علي نيفرياد بر مولانا شاه علي شاه نيفرياد بر مولانا شاه حسن علي نيفرياد بر مولانا شاه خليل الله علي نيفرياد بر مولانا شاه حسن علي نيفرياد بر مولانا سلطان محمد شاه

علي نيفرياد اين ايني كلمى كلمى باق لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي صحيح الله حي حيذه قايم (على كتف اليمين وعلى الشمال) شاه جي ودغامه قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه علي له سجودنا وهو معبودنا[1].

ويروى عنهم أنهم لا يصومون في رمضان، ولا يعثر بينهم على شخص حج البيت الحرام، ويؤثر عنهم أنهم يعتبرون زيارة محمد علي شاه في بومباي تنوب مكان الحج.

وكلمة الشهادة محرَّفة عندهم. ويروى عنهم أنهم يقولون (لا إله محمد رسول الله).

وهم يهتمون اهتماماً عظيماً بقراءة القرآن العظيم، وتعليمه. ولا بد من وجود المصاحف في منازل أكثرهم. ومع هذا فقد يؤثر عنهم أنهم يهتمون بمعاني القرآن الباطنية ولا يعبأون بمدلوله الظاهري[2].

بعد أن انتهينا من استعراض ما جاء في [**ولاية بيروت**] ننتقل إلى بيان ملاحظاتنا ونجملها بما يلي:

أولاً: القول بأن الإسماعيليين عمدوا لنشر دينهم... بواسطة الباطنية والقرامطة بعيد عن الصواب. لأن الباطنية والقرامطة من أسماء وألقاب الاسماعيلية.

ثم إن الإسماعيليين لم يتحولوا الى الباطنية أولاً، كما ذكر المؤلفان الفاضلان، وإنما سموا بالباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً.

ثانياً: أغلب الأفكار التي عرضت تحت عنوان «**أسس الاسماعيليين الفلسفية**» منقولة حرفياً عن [**الملل والنحل**] للشهرستاني، من دون الإشارة الى هذا المصدر.

---

(١) محمد بهجت ورفيق التميمي ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٤٠٢.
(٢) محمد بهجت ورفيق التميمي ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٤٠٦.

ثالثاً: لم نجد من المؤرخين، أو كتّاب الفرق، من قال: إن الحسن ابن الصباح هو الذي رتب الدعوات الاسماعيلية ومراتب تعليمها ونظمها وجعلها قانوناً «متحتم الرعاية». الذي نعلمه أن الحسن بن الصباح هو صاحب الدعوة الجديدة. وقد نقل الشهرستاني في [**الملل والنحل**]، الفصول الأربعة التي ابتدأ بها دعوته، وليس فيها أي مراتب، وهي بعيدة كل البعد عما جاء في [**ولاية بيروت**].

ومن جهة أُخرى، إن جميع الذين تصدوا للرد على الباطنية، وعلى رأسهم البغدادي والغزالي، لم يذكروا اسم الحسن بن الصباح. وحديثهم دار حول الباطنية.

رابعاً: مراتب الدعوة كما قرأناها في [**ولاية بيروت**] هي: الذوق، والتأنيس، والتشكيك، والربط، والتدليس، والتأسيس، والخلع، والسلخ.

ومراتبها عند البغدادي: التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، والخلع، والسلخ.

ومراتبها عند الغزالي: الزرق والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع، ثم السلخ.

وبمقارنة هذه الأقوال مع بعضها البعض يتبين لنا ما يلي:

(أ) عدد مراتب الدعوة عند محمد بهجت ورفيق التميمي (٨)، بينما هي عند البغدادي والغزالي (١٠).

(ب) أول مراتب الدعوة في «ولاية بيروت» الذوق. وعند البغدادي التفرس. وعند الغزالي الزرق والتفرس.

(جـ) من مراتب الدعوة عند البغدادي المواثيق بالأيمان والعهود وهي غير موجودة عند الغزالي ومحمد بهجت ورفيق التميمي.

ومن مراتب الدعوة عند البغدادي والغزالي، التعليق. ولا وجود لها في

[**ولاية بيروت**].

(د) من مراتب الدعوة عند البغدادي ومؤلفي [ولاية بيروت] التأسيس. وهي غير موجودة عند الغزالي. وفي مقابلها مرحلة التلبيس عند الغزالي وهي غير موجودة عند البغدادي ومؤلفي [**ولاية بيروت**].

هذا الاختلاف في أسماء المراتب يولد لدينا القناعة بأنها موضوعة.

خامساً: ثمة نقطة شدت انتباهنا في [**ولاية بيروت**]، هي حديث المؤلفين عن تثليث الاسماعيليين، الذي يتكون من اختلاط عقل الكل في العقل الأول فتجلى مجال إله خارجي... وأوجد بواسطة العقل الأول النفس الثانية أو روح الكل.

وكنا وجدنا إشارة إلى التثليث عند الاسماعيلية وردت على لسان النوبختي هي: «إن الحجج (١٢) ولكل حجة داعية ولكل داعية يد أي رجل له دلائل وبراهين يقيمها. ويسمون الحجة الأب والداعية الأم واليد الابن»[١].

وعلى فرض صحة هذا الكلام فلا وجه للشبه بينه وبين كلام مؤلفي [**ولاية بيروت**].

سادساً: ليس صحيحاً أن الإسماعيليين يصلون ويسجدون لصورة محمد علي شاه. وهذا الكلام من الافتراءات الكاذبة. وما أكثر ما افتري عليهم وعلى غيرهم من الفرق.

وكذلك ليس صحيحاً أنهم يقرؤون الدعاء الذي أورده المؤلفان في كتابهما، لسبب بسيط هو أنه لا يوجد بينهم من يعرف الأوردية أو الفارسية فكيف يتلون دعاء بلغة يجهلونها؟!

سابعاً: زعم المؤلفان أن الاسماعيلية يحرفون الشهادة فيقولون (لا إله محمد رسول الله).

والمضحك أنه في نص الدعاء الذي زعم المؤلفان أن الاسماعيلية يتلونه،

---

(١) النوبختي ـ فرق الشيعة ص ٦٨.

وردت العبارات التالية:

- الحمد لله ولا إله إلا الله.

- لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي صحيح الله.

- لا إله إلا الله الحي القيوم ملك الحق المبين لا إله إلا الله الملك الحق اليقين مالك يوم الدين العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثامناً: جاء في [**ولاية بيروت**] أن للاسماعيليين صلاتين في كل يوم. الأولى وقت الفجر، والثانية وقت العشاء...

... ويروى عنهم أنهم لا يصومون رمضان، ولا يعثر بينهم على شخص حج البيت الحرام...

كيف لنا أن نصدق ذلك إذا كان من شروط قبول الدخول في الدعوة. بحسب نص اليمين التي يأخذها الداعي على طالب الدخول في الدعوة، إقامة الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحقها، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، والجهاد في سبيل الله.

والعجب كل العجب أن المؤلفين عرضا صيغة هذه اليمين بنصها في كتابهما ص (٨٨)[١].

تاسعاً: ذكر المؤلفان أنه لا بد من وجود سبعة أشخاص يقتدى بهم في كل زمان هم: الإمام، الحجة، ذو المصة، الداعي الأكبر، الداعي المأذون، المكلب، المؤمن.

وذكر جودت، في تاريخه، أسماء هؤلاء السبعة كما يلي: الإمام، الحجة، ذو المصة، أكبر الداعين، الذي يأخذ العهد، المكلب، المنيب[٢].

---

(١) نقل المؤلفان صيغة هذه اليمين عن «سوسنة سليمان» مع مراتب الدعوة، تحت عنوان «دعوة الاسماعيليين وتعاليمهم الدينية» وكنا أشرنا إلى أننا استبعدنا هذا العنوان من دراستنا لكي لا يتكرر الكلام باعتبار أننا تحدثنا عن السوسنة في فقرة خاصة.

(٢) تاريخ جودت ص ٣٦٣.

الذي يأخذ العهد عند جودت، هو نفسه الداعي المأذون. لأنه يأخذ العهد من الطالبين ويكون مأذوناً في إدخالهم مع جماعة الإمام. من ذلك يتبين أن الخلاف بين الاثنين في التسمية فقط.

أما المؤمن في **[ولاية بيروت]** فهو من اتبع الداعي، وآمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه..

جودت في تاريخه لم يذكر المؤمن. ذكر شخصاً يدعى المنيب وهو الطالب الذي يكون دخيلاً لجماعة الإمام بالاتباع والإنابة لصاحب الدعوة.

فأي القولين هو الصحيح؟؟ وعلامَ يدل هذا الاختلاف بينهما؟؟

هذا ما يتعلق بأقوال المؤرخين المحدثين.

فإذا انتقلنا الى المؤرخين المعاصرين. وهم الجيل التالي للمؤرخين المحدثين، وجدنا أقوالهم تسير في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أصحابه لم يذكروا اسم المصادر التي استندوا إليها في حديثهم عن الاسماعيلية.

من هؤلاء: العلامة عبد الواسع يحيىٰ الواسعي اليمني، وفيليب حتي، والشيخ محمد أبو زهرة.

● **عبد الواسع اليمني**: اتهم الاسماعيلية بأنهم ينكرون القرآن، والنبوة، والجنة، والنار، وقال: «لولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم، لأنكروها. وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولا يكادون يظهرون مذهبهم لأتباعهم إلا عند رسخ دينهم في قلبه»[١].

سؤالنا هو إذا كانوا يتشددون كل هذا التشدد في إظهار مذهبهم، فكيف اطلع عليه وقال عنهم ما قال ولهجة خطابه لا تدل على أنه منهم؟!

● **فيليب حتي** قال: إن النظام الاسماعيلي يشبه الفيثاغورية القديمة من

---

(١) عبد الواسع يحيى الواسعي اليماني ـ تاريخ اليمن ص ١٥٩.

حيت اعتبار العدد (٧) مقدساً. وقد جعلت السبعية النظام الكوني والحوادث التاريخية أمراً مرتباً على هذا العدد. وهم يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة غنوستية مبنية الى حد على الافلاطونية الجديدة. ويجعلون التجليات سبعة هي: الله، العقل، النفس، المادة الأصلية، الفضاء، الزمن، عالم الأرضين والبشر.

ولهذا العالم سبعة أنبياء مشترعين يسمى كل واحد منهم الناطق وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد التام ابن اسماعيل. وبين كل نبيين ناطقين سبعة أنبياء صامتين أولهم الأساس. ومن جملة الصامتين اسماعيل وهارون وبطرس وعلي.

ويوازي الصامتين طبقة أدنى منهم وهي مرتبة على أساس السبعة أو الاثني عشر وهم من زعماء الدعاية ويعرف واحدهم بالحجة ثم المبشرون العاديون ويعرفون بالدعاة[١].

في معرض تعليقنا على هذا الكلام نقول:

١ ـ القول بأن النظام الاسماعيلي يشبه الفيثاغورية القديمة من حيث اعتبار العدد (٧) مقدساً، وأن الاسماعيلية يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة غنوستية مبنية الى حد ما على الافلاطونية الجديدة. هو قول المستشرقين الذين يحاولون، دائماً، ربط أصول الفكر الإسلامي بجذور يهودية ويونانية لإظهاره بمظهر الفكر المتلقي، وليس المبدع.

٢ ـ قوله إن للعالم سبعة أنبياء مشترعين يسمى كل منهم الناطق.. ليس جديداً علينا. الجديد قوله: إن الاسماعيليين يجعلون التجليات سبعة هي: الله، العقل، النفس، المادة الأصلية، الفضاء، الزمن، عالم الأرضين والبشر.

ولم نجد لهذا القول مثيلاً في كتابات المؤرخين القدماء، وأصحاب الفرق.

---

(١) فيليب حتي ـ تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٥٣٢.

● **الشيخ محمد أبو زهرة**: تدور أقواله عن الاسماعيلية، حول فكرتين:

الأولى: مفادها أن ثمة طوائف كثيرة حملت اسم الاسماعيلية. بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية[1].

الثانية: مفادها أن الآراء التي يعتنقها المعتدلة منهم على ثلاث شعب:

أولها: الفيض الإلهي من المعرفة التي أفاضها الله على الأئمة فجعلهم فوق الناس قدراً وعلماً، وهم يعلمون علوماً لا يعرفها غيرهم.

الثانية: أن الإمام إما أن يكون ظاهراً مكشوفاً أو باطناً مستوراً وهو واجب الطاعة.

الثالثة: عصمة الأئمة[2].

مآخذنا على شيخنا الجليل أنه لم يذكر أسماء الطوائف «الكثيرة» التي حملت اسم الاسماعيلية، وتلك التي خرجت عن دائرة الإسلام. فاختلط علينا الأمر وبتنا لا نعرف الفرقة المهتدية من الفرقة الضالة.

والقول بالإمامة هو قول الشيعة عامة. والإمامة عندهم ضرورية من ضروريات الحكمة، وواجب من واجبات الفرض المقصود من إيجاد هذا الخلق، فهي والنبوة في ذلك سواء[3].

والنبي هو الذي يرفع لواء الإمامة، وهو الذي يعقد على أفراد الأمة عهدها وعقدها والإمام هو الذي يفسر للأمة ما بلغه النبي، وهو الذي يقيم قناة العدل والدين فيها بعد نبيها، ويجب دوام الأئمة بدوام الأمة، وإلا اختل النظام، وبطلت الحكمة وفسدت المصلحة، وانتقض الفرض، ومنع اللطف، واستحكم العبث وترك الخلق سدى.

---

(١) الشيخ محمد ابو زهرة ـ المذاهب الإسلامية ص ٨٩.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الشيخ حبيب آل ابراهيم ـ المطالب المهمة ص ١٥٦.

والإمامة التي يقول بها الشيعة، ويذهبون إلى أنها بيد الله لا بيد عباده، وأنها وظيفة إلَهية كوظيفة النبوة ومنصب كمنصب الرسالة، وأنها من أعظم أركان الإسلام وأكبر أصوله بعد الشهادتين[١].

وفي حديث كميل بن زياد النخعي عن أمير المؤمنين عليه السلام «يا كميل مات خزان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر....... اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ظاهراً مشهوراً، أو مستتراً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته....»[٢].

والأئمة معصومون، ودليل عصمتهم الآية الكريمة **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** [سورة الأحزاب: ٣٣].

فهذه الآية تدل على عصمتهم عن الذنوب، وطهارتهم من المعصية[٣].

الاتجاه الثاني: أصحابه أخذوا أقوالهم من أكثر من مصدر، منها مصادر قديمة، ومصادر حديثة، وكتابات لبعض المستشرقين.

من هؤلاء: محمد كرد علي في [خطط الشام]، وكامل القزي في [نهر الذهب في تاريخ حلب]، ومحمود البشبيشي في [الفرق الإسلامية]، وعلي سامي النشار في [نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي]، ومصطفى الشكعة في [إسلام بلا مذاهب]، ومحمد عزة دروزة في [العرب والعروبة]، وعبد الرحمن بدوي في [مذاهب الإسلاميين] و... و...

وغيرهم....

وغيرهم....

* **محمد كرد علي**: استند في حديثه عن الاسماعيلية، إلى ثلاثة مصادر هي: **[صبح الأعشى]** للقلقشندي، وابن ساعد، و**[المعلمة الإسلامية]** للفرنسي كليمان هوار. وكلام كليمان هوار هو نفس ما جاء في **[دائرة المعارف**

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) صدر المتألهين ـ تفسير القرآن الكريم ج٦، ص ٢٩٩.

الإسلامية] وخلاصة ما قاله: الإسماعيلية يرون أن الأرواح مسجونة في الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر، فإذا انتقلت على الطاعة تكون قد تخلصت وانتقلت للأنوار العلوية، وإن انتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية[١].

ومنهم من يدعي الألوهية بنوع من الحلول.. ومنهم من يدعي رجعة الأئمة بنوع من التناسخ[٢].

وهم يقولون بسبعة أئمة، في كل دور سبعة أئمة إما ظاهرون (دور الكشف) أو مختفون (دور الستر).

وهم يقولون إن الله لا صفات له ولا تدركه العقول ولا تفهمه الألباب ولم يخلق العالم مباشرة، بل تجلت إرادته في أمره وهو العقل العام وفيه تختفي جميع الخصائص الإلهية وهو الله المتجلي.

والعقل هو معبود الاسماعيلية ويطلق على العقل أسماء الحجاب والمكان والأزل والأول. والعقل يخلق الروح العام... وهناك كائنان ضروريان وأصليان هما الأمد والزمان. والكواكب والعناصر نتيجة لازمة من عمل هذه المخلوقات الخمسة مشتركة...

ويفسر ظهور الإنسان بالضرورة التي يشعر بها الروح العام في إحراز العلم الكامل حتى يرقى الى طبيعة العقل العام.

وللخلاص يجب على المرء تحصيل العلم وذلك من تجسد العقل على هذه الأرض. ويتجسد ذلك في الرسول وخلفائه والأئمة. ويسمى العقل المتجسد (الناطق) والروح المتجسد (الأساس). والأول هو الرسول الذي يتجلى فيه الكلام الموحى، والثاني هو ترجمان هذا الكلام.

والناطق هو محمد والأساس علي.

---

(١) محمد كرد علي ـ خطط الشام ج٦، ص ٢٥٤.
(٢) المرجع السابق.

والجنة معناها مجازاً حالة النفس الواصلة إلى العلم الكامل. وجهنم معناها الجهل. وأن النفس غير خالدة في النار بل تعود إلى الأرض بالتناسخ حتى تعرف إمام الزمان وتأخذ عنه علوم الدين. والشر لا بد من زواله يوماً بتمثل الموجودات في العقل العام تمثلاً تدريجياً[1].

أول ما نبدأ ونقول: إن **محمد كرد علي**، الأب الروحي للمجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسسه، يجهل المصطلحات الفلسفية التي استعملها الفلاسفة المسلمون في كتاباتهم، لذلك رأيناه في نقله عن [المعلمة الإسلامية] لا يتقيد باستعمال المصطلحات فأضاع بذلك المعنى. مثال ذلك: عبارة «النفس الكلية» تحولت على يديه الى «الروح العام» وعبارة «العقل أبدع النفس الكلية» صارت عنده «العقل يخلق الروح العام».

وعبارة «هناك كائنان واجبان المكان والزمان» نقلها بالصيغة التالية «هناك كائنان ضروريان وأصليان هما الأمن والزمان».

وعبارة «لبلوغ السعادة يجب على الإنسان تحصيل العلم ولا يمكن أن يتأتى له ذلك إلا بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي والأئمة من بعده» قرأناها عنده كما يلي: «وللخلاص يجب على المرء تحصيل العلم الذي لا يتأتى إلا عن تجسد العقل في هذه الأرض». وعبارة «الجنة في معتقد الاسماعيلية رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل» جاءت بالصورة التالية: «والجنة بمعناها مجازاً حال النفس الواصلة إلى كامل العلم».
الخ.... الخ....

* **كامل القزي** في [نهر الذهب في تاريخ حلب] نقل عن دائرة معارف بطرس البستاني نقلاً حرفياً. قال عن الاسماعيلية: إن الأرض لا تخلو عندهم من إمام إما ظاهر بذاته أو مستور، ولا بد له من ظهور حجة ودعاة. ويدور عدد الأئمة على سبعة عدد الأسبوع والسموات والكواكب ولذلك سموا بالسبعية، أو لزعمهم أن النطقاء بالشريعة أي الرسل سبعة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى

---

(١) المرجع السابق.

ومحمد واسماعيل بن محمد. وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون الشريعة. فكل ناطق يغير شريعة من قبله ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدى بهم وهم الإمام والحجة وذو المصة والأبواب وهم الدعاة منهم داع أكبر وداع مأذون والمكلب والمؤمن.

ولطالب الدخول في عقيدتهم تسع مراتب يختبرون بها علمه فلا يبيحون له بمنتهى التعاليم إلا بعد أن يبلغ الرتبة الثامنة[1].

لكن القزي، مثله مثل البستاني، لم يذكر لنا المراتب التسع التي يختبرون بها طالب الدخول في عقيدتهم. علماً أن البغدادي، تحدث عنها، وذكرها بأسمائها وهي: التفرس، والتأسيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأنيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ[2].

* **محمود البشبيشي** في كتابه [**الفرق الإسلامية**] نقل عن الأسفرايني. ونص كلامه هو: «هم يتأولون آيات القرآن على أهوائهم فيزعمون أن الملائكة هم دعاتهم والشياطين مخالفوهم والصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته والصوم الإمساك عن إفشاء سره وأن من عرف الله سقطت عنه العبادة.

ويقولون إن الإله خلق النفس (فهو الأول والنفس هي الثاني) والاثنان مدبران للعالم وسموهما (الأول والثاني) أو العقل والنفس.

وأباحوا نكاح الأخوات والبنات وشرب الخمر وسائر الملذات»[3].

* **الدكتور علي سامي النشار**: اعتمد على مصدرين رئيسيين، [**الملل والنحل**] للشهرستاني، و[**الفرق بين الفرق**] للبغدادي. وكان اعتماده على الشهرستاني أكبر.

قال: الإسماعيلية تؤمن بالعصمة اللامتناهية للإمام. وتعتقد أن الإمامة

---

(١) كامل الغزي ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ج١، ص ٢٠٩.
(٢) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٢٦٩.
(٣) محمود البشبيشي ـ الفرق الإسلامية ص ٥٩، والاسفرايني ـ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين ص ٨٣.

لطف من الله.. وتعتقد أيضاً بغيبة الإمام ثم برجعته.. كما تعتقد بوجود هذا النور الأول الأزلي الذي انتقل من نبي الى نبي، ومن إمام لإمام..

وتقوم دعوى الإسماعيلية على وجود سبعة من مظاهر تجلي العقل الكلي في سبعة من الروحانيين، وقد ختم محمد ﷺ دور الأنبياء، فاختتمت دورة من دورات تجلي العقل الكلي في الروحانيين من البشر وبدأت الدورة الثانية مبتدئة بمحمد نفسه، وهو آخر السبعة الروحانيين، ثم انتهت في الإمام السابع.. ثم انتهى دور هؤلاء السبعة وبدأ دور السبعة المستورين..

وقد تأثر النشار بكتابات المستشرقين حول عقيدة الاسماعيلية. وذلك بحديثه عن فكرة الفيض التي أطلق عليها اسم الفيض الافلاطوني وذلك بهدف ربط أصول الفكر الاسماعيلي بجذور يونانية. وهذه مقولة المستشرقين.

ومما قاله أيضاً: إنه يتحكم في الكون سبعة من الناطقين: آدم، ونوح، وموسى، وعيسى، ومحمد، وعلي، ومحمد بن اسماعيل... فيهم أعظم مظاهر تجلي العقل الكلي... وكل قائم من هؤلاء القائمين يفيض عليه ما فاض على من سبقه، فهو المظهر الأكمل لكل رسالة سبقته، أو نبوة أو علم. وكل ناطق يحمل كل ما حمله من قبله من ناطقين وقائمين حتى يصل إلى أكمل الصور الكونية. وتوقفت الدائرة الأخيرة عند محمد بن اسماعيل توقفاً موقتاً والعالم الآن يتحكم فيه السبعة القائمون(١).

ثمة ملاحظة، لا بد منها هي أن الحديث عن الناطقين السبعة تكرر أكثر من مرة على لسان المؤرخين القدماء وأصحاب الفرق. لكن هناك خلاف في أسمائهم.

ذكر النوبختي أنهم: نوح وابراهم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلي ومحمد بن إسماعيل(٢) في حين ذكر غيره أنهم: آدم ونوح وابراهيم وموسى

---

(١) الدكتور علي شامي النشار ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٧٩.
(٢) النوبختي ـ فرق الشيعة ص ٦٨.

وعيسى ومحمد واسماعيل[١].

ملاحظة ثانية هي أن الدكتور النشار اعتبر الباطنية فرعاً من فروع الاسماعيلية، في حين أن الباطنية، اسم من أسماء الاسماعيلية.

ثم إنه تحدث عن عقائد الاسماعيلية من خلال أقوال أحمد الكيال، مع أن أحمد الكيال كان في أول أمره داعياً اسماعيلياً ثم غير المذهب ودعا لنفسه، وإذن فلا يجوز بحال من الأحوال أن نعتبر أقواله هي أقوال الاسماعيلية. لأنه لا يمثل إلا نفسه.

* **محمد عزة دروزة** في كتابه [**العرب والعروبة**] نقل عن [**ولاية بيروت**] نقلاً حرفياً، وباعتبار أننا تكلمنا عن معتقدات الاسماعيلية في هذا الكتاب، فلا ضرورة للتكرار.

* **الدكتور مصطفى الشكعة** في [**إسلام بلا مذاهب**] نقل عن [**الملل والنحل**] للشهرستاني و[**دائرة المعارف الإسلامية**] و[**طائفة الاسماعيلية**] للدكتور محمد كامل حسين..

لكن اعتماده الكبير كان على كتاب الدكتور محمد كامل حسين.

وباعتبار أننا سنقف وقفة خاصة عند ما قاله الدكتور محمد كامل حسين في كتابه الفذ [طائفة الاسماعيلية] لذلك فإننا سنكتفي بإبداء ملاحظاتنا. على ما كتبه الشكعة، وهي:

(أ) قال الشكعة: إن الاسماعيلية واحدة من الفرق الشيعية التي جنحت إلى الغلو أكثر من ميلها إلى الاعتدال[٢].

وهذا القول غير سديد. لأن الاسماعيلية تيارات مختلفة، واتجاهات مختلفة فيها الغلاة. وفيها المعتدلون. ومن غير الجائز التعميم.

(ب) برأيه أن سبب انتظام الاسماعيلية في الفرق الغالية، هو قولهم إن

(١) شيخ الربوة - نخب الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٣.
(٢) الدكتور مصطفى الشكعة - إسلام بلا مذاهب ص ٢٢٥.

الأرض لا تخلو من إمام.. وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[1].

والغرابة أن الشكعة في حديثه عن أحمد بن حنبل قال ما حرفيته: «وابن حنبل يتمسك بالإمامة تمسكاً كاملاً ويقول: من مات ورقبته عرية من اعتقاد الإمامة فميتته جاهلية...»[2].

فهل كان ابن حنبل من الغلاة؟! عجباً!!

(جـ) لاحظنا أن الشكعة، في نقله عن الدكتور محمد كامل حسين، كان يجتزئ الكلام، مما أفسد المعنى.

مثال ذلك:

ـ **قال الدكتور محمد كامل حسين في [طائفة الاسماعيلية]**: «وأخذ الإسماعيلية رأي الافلاطونية الحديثة في الإبداع وظهور النفس الكلية في العقل الكلي». هذا الكلام، نقله الشكعة بالصورة التالية: «أخذ الاسماعيلية عن الافلاطونية الحديثة رأيهم في الإبداع...».

ـ وذكر محمد كامل حسين ما نصه: «ثم جاء الداعي أبو يعقوب السجستاني وكان ببخارى وقتل سنة ٣٣١هـ وألف كتاب (النصرة في شرح ما قاله الشيخ الحامد في كتاب المحصول) انتصر فيه للداعي النخشبي، وخالف زميله أبا حاتم الرازي». عند الشكعة: «ثم جاء داع ثالث معاصر لهما أيضاً هو أبو يعقوب السجستاني فألف كتابه (النصرة) انتصر فيه للداعي النخشبي فأتى بكلام جديد لم يقله هذا ولا ذاك».

ـ وكتب محمد كامل حسين ما نصه: «كان ذلك كله أمام جمهرة الناس، أما بين الخاصة من الدعاة وكبار رجال الدولة وممن يأكلون على كل الموائد فكان لهم أن يستمعوا إلى هذه الآراء السرية التي كان يلقيها داعي الدعاة، وفيها مثل هذه العقائد التي تجعل من الأئمة شبه آلهة، وهذه المجالس التي كان

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧.
(٢) المرجع السابق ص ٤٦٧.

يلقيها داعي الدعاة هي التي تضم العبادة العلمية أي علم الباطن، فقد ذهب الاسماعيلية إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العالم الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص، بل ذهب الإسماعيلية إلى أبعد من ذلك فقالوا إن التأويل الباطن من عند الله خص به علي بن أبي طالب، فكما أن الرسول ﷺ خص بالتنزيل كذلك علي بن أبي طالب خص بالتأويل، ومن ذلك المشاركة بين النبي وعلي، فقالوا إذن بوجوب التأويل الباطن وضرورته واستدلوا على ذلك بقصة نبي الله موسى عليه السلام مع الرجل الصالح المذكورة في سورة الكهف، وكيف أن موسى عليه السلام وهو نبي مرسل من أولي العزم لم يمنحه الله علم الباطن بينما منح هذا العلم إلى الرجل الصالح وهو ليس نبياً مرسلاً وليس من أولي العزم. . . ».

تحول هذا الكلام على يد الشكعة إلى الصيغة التالية: «هذا من الظاهر الذي يقرؤه عامة الناس. أما الخاصة فكانوا يسمعون آراء سرية يلقيها عليهم داعي الدعاة يضفي فيها على الإمام صفات ما يشبه الإله، من ذلك قولهم إن التأويل الباطن هو من عند الله خص به علي بن أبي طالب، وقالوا بالمشاركة بين النبي وعلي، وذهبوا إلى أن علياً قد أورث الأئمة من أعقابه هذا التأويل الباطن الذي خص به دون النبي، وعلى ذلك فالأئمة وحدهم ودون غيرهم هم الذين يدلون الناس على أسرار الدين. وقد استشهد الاسماعيلية بقصة موسى مع الخضر في القرآن حينما خص الله الخضر بعلم الباطن مع كونه ليس نبياً وعدم معرفة موسى بذلك مع كونه نبياً، استدلوا بذلك على أنه من المقبول في نظرهم ألا يعلم النبي علم الباطن وأن يعلمه علي. . . ».

ونفس الشيء فعله وهو ينقل عن [**دائرة المعارف الإسلامية**] إذ نقل عنها نقلاً مجتزءاً. من ذلك مثلاً، قال: إنه ـ أي الله ـ لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل أبدع العقل الكلي بعمل من أعمال الإرادة.

فحذف عبارة «وهو الأمر» بعد كلمة أعمال الإرادة كما جاء في [**دائرة المعارف الإسلامية**].

ومن ذلك أيضاً ما قاله: فإن الاسماعيلية يسمون العقل الحجاب أو المحل أو الصلة وهذا الكلام ورد في [**دائرة المعارف الإسلامية**] بالصورة التالية: «يسمي الاسماعيلية العقل أو الحجاب أو المحل أو الصلة أو النفس أو الأول. . .».

* **الدكتور عبد الرحمن بدوي**: اسم ضخم في عالم الثقافة والفكر، قدم للمكتبة العربية، العديد من المؤلفات منها كتابه [**مذاهب الإسلاميين**] الذي صدر بجزئين كبيرين، خصص الجزء الثاني منه للحديث عن ثلاث فرق دينية هي الاسماعيلية والنصيرية والدروز. . . وكان نصيب الاسماعيلية من الكتاب (٣٣٥) صفحة هي الصفحات من ٨٧ إلى ٤٢٢.

قسم الدكتور دراسته إلى العناوين التالية:

- الاسماعيلية.
- نشأتها.
- القرامطة.

- الأهداف السياسية والاجتماعية لحركة القرامطة: تحدث تحت هذا العنوان عن المواضيع التالية: أبو سعيد الجنابي في البحرين - القرامطة في سواد الكوفة - القرامطة في الشام - قرامطة البحرين - مهاجمة مكة وأخذ الحجر الأسود - رد الحجر الأسود - وقوع الخلاف بين القرامطة بعضهم ببعض - وفاة أبي طاهر القرمطي - استيلاء القرامطة على دمشق مرة أُخرى - أفول نجم القرامطة.

* **مذهب القرامطة**: تحدث، تحت هذا العنوان عن المواضيع التالية: كيفية الدعوة - صفة الدعوة الأولى - صفة الدعوة الثانية - صفة الدعوة الثالثة - صفة الدعوة الرابعة - صفة الدعوة الخامسة - صفة الدعوة السادسة - صفة الدعوة السابعة - صفة الدعوة الثامنة - صفة الدعوة التاسعة - ذكر العهد الذي يؤخذ للمخدوعين في أول الدعوة الخبيثة - كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة - القرامطة والشعوبية - من هو الشريف أبو الحسين.

* **مؤلفات الإسماعيلية**: (مؤلفات عبدان، ومؤلفات أحمد بن الكيال الخصيبي).

* **أعلام الفكر الاسماعيلي**: (أبو حاتم الرازي ـ أبو يعقوب السجستاني ـ حميد الدين أحمد الكرماني ـ القاضي النعمان ـ أبو القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب ـ داعي الدعاة هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي ـ ناصر خسرو ـ جعفر بن منصور اليمن ـ علي بن محمد بن الوليد ـ إبراهيم الحسين الحامدي ـ محمد بن طاهر الحارثي ـ الداعي حاتم بن إبراهيم ـ الداعي علي بن الحسين بن حنظلة ـ عماد الدين إدريس بن الحسن ـ حسن بن نوح). . .

مكتفياً بذكر أسماء الأعلام، وأسماء بعض مؤلفاتهم.

* **آراء الاسماعيلية**: تنضوي تحت هذا العنوان، الفقرات التالية:

ـ **باب الإلهيات**: (التوحيد ـ في بطلان أنه تعالى آيسا ـ في نفي الصفات عنه ـ في أنه تعالى لا حد له ولا مثل ـ في الإبداع).

ـ في الموجودات عن المبدع الأول (النفس الكلية وهي المنبعث الأول ـ المنبعث الثاني وهو الهيولى المسمى في السنة الإلهية باللوح ـ العلاقة بين الأنفس الناطقة الإنسانية وبين النفس الكلية ـ البشر الإنسانية ـ ثمرة العالم ـ الحدود العلوية ـ الحدود الجسمانية ـ الطبيعة والأفلاك ـ النفس الناطقة ـ بقاء النفس الناطقة).

ـ عالم الدين (الوحي ـ النبوة والرسالة والولاية ـ الولاية ـ النطقاء).

ـ الواجبات نحو الأئمة (الوفاء بعهود الأئمة ـ توقير الأئمة ـ إخبارهم بأحوال أنفسهم وسؤالهم والاستغفار لهم ـ الصبر على ما يمتحن به الأئمة أتباعهم ـ الشكر لما يولون من نعم ـ الجهاد مع الأئمة ـ التسليم في جميع الأمور إلى الأئمة ـ الخوف من الأئمة والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم ـ تولي من والى الأئمة وعداوة من عاداهم ـ تحري ما وافق الأئمة والنهي عن إتيان ما خالفهم ـ التجرد عن الحسد والبغض والشره والحقد وسوء الظن ـ وضع الخمس من الكسوب إلى الأئمة).

ـ الأُخرويات (التناسخ ـ إنكار التناسخ ـ البعث ـ الحساب ـ الجنة والنار).

ـ اسماعيلية آلموت.

دولة آلموت بعد وفاة الحسن بن الصباح.

النزارية المستعلية.

الاسماعيلية النزارية في الشام.

عودة إلى نزارية آلموت.

أئمة الستر ونقض القيامة.

نصير الدين الطوسي والاسماعيلية.

المصادر التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن بدوي في دراسته هي: [**الفرق بين الفرق**] للبغدادي و[**فضائح الباطنية**] للغزالي و[**المقالات والفرق**] لسعد بن عبد الله القمي و[**الفهرست**] لابن النديم و[**فرق الشيعة**] للنوبختي، و[**الملل والنحل**] للشهرستاني... وجميعهم من غير الإسماعيلية...

ومن المصادر الاسماعيلية [**راحة العقل**] لأحمد حميد الدين الكرماني.

نقل عن البغدادي والغزالي والقمي بعض الفقرات المتعلقة بالقرامطة.

ونقل عن النوبختي، قوله عن القرامطة: زعموا أن الله سبحانه وتعالى جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم، أي إباحة المحارم، وجميع ما خلقه في الدنيا. وأن محمد ابن اسماعيل خاتم النبيين، وأن الدنيا ١٢ جزيرة في كل جزيرة حجة وأن الحجج ١٢ ولكل داعية يد أي رجل له دلائل وبراهين، وأن جميع ما فرضه الله على عباده له ظاهر وباطن (ص ٩٢) من مذاهب الإسلاميين.

ونقل عن ابن النديم أسماء كتب عبدان وأحمد الكيال الخصيبي.

ونقل عن الشهرستاني حديثه عن الدعوة الجديدة ـ دعوة الحسن ابن الصباح.

ونقل عن الكرماني، آراء الإسماعيلية، حول الإلهيات والموجودات

وعالم الدين و. . . (ص ٢١٩ من مذاهب الإسلاميين).

وهو عند حديثه عن مذهب القرامطة. نقل فقرة «كيفية الدعوة» من النويري. وقال: «خير مصدر لنا عنه هو ما كتبه الشريف أبو الحسين محمد ابن علي. ونقله إلينا النويري في [**نهاية الأرب**] وهو مما لم ينشر بعد من هذه الموسوعة العظيمة ولهذا سنورده هنا بتمامه. . .» ص ١٥٢ من مذاهب الإسلاميين.

ملاحظاتنا على الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه نقل عن المصادر التي أشرنا إليها، نقلاً حرفياً من دون مناقشة أو تعليق.

ومن دون أن تستلفت نظره تناقضات كتابات الأقدمين عن القرامطة أو الاسماعيلية. ثم أنه اعتبر ما كتبه الشريف أبو الحسين محمد بن علي، خير مصدر عن مذهب القرامطة. وهذا مثير للدهشة، لأن الشريف ليس من رجالات القرامطة بل من خصومهم.

والملاحظة نفسها واجهتنا عند مطالعة ما كتبه عن النصيرية، إذ هو اعتبر نص السؤال الموجه إلى ابن تيمية، وجواب ابن تيمية عليه من النصوص المفيدة في معرفة مذهب النصيرية.

أي أنه أخذ أقوال كل فرقة من خصومها.

أما ما نقله عن النويري وقال: «إنه مما لم ينشر بعد من هذه الموسوعة العظيمة» فلا يختلف في مضمونه عما كتبه المقريزي في [**المواعظ والاعتبار**] والبغدادي في [**الفرق بين الفرق**] والغزالي في [**فضائح الباطنية**].

ثانياً: من مصادر الدكتور بدوي في دراسته عن الاسماعيلية كتاب [**الفرق بين الفرق**] للبغدادي. وفي هذا الكتاب، تحدث البغدادي عن كيفية الدعوة، واليمين التي تؤخذ من المريد قبل تلقينه مبادئ الدعوة. وما كتبه البغدادي بهذا الخصوص، يتناقض مع ما نقله النويري عن الشريف أبي الحسين محمد ابن علي. فكيف لم ينتبه الدكتور البدوي إلى ذلك؟!

ثالثاً: غاب عن دراسة الدكتور البدوي مصادر كثيرة تحدثت عن القرامطة

والاسماعيلية، منها على سبيل المثال لا الحصر: [**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**] للأشعري، و[**التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**] للملطي، و[**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**] لابن الجوزي، و[**كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**] لمحمد بن مالك الحمادي اليماني، و[**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين**] للأسفرايني، و[**صبح الأعشى**] للقلقشندي وغيرها... وغيرها...

وهي لا تقل أهمية عن المصادر التي اعتمدها في دراسته.

ولو أن الدكتور عبد الرحمن بدوي انتبه إلى هذه المصادر، ودرسها دراسة دقيقة متأنية. وقارن ما بينها لتبين له، بصورة لا مجال معها للشك، أن أغلب ما قيل عن الفرق الدينية، موضوع ومدسوس.

رابعاً: بالنسبة إلى المصادر الاسماعيلية، اكتفى استاذنا بكتاب [**راحة العقل**] للكرماني، وحده دون غيره من المصادر الاسماعيلية الكثيرة الني نشرها ايفانوف والدكتور محمد كامل حسين والدكتور عارف تامر والدكتور مصطفى غالب وغيرهم... وغيرهم.... وهي متوافرة للدارسين.

ولئن كان الكرماني من كبار الدعاة الاسماعيليين، إلا أن كتابه وحده، لا يغني عن بقية كتب الدعاة الاسماعيليين، وخاصة بالنسبة إلى من يقوم بدراسة مفصلة عن الاسماعيلية، كدراسة الدكتور عبد الرحمن بدوي.

خلاصة القول: إن ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوي عن الاسماعيلية، لا يتناسب أخلاقياً مع اسمه الضخم ومقامه العلمي الكبير.

الاتجاه الثالث: أصحاب هذا الاتجاه درسوا عقائد الاسماعيلية من خلال كتبهم ومؤلفاتهم. وأبرز ممثلي هذا الاتجاه، الدكتور **محمد كامل حسين**. وهو أول عربي نظر إلى الاسماعيلية نظرة عقلانية متفهمة. وكتب عنها بروح منصفة، في كتابين، من أبرز كتبه، هما: طائفة الاسماعيلية (١٩٥٩)، وفي أدب مصر الفاطمية (١٩٧٠).

وتعتبر كتاباته بمثابة رد واع على كتابات المؤرخين القدماء، فدحضها

وبيّن بطلانها.

فهو أولاً نفى عن الإسماعيلية، اسم الباطنية، وقال: إنهم يقولون بالباطن والظاهر وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معاً، بل كفَّروا من اعتقد بالباطن من دون الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن(١).

كما أنه برَّأ الفاطميين من كل ما اتهمهم به المؤرخون القدماء من إباحة وقول بالتناسخ والحلول وغير ذلك. . .(٢).

عن عقائد الاسماعيلية قال: إن الإمامة هي المحور الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية والفلسفة الاسماعيلية، لأنهم جعلوا ولاية الإمام الركن الأساسي لجميع أركان الدين، بل لا يستقيم الدين إلا بها. والولاية طاعة الإمام ومعرفته. وأسبغوا على الأئمة صفات باطنية تجعلهم لا يمتون إلى البشرية بصلة.

وقالوا: بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد ابن إسماعيل بن جعفر. والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه. والإمام حجة الله على عباده وهاديهم إلى الطريق القويم(٣).

وقالوا: إن لكل نبي وصياً. وإن الله تعالى هو الذي يوحي إلى نبيه بإعلان من اختاره الله وصياً لنبيه، وخليفة له. فكان وصي آدم هابيل، ووصي نوح ابنه سام، ووصي إبراهيم ابنه اسماعيل، وكان وصي موسى أخاه هرٰون، ووصي عيسى بن مريم حواريه شمعون الصفا، فوجب أن يكون لمحمد ﷺ وصي شأنه شأن الأنبياء السابقين، وأن الله تعالى اختار علياً بن أبي طالب لمرتبة الوصاية(٤).

والاسماعيلية، نسبوا أسماء الله الحسنى إلى العقل الكلي الذي أطلقوا

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨.
(٢) الدكتور محمد كامل حسين ـ في أدب مصر الفاطمية ص ٣٣.
(٣) المرجع السابق ص ٢٢.
(٤) المرجع السابق ص ٢٤.

عليه اسم (المبدع الأول) أو ما رمز إليه الله تعالى بالقلم. والعقل الكلي أبدع النفس الكلية أو المبدع الثاني، أو ما رمز إليه القرآن الكريم باللوح المحفوظ.

ولأن العقل الكلي أسبق من النفس الكلية وأفضل، سمي بالسابق، وسميت النفس الكلية بالتالي وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية[1] والعقل الكلي في العالم العلوي، يقابله الإمام في العالم الجسماني[2].

وذهبوا إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة الذين يودعونه لكبار الدعاة بقدر مخصوص... وأن علي عليه السلام خص بالتأويل كما خص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتنزيل.

وأوّلوا فرائض الدين تأويلاً باطنياً، فالصلاة هي دعوة الحق، والصيام عدم الحديث، والجنة طاعة الإمام، والنار الخروج عن طاعته.

ومن عقائدهم، نظرية الدور التي تقول إن الحياة تتجدد وهي مقسمة إلى ست فترات، على رأس كل فترة نبي، وبين كل نبي وآخر أئمة يخلفون النبي في شؤون دينهم. وإن ما يحدث في فترة من هذه الفترات يحدث ما يشابهه تماماً في الفترات الأُخرى.

وقسموا مراتب الدعوة بحسب دورة الفلك، وتقسيم السنة إلى شهور وأيام وساعات. فالسنة ١٢ شهراً والشهر ٣٠ يوماً واليوم ٢٤ ساعة.. فكذلك مراتب الدعوة. فالسنة التي تجمع الشهور والأيام مثل على النبي في عصره، أو الإمام الذي يجمع جميع الدعوات. والشهور الاثنا عشر مثل رؤساء الدعوة في الجزائر (حجج الجزائر)، ولكل من هؤلاء ثلاثون داعياً أو نقيباً يقومون بهداية الناس وبث الدعوة في نفوس المستجيبين، وهم الذين يفاتحون الذين دخلوا في الدعوة بالعلم بعد أن يأخذوا عليهم العهد والميثاق وهم الذين يجمعون النجوى

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ١٥٨.
(٢) المرجع السابق.

لهم[1]. وبالجملة، فإن الاسماعيلية يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشور وثواب وعقاب ويقومون بفرائض الدين ويحرمون ما حرمه الله ولا يقولون بالتعطيل أو الإباحة ولم يعتنقوا التناسخ أو الحلول أو التلاشي غير أنهم يقولون بأدوار الأنبياء، فلكل نبي دوره، ويأتي النبي الذي بعده يستنسخ شرع النبي قبله[2].

وممن سار في هذا الاتجاه أيضاً، **حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف**، في كتابيهما **[عبيد الله المهدي]** و**[المعز لدين الله]** حيث ضمنا كل كتاب من هذين الكتابين، عدداً من الملاحق المأخوذة من كتب الاسماعيلية. مثل كتاب **[المجالس والمسايرات]** للقاضي النعمان، و**[أسرار النطقاء]** لجعفر بن منصور اليمن، و**[زهر المعاني]** لإدريس عماد الدين وغيرها. . .

تضمن كتاب [عبيد الله المهدي] الملاحق التالية:

الملحق الأول: نهاية الإمام اسماعيل بن جعفر وإمامته (من كتاب أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن).

الملحق الثاني: في إمامة محمد بن إسماعيل (من كتاب زهر المعاني).

الملحق الثالث: ظهور المهدي (من كتاب زهر المعاني).

الملحق الرابع: انتقال الإمامة إلى المهدي والطيب بن الأمر (من كتاب غاية الموالين لابي الخطاب الداعي).

الملحق الخامس: الواجب على الأمة للأئمة (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

الملحق السادس: في محاولة عبيد الله فتح مصر (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ في أدب مصر الفاطمية ص ٣٨.
(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

الملحق السابع: في فضل كتامة على الفاطميين (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

الملحق الثامن: عبيد الله والزعامة في الرملة (سيرة جعفر الحاجب لمحمد بن محمد اليماني).

الملحق التاسع: عبيد الله في مصر (سيرة جعفر الحاجب)

الملحق العاشر: الأمن في عهد أبي عبد الله الشيعي (سيرة جعفر الحاجب).

الملحق الحادي عشر: المناظرة بين أبي عثمان سعيد بن محمد ابن الحداد وأبي العباس أبي عبد الله الشيعي (كتاب طبقات علماء افريقيا لابن يعرب محمد التميمي).

الملحق الثاني عشر: المناظرة الثانية بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

الملحق الثالث عشر: المناظرة الثالثة بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

الملحق الرابع عشر: المناظرة الرابعة بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

وتضمن كتاب [**المعز لدين الله**] الملاحق التالية:

الملحق الأول: رسالة المعز إلى أبي الحسن علي الأخشيد (من كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان).

الملحق الثاني: عهد جوهر الصقلي إلى المصريين (اتعاظ الحنفا ـ المقريزي).

الملحق الثالث: رسالة المعز إلى الحسن الأعظم القرمطي (اتعاظ الحنفا ـ المقريزي).

الملحق الرابع: موقف المعز من أهل سلجلماسة (المجالس والمسايرات ـ النعمان).

الملحق الخامس: نصيحة المعز لعامل سلجلماسة (المصدر السابق).

الملحق السادس: تهديد المعز امبراطورية الدولة البيزية (المرجع السابق).

الملحق السابع: كلام في مجلس خوطب به رسول الأموي (المصدر السابق).

الملحق الثامن: رد المعز على عبد الرحمن الناصر الأموي (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

الملحق التاسع: نقض المعز لكتاب الناصر (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

الملحق العاشر: بعض الأحكام الشرعية الاسماعيلية في عهد المعز لدين الله (المجالس المستنصرية).

الملحق الحادي عشر: ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم في دعائهم (النعمان ـ في آداب اتباع الأئمة).

الملحق الثاني عشر: في الحث على طاعة الفاطميين (النعمان ـ المجالس والمسايرات).

الملحق الثالث عشر: مدح المعز كتامة.

الملحق الرابع عشر: اشتغال الأئمة في صلاح الأئمة (المصدر السابق).

الملحق الخامس عشر: توقيع في ذكرى عاشوراء (المصدر السابق).

الملحق السادس عشر: النهي عن الغلو في أولياء الله (المصدر السابق).

الملحق السابع عشر: نصيحة المعز لعماله (المصدر السابق).

الملحق الثامن عشر: نصيحة المعز لأحد العمال (المصدر السابق).

الملحق التاسع عشر: في ترتيب استعمال العمال على العمل (المصدر السابق).

الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية

لم يعرف العرب، ما اصطلح على تسميته «انسيكلوبيديا»، أي دائرة معارف، إلا في العصر الحديث.

وكان اللغوي اللبناني المشهور، بطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣) أول من أصدر دائرة معارف باللغة العربية، ثم تبعه آخرون حتى صار لدينا أكثر من دائرة معارف، أشهرها:

* **كتاب دائرة المعارف**: بطرس البستاني ـ بيروت / ١٨٧٨/ م
* **دائرة المعارف الإسلامية**: ـ القاهرة / ١٩٣٣/ م
* **دائرة معارف القرن العشرين**: محمد فريد وجدي القاهرة / ١٩٣٧/ م
* **الموسوعة العربية الميسرة**: بإشراف محمد شفيق غربال ـ القاهرة / ١٩٦٥/ م.

و. . . و. . . و. . .

كتاب دائرة معارف البستاني

تحدث بطرس البستاني، في دائرة معارفه، عن الإسماعيلية، حديثاً مطولاً، يغلب عليه الجانب التاريخي. يهمنا منه، بالنسبة إلى موضوعنا، الفقرات التي تتعلق بعقائد الإسماعيلية. وخلاصة ما قاله: إنها فرقة من غلاة الشيعة. وهم جمعية سرية سياسية أصلهم من بلاد فارس ظهروا سنة ٨٤٠ للميلاد. ثم انتشروا في بلاد العرب وسورية وأفريقية وديانتهم مؤلفة من الوثنية

واليهودية والمسيحية والإسلامية. . .

ولا تخلو الأرض عندهم من إمام إما ظاهر بذاته أو مستور فلا بد من ظهور حجته ودعاته ويدور عدد الأئمة عندهم على سبعة عدد الأسبوع والسموات والكواكب ولذلك سموا بالسبعية أو لزعمهم أن النطقاء بالشريعة أي الرسل سبعة، آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وإسماعيل بن جعفر. . وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته. فكل من النطقاء يغير شريعة من قبله فيتمم شريعته سبعة أئمة بعده يسمون بالمستورين.

ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدى بهم وهم الإمام وهو يؤدي عن الله، والحجة وهو يؤدي عن الإمام، وذو المصة وهو يأخذ العلم عن الحجة، والأبواب وهم الدعاة منهم داع أكبر لرفع درجات المؤمنين، وداع مأذون لأخذ العهد على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام، والمكلب الذي يحتج ويرغب إلى الداعي، ومؤمن وهو يتبع الداعي وقد أخذ عليه العهد وآمن وأيقن بالعهد ودخل في ذمته[1].

ملاحظاتنا على هذا الكلام، نجملها بما يلي:

(أ) القول إن الإسماعيلية فرقة من غلاة الشيعة غير سديد، لأن الإسماعيلية، ككل طائفة من الطوائف، وكل فرقة من الفرق التي ظهرت في التاريخ، تضم تيارات مختلفة واتجاهات مختلفة، فيها الغلاة وفيها المعتدلون. . وما دام الأمر كذلك فلا يجوز التعميم.

(ب) ليس صحيحاً أن أصل الإسماعيلية من بلاد فارس. لأن أئمة الإسماعيلية من سلمية في بلاد الشام، ومبدأ افتتاح الدعوة كان في اليمن ثم في المغرب الأقصى وأفريقية.

(جـ) القول بأنهم ظهروا سنة ٨٤٠ للميلاد، غير صحيح. وقد عرضنا في الفصل الخاص بتاريخ ظهور الإسماعيلية، مختلف الأقوال حول بداية ظهور هذه الطائفة، وقلنا إن التاريخ الأولى بالاعتبار، لظهورها، هو الفترة التي

---

(١) كتاب دائرة المعارف ج٣، ص ٦٢٧.

سبقت وفاة أبي الخطاب سنة ١٣٨/ هـ - ٧٥٥/ م.

(د) قال البستاني، إن النطقاء بالشريعة، أي الرسل، سبعة. لكنه عدَّ ستة فقط. آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وإسماعيل بن جعفر.

ثم هو ذكر بين النطقاء إسماعيل بن جعفر، في حين ذكر النوبختي، وهو من أوائل من كتبوا عن الفرق، أن السابع هو محمد بن إسماعيل.

يضاف إلى ذلك، أن البستاني في حديثه عن السبعة الذين يقتدى بهم عدَّ ستة: الإمام والحجة وذو المصة والأبواب (الدعاة) والمكلب والمؤمن.

وعن الأبواب قال: منهم داع أكبر، وداع مأذون. فإذا كان هذان الداعيان، هما المقصودان بعبارة «الأبواب» صار المجموع سبعة. لكن لفظة الأبواب جاءت بصيغة الجمع، والجمع لغة ما زاد على الثلاثة. فكيف يخطئ من هو حجة في اللغة؟!

(هـ) قال إن ديانة الإسماعيلية مؤلفة من الوثنية واليهودية والمسيحية والإسلامية، من دون أن يقدم أي دليل على ذلك، ومن دون أن يبين ماذا أخذت الإسماعيلية من هذه الأديان والمذاهب.

دائرة المعارف الإسلامية

أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية: هوتسما وڤنسنك وكب وهفننك وليفي بروفنسال وشاده وباسيه وهارتمان وأرنولد وباور ولويس وپلا وشاخت.

والنسخة العربية من إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي والدكتور عبد الحميد يونس.

تحدثت دائرة المعارف الإسلامية، عن عقيدة الإسماعيلية، تحت عناوين مختلفة: عقيدة الإسماعيلية، المذهب الرسمي الفاطمي، هيكل المذهب.

خلاصة ما جاء فيها عن عقيدة الإسماعيلية، أنهم ينكرون إنكاراً تاماً صفات الله، ويقولون إنه فوق متناول العقل، وإن العقل عاجز عن إدراك كنهه.... وإن الله أبدع العقل الكلي بالأمر، والعقل الكلي محل لجميع الصفات الإلهية، وهو الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية. وهم يسمون العقل الحجاب أو المحل أو الصلة أو النفس أو الأول.

والعقل أبدع النفس الكلية. وعن النفس صدرت المادة الأولى، وإن المثل توجد في العقل وإن هناك كائنين واجبين هما المكان والزمان. ومن اتحاد الوجودات الخمسة في العقل تحدث حركات الأفلاك والطبائع، وهم يعللون ظهور الإنسان بحاجة النفس الكلية إلى بلوغ العلم الكامل حتى تسمو إلى مرتبة العقل الكلي. وإذا ما بلغت هذه المرتبة تبطل كل حركة.

ولبلوغ السعادة يجب على الإنسان تحصيل العلم وذلك بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة الذين يخلفونه.

والعقل الحال يسمى (ناطقاً) وتسمى النفس الحالة (أساساً) والناطق هو النبي محمد ﷺ وهو الذي يبلغ الكلام المنزل. والأساس هو علي وهو الذي يفسر الكلام معتمداً على التأويل وأركان الإسماعيلية الثلاثة الأخيرة هي: الإمام والحجة ثم الداعي.

والجنة رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل.

والجحيم رمز إلى حالة الجهالة.

والنفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف إمام العصر الذي عادت فيه إلى الأرض، وتأخذ منه المعارف الدينية.

أما المذهب الرسمي للفاطميين فيقوم على ظاهر، وهو الشريعة، وباطن.

ولا باطن بلا ظاهر.

والظاهر يشبه من وجوه كثيرة شعائر الاثني عشرية، ويتفق في بعض المسائل مع مذهب أهل السنة.

أما الباطن، فيقوم على تأويل آيات من القرآن وبعض الأحاديث، وعلى أحكام دينية قصد بها إثبات الأصل الإلهي للإمامة، واقتصار حق القيام بها على الفاطميين. هيكل المذهب، يقوم على أن الواحد أبدع بأمر من مشيئته الأزلية أول (سابق) أو (عقل الكل). وعن السابق صدر (النفس الكل).

عقل الكل هو الرسول، النبي محمد ﷺ، ونفس الكل هو الوصيّ، علي عليه السلام.

والأئمة الموكلون بهذا العالم هم أقانيم العقل الأخير.

والنفس، من حيث هي صورة الإنسان، تنتمي إلى العالم الروحي الأعلى. وتستطيع بمشاركتها الإمام، وهو أقرب جوهر علوي، أن تصعد وتعود إلى مصدرها الأصلي فتبلغ منتهى الخلاص. والطريق إلى هذه المشاركة هي تحصيل العلم (العبادة العلمية) الذي كشف عنه، الأئمة، وطاعة أوامرهم، ومن هنا يمكن القول إن من يمت دون أن يعرف إمام زمانه مات كافراً. وتوجد في العقيدة الإسماعيلية مراتب رئيسية هي:

- المستجيب (الملقن)
- المأذون (المجاز للتدريس)
- الداعي (الواعظ)
- الحجة
- الجزيرة.

أما الرقم ٧ فهو من الأرقام الخفية. وهناك دورات من سبعة أئمة، وكذلك دورات الأنبياء الكبار لكل سبعة آلاف سنة (آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) ولكل منهم وحي، أما السابع فهو القائم المنتظر(١).

أول ما ينبغي قوله إن **[دائرة المعارف الإسلامية]**، تمثل وجهة نظر المستشرقين الغربيين. وهؤلاء أكثر عقلانية، وإنصافاً، وفهماً لحقيقة مقولات

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ـ كتاب الشعب، المجلد ٢١ و٢٢ الصفحات / ٣٨٠ و٣٨٩ و٣٩١/.

الفرق الباطنية، ومنها الإسماعيلية، من مؤرخينا القدماء، وكتاب الفرق، الذين هم في معظمهم من كتاب السلاطين.

ثانياً: يفهم من مجمل الكلام عن عقيدة الإسماعيلية، أنها تقوم على نظريتي الفيض أو الصدور، فيض الكائنات عن الخالق جل وعلا، ونظرية الإنسان الكامل. «الإنسان الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاحلة الجامعة»[1] والذي هو سبب إيجاد العالم وبقائه أزلاً وأبداً، ودنيا وآخرة[2].

ثالثاً: جاء في سياق الحديث، إن الإسماعيلية، يسمون العقل الحجاب أو النفس أو. . . بمعنى أن النفس اسم من أسماء العقل. فهي والعقل شيء واحد.

ثم قرأنا أن «العقل أبدع النفس الكلية» و «أن المادة الأولى صدرت عن النفس» بحيث يفهم من هذين القولين أن النفس غير العقل، وهذا ما يتناقض مع القول السابق إن العقل هو الحجاب أو. . . النفس.

رابعاً: ليس في [دائرة المعارف الإسلامية] ما يشير إلى أن عقيدة الإسماعيلية مؤلفة من الوثنية واليهودية، كما جاء في كتاب دائرة معارف البستاني.

خامساً: هناك خلاف واضح بين دائرة معارف البستاني، ودائرة المعارف الإسلامية، فيما يتعلق بالمراتب الرئيسية عند الإسماعيلية.

فهي في دائرة معارف البستاني: الإمام، والحجة، وذو المصة، والأبواب، والمكلب، والمؤمن.

بينما هي، في دائرة المعارف الإسلامية، المستجيب، والمأذون، والداعي، والحجة، والجزيرة.

---

(١) ملا صدرا الشيرازي ـ شرح القرآن الكريم ج٤، ص ٣٥٠.
(٢) المصدر السابق.

سادساً: أهم فقرة قرأناها في دائرة المعارف الإسلامية هي أن الإسماعيليين متمسكون بالصلاة والصوم، وكل ما قضت به الشريعة. وأن كل من أرخوا للبدع أغفلوا هذه الناحية من المذهب الإسماعيلي كل الإغفال...

وهذا يعني، بصريح العبارة، أن كلام المؤرخين القدماء، عن عقيدة الإسماعيلية، كان مختلقاً، إن لم يكن بمعظمه ففي قسم كبير منه.

سابعاً: أصبحت **[دائرة المعارف الإسلامية]** من يوم صدورها المرجع الأساسي، لجميع الباحثين، فنقلوا عنها من دون الإشارة إلى المصدر.

وممن نقلوا عنها الموسوعة العربية الميسرة.

* * *

دائرة معارف القرن العشرين

مؤلفها: **محمد فريد وجدي**.

وفيها عن، معتقدات الإسماعيلية، ما يخالف الأقوال التي قرأنا في دائرتي معارف البستاني، والإسلامية.

الأفكار الرئيسية لعقائد الإسماعيلية في **[دائرة معارف القرن العشرين]** هي:

(أ) إن الأرض لن تخلو من إمام. إما ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإذا كان ظاهراً يجوز أن يكون حجته مستوراً، وإن كان مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين.

(ب) من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام.

(جـ) إن عبد الله بن ميمون أسس بين الإسماعيلية جمعية سرية مرتبة على تسعة رتب، لا يرقى أحد من رتبة إلى ما فوقها إلا بالاستعداد والأهلية.

لكن محمد فريد وجدي، لم يذكر من هذه الرتب غير ستة فقط هي:

الدرجة الأولى: تشكيك الناس عن طريق طرح أسئلة تثير في الذهن تساؤلات.

الدرجة الثانية: يكشفون للمستعدين للترقي من أهل الدرجة الأولى أن الإمام هو الواجب التقليد.

الدرجة الثالثة: يعلنون أن الأئمة سبعة والإمام الحاكم هو السابع وهو

عالم بكل سرائر الدين ورموزه.

الدرجة الرابعة: يقولون للمستعدين إن الأئمة سبعة، وكذلك عدد الرسل الذين جاؤوا بشرائع ناسخة. ولكل من الأئمة مساعد، ولمساعدهم مساعد إلى سبعة. وكل من هؤلاء السبعة المساعدين يدعى الصامت. وأما مؤسسو الأديان فيدعى كل منهم الناطق وعددهم سبعة وهم:

آدم (وشيث صامت ومعه ستة)

نوح (وسام صامت ومعه ستة)

ابراهيم (واسماعيل صامت ومعه ستة)

موسى (وهرٰون صامت معه ستة)

عيسى (وبطرس صامت ومعه ستة)

محمد (علي ومحمد ستة)

إمام الوقت عبد الله...

الدرجة الخامسة: يقولون للمريد إن شريعة محمد ستنسخ.

الدرجة السادسة: يزينون للمريد عدم وجوب العبادات...

أخذ محمد فريد وجدي الفكرتين الأولى والثانية من الشهرستاني، والفكرة الثالثة من البغدادي الذي قال إن الإسماعيلية لهم في دعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ...

الموسوعة العربية الميسرة

ما ذكرته هذه الموسوعة، عن الإسماعيلية، عبارة عن معلومة موجزة جداً لا تخرج في مضمونها عما جاء في [**دائرة المعارف الإسلامية**].

الإسماعيليون من خلال آثارهم

قدم الإسماعيليون للفكر الإنساني تراثاً ضخماً، يتصف بالعمق والأصالة، أنتجته عقول مبدعة، شمل مختلف أنواع العلوم والمعارف من فقه، ودين، وفلسفة، وعلوم طبيعية، وتاريخ، وسير وأخبار، ومعارف إلهية، وعبادات، ووعظ وإرشاد و. . . و. . . لكن هذا التراث، تبدد وذهب هدراً، بالنكبات التي نزلت بهم في مركزين من أهم مراكز وجودهم. مصر وبلاد فارس.

فعندما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧/ هـ ـ ١١٧١/ م، قام ببيع خزانة كتب القصر الفاطمي، وكانت من عجائب الدنيا، لا يوجد في بلاد الإسلام ما يماثلها، وكانت تحتوي على ألفي ألف كتاب(١) أي مليوني كتاب بحساب اليوم.

وإذا كان صلاح الدين، اكتفى ببيع الكتب، فإن هولاكو، عندما اجتاح بجحافله قلاع الإسماعيلية وحصونهم، ببلاد فارس، سنة ٦٥٤/هـ نهبها وأحرق محتوياتها، وبهذه الصورة لم يسلم من التراث الإسماعيلي الضخم إلا نزر يسير وهذا النزر، بقي طي الخفاء مئات السنين، لم يبدأ بالكشف عنه إلا حديثاً على يد بعض رجال المذهب كالدكتور عارف تامر والدكتور مصطفى غالب، ومن غير رجال المذهب، من الأساتذة الجامعيين كالدكتور محمد كامل حسين. . . وغيرهم. . . وبفضلهم، صار، بين أيدينا، مجموعة من كنوز الفكر

(١) أبو شامة ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، أخبار سنة ٥٦٧/هـ.

الفاطمي، تكفي لتقديم صورة واضحة تماماً، عن عقائد الإسماعيلية، ودراستها دراسة دقيقة وافية بالغرض. وفي هذه الكتب ما يشير صراحة إلى أصول وفروع العقائد الإسماعيلية وعلى رأسها:

(١ ـ) توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل شيء ونفي الإشراك به والقرناء.

(٢ ـ) الاعتراف بالأنبياء والرسل، وأنهم معصومون من كل خطأ، وأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ووجوب طاعته واتباع ما شرعه.

(٣ ـ) التصديق بما جاء به القرآن الكريم، والعمل به ظاهراً وباطناً.

وهذا ما ينفي عن الإسماعيلية كل الاتهامات التي اتهمهم بها المؤرخون القدماء.

وتضعنا كتب الإسماعيلية، أمام حقيقة ناصعة، هي أنهم يؤمنون بالله وكتبه ورسله وينطقون بالشهادتين.

فكمال الإيمان عندهم «معرفة الخالق الحكيم، والباري القديم، والمصور العليم، من حيث دل على معرفته، والديانة بتوحيده، ونفي الأشراك له والقرناء، وتنزيهه عن الآباء والأبناء، ثم معرفة رسوله ﷺ وتصديق ما جاء به، وإيجاب ما أوجب، وإسقاط ما أسقط، وتحليل ما حلل، وتحريم ما حرم، وتأخير ما أخر، وتقديم ما قدم، ثم معرفة إمام العصر والزمان والإخلاص له في السر والإعلان...»(١).

وثم «التصديق بجميع الرسل والأئمة والعمل بما أتى به صاحب شريعة أهل العصر، وأمر إمامهم، والبراءة من كل من فارق الرسل والأئمة»(٢).

والنطق بالشهادتين نجده في كل كتاب من كتبهم أو رسالة من رسائلهم. ففي **[رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم]** للداعي **علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي**. نقرأ: «الحمد لله الذي عز عن أن تدركه دقائق خطرات الأوهام

(١) المجالس المستنصرية ـ المجلس الأول ص ٢٥، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين.
(٢) منتخبات اسماعيلية، تحقيق الدكتور عادل العوا ص ١٣.

والظنون، فضلاً عن أن تحيط به أو تعتريه لحظات العيون. . . وأشهد أن لا إله إلا من أبدع الأعيان الروحانية، وخلق منها الموجبات الجسمانية. . . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى إلى الجن والإنس. . . »(١).

وافتتح **حاتم بن ابراهيم الحامدي** رسالته **[رسالة زهر بذر الحقائق]** بالعبارة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين. . . وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة منزهة عن الغلو والتقصير، مقرونة بتوحيد العلي الكبير. . . . . »(٢).

وهم يرون أن التوحيد، لب العلوم، وتنزيه الحي القيوم(٣). ويقصدون به معرفة الحدود الروحانية والجسمانية. والتنزيه، تنزيه المبدع الحق أن يقع عليه شيء مما يقع على مبدعاته ومخترعاته، وإيقاع أشرف الأسماء وأجلها على أول مبدعاته(٤).

والتجريد، سلب الإلهية من جميع المبدغات، وإثباتها للمبدع تعالى(٥).

وفرائض الدين، عندهم، هي: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد. .

والولاية رأس هذه الفرائض. والمقصود بها ولاية الوحي والأئمة من بعده. والولاية هي الحد الفاصل بين الإلحاد والنجاة الأبدية. فمن دخل الشريعة، دخل في خط الاستواء، ثم إذا زاغ عن مراتب الوصاية والإمامة واعتقادهما والتدين بهما ألحد. لذلك كانت ولاية الوصي والأئمة الباب والمدخل إلى تحقيق الشريعة، المؤدي إلى النجاة الأبدية(٦).

ومن أثبت ولاية الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ، أثبت حقيقة العلم

---

(١) أربع كتب حقانية، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ص ٧٩.
(٢) منتخبات اسماعيلية ص ١٥٧.
(٣) علي بن حنظلة ـ رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم ص ٨٠.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المجالس المؤيدية ـ المجلس ٦٧ من المائة الخامسة.

الباطن، ومن أنكر ولايتهم أنكر العلم الباطن[١].

ويقول الإسماعيليون بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. ويعتقدون أن أسرار الشرائع وبواطنها وقف على الأئمة وحدهم، لا يمكن معرفتها إلا عن طريقهم أو عن طريق أنصارهم من الدعاة. وتعتبر الإمامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية والفلسفة الإسماعيلية. وهم يرون أن من نصب إماماً غير إمام زمانه أو عظمه أو أخذ عنه أو استفاد منه فقد اتخذ عجلاً كما اتخذ قوم موسى، وإقامة دون أولياء الله عليهم ولياً[٢].

ويرون أيضاً، إن من اعتصم بإمام الزمان نجا. ومن تخلف عنه ضل وغوى[٣].

ولهذا فهم يوصون أتباعهم، ويطلقون عليهم، اسم المؤمنين، بطاعة إمامهم والدخول من بابه، ومعرفة حدوده والترقي في أسبابه، وقبول مواعظه والتأدب بآدابه[٤].

فهم يلتقون في هذه النقطة، مع العلويين[٥]..

وولاية آل البيت عليهم السلام، عماد الفكر الشيعي. روى الكشي حديثاً مرفوعاً إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: ولاية أهل البيت عليهم السلام أفضل من الصلاة والصوم والحج وبقية أركان الإسلام كما في صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن[٦].

(١) منتخبات اسماعيلية ص ٢٢.
(٢) المجالس المستنصرية ـ المجلس ٢٩، ص ١٢٩.
(٣) المرجع السابق، المجلس ٢٥ ص ١١٥.
(٤) المرجع السابق، المجلس ٣١ ص ١٣٥.
(٥) هاشم عثمان ـ هل العلويون شيعة؟!.
(٦) محمد الغروي ـ الحكم والأمثال المستخرجة من كلمات الإمام الرضا(ع)، ص ٢١١.

وأيضاً: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان[1].

ولكل إمام من الأئمة، عندهم، رمزه الديني، ودلالته الخاصة، وممثوله.

- **علي زين العابدين** عليه السلام هو في الأتماء ثالث ممثوله العقلة في الروحانية، مقابل إبراهيم عليه السلام فقام بالستر والتقية.

- **محمد الباقر** عليه السلام رابع الأتماء، مثل المضغة في الروحانية مقابل لموسى كليم الله، ومقابل للشمس في الفلك الرابع، وما لها من القوة الطبيعية في إمداد المنبعثات من الأمهات والمولودات.

- **الإمام جعفر الصادق** عليه السلام هو خامس الاتماء ممثول العظام في الروحانية، ومقابل لعيسى روح الله.

- **الإمام اسماعيل بن جعفر** عليه السلام وهو سادس الأتماء ممثول اللحم في الروحانية، مقابل لجده نبي الهدى صلى الله عليه وآله وسلم سادس النطقاء وخاتم الأنبياء. وهو في رتبة القائم السابع من النطقاء.

- **محمد بن إسماعيل** عليه السلام هو سابع الأتماء وقائمهم، مقابل لجده علي أمير المؤمنين عليه السلام تمام الدور الروحاني، والخلف الآخر الذي هو نفس الشرع، وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الروحاني، ومنه ابتداء الدور الثاني.

- **عبد الله الرضي** عليه السلام هو أول الثلاثة الأتمّة المستورين بأمر الله ووحيه. وهو كالسلالة مقابل لآدم عليه السلام في الدور أول النطقاء، وهو أول الخلفاء لكون الحسن بن **علي** عليه السلام أول الأتماء، فكتم نفسه، وستر حجبه وحدوده.

- **أحمد التقي**، هو الثاني من الخلفاء ممثول النطفة في دورهم، مقابل النور لثالث النطقاء ولجده الحسين بن علي عليه السلام ثاني الأتماء.

- **الحسين بن أحمد المقتدي الهادي**، وهو الثالث من الخلفاء ممثول

---

(١) المرجع السابق.

العقلة في الدور، مقابل لإبراهيم الخليل في النطقاء، ولزين العابدين في الأتماء.

- **المهدي بالله** عليه السلام رابع الخلفاء ممثول المضغة في الدور مقابل لجده الباقر عليه السلام ولموسى كليم الله، ويقابل من الخلقة الشمس الرابعة من الأفلاك.

- **القائم محمد أبو القاسم.** ممثول العظام، مقابل لجده الصادق خاتم الأتماء، وللمسيح عيسى بن مريم عليه السلام روح الله.. كان أصل النور، وثاني لأئمة الظهور، مقابل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيما قام به بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

- **المنصور بالله إسماعيل بن محمد** ممثول اللحم مقابل لجده إسماعيل ابن جعفر الصادق سادس الأتماء، ولجده محمد صلى الله عليه وآله وسلم سادس النطقاء.

- **المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل.** مقابل لجده محمد ابن إسماعيل قائم الاتماء، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائم النطقاء، وهو سابع الخلفاء، سابع أسبوعين ورابع أربعة.

- **العزيز بالله نزار بن معد،** وهو الأسبوع الثالث المكنى عنه بالدور النوراني أول الأشهاد ممثول السلالة مقابل لجده عبد الله بن محمد بن إسماعيل أول الخلفاء، وللحسن بن علي أول الأتماء، ولآدم أول النطقاء.

- **المنصور بن نزار** الحاكم بأمر الله، وهو الثاني من الأشهاد ممثول النطفة في الدور الثالث الروحاني، مقابل للثاني من المستورين، ثاني الخلفاء وللحسين بن علي ثاني الاتماء، ولنوح ثاني النطقاء.

- **الإمام الظاهر لإعزاز دين الله علي بن المنصور،** وهو ثالث الأشهاد، ممثول العلقة ومقابل للثالث من المستورين، ثالث الخلفاء، ولعلي بن الحسين زين العابدين ثالث الأتماء، ولإبراهيم الخليل ثالث النطقاء.

- **المستنصر بالله معد** بن علي، وهو في دور الأشهاد ممثول المضغة، مقابل لجده الإمام المهدي بالله عليه السلام، لظهور وسطوع نور رابع الخلفاء، وللباقر رابع الأتماء، ولموسى رابع النطقاء.

ـ **المستعلي بالله أحمد بن معد**، وهو خامس الأشهاد، ممثول العظام، مقابل لجده محمد القائم بالله خامس الخلفاء، ولجده الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام خامس الأتماء، ولروح الله عيسى خامس النطقاء.

ـ **الإمام المنصور أبو علي الآمر بأحكام الله**، وهو سادس الأشهاد، ممثول اللحم، خاتم الدور الثالث، مقابل لجده المنصور سادس الخلفاء، ولإسماعيل ابن جعفر الصادق سادس الأتماء، ولجده محمد بن عبدالله سادس النطقاء[1].

الخ...

الخ...

والعلوم بنظرهم ثلاثة أنواع:

ـ نوع المراد به باطنه وظاهره.

ـ ونوع المراد به باطنه دون ظاهره.

ـ ونوع المراد به ظاهره دون باطنه.

المراد به ظاهره وباطنه، وهو سائر العبادات لا يغني العمل بظاهرها دون باطنها، ولا باطنها دون ظاهرها، وكذلك تجنب الآثام.

والمراد به باطنه دون ظاهره، قصص الأنبياء الماضين.

والمراد به ظاهره دون باطنه، الأشربة والبياعات والديون والمعاملات والطلاق والمناكحات[2].

والباطن، بنظرهم، دين الله الذي دان به أولياء الله، والظاهر شرائع الدين وأمثالها[3] والظاهر والباطن كالروح والجسد. إذا اجتمعا انقدحت الفوائد، وعرفت المقاصد، وأدركت النفس بتوسط الحواس ما في العالم من البدائع[4].

---

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي ـ كتاب زهر المعاني ص ١٨٦ وما بعدها.
(٢) المجالس المستنصرية ـ المجلس الثامن عشر ص ٨٨.
(٣) جعفر بن منصور اليمن ـ كتاب العالم والغلام ص ٢٥.
(٤) المجالس المستنصرية ـ المجلس الأول ص ٢٧.

ولا قوام للباطن إلا بالظاهر.

وكل ما ورد ذكره مما في القيامة من الصراط والميزان والحساب والجنة وأنهارها وأفنان ثمارها والنار وشرارها، وما ورد في المذهب الطاهر الشريف من أمثال ذلك الموجودة في الدنيا هو ظاهره والموعود به في الآخرة هو باطنه الذي يفضي إليه الأمر. لأن الظاهر هو المرئي والباطن هو الخفي[1].

أخذ الإسماعيلية بالباطن والظاهر معاً، ينفي عنهم تهمة «الباطنية» التي اتهمهم بها المؤرخون القدماء.

ومن النظريات التي أخذ بها الإسماعيلية، نظرية المثل والممثول.

فالظاهر هو المثل، والباطن هوالممثول.

ولكل مثل ممثول.

فالظاهر من السموات السبع، أمثال، وباطنها النطقاء السبعة، أولو العزم من الرسل. والأرضون السبعة ظاهرها أمثال، وباطنها الأئمة الهداة. فلكل ناطق منهم ١٢ برجاً، كذلك لكل من الأئمة الهداة ١٢ حجة. ومثلها من الأرض ١٢ جزيرة في كل جزيرة حجة. ولكل حجة دعاة[2] والله تبارك وتعالى لم يخلق شيئاً من أشياء الدنيا لا ذبة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه، ولا رطباً، ولا يابساً، وجميع الأشياء ما كبر منها وما صغر، إلا وهو مثل مضروب.

ولكل شيء منها مقابله من الأزواج الباطنة.

فالسماء التي حوت على جميع الأشياء، مثلها مثل الإمام الناطق الذي حوى على جميع أحكام الشريعة لسعة علمه.

ومثل البروج الاثني عشر وسائر نجومها، مثل الاثني عشر نقيباً الإمام الناطق، ونجومها دعاتها. ومثل الأرض وسعتها، مثل لباب الإمام الناطق وهو مثابة للناس وعالم بالأمثال والتأويل الباطن.

---

(١) المرجع السابق ـ المجلس السادس ص ٤٦.

(٢) جعفر بن منصور اليمن ـ كتاب العالم والغلام ص ٢٥.

ومثل اثني عشر جزيرة في الأرض، أمثال الحجج الاثني عشر حجج الأوصياء.

ومثل أنهار الأرض وعيونها، أمثال الدعاة.

ومثل أملاك السموات وأفلاكها، أسباب بين الله وبين النطقاء.

ومثل البحار السبعة، هي أسباب بين الله وبين أئمة الناطق.

ومثل الماء المالح والعذب واختلافهما، فالماء المالح مثل علم الظاهر والماء العذب مثل علم الباطن(١).

وكذلك، فإن الأحداث التي توجب الطهارات أولها في الباطن أمثال يجب التطهر منها بالعلم، كما وجب التطهر في الظاهر من هذه بالماء.

فمثل الغائط، مثل الكفر، والذي يطهر منه من العلم الإيمان بالله جل ذكره.

ومثل البول، مثل الشرك والذي يطهر منه من العلم توحيد الله عز وجل ونفي الأضداد والأشباه والشركاء عنه سبحانه.

ومثل الريح يخرج من الدبر، مثل النفاق والذي يطهر منه من العلم التوبة.

ومثل النوم، مثل الغفلة.

ومثل المذي الخارج من القبل، مثل الشك. الطهارة منه من العلم بما يوجب اليقين.

وأما الجماع الذي يوجب الغسل فمثل الجماع في الباطن مثل اجتماع المؤمن المستفيد مع من يفيده العلم والحكمة وسماعه منه(٢).

وللإسماعيلية، فيما يتعلق بالوجود ومراحل تكون الإنسان ونشوئه، فلسفة خاصة تقوم على العدد /٧/ المعظم عندهم.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨.

(٢) القاضي النعمان ـ تأويل دعائم الإسلام، المجلس السادس من الجزء الأول.

فالأبنية التي بني عليها الإسلام سبعة. لأن اسم الله تعالى سبعة أحرف تتفرع منها أربعة عشرة جمعت المتابيع الثلاثة أيضاً.

وإن أول القرآن «بسم الله الرحمن الرحيم» فـ (بسم الله): سبعة أحرف يتفرع منها إثنا عشر، ويتلوها إثنا عشر حرفاً هي حروف (الرحمن الرحيم).

فالسبعة التي هي «بسم الله» تدل على النطقاء السبعة، ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيباً التي هي «الرحمن الرحيم» فتصبح تسعة عشر، فدل ذلك على أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة، واثنا عشر حجة فذلك تسعة عشر.

(وأول السور هي سورة الحمد وهي سبع آيات) أمثال لمراتب الدين السبع. فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله، كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله تعالى[1].

وعدد سور القرآن الكريم /١١٤/ سورة وإذا قسم هذا العدد على تسع عشر وهي مجموع العجمات الخمس والأحرف الأربعة عشر وهي عدد أحرف «بسم الله الرحمن الرحيم» والتي تدل على الأئمة المتمين والحجج الاثني عشر، نتج عنها ستة فهي تدل على الأوقات الستة بين كل ناطقين ومقاماتهم. فالوقت بين محمد ﷺ والمهدي عليه السلام هو الوقت السادس، ومحمد ﷺ هو الناطق السادس، والقرآن الكريم نزل علْيه، فدل عدد السور في الأوقات الستة بين النطقاء السبعة على الأئمة السبعة والحجج الاثني عشر. وفي سور القرآن دلالة أيضاً أن بين كل ناطق وناطق سبعة أئمة متمين[2].

وكذلك القرآن أول السور دلالة على محمد لأنه الناطق بها، ثم بعدها سبع سور، بعد السبع ذكر محمد ﷺ كذلك بعد كل سبع إلى آخر القرآن، فالسبعة من السور تدل بعددها على تمام السبعة المتمين بين الناطقين، ويدل ما فيها على سابع النطقاء الذي يأتي بفرض من الله سبحانه وأمر حادث، ففي كل

(١) السجستاني ـ معارف النجاة ص ٦٦.
(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

سبع من السور التي فيها ذكر فرض أم حادث يدل على الناطق الذي بعد محمد ﷺ فيها دلالتان، ولذكر محمد صلى الله عليه وآله ودلالة على مقامه، ومقام من قبله من النطقاء، وعلى الناطق الذي من بعده من ولده، والسبعة الأئمة من ولده أيضاً، كما الأئمة فيما بين النطقاء الذين من قبله، والقرآن كتابه الذي نطق به، وبه دعا إلى نفسه وإلى من قبله وبعده، فصارت الدلالة في العدد ترجع إليه(١).

الخ..

والدنيا نصبت على سبعة أشياء تفرعت من أصول مسبقة: سماء، وأرض، وظلمة، ونور، ومراكب، ونعم، وبؤس، فتلك سبع خصال تفرع من كل خصلة منها سبع خصال، فالسموات سبع، والأرضون سبع، والنور سبعة، يوم تدور على سبع ليال، والظلمة سبع ليال، والمراكب سبعة: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، والفيلة، والبقر، والسفن.

ونعم الدنيا مركبة على سبعة الهواء، والماء، والنور، والظلمة، والطعام، واللباس، والنكاح. وأضدادها من البؤس سبعة: الحر، والبرد، والجوع، والعطش، والخوف، والمرض، والموت(٢).

والإنسان ينقل إلى الكمال في سبعة أحوال، كما قال الله تعالى **﴿وقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** فهذا كماله من جهة الخلقة الطبيعية. فأما كماله من جهة الخلقة الدينية النفسانية فالسلالة مثلها مثل آدم، والنطفة مثلها مثل نوح، والمضغة مثلها مثل موسى، والعلقة مثلها مثل عيسى، واللحم مثله مثل محمد ﷺ وعنده كمال الخلقة وتمام الصورة، والخلق الآخر الذي هو السابع خارج من القبيل لكونه قائماً بأمر الله تعالى(٣).

---

(١) المرجع السابق.
(٢) جعفر بن منصور اليمن ـ كتاب العالم والغلام ص ٢٥.
(٣) المجالس المؤيدية ـ المجلس ٥٨ من المائة الثانية.

الأخذ بالعدد /٧/ هو سبب تسميتهم بالسبعية. لكنهم يقولون: إن التسبيع هو نعت أصل من جملة أصول كثيرة، وخصومهم تركوا وسمهم بها، واقتصروا على واحد من جملتها، وذلك أن الديانة مبناها توحيد الواحد الأحد الصمد سبحانه، والطريق إلى معرفة التوحيد معرفة ازدواج الأشياء. قال الله تعالى ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها**﴾ وقال رسول الله ﷺ: «خلق الله الأشياء مزدوجة لتكون دلالة على وحدانيته» فهذا أصل تاه فيه الثنوية، والثلاثة أصل تاه فيه النصارى، والأربعة التي هي مقابلة الأركان الأربعة أصل والخمسة التي هي بمقابلة الحواس الخمس أصل، والستة التي هي بمقابلة الأيام الستة فيها خلق الله السموات والأرض أصل، والسبعة أصل، والثمانية أصل التي هي بمقابلة أبواب الجنة الثمانية، وحملة العرش أصل، والتسعة التي هي بمقابلة الآيات التسع أصل، والعشرة التي هي بمقابلة ليال عشر وغير ذلك أصل، وأحد عشر التي هي بمقابلة تكبيرات الصلاة كل ركعتين أصل، واثنتي عشرة التي هي بمقابلة اثني عشر نقيباً أصل، وسبع عشرة التي هي بمقابلة الصلاة أصل، وتسعة عشر التي هي بمقابلة خزنة النار أصل، والأصول غير ذلك كثيرة فلا وجه للتخصيص بالسبعة، والغرض التشنيع والمرء عدو ما جهل...[١].

... والحديث عن عقائد الإسماعيلية، ذو حلة بالحديث عن الانبعاث. ولدينا حول هذا الموضوع، أكثر من وجهة نظر، ورأي، نستعرضها فيما يلي:

ـ إن الله سبحانه أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان، كإشراق نور الشمس عند طلوعها دفعة واحدة، لا شرف لأيهم على غيره، بل الكل في الكمال الأول متساوون. فكان من واحد منهم أنه فكر من ذاته بذاته وعلم أن له ولجميع ما معه من أبناء جنسه مبدعاً وخالقاً ليس هو كهم، فنفى حينئذ عن نفسه الإلهية، وأقر لمبدعه بالوحدانية، وهو قوله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو**﴾ فكان هو الشاهد بالغيب سبحانه فلم يسم ولم يكن بل قال: إلا هو، لقلة إحاطته بمبدعه وقصوره عن ذلك. فكان فعله أصل التوحيد وأس التنزيه والتجريد. فلما حصل له هذا

(١) المجالس المؤيدية ـ المجلس ٢٣ من المائة الأولى.

القصور واختص به من بين أصحابه ونظرائه شرف بذلك عليهم، واحتجب عنهم، واتصلت به المادة والتأييد من الغيب سبحانه وصار حجاباً له فسمي سابقاً بسبقه لأبناء جنسه، وحقاً، وإبداعاً، وحداً واحداً أزلياً. وترادفت عليه الأسماء المذكورة في القرآن، فبذلك قيل ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو**﴾.

فلما احتجب عن أبناء جنسه فكر اثنان من جملة الباقين، ومنهما ما اتصل به من دونهم، وهو الانبعاث، فسبحاه وقدساه وتوسلا به، له الغيب سبحانه، فكان الأول منهما قائماً بالقوة والفعل والثاني قائماً بالقوة لأنه نقص عن نيل رتبة الأول، وهذا حد القول فيه عن الثاني، فهذا انبعاثه من الأول. فلما سبق الأول منهما الثاني صار الأول بسبقه حجاباً للمبدع الأول، ودعا به عالم الأمر فأجابه منهم سبعة عقول، وترتب كل منهم على سبعته. وكان انبعاث السبعة العقول واحداً عن واحد، وذلك بالتصور الحاصل له من السابق عليه. مثال ذلك: إن الأساس انبعث عن النبي بما حصل له من العلم والتصور والمعرفة. وكذلك الإمام انبعث عن الوصي بما حصل له منه أيضاً. والباب انبعث عن الإمام بما حصل له عنده منه، وكذلك المأذون، ثم المؤمن..[١].

ـ المبدع تعالى أبدع العقل الأول المسمى بالقلم والسابق والمبدع والموجود الأول. والعقل الأول ذو نسبتين نسبة إلى ما منه وجوده، وهو بهذه النسبة عقل.

ونسبة إلى ذاته، وهو بهذه النسبة معقول.

فكان عن هاتين النسبتين شيئان أحدهما عقل قائم بالفعل، هو المسمى بالانبعاث الأول. والآخر قائم بالقوة، وهو المسمى بالهيولى والصورة، وهو الكائن أصلاً لعالم الجسم. ثم كان عن العقل الأول، والانبعاث الأول، سبعة عقول قائمة بالفعل، وجود كل واحد منهم عن الآخر، لا فرق بينهم إلا برتبة السبق في الانبعاث. ثم إن العقل الأول، والانبعاث الأول، والعقول السبعة المجردة، لما نظروا إلى العقل القائم بالقوة وقصوره عن لحاق مراتبهم، عطفوا

(١) هاشم بن ابراهيم الحامدي ـ رسالة زهر بذر الحقائق، من منتخبات اسماعيلية ص ١٦١.

بفضلهم وشرفهم وتحننهم عليه بأنوارهم، ليخرجوه من القوة إلى الفعل، إذ من شأن الفاضل العطف على المفضول، ومن سيما السابق إلى الخير التحنن على المسبوق، فسرت إليه موادهم وبركاتهم، فجعلوا منه ما هو فاعل كالأفلاك والكواكب التي هي الآباء. وما هو منفعل كالأركان التي هي الأمهات، وكانت النتيجة بين الآباء والأمهات المواليد. وكان آخر المواليد وزبدتها، وصفوتها، وخلاصتها، هو الشخص البشري المأمور المنهي المخاطب من العقول البرية بالوسائط من الصفوة البشرية، الممدة بالمواد الملكوتية التي لأجلها خلقت السماء والأرض[1].

ـ الانبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذي هو العقل الأول. وقد ينبعث من العقول التي في دار الطبيعة وتخرج إلى الفعل وتنال كمالها الثاني بزمان ما يجري هذا المجرى: وذلك أن أنفس النطقاء التي صارت عقولاً محضة، لا تزال في بدء أمرها تصطاد المعارف من خارجها بالحواس، وتقتنيها حتى تستغني بما يشيع فيها من أنوار عالم القدس، فتصير النفس خادمة لها بقوتها واتصالها بينابيع الضياء والنور ونظرها بما تصورته إلى ذاتها، بأن تريها قدرتها وقوتها، فتؤدي ما تحققت في ذاتها، وتزايدت قوى النفس في تصورها إلى خارجها فتجعل القوة المشتركة التي هي المتخيلة متشكلة بصورته. والقوة المتخيلة تدفع إلى خارجها بتزايد من القوة الذات المفكرة، كما كانت تتسلم الصور من خارجها فتؤديها إليها فيتشكل الهواء عن القوة المتخيلة، كما كانت تتشكل عن الهواء، فيقوم للحاسة مثالاً قائم تراه فتكون تلك الصورة الماثلة انبعاثاً عن النفس التي ارتقت إلى درجة العقول، ونالت كمالها الثاني ووجودها. ويجري هذا الاصطياد إلى داخل تصويراً للنفس، والانبعاث عن داخل إلى خارج تحقيقاً للحس من عقول النطقاء[2].

ولما كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول مختصاً باسم الإبداع،

---

(١) سيدنا علي بن محمد الوليد ـ رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول عن منتخبات اسماعيلية ص ٩٧.

(٢) أحمد حميد الدين الكرماني ـ راحة العقل ص ٩٩.

اختص الموجود الثاني التالي له في الوجود الذي هو العقل الثاني باسم الانبعاث الأول.

ولما كان وجود العقل الأول، الذي هو المبدع الأول، عن المتعالي سبحانه وتعالى، إبداعاً، وكان عقلاً بإبداع الله تعالى إياه كذلك. فكان من جهة كونه عقلاً فرداً منتسباً إلى المتعالي سبحانه، ومن جهة كونه معقولاً زوجاً منتسباً إلى ذاته، وكان علة لوجود الموجودات وكان من الكمال والتمام على النهاية التي يستغني بها عن الغير في إصدار الفعل إلى الوجود، وكان ملاحظاً لذاته بذاته، ومحيطاً بها بذاته، ومغتبطاً بجميع أحواله في ذاته، لزم وجود شيئين عنه بحسب ما عليه ذاته من النسبتين أحدهما أشرف من الآخر. كان الموجود عن النسبة الأشرف قائماً بالفعل عقلاً فرداً محضاً في نوعيته صورة مجردة، وهو أول بالانبعاث وكان الموجود عن النسبة الأُخرى دون ذلك منزلة عقلاً قائماً بالقوة يسمى الهيولى والصورة، مزدوجاً في ذاته كالنسبة التي عنها وجد. يصحح ذلك ما ينطق به الموجود في السنن الإلهية، إن الناطق في عالم الدين لما كان مثلاً للعقل الأول في دار الإبداع، كان كونه علة لوجود العقول الطبيعية، موجباً أن الإبداع الذي هو المبدع الأول والعقل الأول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس. وكونه من الكمال على النهاية التي يستغني بها عن أمثاله من البشر، موجباً أن العقل الأول في الكمال على النهاية التي استغنى بها عن غيره في إقامة الحكمة. وكونه ذا نسبتين: نسبة إلى عالم القدس، ونسبة إلى عالم الطبيعة ـ الناطق ـ وكون الموجود عنه اثنين بحسب النسبتين أحدهما وهو الأشرف وهو الوصي الذي أقامه مقامه، وثانيهما الكتاب والشريعة وقرن بينهما.

فوجود الوصي والكتاب المقترن بالشريعة عنه ينطق بأن الموجود عن العقل الأول اثنان، وأن أحدهما أشرف من الآخر، وأن الأشرف عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته وهو الهيولى، والصورة اللتان هما مزدوجتان مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتاباً وشريعة.

وكما أن الوصي أول الأئمة في عالم الشرع والدين، فالمنبعث أول

العقول المنبعثة في عالم القدس. فالمنبعث هو عقل قائم بالفعل مثل ما عنده وجده. وكماله بكونه ثانياً في الوجود، كالوصي الذي مرتبته دون مرتبة الناطق.

والوصي الذي هو ثاني الناطق لا يجوز أن يكون خالياً من معرفة مرتبة الناطق الذي هو السابق عليه في الوجود في عالم الدين، ولا أن يكون عاطلاً من جمال الإقرار بها، والإحاطة بمرتبة نفسه التي هو فيها.

وإذا كان لازماً للمتأخر معرفة ما سبق عليه في الوجود لتعلق وجوده به، كان السابق في الوجود غير لازم له أن يعقل عنه.. ولذلك لا يلزم الناطق أن يعرف الدعاة والمأذونين، ولا المنصوبين في الجزائر ولا الأئمة المقدسين، وإنما يلزم الدعاة والمأذونين والحجج والأئمة المنصوبين معرفة الناطق ومرتبته والإقرار بمكانه ومعرفة الأوصياء والأئمة ووجوب طاعتهم على الخلق.

وإن المبدع الأول لما كان في ذاته عقلاً ومعقولاً. كان بهذين الأمرين على نسبتين إحداهما عن نسبة كونه عقلاً، وهو الانبعاث الأول المعرب عنه في السنة الإلهية بالقلم. والثانية عن نسبة كونه معقولاً وهو الانبعاث الثاني الأول المعرب عنه في السنة الإلهية باللوح التي تعرف بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة.

والهيولى أصل لوجود السموات والكواكب والطبائع ومواليدها وإنها تجري من العقول البرية مجرى المادة تعمل فيها وتوجد منها الأجسام المصورة المحسوسة.

والهيولى الموجودة عن المبدع وإن كانت ذات صورة، فهي محتاجة إلى تأثير العقول المنبعثة فيها لتصير بسطوع أنوارها فيها قائمة بصورتها فاعلة في غيرها(١).

وعندهم أن الخلقة الكلية الجسمانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عالم الأفلاك والكواكب.

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٩.

القسم الثاني: عالم الأمهات الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض.

القسم الثالث: المواليد وهي المعادن والنبات والحيوان.

ولما كانت الخلقة الإنسانية، محيطاً بعضها ببعض، منتظماً في بعض أفق بعض، كانت المملكة النفسانية الدينية مرتبة على هذا الترتيب ليصح مقابل الدين بالخلق. وكان المحيط والأفلاك مثلاً على مرتبة الناطق المحيط بجميع مراتب حدود الدين إحاطة المحيط بالأفلاك.

ثم لما كان في ضمن المحيط فلك البروج المحتوي على جميع النجوم وهي فيه مقسومة اثني عشر قسماً. كل قسم منها برج. كان ذلك مثلاً على مرتبة الوصي الكائنة جميع الحدود صغيرها وكبيرها في ضمنه. ومنشؤها في دعوته الباطنة والتأويلية، وهو جامع بحجج الجزائر الاثني عشر المستولي كل واحد منهم على من في جزيرته من الحدود والمؤمنين كجميع فلك للبروج الاثني عشر. وكل برج منه يستولي على عدة من النجوم.

وكان في ضمن فلك البروج فلك زحل، وهو مثل على مرتبة الإمام القائم بعد الوصي والنبي.

وكان في ضمن فلك زحل فلك المشتري، وهو مثل على مرتبة الباب، القائم بين يدي الإمام لفصل الخطاب المكنى عنه بالحجاب.

وكان في ضمن فلك المشتري، فلك المريخ، وهو مثل مرتبة الحجة.

وكان في ضمن فلك المريخ، فلك الشمس، وهو مثل على مرتبة داعي البلاغ القائم عن أمر الحجة في أهل دعوته بالإبلاغ.

وكان في ضمن فلك الشمس، فلك الزهرة، وهو مثل على مرتبة داعي المطلق وهو الذي قام بإبلاغ أمر داعي البلاغ وحقق.

وكان في ضمن فلك الزهرة، فلك عطارد وهو مثل على مرتبة داعي الإحرام المنفذ لما يأمر به داعي المطلق من القضايا والأحكام.

وكان في ضمن فلك عطارد، فلك القمر وهو مثل على مرتبة المأذون المطلق، في نشر ما علم من علم داعي الإحرام وحقق.

وكان في ضمن فلك القمر الطبيعية السارية في عالم الكون والفساد، وهي مثل على مرتبة المكاسر المقام في أهل الظاهر بالجهاد[1].

ولما كان المبدع سبباً أول وعلة لوجود الفيوض جملة، عمدت العناية الإلهية فجعلتها أبعاضاً عشرة، تلقاء أبعاض عشرة من الأجسام العالية من الأفلاك الراتبة والكواكب الثاقبة والجسم المستحيل الذين دون الأفلاك ليكون بقبول كل بعض منها ما يليق به من البركة الفائضة حصول البركة لها كلها.

لذلك جعلت مراتب عشراً لحدود عشرة على النظام.

والمراتب العشر مقسمة إلى /٣/ كلية، و/٧/ تابعة.

المراتب الكلية هي:

ـ **الرسالة** التي هي إفاضة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة، التي هي أشياء كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود، وتنال الكمال الأول.

ـ **الوصاية** التي هي قبول البركة بكليتها، والقيام بها بجميع التنزيل، وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة، بها تتصور الأنفس بالصورة الأبدية، وتنال كمالها الثاني.

ـ **الإمامة** التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً، وجذب الأنفس إلى الوجود، وبذلك سماهم الله تعالى «أُولي الأمر».

والمراتب التابعة هي:

ـ فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب.

---

(١) سيدنا علي بن محمد الوليد ـ رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول عن منتخبات اسماعيلية ص ١١١.

ـ الحكم في ترتيب المراتب، وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق، وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة.

ـ الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية، ومراتبها في وجود ذواتها، وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعي البلاغ.

ـ تعليم العبادة العلمية ونشر التأويل، وتعريف الحدود العلوية الذي يتعلق بالداعي المطلق.

ـ تعليم مراسم العبادة العلمية، وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً، الذي يتعلق بالداعي المحصور.

ـ أخذ العهد والميثاق، وتعريف رسوم الدين، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق.

ـ المكاسرة والهداية إلى الحق، والاعتصام بالحبل الذي يتعلق بالمأذون المحصور.

وإن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها، ثم لا تنعكس كالناطق الذي يملك ما دونه من المراتب(١).

ومن معتقداتهم، أن كل شريعة تنسخ ما قبلها. ومعنى النسخ عندهم هو أن الإمام الأول يأتي بشرعة الموضوع رمزاً خفياً، وظاهراً جلياً، فيقدم الناطق الثاني بإظهار تلك الرموز برموز ثانية، وفي شريعة أظهر من تلك المقدمة عليه، وهي رموز ظاهرة أيضاً خلفها لمن يأتي بعده، وهو وأساسه يعلمون خاصتهم تأويل شريعة الناطق السابق عليهم.

ومن عقائدهم أيضاً نظرية الدور. وتتلخص هذه النظرية في أن الحياة تتجدد وهي مقسمة إلى فترات ست وعلى رأس كل فترة نبي، وبين كل نبي وآخر أئمة يخلفون النبي في شؤون دينهم وأسماء النطقاء وأوصيائهم والأئمة

---

(١) أحمد حميد الدين الكرماني ـ راحة العقل ص ١٣٤، وأيضاً الداعي إدريس عماد الدين القرشي ـ كتاب زهر المعاني ص ٢٨٢.

المتممين في أدوارهم، هم:

أول دور الستر من النطقاء آدم ومقيمه هنيد ووصيه هابيل وبعده شيث.

وأئمة دوره الستة (أنوش ومنينان ومهدئيل ويارد واخنوخ ومتوشلخ والسابع بعده ملك بن متوشلخ).

والثاني نوح ومقيمه هو ووصيه سام

وأئمة دوره الستة (أرفخشد وسالخ وعايد وفالغ وأرعوا وساروع)

والثالث ابراهيم ومقيمه صالح (وقيل هو تارخ بعينه) ووصيه إسماعيل.

وأئمة دوره الستة المستودعون الظاهرون حجب أمناء الله المستقرين (إسحٰق ويعقوب ويوسف ولاوي ويهودا وأيوب)

والرابع موسى ومقيمه اد ووصيه هارون وبعده يوشع بن نون

وأئمة دوره الستة (فيخاص واليسع وشعيا وأرميا وحزقيل وعزير)

الخامس عيسى ومقيمه خزيمة ووصيه شمعون بن بونا

وأئمة دوره الستة (عبد المسيح ويحيى وداود وسليمان ومروة وجرجيس وهو بحيرا الراهب)

والسادس محمد رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب[(١)].

واعتنقوا العمل بالتأويل الباطن دون الظاهر.

تأويل آيات القرآن، مثل لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني لا إمام ولا حجة إلا بالله، ومن الله نورهم ومدرهم، والعصبة أولو القوة هم الحجج الاثنى عشر نقيباً.

وكذلك قال يوسف لأبيه ﴿**يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾ يعني بالشمس الإمام، والقمر حجته وبابه،

---

(١) كتاب الأزهار ومجمع الأنوار عن منتخبات اسماعيلية ص ٢٠٥.

والكواكب تمام الاثني عشر نقيباً[1].

وكذلك **﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات﴾** يوسف/ ٤٣.

أما الرؤيا فهي مثل ما يكون في الظاهر من عمل يعمل، فهي كالسراب للذي إذا جاءه لم يجد شيئاً ولو كثر، كذلك عمل الظاهر بلا باطن لا يقبل منه شيء ولو كثر كذلك الرؤيا في المنام لا يحصل مما يرى شيء ولو كثر، وقال الملك إني أرى في رواية العامة سبعة أشياء دائرة على سبع، فأما السبع بقرات السمان فهي أسباب الله التي بينه وبين خلقه، وأما السبع العجاف منهم النطقاء السبعة، المضطرون بالفاقة إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي أسبابه السبعة، والسبعة السنبلات الخضر أسباب بين الله وبين الأوصياء، والسبع اليابسات هم الأوصياء المضطرون إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي هذه الأسباب السبعة.. مثلها في الأساس، أي علي بن أبي طالب عليه السلام وولده مثل حبة أنبتت سبع سنابل، يعني خرج من صلبه سبعة أئمة للهدى[2].

وعندهم، لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطني.

فالطهارة مثلها مثل نوح عليه السلام وهو أول مبعوث ومرسل من قبل الله عز وجل تطهير العباد عن المعاصي والذنوب التي اقترفوها ووقعوا فيها من بعد آدم، وهو أول ناطق من بعده وأول أُولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع، وجعل الله عز وجل آيته التي جاء بها الماء الذي جعله للطهارة وسماه طهوراً.

والصلاة مثلها مثل ابراهيم عليه السلام وهو الذي بنى البيت الحرام ونصب المقام فجعل الله عز وجل البيت قِبلة والمقام مصلى وحكى قوله عز وجل: **﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين﴾** فكان هذا القول هو افتتاح الصلاة للمصلين والزكاة مثلها مثل

---

(١) جعفر بن منصور اليمن ـ كتاب العالم والغلام ص ٣٤.
(٢) المرجع السابق.

موسى عليه السلام وهو أول من دعا إليها وأُرسل بها. قال الله تعالى ﴿**وهل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى**﴾ فكان أول ما أمره الله أن يدعو إليه أن يزكى.

والصوم مثله مثل عيسى عليه السلام وهو أول ما خاطب به أمه أن تقول لمن رأته من البشر وهو قوله الذي حكاه عز وجل عنه لها ﴿**فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أُكلم اليوم إنسياً**﴾ وكان هو كذلك عليه السلام يصوم دهره ولم يكن يأتي النساء كما لا يجوز للصائم أن يأتيهن في حال صومه.

والحج مثله مثل محمد صلى الله عليه وآله، وهو أول من أقام مناسك الحج ومن سننه. وكان الحج خاتمة الأعمال المفروضة وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين.

والجهاد هو مثل سابع الأئمة الذين يكون سابعهم أسبوعهم الأخير الذي هو صاحب القيامة(١).

والركوع في الصلاة مثل على الوصي. والسجود مثل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك كان الركوع مرة واحدة والسجود مرتين لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له حدان إذ منه يقتبس التنزيل والتأويل. والوصي له حد واحد هو التأويل(٢).

وقد فسر الإسماعيليون القرآن الكريم تفسيراً باطنياً، يتناسب مع عقيدتهم. ومن أشهر التفاسير التي وصلت إلينا [**مزاج التسنيم**] لضياء الدين اسماعيل بن هبة الله الاسماعيلي السليماني، نشر شتروطمان الأجزاء ١١ ـ ٢٠ منه وفيما يلي تفسير سورة التوبة.

وهو الجزء الأول من القسم الثالث ـ الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم.

---

(١) المجالس المستنصرية ص ١٦٠.

(٢) المرجع السابق.

سورة التوبة

وهذا ابتداء القسم الثالث المنوّر بما استوعبه من المعاني لصورة كلّ راغب باحث وهو قوله تعالى كناية عن المنافقين و﴿**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم**﴾ فذلك أنهم اعتذروا إلى حدود الناطق لمّا نصر الله المختار على يد الكرّار وأبدى المعجز لما أقدر حجبه بذلك ودوّخ المشركين حين ظهر بهم أعني حجبه بالقوّة والشدّة ثم قال تعالى مخاطباً لنبيّه ﴿**قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم**﴾ يعني لن نقبل منكم ذلك الاعتذار ﴿**قد نبّأنا الله**﴾ يعني المولى عمران ﴿**من أخباركم**﴾ يعني بما قد كان منكم في الأدوار الأوّلة من الميل إلى المشركين ثم من العناد والنفور من حجاب الكرّار ﴿**وسيرى الله عملكم ورسولُه**﴾ يعني بما يكون منكم في هذا... الفساد والإضلال ﴿**ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ يعني العين بعد انتقامكم ﴿**فينبّئكم بما كنتم تعملون**﴾ يعني من التوثب على مقام حجابه وذلك حين يكشف لكم ذلك في القُمص والأطراف والصخرة ثم قال تعالى مخاطباً... ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم**﴾ يعني عن تبكيتهم على تخلّفهم ﴿**فأعرضوا عنهم**﴾ يعني كما فعلتم ذلك سابقاً لما سألوكم ذلك ﴿**إنهم رجس**﴾ يعني لخبث عناصرهم وما قد التأم بهم من الحثالات والتصورات النازلة من العُقدتين ﴿**ومأواهم جهنّم**﴾ يعني صورة عبد اللات التي جُعلت مغناطيساً للأشرار ﴿**جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ يعني من العصيان للحجاب والمحتجب ﴿**يحلفون لكم**﴾ يعني للحجاب النبويّ ﴿**لترضوا عنهم**﴾ يعني لكي تميل إليهم القلوب فيتمّ لهم ما دبّروا من الفساد ﴿**فإنْ ترضوا عنهم**﴾ يعني ذلك الحجاب ﴿**فإنّ الله**﴾ يعني المحتجب به وهو

الميم ﴿لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يعني الذين كانت أصولهم فاسقة ثم قال تعالى ﴿الأعراب أشدّ كفراً﴾ فالأعراب هم الذين في حال المحارات أعرضوا عمّا اعرض عليهم من سموّ مقام الكرّار فصاروا بذلك أشرّ أقسام أهل الإصرار ﴿ونفاقاً﴾ يعني على الرسول لما تظاهروا بالإسلام ليتمّ لهم ما دبّروا من الإضلال ﴿واجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ يعني المولى عمران على رسوله يعني الميم في شأن الوصيّ وما حوت دعوته ذات الأسرار وكان ذلك منهم لمّا نفروا عن أنوارها لمّا ثقلت عليهم وتكاثفت عليهم الظلمات وحالت دون ذلك ﴿والله عليم حكيم﴾ يعني بما يكون من أمرهم ثم قال تعالى ﴿ومن الأعراب﴾ يعني طائفة أخرى من المنافقين ﴿من يتّخذ ما يُنفق مغرماً﴾ يعني ما يَفُوه به من فضل الميم والعين ويفعله من الأعمال الشرعيّة إنه مغرم ليس فيه نفع ودخوله في الإسلام كان كرهاً كأبي سفيان وأمثاله وكان ذلك منه كما كان عليه في... ﴿ويتربّص بكم الدوائر﴾ يعني... فيظهر ما أسرّه من النفاق الذي انعقد في وهمه ثم قال تعالى ﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني في تدحرجهم في السلاسل والأغلال ﴿والله سميع﴾ في جميع الكرّات ﴿عليم﴾ بما أسرّوه في ضمائرهم الفاسدة ثم قال تعالى ﴿ومن الأعراب﴾ يعني ممن مال إليهم أوّلا في حال المحارات ومال عنهم آخراً وتاب ﴿من يؤمن﴾ يعني عطفاً على ما كان هنالك ﴿بالله﴾ يعني بالميم ﴿واليوم الآخر﴾ يعني العين ﴿ويتّخذ ما ينفق قُرُبات﴾ يعني من نشر فضل حجاب العين ﴿عند الله﴾ يعني عند المحتجب ﴿وصلوات الرسول﴾ يعني إشارة إلى ما واصلهم به من الهداية والتوفيق لما سبق لهم الإقرار في الأزل ﴿ألا إنها قُربة لهم﴾ يعني إلى الاعتراف بمقام الكرّار ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ يعني في الدائرة الإيمانيّة ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يعني لما سلف منهم قبل الإجابة والتوبة ثم قال تعالى: ﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار﴾ يعني بذلك أهل المراتب من أهل النسبة الأدون الذين سبقوا في الإجابة سائر أهل تلك النسبة ﴿والذين اتّبعوهم بإحسان﴾ يعني في الندم لما دعوهم سابقاً ولاحقاً ﴿رضي الله عنهم﴾ يعني الميم باحتجاب العين به وذلك أنه قبل سعيهم في الدعوتين ﴿ورضوا عنه﴾ يعني ما دعاهم إليه من الاعتراف أنه الحجاب والعلّي الكبير المحتجب ﴿وأعدّ لهم جنّات﴾ يعني

الانضمام إلى الحجج المستجنّة في الحضرة المتقدسة ﴿**تجري تحتها الأنهار**﴾ يعني موادّ العلوم بالإلهام إلى دعاة الجزائر ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ يعني في تلك المراتب في جميع الكرّات لطيب عناصرهم ﴿**ذلك الفوز العظيم**﴾ وأتى فوز أعظم من ذلك ثم قال تعالى ﴿**وممّن حولكم من الأعراب منافقون**﴾ يعني ممن دخل في الدائرة الإيمانيّة هنالك ثم نكص ﴿**ومن أهل المدينة**﴾ يعني من أهل الدائرة الإسلاميّة ﴿**مردوا على النفاق**﴾ يعني تمردوا بالزيادة في الإصرار في كرّاتهم لا سيّما في... ﴿**لا تعلمهم**﴾ يعني الحجاب النبوي بأنواع كثرة تخلّفات أوهامهم ﴿**نحن نعلمهم**﴾ يعني المحتجب به ﴿**سنعذّبهم مرّتين**﴾ يعني أجسامهم الممتزجة بنفوسهم في القمص والأطراف وتصوراتهم في الذنب والرأس ﴿**ثم يردّون إلى عذاب عظيم**﴾ يعني الصخرة ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم**﴾ يعني بميلهم إلى الأضداد ثم انتفوا عنهم ﴿**خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً**﴾ يعني إجابتهم للوليّ والجبت ﴿**عسى الله أن يتوب عليهم**﴾ يعني بعد التصفية والتطهير لفضلاتهم بما يراه المدبّر من التمحيص والامتحان بقدر ما قدّموا من إعانة الضدّ وغير ذلك من الذنوب ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ قد سبق بيانه ثم قال تعالى للرسول ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها**﴾ يعني تلك التي أوجبها الوضع من زكاة وخُمسٍ وخراجات ليحصل بها التصفية والتطهير لأجسامهم ونفوسهم وصورهم ﴿**وصلِّ عليهم**﴾ يعني وواصلهم عند قبولها منك بمواصلات الموادّ ﴿**إن صلاتك**﴾ يعني مواصلتك ﴿**سكن لهم**﴾ يعني تسكن بها ذواتهم في ضمن حدودهم وأيضاً فضلاتهم تسكن بها عن الاضطراب ﴿**والله سميع عليم**﴾ قد سبق معنى ذلك ثم قال تعالى ﴿**ألم يعلموا أن الله**﴾ يعني العين ﴿**هو يقبل التوبة عن عباده**﴾ يعني المتعبدين له بالطاعة المتنصلين من فارط ميلهم إلى الأضداد ﴿**ويأخذ الصدقات**﴾ يعني تصديقهم به بعد حصول اغترارهم بالجبت وكان ذلك في حال المحارات ثم جرى ذلك في الكرّات وابتنت الصدقات الظاهرة على تفنّن أنواعها في تلك اللحظة لما علم المدبّر أن بها تطهيرهم مما حصل من الفارط المذموم ﴿**وأن الله هو التوّاب الرحيم**﴾ وقد سبق شرحه ثم قال تعالى مخاطباً لنبيّه ﴿**وقل اعملوا**﴾ يعني مما قد ارتقم في ذواتكم من التعدي ﴿**فسيرى الله**﴾ يعني العين ﴿**عملكم**﴾ يعني من معارضة حجابه

﴿**ورسوله**﴾ يعني الميم ﴿**والمؤمنون**﴾ وهم سلمان والحدود المطلق لهم في الدعوة ﴿**وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ يعني العالم بما كان ويكون ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ يعني في تنقلكم في أبواب العذاب ﴿**وآخَرون مرجَون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم**﴾ وهم أهل التحيّر ﴿**والله عليم**﴾ يعني بما اقترفوه من الذنوب ﴿**حكيم**﴾ يعني في تدبيرهم متى شاء خلّصهم وألحقهم بآخر أقسام أهل الندم.

ثم قال تعالى ﴿**والذين اتّخذوا**﴾ وهم أشرّ أقسام أهل الإصرار ممّن يظهر في دور الستر ﴿**مسجداً**﴾ يعني بعبد اللات إمام الضلالة لما نصبوه لهم قائداً باختيارهم وذلك جارٍ منهم في أوّل كلّ دور عطفاً على ما سبق في ابتداء الدعوة الإبليسيّة ﴿**ضراراً**﴾ لكي يضاروا به أهل الندم من أهل النسبة الأدون ﴿**وكفراً**﴾ يعني بمقام حجاب العين ﴿**وتفريقاً بين المؤمنين**﴾ يعني بين أهل الدعوة الإسلاميّة ﴿**وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله**﴾ يعني مركزاً لهم يأوون إليه ﴿**من قبل**﴾ يعني من حال ابتداء تلك الدعوة الإبليسيّة ﴿**وليحلفنّ إن أردنا إلاّ الحسنى**﴾ يعني بالدعاء إلى الحجاب النبويّ ﴿**والله يشهد**﴾ يعني الميم ﴿**إنهم لكاذبون**﴾ يعني فيما يقولون سابقاً ولاحقاً وأيضاً إن هذا المسجد الذي كانوا يجتمعون فيه في وقت الرسول ويعقدون فيه الآراء الفاسدة إنه من البقاع الخبيثة التي كانوا يجتمعون بها في كلّ دور ويتّصل بها خبائث من حثالاتهم وهي تلحق بالسقيفة بالرجاسة ثم قال تعالى: ﴿**لا تقم فيه أبداً**﴾ يعني لا تومي إليه بشيء من أمور الدين وأيضاً ذلك الموضع لا تقم فيه بعبادة ظاهرة لكون الصور لا تُشرق عليه وقد أمر الناطق بإخرابه ظاهراً وباطناً ثم قال تعالى: ﴿**لمسجد أُسّس على التقوى**﴾ يعني الفاطر خليفة الميم ﴿**من أوّل يوم**﴾ يعني من ابتداء الفطرة ﴿**أحقّ أن تقوم فيه**﴾ يعني بالنصّ عليه في ذلك المقام ثم قال تعالى: ﴿**فيه رجال**﴾ يعني فيه منظَّمة مجامع ﴿**يحبّون أن يتطهروا**﴾ يعني بخدمته أوّلا ليسموا في دائرة مجمعه آخراً ﴿**والله يحبّ المطّهرين**﴾ وكذلك هذه الآية نزلت في مسجد قباء لكون فيه سرّ عظيم لما ضمنه من الذخائر المذخورة إلى بعضها من بعض من زبد الأنوار التي سلّمتها الفاء إلى الميم ومن ذخائر دعوة الله الملهمة لصورها وفيه استودع الميم بعض الصور الإيمانيّة ومنه تنبعث دعوات وجُثَث وتقع أيضاً هذه

الآية على بيت الله الحرام وهو الذي أُسِّس من أوّل يوم والتأم من الذوات الاستقراريّة والرجال الحقيقون قائمون فيه ومنبعثون منه ثم قال تعالى: ﴿**أفَمَنْ أسّس بنيانه**﴾ يعني ابتنى وهمه بالندم ﴿**على تقوى من الله ورضوان**﴾ يعني لما اعترف في حال المحارات بمقام الفاطر ﴿**خير أم من أسّس بنيانه**﴾ يعني هنالك ﴿**على شفا جرف هار**﴾ يعني الإصرار لما التزم بأس الضلالة ﴿**فانهار به**﴾ يعني ذلك الوهم الفاسد ﴿**في نار جهنّم**﴾ يعني ظاهراً وباطناً في كرّاته ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ يعني الذين نكصوا في القديم ثم قال تعالى: ﴿**لا يزال بنيانهم الذي بنوا**﴾ يعني في حال جمود مائع تصوراتهم ﴿**ريبة في قلوبهم**﴾ يعني عند ظهور فضلاتهم ﴿**إلا أن تقطّع قلوبهم**﴾ يعني يبيد سلطان ضلالهم بتمام دور الستر وتقطّعهم في أودية الصخرة ﴿**والله عليم حكيم**﴾ ثم قال تعالى: ﴿**إن الله**﴾ يعني العين ﴿**اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**﴾ يعني في حال الدعوة هنالك لما رضي ندمهم وذلك حين أحسنوا الإجابة بواسطة أسبابه لكون المشتري ما يشتري إلا ما ارتضاه وأخذ عليهم المسارعة إلى جهاد أضداد الحقّ فقبلوا ذلك ﴿**بأن لهم الجنّة**﴾ يعني الانضمام بالباب السلمانيّ ﴿**يقاتلون في سبيل الله**﴾ يعني في إقامة أمره ﴿**فيقتلون**﴾ يعني أعداء الهدى ﴿**ويُقتلون**﴾ يعني بأيدي أولائك الأعداء ﴿**وعْدا عليه حقّاً**﴾ يعني إقامة العذاب بينهم بالقصاص في الكرّات فينالون الأولياء بذلك ارتفاع الدرجات في المجامع الإلهيّة ويحصل للأعداء بذلك الانحطاط في دركات أبواب العذاب ﴿**في التوراة والإنجيل والقرآن**﴾ يعني أن ذلك جار في أدوار النطقاء المنزّلة عليهم هذه الكتب عطفاً على ما كان في أدوار الآباء ثم قال تعالى: ﴿**ومن أوفى بعهده من الله**﴾ يعني الذي أخذ عليه المدبّر من القيام بذلك ﴿**فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به**﴾ يعني... بالنعيم الأبديّ ﴿**وذلك هو الفوز العظيم**﴾ وأيّ فوز أعظم من انتظامهم في سلك مواليهم ثم أوضح تعالى مقاماتهم فقال ﴿**التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله**﴾ فهؤلاء فروع فضلات أصولهم المتقدمة في الأدوار من أهل النسبة الأدون القائمون بهذه الشروط المأخوذة عليهم ﴿**وبشّر المؤمنين**﴾ يعني أهل هذه الأوصاف بانتظامهم في أهل النسبة الأشرف ثم قال

تعالى ﴿ما كان للنبيّ﴾ يعني حجابه ﴿والذين آمنوا ﴾ معه يعني من أهل الندم ﴿أن يستغفروا للمشركين﴾ يعني ظاهراً وباطناً ﴿ولو كانوا أُولى قربى﴾ يعني في الأنساب الظاهرة للموجبات العدليّة التي جمعت بينهم بذلك النسب لما مالوا إليهم لأجل ذلك في حال الانحدار ﴿من بعد ما تبيّن لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ يعني من جملة أهل الإصرار ثم قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾ يعني أدنى حجبه ﴿لأبيه﴾ يعني مربّيه في بعض العلم الظاهر ﴿إلا عن موعدة وعدها إيّاه﴾ وذلك أنه وعده الخضوع والطاعة لوصيه مماكرةً بحسب ما سبق منه في كرّاته المتقدمة ﴿فلما تبيّن له أنه عدوّ لله﴾ يعني للمقام الإسماعيلي ﴿تبرّأ منه﴾ يعني رفضه وأهبطه من مقامه ﴿إن إبراهيم﴾ يعني ذلك الحجاب ﴿لأوّاه حليم﴾ يعني راجع عن الأمر المخلّ في تراتيب الدين وقد أشبهت هذه القضيّة وقابلت قضيّة محمد بن أبي بكر وأبيه وذلك أنه كان يكرّر عليه النصيحة ويدلّه على الهداية وكان أبوه يعده بالرجوع عن الغواية ولما تبيّن لمحمد إصراره وتماديه على الضلالة تبرّأ منه وقد اتّصل بالجبت حثالاتُ آزر وقد يكون اتّصل بعض شيء من بعض تلك الخمائر التي كانت لدى ذلك الحجاب الأدنى بمحمد المذكور لتصحّ المقابلة والمشابهة ثم قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً﴾ يعني في الكرّات ﴿بعد إذ هداهم﴾ يعني قبل ندمهم في الابتداء حين أجابوا الرسول ﴿حتى يبيّن لهم ما يتّقون﴾ يعني من... إليه وهو وليّ زمانهم ﴿إن الله بكلّ شيء عليم﴾ يعني من جميع الأمور الحديث منها والقديم ثم قال تعالى: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ يعني جميع الدعوات ﴿يحيي﴾ يعني بالحياة الأبديّة من قد سبق له الندم ﴿ويميت﴾ يعني بالموت الحقيقي من قد سبق له الإصرار ﴿وما لكم من دون الله﴾ يعني العين ﴿من وليّ ولا نصير﴾ ومن ذا الوليّ والنصير من دون العليّ الكبير ثم قال تعالى: ﴿لقد تاب الله﴾ يعني الميم ﴿على النبيّ﴾ يعني حجابه ﴿والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه﴾ يعني من أهل النسبة الأدون ﴿في ساعة العسرة﴾ يعني حين طمى طوفان الضلال مما كان أوهموا من الميل إلى الجبت بمقتضى ما كان جرى في الكرّات السابقة عطفاً على ما حدث في حال المحارات ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ يعني عن الإجابة والدخول في الدعوة الإيمانيّة وهم أهل التثبط والتردد هنالك ﴿ثم

تاب عليهم﴾ يعني من ذلك الفارط ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ يعني ظاهراً وباطناً وأوّلاً وآخراً ثم قال تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا﴾ - منتزع من قول الحُسام قدّس الله روحه قوله وهم الذين أُقيموا في دعوة الرسول بغير إشارة منه لهم ولا نصّ منه عليهم ثم قال تعالى: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض﴾ يعني الدعوة ﴿بما رحبت﴾ يعني بما كان اتّسعت لهم أوّلا ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ يعني حدودهم والضيقُ ضدّ الفرج ﴿وظنّوا أن لا ملجأ من الله﴾ يعني الوصيّ ﴿إلا إليه﴾ وذلك عند انقضاء المدّة ثم قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ كمثل ما أرسل محمداً إلى أبيه ودخل على الثاني وعرض عليه خلع نفسه وإرجاع الأمر إليه وكإرساله الحسن عليه السلام بالماء إلى الثالث الفتّان فما أمكن منهم الرجوع فأما الأوّل فقد هوى قلبه إلى ذلك وأود إلى خلوع ما تقمّصه من الخلافة والنزوع فغافصه الثاني بالقبلين(؟) الظاهر والباطن وحال بينه وبين المتاب وأما الاثنان فلم يميلا إلى ذلك وتقطعت بهما من الرحمة الأسباب ثم قال تعالى: ﴿إن الله﴾ يعني الوصيّ ﴿هو التوّاب الرحيم﴾ يعني لمن أتاه خاضعاً وللباس الادّعاء خالعاً انتهى قوله أعلى الله قدسه وأعاد علينا من سرّه - ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني بالناطق ﴿اتّقوا الله﴾ يعني العين ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ يعني المصدّقين بالميم والعين وقباب الأنوار من آلهم ثم قال تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ يعني من أهل دائرة الإسلام ممن قد دخلها سابقاً وأيضاً من أهل المدينة الظاهرة الذين قطنوها فيما مضى من الأدوار ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ يعني الذين لم قد دخلوا تلك الدائرة المتعربين عن أخذ عهودهما ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ يعني عن حجابه بل يبذلونها بين يديه لكون ذلك مما أوجبه مقيمه عليهم في حال الدعوة سابقاً ولاحقاً ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة﴾ يعني شيء من هذه الامتحانات ﴿في سبيل الله﴾ يعني في إقامة أمر الله ﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفّار﴾ يعني يبلغونه كما بلغوه في كرّاتهم الأوّلة وغاظوا به أعادي حجابَي الميم والعين ﴿ولا ينالون من عدوّ نيلاً﴾ يعني بسيف الحقّ ظاهراً وباطناً ﴿إلا كُتب لهم به عمل صالح﴾ يعني صور نورانيّة تُجاور ذواتهم ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ يعني في إظهار إقامة أمره ثم قال تعالى: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة

ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾ يعني في رضى ذلك الحجاب المحتجب به الميم **﴿إلا كُتب لهم﴾** يعني ابتني في صحائفهم وزادها إنارة وصفاء **﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾** يعني في إقامة دعوته ثم قال تعالى **﴿وما كان المؤمنون﴾** يعني بمقام الرسول والمرسل **﴿لينفروا كافّة﴾** يعني لطلب العلم الربّاني **﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة﴾** يعني من أهل كلّ دعوة من ذلك الموضع الذين ظهروا فيه في دور الستر للأسباب المتقدمة الذي جمعهم فيه طائفة **﴿ليتفقهوا في الدين﴾** يعني في العلم القدسانيّ **﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾** يعني في الكرّات لينذروهم فيها من كيد أعداء الكرّار وحجبه **﴿لعلهم يحذرون﴾** يعني من كيد أولئك الأضداد ووسوستهم ثم قال تعالى: **﴿يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفّار﴾** يعني جاهدوا من يكون أقرب إليكم من أهل الإصرار الذين قد ملتم إليهم أوّلاً في حال الابتداء ثم نفرتم عنهم فلذلك دنوا منكم وجاوروكم في المواضع والبلدان والاختلاط وأوجبت العناية الربّانيّة خلاصكم وتطهيركم من ذلك الفارط الأوّل بقتالهم لنصرة الحقّ **﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾** يعني في ذات الله **﴿واعلموا أن الله مع المتّقين﴾** يعني الجامعين بين العبادتين ثم قال تعالى: **﴿وإذا ما أُنزلت سورة﴾** يعني ظهر لهم حجاب من حجب العين **﴿فمنهم﴾** يعني حدود الحجاب النبويّ **﴿من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً﴾** يعني اعترافاً بمقام ذلك الحجاب الحيدريّ **﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾** يعني عطفاً على ما كان سبق منهم أوّلاً من الإقرار به **﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾** يعني جمد مائعها بعداوة الوصيّ **﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾** يعني في ظهورهم في النسوخيّة في الكرّات وذلك بما يتضاعف لديهم من ظلمة البغاضة للكرّار وأيّ ظلمة أعظم منها رجاسةً تولد في تصوراتهم **﴿وماتوا وهم كافرون﴾** يعني بمقامه في كلّ عبور ثم قال تعالى خطاباً للمنافقين **﴿أولا يرون أنهم يُفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين﴾** يعني عند ظهورهم في النسوخيّة في كلّ دور كمثل ما فُتنوا في زمان أبي طالب بمعارضة عبد العزّى أوّلاً ثم ثانياً بمعارضة عبد اللات لحجاب الكرّار **﴿ثم لا يتوبون ولا هم يذكّرون﴾** يعني في حال رجوعهم وترددهم في الفضلات ثم قال تعالى: **﴿وإذا ما أُنزلت سورة﴾** يعني في إيضاح شرف مقام العين من الدائرة

العمرانيّة ﴿**نظر بعضهم إلى بعض**﴾ يعني ذلك الفريق المصرّ نظراً كان تأسيسه في ابتداء المحارات عند إجابتهم بالتظاهر بالدعوة الإسلاميّة وذلك بإثبات ذلك الشرف لبعضهم البعض تحريفاً للكلم عن مواضعها ثم قال تعالى: ﴿**هل يراكم من أحد**﴾ يعني من أهل الندم لكون ذلك كان منهم وهم مسرّون النفاق ﴿**ثم انصرفوا**﴾ يعني عن الإقرار بحجاب العين ﴿**صرف الله قلوبهم**﴾ يعني المحتجب بذلك الحجاب بحسب ما كان منهم في كرّاتهم المتقدمة ﴿**بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ يعني الأشرار لما عميت عنهم الأنباء ثم قال تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول**﴾ يعني بذلك الميم ﴿**من أنفسكم**﴾ يعني من مجموع ذخائر ألبابكم يا ذوي الندم من أهل الجزائر ﴿**عزيز عليه ما عنتّم**﴾ يعني في أمر مقام حجاب العين وذلك إشارة إلى من جاورهم من أهل البغي ﴿**حريص عليكم**﴾ يعني في الحثّ على هدايتكم كما حثّ عليها سابقاً ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ يعني في كلّ ظهور ثم قال تعالى: ﴿**فإن تولّوا**﴾ يعني عن الدخول في الدعوة الإيمانية ﴿**فقل حسبي الله**﴾ يعني الدعاء إلى صاحبها وإشهار مقامه ﴿**لا إله إلا هو**﴾ يعني لا ربّ لها غيره ﴿**عليه توكلت**﴾ يعني في إقامة دعوته واستخراج الصور منها المنتظمة في المجمعين الحسنيّ والحسينيّ ﴿**وهو ربّ العرش العظيم**﴾ يعني الفاطر.

فافهموا معشرِ المؤمنينِ ما شرح لكم من البيان الواضح، واشكروا على ذلك داعييكم البدريّ والعلميّ ليزيداكم من إفضالهما بكلّ متجر رابح، والحمد لله وليّ الأنعام.

والصلاة على رسوله سيّدنا محمد وآله هداة الأنام

* * *

وكما قلنا في كتابنا [هل العلويون شيعة] إن من أراد أن يتعرف إلى عقائد العلويين عليه بشعر المكزون السنجاري، كذلك نقول: إن من يرد أن يتعرف إلى عقائد الإسماعيلية، عليه بتائيّة عامر بن عامر البصري(١) شرط أن يكون

---

(١) هناك قصائد كثيرة تتضمن عقائد الاسماعيلية منها القصيدة الصورية للداعي محمد ابن علي بن حسن الصوري، وكتاب سمط الحقائق لداعي الدعاة القاضي علي بن حنظلة =

ملماً بالمصطلحات العرفانية الباطنية. وإلا فالاستعانة بشارح من ذوي المعرفة والاطلاع والبصري في تائيته، لخص جميع عقائد الإسماعيلية: التوحيد والروح المتولد عن السماويات المتعلق بالمراد المصور لها، والنفس الناطقة، والهيولى وحركة الأفلاك ومنبع وجود العقل وتحقيق معرفة «عقل الكل»، ورموز المعجزات، والمبدأ والمعاد وذكر القيامة الكبرى والصغرى، ومعاني رموز القرآن الكريم وتغير الزمان وانحراف مزاج أهله وظهور الفساد في الأرض، وبيان صاحب الوقت وعلامة ظهوره وآية وقت الظهور والقيامة الكبرى وبيان ما يكون من علاماتها وآياتها...

ونظراً لطول القصيدة نختار منها ما له علاقة بموضوع دراستنا[1].

الإشارة الأولى:

في التوحيد

وجـود لـه ديمـومـة أبـديـة	يـدل بهـا منهـا علـى أزليـة
فللـه مـا أبـدي لنـا مـن سـرائـر	وأودعهـا فـي الصـورة الألفيـة
سقـانـي حميَّـاه محيًّـا جمـالـه	فرحت سليب العقل من دون نشوة
ونـاولنـي راحـاً بـراحـة كفـه	فكـان بهـا إنعـاش روحـي وراحتـي
بـدا ظـاهـراً للكـل بـالكـل بينـاً	فشـاهـده العينـان فـي كـل ذرة
وأشـرق منـه مطلـق قيـد الـورى	عمـومـاً بـوحـدانيـة صمـديـة
هـو الـواحـد الفـرد الكثيـر بنفسـه	وليـس سـواه إن نظـرت بـدقـة
بـه كـل حـي وهـو حـي بـذاتـه	فـإن شئـت أن تحـي بـه فلـه مـت

= ابن أبي سالم الوادعي وغيرها... وغيرها... لكنا اخترنا تائية البصري لأنها أكثر شمولاً وتفصيلاً.

(١) نشرت تائية البصري مرتين: الأولى مستقلة بتحقيق الشيخ عبد القادر المغربي، نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨، والثانية بتحقيق الدكتور عارف تامر، ضمن مجموع بعنوان «أربع رسائل اسماعيلية» صدر عن دار مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٧٨.
وقد اخترنا القصيدة التي حققها الشيخ عبد القادر المغربي لأننا نحتفظ بنسخة منها.

له كل عين في الوجود يرى بها　　له كل أذن في البرايا وعية
له كل كف بالورى باطشاً بها　　له كل علم من علوم الخليقة
لذلك ما قال الإله لآدم　　على صورتي كانت لخلقك خلقتي
فكثرته مخفيَّة تحت وحدة　　كما أنا فرد كثرتي تحت وحدتي
بقيت به لما فنيت له كما　　وجدت حياتي فيه من بعد موتتي
تناهي كمالاً فهو في كل حالة　　بغير زيادات ولا بنقيصة
هو الشاسع الداني إلينا بذاته　　هو الغائب المشهود في كل بقعة
هو العاشق المعشوق في كل صورة　　هو الناظر المنظور في كل لمحة
تجول عقول الحق حول جنابه　　ولم يدركوا من نوره غير لمعة
ويعجز كنه الفهم عن كنه ذاته　　فيرجع عنه خاسئاً حلف خيبة
ولو شاهدت أنواره لاهتدت بها　　ولكنها بالوهم عنها تعدت
نظرت فلم أُبصر سوى محض وحدة　　بغير شريك قد تغطت بكثرة
تكثرت الأشياء والكل واحد　　صفات وذات ضمنا في الهوية
فوجدته ذات بها كل كثرة　　وعلته قامت بها كل علة
تحجب عنا واختفى بظهوره　　فظلك فيه كل يوم بحجة
وسائر ذرات الوجود مظاهر　　له إن رآه باصر ببصيرة
محا ممكنات الوهم منه بواجب　　حوى كثرة توحيدها بالضرورة
وذاك لأن لا شيء يوجد بعدها　　وجملتها موجودة بالمعيَّة
فلا شيء منها زائد لنقيصة　　ولا شيء منها ناقص لزيادة
ولا شيء منها سابق بظهوره　　ولا شيء منها لاحق بعد برهة
فقد صار عين الكل فرداً بذاته　　وإن دخلت أفراده تحت عدة
وقيدت الأشياء منه بمطلق　　بغير نظير إن نظرت بدقة
فلا عينه موجودة بمقيد　　ولا غيره ذاك المقيد فأثبت
ولا عدم يطغى على جوهر ولا　　على عرض فاسمع بأُذن وعيت
ولكنما الأعراض تبدو وتختفي　　على أنها ملزومة الجوهرية
لأنهما قد دونا في صحيفة　　الوجود فلا محو لتلك الكتابة

وهذا اتفاق للشهور مطابق ... بغير نظير إن نظرت بدقة
فيا واحداً في كل شيء مشاهداً ... أُعاينه في خلوتي مثل جلوتي
لك الكل يا من لا سواه فمن رأى ... سواك فرؤيا ذاك من أحوليّة
إليك رحيلي إن رحلت وإن أُقم ... فعندك لا عندي تكون إقامتي
أراك بعين العقل والحسِّ دائماً ... خفيّاً جليّاً في رقادي ويقظتي
وكيف بوجهي ملت عنك فإنه ... إليك وإن أسجد فوجهك قبلتي
وإن سرت يوماً عنك فيك ومطلبي ... سواك ثنى شوقي إليك أعنتي
فأفرح في حالين حال تعيني ... وحال فنائي فيك بالأحدية
فأنت أنا لا بل أنا أنت وحدة ... منزهة عن كل غير وشركة
فلا أنت عيني ولا أنت غيرها ... لذلك صارت حالتي فيك حيرتي
عليك عناني واقف أبداً فإن ... لفت عناني كان نحوك لفتتي
فما لي يوماً منك عنك تخلص ... لأنك يا مولاي جملة جملة
إليك مآبي في حياتي وموتتي ... وأنت رجائي في رخائي وشدتي
فلست أرى شيئاً سواك تحققاً ... وهل تختفي عن غير مكفوف مقلة
تقدست عن غير تنزهت عن سوى ... ترفعت عن ضد بصرف المحوضة
فيا خابطاً في عشوة من ظنونه ... دع الظن واستمسك بأوثق عروة
ويا طالباً للأمر جد بنهضة ... فما نال أمراً غير نفس مجدة
وجرد له عزماً لعزمي ماضياً ... ولا تك مشغولاً بنوم ورقدة
إذا رمقت عين العلى عين همة ... فهيهات أن تلتذَّ تلك بغمضة
فدع قول من قد قال بالغير واجتنـ ... ـب طريقة دجال كثير التعنت
بعيد عن الأضواء والنور لم يزل ... لظلمته في عشرة بعد عشرة
كظمآن وافاه الهجير بقفرة ... يحوم على ماء لا رواء غلة
فظن سراباً قد رآه بقيعة ... شراباً يروي بردها حر لهبة
فلما رآه لم يجد كما رأى ... وزلت خطاه عند ذاك وخابت
إذا أنت لم تسمع مقالة واحدٍ ... فأنت بلا شك من الثنوية
وهل يستوي من كان بالنور ماشياً ... ومن سعيه في ظلمة مدلهمة

ومـن لـم يـؤيـده الإلـه بنـوره ... يضل ومـن يـرشـد يفـز بهـدايـة
لـك الملـك يـا ديـوم تـؤتيـه مـن تشـا ... وتنـزعـه عمـن تشـا بمشيئـة
تجليـت فـي هـذا وذاك فلـم يـروك ... وتـاهـوا فيـك مـن فـرط دهشـة
وحيَّـرت أهـل العقـل فيـك بـذا وذا ... فـألقيتهـم بـالـوهـم فـي كـل شبهـة
فـلا أنـت مـولـود ولا أنـت والـد ... لا تـك فـرد الـذات مـن غيـر قسمـة
ولا أنـت منسـوب إلـى جـوهـر ولا ... إلـى عـرض يعـزى إلـى عنصـريـة
ولا أنـت روحـانـي ذات بسيطـة ... ولا أنـت جسـم ذو مـواد كثيفـة
ولا أنـت علـوي ولا أنـت سـافـل ... ولا أنـت محصـور بحـد وعـرصـة
ولا أنـت مخفـي ولا أنـت ظـاهـر ... ولا أنـت ذو طبـع ولا بطبيعـة
ولا أنـت عقـل لا ولا نيـر ولا ... هيـولـى ولا روح بـذات لطيفـة
ولا أنـت مشغـول ولا أنـت فـارغ ... ولا أنـت ذو كيـف ولا بكميـة
ولا أنـت ملـزوم ولا أنـت لازم ... ومـن قـال نـوراً كـان كـالمـانـويـة
ولا أنـت ذو قيـد ولا بمجـرد ... ولا أنـت مخصـوص ولسـت بحـاسـة
ولا أنـت فـي شـيء مـن الكـل داخـل ... ولا خـارج عنـه وهـذي عقيـدتـي
فـأنـت إذاً فـرد لـك الكـل سـاجـداً ... ولا كـل إلّا أنـت يـا كـلَّ صفـوة
كتيـار زخـار يفيـض بمـوجـه ... علـى الـدهـر لكـن لا يفيـض بقطـرة
تعاليت يا ذا الطول عن وصف واصف ... تنزهت يا ذا المن عن مدح مدحة
فـأنـت علـى مـا أنـت قـدراً وقـدرة ... بنفسـك أدرى مـن جميـع البـريَّـة
فمـن غـاب يـومـاً فيـك نـال سعـادة ... ومـن غـاب يـومـاً عنـك آب بشقـوة

الإشارة الثانية:

في الروح

عجبـت لـروحـانيـة ملكيـة ... مخلـدة مـا أن تشيـب بشيبـة
سمـاويـة الأنسـاب منبـع ذاتهـا ... منيـر يـدور الـدهـر دور المجـرة
على دوحة من سدرة المنتهى غدت ... تفـرد مـن شجـوبهـا فـوق ذروة
مجـوهـرة مـن أمـر ربـي تعلقـت ... بجـرم مـزاج مـن لطـافـة مـادة

يخلقه منها بإلهام خالق … مثالاً لها في ظلمة حَنْدَسِيَّة
مزاج لها قد خص من دون غيرها … بها لا يغيب الدهر عنها بحالة
مقادير كيفياته وموادّه … معينة بالقسمة الأزلية
يضممها فيه اجتماع ونسبة … قديمة عهد واتصال مودة
وبينهما عشق عجيب وصحبة … مؤكدة لا تنقضي بقضية
يهيم بها من حسنه وجماله … هيام جميل في جمال بثينة
وتعشقه عشقاً عظيماً مبرحاً … وتحرسه من كل سوء برأفة
فليس له عنها انفكاك بحادث … وليس لها عنه زوال بحيلة
ولست تراها منه في كل حالة … وإن خلعت ما ألبست بغريبة
إذا ما نضت عنها المقادير كسوة … تعوضها بالحال عنها بكسوة
وما هبطت إلا لترقى بنفسها … إلى أوجها بالنطق من بعد خرسة
وليس بجسم بل بجسم كمالها … يكون لها بالفعل من بعد قوة
وتظهر في شكلين شكل مُشَيَّح … وشكل خفيٍّ مدمج ضمن مضغة
لها طي نشر عند بدء اتصالها … به عند نشر النشوء من بعد طية
فتطوى كما يطوى السجل كتابه … سماواتها طيّاً لترتيب نشوة
وتنقص من أطرافها أرض برزخ … لها عند قبض الموت من بعد بسطة
ولو كنت ذا علم بها حين فارقت … علمت يقيناً أنَّ تلك هي التي
لقد دقَّ معناها غموضاً لذاك ما … عجائبها أزرتْ بكل عجيبة
هي الروح لا نفس كما ظن واهماً … تحلت لتحصيل الكمال بحلية

الإشارة الثالثة:

وذلك أنَّ النفس عين جميلة … وليست بذاتٍ مفردٍ ذي بساطة
فمن جعل المجموع من كل جامع … بسيطاً سها عن حق كل حقيقة
فعقلك سلطان وأجناده القوى … لأعضائه والنفس شبه مدينة
لذلك ما قال النبي أنا مدينة … العلم فافهم ذا بحسن كياسة
ومنها ظهور العقل فاعقل وفيضه … عليها لها منها بكل غريبة

فـأنـت إذن نفـس ومشتقهـا مـن النفـ ـــس فـاعـرف سرَّ هـذي الـدقيقـة

الإشارة الرابعة:

في الهيولى

وأمـا الهيـولـى فهـي أصـل وإن تـرى بغيــر قـــواهــا منــذ أول وهلـــة
عــلا فطفـا منهـا لطيـف وحـط مـا تكـائـف منهـا بعـد ذاك بـرتبـة
سمـت تسعـة فـي أوجـه وهـي واحـد طبيعيـــة لا ميــل فيهـــا بفضلـــة
وحطـت لإظهـار الكمـال لـرفعهـا ثـــلاثـــة أفـــراد لأرْبـــع أخـــوة
ومـــا دارت الأفـــلاك إلا بـــأنجـــمٍ مسخَّـــرة أرواحهـــا ذي ســـذاجـــة
ولا حــركــة بـــالقســـر أو بطبيعـــة ولا هــــي إن حققتهــــا بــــإرادة
ولكـــن بـــروح ســـاذج وطبيعـــة معــاً يقتضــي تحــريكهـا بـاستــدارة
وذاك لكيفيــــاتهــــا الأول التــــي تــرتبهــا فــي جــرمهـا بعــدالـة
فللـــروح تحــريــك يفيـد حيـاتهـا وللطبــع بــدوي وطــول استــدامـة
ولا عقــل إن دققـت علمـاً لهـا كمـا تــوهـــم أربـاب العقــول الضعيفـة
ولكــن عقــل الكــل عيــن لجملـة الـ ـعقــول بقــول مشبــع ذي رصــانــة
ويتلـــوه عقـــل ثـــم عقـــل فـــإنـــه زخــارف قــول مـا لـه مـن أصـالـة
فـدقِّق لمـا قـد قلـت فكـراً وعـد عـن سـوى ذاك وانظـرنـي بعيـن جـديـدة

الإشارة الخامسة:

في رموز المعجزات

ودونــك فــاقبــس يــا لبيــب أشعـة لمصبـــاحٍ مشكـــاةٍ بلطــف بــديهـــة
يكـــاد يضـــيء الكـــون أنـــواراً زيتهـــا بـلا مـسّ نـارٍ مـن صفـاء الـزجـاجـة
فـإن كنـت فـي تكميـل نفسـك راغبـاً فـدونـك واسمـع مـا أقـول وأنصـت
ونكـب عــن التقليـد واللـج جـانبـاً متـى شئـت أن تحظـى بنيـل سعـادة
فـــإنـــي ســـأتلـــو مـــن كتـــابـــي آيـــة عليك فخذ من بحرها بعض غرفة

أنا الكوثر العذب الذي ماء علمه ... يبدل منك الجهل منه بشربة
ومنبع ذاك الماء عين حقيقة ... عليها مدار الأمر في كل مرّة
هو القطب والنفس النفيس الذي به ... رأت كل نفس ما رأت مستعدة
وإني لمهدٍ من علومي طرائفاً ... لأُتحف منها أهل ود بتحفة
وأبدي من استعداد ذاتي غرائباً ... كما يقتضيه حال نسبه رتبتي
لتأتي في التابوت مني سكينة ... عليها وقار ضمنه فيض رحمة
فأظهر في قعر البطون عجائباً ... مشاهدة بالعقل من غير خفية
وأُخلق من طيني بنفخي طائراً ... يطير بأسراري إلى كل دوحة
وأحيي كما أحيا ابن مريم أنفساً ... مطرحة الأبدان صرعى منيَّة
على أنني منه استفدت ولسته ... ولكنه قد خصني بوصيَّة
أرد لها أرواحها بعد موتها ... وقد دثرت في تربها فاضمحلَّت
فتصبح أحياء كما كان أولاً ... بقدرة علام وسر نبوَّة
ولي القمر السيار شق فنصفه ... منير ونصف مظلم كالدجنة
فهل لكم عين تراه لعلها ... برؤياه تمشي فيه غير مشكة
وكم قد تجلى الرب لي متكلماً ... بألسنة في كل دور فصيحة
وكم صعقة لي دهشة بجماله ... وكم دك طودي دكة عند صعقة
وكم أوقد الأغيار ناراً وأضرموا ... لها حطباً من كل مصر وقرية
وأُلقيت فيها صير الله حرها ... لدى ذاك برداً كان فيه سلامتي
وكم بلعتني حوت يونس بلعة ... وتقذفني نحو العراء برمية
وتنمو من اليقطين فوقي شجيرة ... على سائر الأشجار تسمو بسرعة
وأُصبح أعلو واحداً بعد واحد ... من الناس وأعلم أن هاتيك فكرتي
وشقت عصاي البحر لما ضربته ... بنصفين حتى جاوزته صحابتي
وأُغرق فرعون الضلال وأهله ... لطغيانه في اليم أعظم غرقة
وكم حجر قاسٍ ضربت بها غدت ... تفجر منه الماء من هول ضربة
وألقيتها تسعى إلى الأرض حيَّة ... تلقف إفك الساحرين بنفثة
وخرَّ لديها ساجداً كل ساحر ... وكانت لي العقبى بمعجز آيتي

وأخـرجـت مـن ظلمـاء طبعـي نقيـة ... يـديَّ لهـم بيضـاء مـن صـدق حكمتـي
ولُيِّـن لـي بـأس الحـديـد بقـدرة آلا ... لـه وسـالـت عيـن قطـر لإمـرتـي
فقـدرت فـي الـرد السـوابـغ دافقـاً ... عــن جنـابـي كــل لسعــة حيــة
ولــي صــار إرثــاً ذو الفقــار بحـده ... أقــدُّ رقــاب العــاقـريـن بنــاقتــي
ولـي ردت الشمـس المنيـرة إذ نـأت ... وأشـرقـت الـدنيـا بهـا بعـد غـربـة
ومــا ســرت إلا والغمــام يظُلّنــي ... إذا مــا هجيـر الحـر قـارن وصلتـي
ولمـا طغـى عجلـي وأبـدى خـواره ... وحـاولـت أن أحيـى ذبحـت بقيـرتـي
ولـو لـم أُمـت نفسـي بتركـي لـم أكـن ... لهـا محيياً فـاسمـع أعـاجيـب قصتـي
ولـو نفحـت مـن دون نشـوى نفحـة ... لعطـرت الأكـوان أنفــاس نفحتــي
و«حـم» «عسـق» كمــا قــرأتهــا ... وكهيعــص استقــامــت بصحــةِ
فــأشــرق مـن سـريهمـا نـور نيـر ... تضـيء بـه الآفـاق مـن كـل ظلمـةِ
فحـرف بحـرف إن فطنـت لفهمـه ... ملكـت الـورى طـراً بلطـف فطـانـةِ
رمـوز خفيَّـات متـى رمـت حلهـا ... فــزنهــا وبــدِّل كــل زوج بحتَّــةِ
ولام أتــى مــن قبلـه ألـف كمـا ... أتــى بعــده ميــم لإظهــار قــدرةِ
تشيــر إلــى عقــل وروح ومظْهــرِ ... بـه كـان فـي الأكـوان سرُّ الإمـامـةِ
وعقــل وروح والهيــولــى وطبعهــا ... كــلام بهــا مــن بعـد لام وهمــزةِ
يـدلّ علـى عيـن الـوجـود وجـودهـا ... لـذا عظمـت تلـك الحـروف وعـزتِ
وكـلُّ إشـارات الحـروف التـي أتـت ... مغـاديـر فـي القـرآن مـن كـل سـورةِ
تشيـر إلـى أشيـاء يـوجـد مثلهـا ... بـأعيـانهـا فـي الصـورة البشـريَّـةِ
سـرائـر آيـات تعـالـت بنـورهـا ... فلـم يـدن منهـا غيـر نفـس عليَّـةِ
لئـن رفـض الجمهـور فـرض حقـوقهـا ... فرفضي لذاك الرفض فرضي وسنتي
وإن شـك فيمـا قلـت قـوم فقـل لهـم ... أبينــوا لنــا عــن حقهــا بجليّــةِ

الإشارة السادسة:

في المبدأ والمعاد

ولـي صـور محصـورة القـدر ضبطهـا ... ظهـوري لعينـي عنـد لبسـي بـردتـي

فأبدو بها في صورة بعد صورة ... وآخر ما يتلوه أول نشأتي
قيامتي الصغرى بخلعي وإنما ... قيامتي الكبرى بتتميم دورتي
فأخفى زماناً عن مطالعة الورى ... وأبدو كما قد كنت في حال بدأتي
وذاك معادي في قيامتي التي ... أقوم لدى المعبود فيها بجثتي
وليس إذا حققت ذا بتناسخ ... فتختلف الأعيان في كل عودةِ
ولكن إفادته الحقوق مراتباً ... معينة يفضي بها سر وحدةِ
فنسخي وفسخي مثل مِسخي باطل ... ورسخي لمنع فيه عودي بهيبتي
ثبوتي في محوي وقربي في النوى ... وسكري في صحوي ورفعي بخفضتي
وما زال كوني قائماً بحقيقتي ... كما كان لي بالرتبة الأزليةِ
فأبدو كما تبدو البدور كواملا ... وأخفى كما يخفى سرار الأهلةِ
فما غاب من بعد الظهور فكامن ... وما انهار عند الهدم منها لبنيةِ
ليظهر مني باطن بعدما اختفى ... ويبطن مني ظاهر بعد كمنةِ
فيخفي ظهوري في بطوني كما ترى ... بطوني ظهوراً عند تبديل خرقةِ
وأرجع من بعد استتاري بارزاً ... إليه كما قد كنت في بدء فطرتي
فأنهض حياً مثلما كنت قائماً ... وأعجب شيءٍ ذاك مِن سرٍّ سيرتي
ولم تنعدم تلك النفوس وإنَّما ... تغيب وتبدو تارة بعد تارةِ
فهل فيكم يا معشر الأهل ناشر ... مقالات أسرار طوتها صحيفتي
فيفهم ما معنى الوجود لذاته ... بإطلاقه من كلٍّ قيد وعلقةِ
ويعلم ما معنى المعاد وما الذي ... يراد به من أوبة بعد سفرةِ

الإشارة السابعة:

في معاني رموز دقيقة في القرآن

ويعلم ما حوا وكيف احتواؤها ... على مركز منه بدت للإحاطةِ
وهل كان بدءاً خلق آدم وحده ... من الطين أم قد كان من دفق نطفةِ
ويعلم ما الذنب الذي جوزيا به ... هبوطاً فبانت منهما كل سوءةِ
وما الورق الغض الذي غطيا به ... عوارهما حتى اختفت كل عورةِ

أمن شجر قد كان أم من ملابس ... الجنان زها بالخضرة السندسيةِ
وكيف استواء الله من فوق عرشه ... على الماء لا ذا الماء بالأوليةِ
وهل معجزات الأنبياء بظاهر ... أتت أم بألفاظ لها معنويةِ
وهل خرق العادات بالوحي آنس ... معذرة في كل تجديد دعوةِ
أم الكل نفس بالتعين واحد ... مسترة باسم ورسم وكنيةِ
وهل كان معراج النبي بجسمه ... إلى القدس أم بالقوّة الملكيّةِ
وجبريل شيء منه أم عنه خارج ... كما ظنّه الجمهور من غير خبرةِ
وكيف أتى لما رقى ومكانه ... كما كان في تسخينه بالحرارةِ
ولم أشبه الروح الأمين وقد أتى ... محمده بالوحي صورة دُحْيةِ
ولم خصّ تكوين السماء وأرضها ... بستة أيام توالت سويّةِ
وهل ذلك الرزق الذي عند مريم ... رأى زكريا كان من حب حنطةِ
ومريم لم صارت لهارون أخته ... وبينهما في الدور أطول مدةِ
أم الوحي ذاك الرزق كان أتى به ... إليها ابنها من عند أشرف حضرةِ
وهل كان لمّا كلّم الناس مهده ... هو الجسم بالتحقيق أمْ مهد عادةِ
ولم ليلة القدر التي جلّ قدرها ... على ألف شهر فضلت بمزيةِ
وما السرُّ في عيسى وليس له أب ... ولم لقب المختار أُميّ مكةِ
وما ذلك النجم الذي هوى وما ... هو الطّارق المنحط عشقاً لرفعةِ
ورقدة أهل الكهف في ظل كهفهم ... ثلاثة مئين مع زيادة تسعةِ
أهل نوم طبع كان بالعادة التي ... جرت أم غشاه نوم جهل وغفلةِ
وهل ذاك محسوب بهذي سنيننا ... فندركه أم بالسنين القديمةِ
وهل لك علم بالجدار وقتلة الغلام ... وما المعنى بخرق السفينةِ
وصحبة موسى عبدنا واعتراضه ... عليه لما يأتي بغير رويةِ
وما هو ذو القرنين في السد والذي ... عليه غروب الشمس في عين حمأةِ
وما هو وادي النمل والنملة التي ... تخاطبهم رمزاً بلطف اشارةِ
تقول ادخلوا يا أيها النمل تسلموا ... مساكنكم من حطم جند بدوسةِ
وما هو ذاك الهدهد الطائر الذي ... أتى لسليمان بسر سريرةِ

وبلقيس إذ جاءوا إليها بعرشها ... وقد نكروه بعد نقش بنقشةِ
فقالوا لها هل كان عرشك هكذا ... فقالت نعم يحكيه من غير ريبةِ
وما ذلك العفريت والقائل الذي ... له بكتاب الله علم درايةِ
وكيف أتى بالعرش قبل ارتداد طرفه ... وهو سر دقَّ عن كل فطنةِ
وما ذلك الصرح الممرد إذ غدت ... تكشف ساقيها لديه لخوضةِ
وما جري هذي الريح شهر غدوها ... وروحتها شهر له لا بوقفةِ
ولِمَ كانت الأسباط من ولد فاطم ... وأصحاب عيسى خمسة بعد سبعةِ
وما هي أطيار الخليل وجعلها ... فويق جبال أربع من جبلةِ
فقلنا له صرَّها إليك ونادها ... تجيء مطيعات بأسرع سعيةِ
وما هي تلك النفس يا قومي التي ... تدارأتموا في قتلها عن خديعةِ
وقلنا اضربوه كي يقوم ببعضها ... كذلك يحيي ربنا كل ميتِ
ولِمَ كان أجر النبوة أربعين ... بعد ثلاث أردفت بثلاثةِ
وذا النون إذ نادى وقد مر مغضباً ... لظن به أن لا وجود لرجعةِ
لذي ظلمات فاستجبنا دعاءه ... بعفو ونجيناه من كرب غمَّةِ
حقائق لم ينكر دقائق سرها ... من الناس إلا كل نفس غبيَّةِ
فتحت بعون الله أقفال رمزها ... وغصت عليها تحت تيَّار لجةِ
وأبرزتها من خضرها لذوي النهى ... يلذُّ رؤاها كُلُّ نفس سريَّةِ
نفوس تزكَّت واطمأنت بعلمها ... عليها من الرحمن أزكى تحيّةِ
ولن ترى ملتذاً بها غير كيس ... لطيف طباع ذي مزايا حميدةِ

الإشارة الحادية عشرة:

في القيامة الكبرى

يقيم بها دور الزمان قيامة ... تخصُّ جميع النوع منها بقربةِ
وينفخ إسرافيل في الصور نفخة ... فيصعق من في الأرض منها بفزعةِ
ويفنى جميع الخلق طراً ووجهه ... المهيمن باق وحده بالألوهةِ
ويذبح عزرائيل عند فنائهم ... بصورة كبش أملح خير ذبحةِ

وينفـــخ أُخــرى بعــدهــا فتـراهــم قيـامـاً كمـا كـانـوا بـإنشـاء نفخـةِ
فـذاك قيـام النـاس فـي يـوم بعثهـم بـأجمعهـم مـن كـل لحـد وحفـرةِ
حفـايـا عـرايـا مـن جميـع تعلـق كمـا جـاءنـا فـي شـرح يـوم القيـامـةِ
عيـونهـم مـن عـريهـم بـرؤوسهـم يـرون بهـا المعبـود أصـدق رؤيـةِ
وينصـب بيـن النـار والنـور عنـدهـا صـراط لـه حـد كحـدة شفـرةِ
صـراط لـه الميـزان بـالعـدل قـائـم يجـازي بـه الأعمـال مـن كـل خيبـةِ
وتعـرض أعمـال العبـاد بـأسـرهـا كبيـرتهـا مقـرونـة بـالصغيـرةِ
فقـوم لهـم نـار وهـم فـي وقـودهـا وقـوم لهـم نـور بلـذة جنـةِ
هنـالـك إن قـدمـت خيـراً تنـالـه وإن كـان شـراً تبتلـى ببليَّـةِ

❋ ❋ ❋

هذه هي آراء الاسماعيليين القدماء.

وننتقل الآن إلى آراء الاسماعيليين المحدثين والمعاصرين. ونكتفي، اختصاراً للحديث، بثلاثة:

- **عبد الله بن المرتضى** وكتابه **[الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار]**.
- الدكتور **مصطفى غالب** وكتابه **[تاريخ الدعوة الاسماعيلية]**.
- **ميهب عيزوقي** في **[لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي]**.

الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار:

صدر هذا الكتاب في ٢ شعبان ١٣٥٢هـ/ ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٣م أهداه مؤلفه «لحضرة صاحب الجلالة والعصمة إمام الاسماعيليين المطهر ـ السلطان محمد شاه علي الحسيني آقا خان الأعظم».

ينقسم الكتاب إلى جزئين:

الأول: في الاجتماع الأخلاقي والتوازن الاجتماعي.

الثاني: في تاريخ الاسماعيليين الأبرار.

الجزء الثاني، هو المهم، وهو يتألف من خمسة فصول.

الفصل الأول: في نشوء الاسماعيليين وتكوين قوميتهم منذ عهد اسماعيل ابن إبراهيم الخليل إلى انتقال الإمام علي المرتضى، وهو دور النشوء والسطوع.

الفصل الثاني: من آخر عهد الإمام علي إلى آخر عهد الإمام عبد الله رضي الدين ويدعى دور التقية والستر والصيانة.

الفصل الثالث: في دور الحكم والسياسة منذ عهد الإمام محمد المهدي بالخلافة إلى آخر عهد الإمام المستنصر بالله.

الفصل الرابع: في دور شيوخ الجبل يبتدئ من عام ٤٨٧هـ إلى ٦٧٦هـ.

الفصل الخامس: في دور التناوب من عام ٦٧٦هـ إلى عام ١٣٥٢هـ.

يعنينا من هذه الفصول، بالدرجة الأولى، الفصل الأول.

ومما جاء فيه، أن الاسماعيليين من نسل اسماعيل بن ابراهيم الخليل. وبنو اسماعيل هم: بنايوت وقيدار وأوبئيل وجسام ومشماع ودومة ومساً وحداراً وتيماً ويطور ونافيش وقدمة وبسمة. وقد عظم أمرهم وساد نفوذهم في كل الأقطار العربية وقد انقاد إليهم الأنام وعنت لحكمهم البلاد[(١)].

وتكاثر نسل اسماعيل وكاد يضارع رمال البحر بكثرة جموعه. وكان يتألف من ١٢ قبيلة وقد اندمج الجراهمة، أي عرب اسماعيل، في حلقة قومية أولئك فكانت كلتا العصبتين تنضويان تحت علم اسماعيل الديني والسياسي. وإذ ذاك انقسم الاسماعيليون إلى قسمين دعي القسم الأول بني اسماعيل نسبة إلى أبيهم اسماعيل، والثاني عرب اسماعيل لاتصالهم به من الوجهين الديني والزمني[(٢)].

أنشأ الاسماعيليون مدناً في بلاد العرب من أهمها أم القرى التي كانت

---

(١) عبد الله بن المرتضى ـ الفلك الدوار ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

حاضرتهم منذ عهد اسماعيل إلى ظهور الرسول[1].

ظل آل اسماعيل وعربه باتصال سرمدي إلى عهد الإمام عدنان سيد جميع قبائل بني اسماعيل وأبيهم الثاني بعد اسماعيل[2].

ولد لعدنان معد الذي آلت إليه الولاية عن أبيه، وهذا أودعها في ولده نزار وولى نزار ابنه مضر الإمامة. وبعد مضر تولى الأمر المطلق الياس. وكنانة من سلالة الياس المصطفاة في الناس. ومن كنانة نضر، ومن نضر مالك، ومن مالك فهر الذي لقب بقريش وكان فهر إمام الاسماعيليين وسيدهم في عصره وسرى لقبه على قبائله فلقبوا بالقريشيين ومن ذاك الحين ساد على قبائل الاسماعيليين الاسم القريشي[3].

وإن سيدنا محمد ولد من أبوين اسماعيليين قريشيين[4].

وقد اشتد ساعد الإسلام بقوة ساعدي أسد الله صاحب ذي الفقار.

وفي سنة ٨ من الهجرة غزا الرسول مكة وفتحها وكسر الأصنام وحينئذ دخل في الإسلام أبو سفيان وولداه معاوية وعتبة وزوجته هند ومن شاكلهم إلا أن الاسماعيليين لا يثقون بإسلام هؤلاء لأنه جاء عن طريق القهر والإرغام[5].

وإن الرسول بايع علياً على الخلافة في خم وجاءت هذه المبايعة بعد المبايعات الثلاث، بيعة الدار وبيعة الخيزرانة وبيعة أم سلمى. وبهذه البيعات الثلاث رمز عظيم في العقيدة الاسماعيلية[6].

والاسماعيليون لا يعلقون أهمية على مبايعة علي لأبي بكر لما يعلمونه في علي من المقام السامي الذي هو عين الشعر والحلم ويرجعون برأيهم في

---

(١) المرجع السابق ص ٦٤.
(٢) المرجع السابق ص ٦٥.
(٣) عبد الله بن المرتضى ـ الفلك الدوار ص ٦٦.
(٤) المرجع السابق ص ٧٧.
(٥) المرجع السابق ص ٨١.
(٦) المرجع السابق ص ٨٣.

تلك المبايعة إلى نص الآية الواردة في القرآن ﴿**ولا يحيق المكر السيِّء إلا بأهله**﴾[1].

ولما استعصى على أبي عبيدة فتح مدينة بعلبك استمد قوة من المدينة من شيعة علي الخاصة وهم الاسماعيليون فلم يحجم علي عن بعث ٥٠٠٠ مجاهد عقد القيادة عليهم لأبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء وهؤلاء أنجدوا قوات الجراح المرابطة في ضواحي بعلبك وهناك عقد لهم اكليل النصر والفلاح. وقد ثابروا على جهادهم إلى أن طهروا البلاد من الرومان ثم استوطنت هذه البعثة في دمشق وجبالها وهم الذين انحدر منهم اسماعيليو سورية[2].

حقيقة الحال تدفعنا إلى القول إن هذا الكلام من شطحات الخيال، ولا سند تاريخياً له.

(١) لأن الاسماعيليين ينتسبون لاسماعيل بن جعفر الصادق، وليس لإسماعيل بن إبراهيم الخليل ثم إن القول إن الاسماعيلية بدأت بعهد اسماعيل ابن ابراهيم الخليل، يتنافى مع العقائد الفلسفية الاسماعيلية[3].

(٢) لم نجد من المؤرخين من قال إن سيدنا محمد ﷺ، ولد من أبوين اسماعيليين.

(٣) القول بأن الاسماعيليين لا يثقون بإسلام أبي سفيان وولديه معاوية وعتبة وزوجته هند ومن شاكلهم لأنه جاء عن طريق القهر والإرغام هو قول العلويين أيضاً[4].

(٤) بدا لنا واضحاً أن ابن المرتضى أراد أن يقلد شطحات محمد أمين غالب الطويل في كتابه [**تاريخ العلويين**]. ودليلنا على ذلك أن الطويل كتب يقول: لما فتحت جهات بعلبك وحمص، استمد أبو عبيدة نجدة، فأتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) مصطفى غالب ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٥٨.
(٤) محمد أمين غالب الطويل ـ تاريخ العلويين ص ٨٧.

العلويين وهم ممن حضروا بيعة غدير خم وهم من الأنصار وعددهم يزيد على أربعمائة وخمسين مجاهداً، ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً فسميت هذه القوة الصغيرة «نصيرة» وإذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه، فقد سميت الأراضي التي امتلكها جماعة «النصيرة» جبل النصيرة وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية[1].

نقل ابن المرتضى هذا الكلام على الشكل التالي: لما استعصى على أبي عبيدة فتح بعلبك استمد قوة من المدينة من شيعة علي الخاصة. وهم الاسماعيليون فلم يحجم علي عليه السلام عن بعث ٥٠٠٠ مجاهد بقيادة أبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء وهؤلاء أنجدوا قوات الجراح.. ثم استوطنت هذه البعثة في دمشق وجبالها وهم الذين انحدر منهم اسماعيليو سورية.

(٥) قال ابن المرتضى: إن دور شيوخ الجبل يبتدئ من عام ٤٨٧هـ إلى ٦٧٦هـ... فيكون بكلامه المشار إليه، جمع بين شيوخ الجبل في بلاد فارس وشيوخ الجبل ببلاد الشام، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إن التاريخ الذي حدده لبدء دور شيوخ الجبل وانتهائه غير صحيح. فإذا اعتبرنا أن دور شيوخ الجبل بدأ بالحسن بن الصباح، فإن الحسن استولى على قلعة آلموت سنة ٤٨٣هـ ومن هذا التاريخ بدأ دور شيوخ الجبل. وانتهى عهد شيوخ الجبل في بلاد فارس سنة ٦٥٣هـ على يد هولاكو. وفي بلاد الشام سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م في عهد الملك الظاهر.

تاريخ الدعوة الاسماعيلية:

من أبرز المفكرين الاسماعيليين المعاصرين، في سورية، الدكتور عارف تامر والمرحوم الدكتور مصطفى غالب، اللذان قدما للمكتبة العربية العديد من المؤلفات الجادة والرصينة. وإليهما يعود الفضل في تحقيق ونشر التراث

---

(١) المرجع السابق.

الاسماعيلي المخطوط ووضعه بين أيدي الدارسين.

من المؤلفات التي تركها لنا المرحوم مصطفى غالب كتاب **[تاريخ الدعوة الاسماعيلية]**(١) تناول فيه، من جملة المواضيع التي تناولها:

*** الأئمة الإسماعيليين**

*** والدعوة الإسماعيلية.**

الأئمة الاسماعيليون هم: أمير المؤمنين علي عليه السلام، والحسين عليه السلام، وعلي زين العابدين عليه السلام، ومحمد الباقر عليه السلام، وجعفر الصادق عليه السلام، و... و...

والدعوة الاسماعيلية، تقوم على فكرتين: الإمام المعصوم والوحدة.

الإمام، هو الإنسان الكامل التام، الحاد للحدود، الظاهر للوجود، المتعالي عن الكيف، البعيد عن الأين والزمان والمكان.

وهو غاية الوجود، وهو المختار لفكاك الخلق من أسر الطبيعة والارتقاء بهم إلى المنزلة الرفيعة، فهو إلهي الذات سرمدي الحياة، تأنس بالحدود والصفات فصار غاية الغايات ومبدع الذات ومخترع الصفات ويعطي الخيرات والبركات. وهو مبدع الأبداع وصاحب الأمر المطاع وهو المفضل غير المعدود، وغير المحدود.

وبالنسبة إلى الوحدة، فتقسم مراتبها إلى ثلاثة أقسام: الوحدة الشكلية والوحدة المعنوية والوحدة الحقيقية.

الوحدة الشكلية، هي من حيث الشخص الكلي الكامل في الجثماني وهو الإمام.

والوحدة المعنوية، هي العقل الكلي في العالم الروحاني المجرد عن العالم الجسماني.

---

(١) من الدراسات المهمة في هذا الموضوع «موسوعة تاريخ الاسماعيلية» للدكتور عارف تامر. وهي من أربعة أجزاء ١ ـ الدعوة والعقيدة ٢ ـ من المغرب الى المشرق ٣ ـ الدولة الفاطمية الكبيرة ٤ ـ الدولة النزارية.
لم نتمكن من الحصول على نسخة منه لدراستها. لذلك اكتفينا بالإشارة إليه.

والوحدة الحقيقية، هي الذات المطلق المنزه عن سائر الموجودات وعن الأسماء والصفات.

والإمام هو أداة الباري من حيث الوحدة الحقيقية إذا كان مجرداً عن الجسم. فإذا ظهر الإمام بصورة الجسم، كان اسماً من أسماء الله وصفة من صفاته، وإذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله في الحقيقة. . .

تعليقنا على كلام **مصطفى غالب** يدور حول نقطة واحدة هي قوله: (الأئمة الاسماعيليون) عن علي وأبنائه. . وعلي وأبناؤه لم يكونوا اسماعيليين حتى يقال (الأئمة الاسماعيليين)، الأولى أن يقال (أئمة الاسماعيليين).

لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي

تحدث مهيب عيزوقي في هذه الدراسة الموجزة، المؤلفة من (٤١) صفحة من القطع الصغير، عن المواضيع التالية: تعريف الدين والمذهب والمذهب الاسماعيلي ـ الدين عند الاسماعيليين ـ عقائد الاسماعيليين ـ فروع الدين أو أركان الدين ـ المعاملات ـ الآداب ـ التاريخ الإسماعيلي (١ ـ ما قبل البعثة المحمدية ٢ ـ فترة الإسلام المبكر ٣ ـ فترة الحكم من ١٤٥هـ وحتى عام ٦٥٤هـ ٤ ـ فترة ما بعد الحكم ٦٥٤هـ ـ ١٣١٨هـ ـ نظرية المعرفة عند الاسماعيليين) ـ ملحق (١) ـ ملحق (٢).

قال عيزوقي: إن الدين عند الاسماعيليين هو الإسلام كما جاءت به رسالة السماء التي أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى الرسول النبي محمد ﷺ، وسنة النبي ﷺ، وتعليم الإمام الحاضر الموجود المنبعث من النص القرآني.

والدين أصول وفروع. وأصول الدين هي: التوحيد ـ النبوة ـ الإمامة ـ المعاد. وفروعه أو أركانه: الولاية، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الجهاد.

وتتوجه نظرية المعرفة عند الاسماعيليين نحو الله والكون والإنسان ومرجعهم في ذلك إلى القرآن، والسنة، والتعليم الإمامي.

ومنهاج الاسماعيليين في نظرية المعرفة هو اعتماد ما تمليه عليهم عقيدتهم من حيث إيمانهم بالله وخطابه الإلهي، والأنبياء وسننهم، والأئمة وما قدموه هداية وتعليماً، فالقرآن هو النص، والسنة والهداية منهما فهم النص.

وللعلوم الدينية نظامها الخاص. إذ يقوم على رأس المعلمين المعلم الصادق (الإمام) وهو الذي يقيم مدارس التعليم الديني، والمتعلمون في هذه المدارس يتولون مهمة التعليم بتوجيه ومراقبة من المعلم الصادق.

والمعلم الصادق (الإمام) الذي يتولى هذه المهمة وغيرها في قيادة الاسماعيليين وإدارة أمورهم يقوم بمهمة الإمامة. والإمامة هي السلطة الدينية، وهي امتداد لسلطة النبوة الروحية. وللقائم بها (الإمام) شروط هي: النسب، النص، العمل بالنص. والعلاقة بين الإمام والأتباع تقوم على مفهوم البيعة. فالأتباع يبايعون الإمام على الولاء الديني له، وأما الإمام فيبايعهم على تقديم النصح والهداية فيما يصلح شؤون دينهم.

بالنسبة إلى التاريخ الإسماعيلي، يقول ميهب عيزوقي: يرى الاسماعيليون أن تاريخهم مغرق في القدم، بحيث يعود إلى بداية التكون البشري، ولكن يستحيل ضبط أحداث هذا التاريخ منذ البداية، ولذلك يكتفي الاسماعيليون بضبط أحداث تاريخهم منذ البعثة المحمدية المباركة[١].

وإن العقيدة الاسماعيلية تقوم على مفهوم أن الإمام يهيىء الأرض (المجتمع) لظهور الناطق (النبي الرسول) وتلقي رسالته، ثم يساعد الإمام الناطق على إنجاز مهمته. وهكذا ينظر الاسماعيليون إلى الآباء الأقربين للنبي محمد ﷺ على أنهم أئمة مستقرون. وهم قصي بن كلاب وحتى أبو طالب. وتميزت هذه الفترة بقيام الإمام قصي بإعادة تشكيل المجتمع المكي وتنظيمه... وأما عبد المطلب فقد أعاد إحياء الديانة الحنيفية في مواجهة توسع المسيحية واليهودية. وهكذا جعل هؤلاء الأئمة مكة عاصمة في عهد النبوة

---

(١) مهيب عيزوقي ـ لمحة موجزة في التاريخ الاسماعيلي ص ١٥.

والراشدين قام الإمام أبو طالب بجمع المؤمنين حول النبي ﷺ وتعزيز دعوته[1].

وكلام عيزوقي يتناقض تماماً مع ما قاله عبد الله بن المرتضى في **[الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار]**.

هذا التناقض يجعلنا نسأل: أين الحقيقة؟!

وقوله: «ينظر الاسماعيليون إلى الآباء الأقربين للنبي محمد ﷺ على أنهم أئمة مستقرون وهم .... وحتى أبو طالب» يحتاج إلى إيضاح، وخاصة عبارة «وحتى أبو طالب». وكنا قرأنا في **[كتاب زهر المعاني]** للداعي إدريس القرشي ما نصه: «وأن الله تعالى غفر لآدم لما توسل بهم إليه، وقد يراد بذلك في عصر ناطق الدور عليه السلام أن أبا طالب إمامه وحده الذي أقامه...»[2].

ويقول عيزوقي: قام قصي بإزاحة خزاعة عن البيت الحرام... وأنزل القبائل من قريش في نواحي مكة. وأخذ السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة بيده.

وفي **[كتاب زهر المعاني]** «وسلم قصي الأمر إلى ولده هاشم عبد مناف ابن قصي، واسمه المغيرة، فقام بأمر الله، وأخذ سدانة البيت، بيت أبيه ابراهيم خليل الله، فلما تم أمره، سلم الأمر الى ولده هاشم عند تمام أمره... وكانت سدانة البيت بيده دليلاً على مقاليد السموات والأرض... فلما انقضى الأجل سلم ولده عبد المطلب...»[3].

هذه الجولة السريعة مع مختلف الأقوال حول الاسماعيلية، قادتنا إلى حقائق لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، هي:

أولاً: عرض المؤرخون عقائد الاسماعيلية عرضاً مشوهاً، وأولوها على

---

(١) المرجع السابق ص ١٨.
(٢) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ١١٨.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٦.

غير حقيقتها، وأضافوا إليها من خيالهم الشيء الكثير، كما أنهم اختلقوا أقوالاً باطلة، ونسبوها إلى الاسماعيلية للتشنيع عليها. وبإمكاننا التحقق من ذلك بمقارنة أقوال هؤلاء المؤرخين بأقوال الاسماعيلية.

ثانياً: لا صحة لجميع الاتهامات التي ألصقها المؤرخون بهذه الطائفة ومن أبرزها:

- نفيهم الحشر والنشر والجنة والنار.
- الغلو.
- إسقاط فرائض العبادات.
- إباحة اللذات والشهوات والحرمات.
- القول بالتناسخ.

(أ) حول مزاعم المؤرخين بنفي الاسماعيلية الحشر والنشر والجنة والنار.

هذا الاتهام باطل، وتدحضه الأقوال الثابتة، في كتب الاسماعيليين ومؤلفاتهم، ومنها ما جاء في «المجالس المستنصرية»: «إذا مر به ذكر الجنة قال تأويل الجنة دعوة العبد، فأدى ذلك بعض من قصر علمه على إبطال الجنة ونعوذ بالله من ذلك»[1].

ومن ذلك أيضاً، ما قاله عامر بن عامر البصري في تائيته:

وينصب بين النار والنور عندها	صراط له حد كحدة شفرةِ
صراط له الميزان بالعدل قائم	يجاري به الأعمال من كل خيبةِ
وتعرض أعمال العباد بأسرها	كبيرتها مقرونة بالصغيرةِ
فقوم لهم نار وهم في وقودها	وقوم لهم نور بلذة جنةِ
هنالك إن قدمت خيراً تناله	وإن كان شراً تبتلى ببليّةِ

ونحب أن نشير إلى أن معنى الجنة، عند الاسماعيلية، العوالم الثمانية:

(١) المجالس المستنصرية ص ٤٥.

أولها: جنة **الميراث**، وهي رتبة الإنسانية.

والثانية: جنة **عدن**، وهي الرتبة الملكية.

وثالثها: جنة **الخلد**، وهي العوالم الفلكية.

ورابعها: الجنة **العالية**، وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية.

وخامسها: جنة **الفردوس**، وهي النفسانية.

وسادسها: جنة **النعيم**، وهي عالم العلم.

وسابعها: جنة **رضوان**، وهي عالم العقل.

وثامنها: جنة **المأوى**، وهي عالم الأمر الذي منه بدأت العوالم وإليه معادها[١].

(ب) حول الغلو:

لكلمة غلو معانٍ كثيرة، منها: مجاوزة الحد والإفراط فيه.

أما بالاصطلاح السياسي، فكان لهذه الكلمة، في كل عصر ومصر، معنى مختلف.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ما نصه: «الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة وطائفة ممن حارب علياً (رضي الله عنه) وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي كفر هؤلاء السادة وتبرأ من الشيخين أيضاً»[٢].

ومن جملة معاني الغلو، بنظر المؤرخين القدماء، تأليه علي عليه السلام والأئمة من بعده[٣].

---

(١) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور لشمس الدين الطيبي. ضمن مجموعة «أربعة رسائل اسماعيلية» تحقيق الدكتور عارف تامر.

(٢) هاشم عثمان ـ العلويون بين الاسطورة والحقيقة ص ١١٨.

(٣) المرجع السابق.

وتهمة الغلو، كما ذكرنا سابقاً، وجهت للشيعة عموماً، وليس للاسماعيلية وحدها.

وقد صرح أغلب دعاة الاسماعيليين بنفي الغلو، منهم هاشم بن ابراهيم الحامدي الذي افتتح رسالته [**رسالة زهر بذر الحقائق**] بالعبارة التالية: «... شهادة منزهة عن الغلو والتقصير، مقرونة بتوحيد العلي الكبير»..

كما نهى الأئمة الفاطميون عن الغلو.

قال المعز: ينتهي إلينا أخبار من بعض من يزعم أنه يتولانا، وبعض من يدعي أنه يدعو إلينا، من الغلو فينا، والقول بما لم نقله في أنفسنا، وبما لم يسمعه أحد منا حتى كأنهم أعلم منا بما يقولونه فينا. ونحن نبرأ إلى الله من كذبهم علينا، وتقولهم فينا ونحن عباد من عباد الله، مخلوقون مربوبون، لا علم لنا إلا ما علّمنا، وصار إلينا عن نبيه جدنا محمد ﷺ .... نحن دون ما يقول الغالون، وفوق ما يظن الجاهلون، إنما أراد من نحلنا علم الغيب ونسبه إلينا تنزل الوحي، ممن يدعو بزعمه إلينا أن يجعل ذلك مقدمة لنفاقه علينا فإذا أراد ذلك قال لمن دعاه لم أدعكم إلا لمن وصفت لكم فيه ما وصفت فيصدهم بذلك عنا، لعن الله الصادين عنا، فإنهم عن الله يصدون، وبدينه يتلاعبون...[1].

وعن تفسير الآية الكريمة **﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** نقرأ في [**المجالس المستنصرية**] ما نصه: ... قال بعض المفسرين من أهل الظاهر إن الصراط طريق ينصب على النار يوم القيامة يمشي عليه الناس إلى الجنة، فمن الناس من يمشي عليه سوياً فيصل ناجياً إلى الجنة. ومنهم من يمشي مكباً على وجهه فيسقط في قعر النار إما عن يمينه وإما عن شماله. الذي يسقط الى النار عن يمينه هو الغالي في الأئمة المنتجبين عليهم السلام لأنه كان قبل الغلو من أصحاب اليمين..[2].

(١) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف ـ المعز لدين الله ص ١٣٠.
(٢) المجالس المستنصرية ص ٤٥.

(جـ) حول إسقاط فرائض العبادات:

نجد في مؤلفات الاسماعيليين إلحاحاً شديداً على وجوب إقامة فرائض العبادات، ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرمه الله.

من وصايا العالم للغلام، كما سجلها **جعفر بن منصور اليمن**: إن طاعة الله لتشرف أهلها، وإن ضعفت أصولهم، وإن العمل الصالح لتاج العاملين، فأما ما يجب عليك في نفسك فأداء الفريضة كلها، واجتناب المحارم كلها، فإن ذلك ملاك الدين، وزكاة الأبدان، وجملة ما يوجب لك الرضى من الله وقبوله عنك...[(١)].

وتطالعنا في سيرة الحسن بن الصباح نقطة مضيئة هي أنه قتل بيده أحد أبنائه لأنه شرب الخمر.

(د) حول إباحة المحارم:

من الاتهامات الجائرة التي أُلصقت بالاسماعيلية وبغيرها من الفرق، كالنصيرية، إباحة المحرمات.

وهي تهمة باطلة نفاها عنهم رفيق التميمي ومحمد بهجت في **[ولاية بيروت]** وكانا قد تحريا عن صحتها وخلصا إلى قناعة ببراءة الاسماعيليين منها وفيما يلي ما سجلاه في كتابهما المذكور: «كنا ذكرنا أن بعض الفرق الاسماعيلية كانت تلقن مبدأ الإباحة في النساء، ولتصل إلى درجة تحليل جميع المنهيات والمنكرات فكان من المحتم علينا أن نعلم هل أخلافهم اليوم متمسكون بتلك الضلالة القديمة أم لا؟ ولهذا عمدنا إلى القرى التي في جوارهم وسألنا عن أهليها ونقبنا عن هذه النقطة تنقيباً دقيقاً. ولكن لم نعثر على دليل، أو أمارة تدل على ارتكابهم تلك الرذائل الأخلاقية. ولا على برهان يؤيد ما جاء في بحث «الاسماعيلية» في كتاب دائرة المعارف عن شؤون ليلة عيد البقبيشة»[(٢)].

---

(١) جعفر بن منصور اليمن ـ كتاب العالم والغلام ص ٤١.
(٢) رفيق التميمي ومحمد بهجت ـ ولاية بيروت، القسم الشمالي ص ٤٠٧.

(هـ) حول القول بالتناسخ:

يرفض الاسماعيليون رفضاً قاطعاً مبدأ التناسخ. ولدينا أكثر من دليل على ذلك، منها أولاً، ما جاء في تائية عامر البصري:

قيامتي الصغرى بخلعي وإنما قيامتي الكبرى بتتميم دورتي
وليس إذا حققت ذا بتناسخ فتختلف الأعيان في كل عودةِ
ولكن إفادته الحقوق مراتباً معينة يفضي بها سر وحدةِ
فنسخي وفسخي مثل مسخي باطل ورسخي لمنع فيه عودي بهيبتي

وعن التناسخ أيضاً تحدث الداعي إدريس عماد الدين عما كتبه الكرماني حول هذا الموضوع. قال: «ثم قال قدس الله روحه، نافياً قول أهل التناسخ، ولا تعلق للأنفس بجثة أُخرى كما بينا في كتابنا المعروف بـ[تنبيه الهادي والمستهدي] استحالة الأمر فيه مما يقع به العلم، أن تعلقها وانتقالها محال باطل. وقد ذكرنا ذلك فيما سبق، بين أعلى الله قدسه، أن ذلك على غير ما يعتقده أهل التناسخ الضالون المضلون الذين يقولون: إن النفوس تنتقل إلى أشخاص آخرين فتكون مثابة فيها بنعم الدنيا، ومعاقبة بما تكون فيه من النقص والبؤس والآلام نعوذ بالله من الاعتقاد المردي في مهاوي الضلال»[1].

ثالثاً: ثبت لدينا بالدليل القاطع أن الاسماعيليين، مثلهم مثل العلويين، تعرضوا لأبشع حملات التجني التي وصلت إلى حد التكفير، مع أنهم مؤمنون، مسلمون، موحدون، يتردد التشهد في كل فصل من فصول كتبهم، ورسائلهم، وهم يهتمون اهتماماً عظيماً بقراءة القرآن الكريم.

ومن المؤلم أن الذين كفروا الاسماعيلية، وعلى رأسهم البغدادي والغزالي، عرضا في كتابيهما **[الفرق بين الفرق]** و**[فضائح الباطنية]** أقوالاً للإسماعيلية تنطق بالإيمان. ففي يمين العهد الاسماعيلية، وصورتها عند البغدادي في **[الفرق بين الفرق]**، نقرأ هذه العبارات: «جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين. . . فأنت بريء من

---

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي ـ كتاب زهر المعاني ص ٣١٥.

الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وإنك إن خالفت شيئاً مما ذكرناه لك فلله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً. . . . كفى بالله شهيداً بيننا وبينك. . . ».

ونفس هذه العبارات نقرؤها في صورة اليمين عند الغزالي في [**فضائح الباطنية**].

والأشد إيلاماً أن البغدادي يقول: «إن أمة الإسلام جامعة لكل من أقر بشهادتي الإسلام لفظاً فكل من قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فهو مؤمن حقاً وهو من أهل الإسلام سواء أكان مخلصاً فيه أم منافقاً يضمر الكفر فيه والزندقة»[1].

ويقول الغزالي: «اعلم أن شرح ما يكفر به ولا يكفر يستدعي تفصيلاً طويلاً، فاقتنع الآن بوصية وقانون. أما الوصية فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع. وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع، واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً إلا في مسألة واحدة هي أن ينكر أصلاً دينياً من رسول الله ﷺ بالتواتر، ولكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع»[2]. وبالرغم من ذلك فقد حكما بكفر الاسماعيلية وهذا من أعجب العجب.

رابعاً: للإسماعيلية آراء فلسفية خاصة فيما يتعلق بالخلق ومبدأ الكون ونشأة الإنسان والمعاد وغيرها.. تضعهم في خانة الفلاسفة، وباعتبار أن الخوض في الفلسفة، كان بنظر أهل السنة، من الكفريات، لذلك وصمت الاسماعيلية بالكفر من أجل آرائها الفلسفية.

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق.
(٢) ابن تيمية ـ كتاب مجموع الفتاوى.

خامساً: هناك نقاط تقارب كثيرة بين عقائد الاسماعيلية وعقائد الموحدين (الدروز) وهذا طبيعي، لأن الموحدين خرجوا من رحم الاسماعيلية.

وكذلك، هناك نقاط تقارب كثيرة بين عقائد الاسماعيلية وعقائد العلويين (النصيرية) وهذا ما جعل بعض المؤرخين، القدماء والمحدثين، يخلطون بين الفرقتين. من القدماء ابن تيمية الذي قال وهو يتحدث عن (النصيرية): «ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة، وتارة يسمون القرامطة، وتارة يسمون الباطنية، وتارة يسمون الاسماعيلية، وتارة يسمون النصيرية، وتارة يسمون الخرمية، وتارة يسمون المحمرة»[١].

ونفس هذا الكلام قاله **محمد زاهد الكوثري**[١].

ومن المحدثين **كامل الغزي** الذي اعتبر النصيرية فرعاً من فروع الاسماعيلية[٢]. وجاراه في ذلك **فيليب حتي**[٣].

سادساً: بقيت أمامنا نقطة واحدة من الضروري الوقوف عندها قليلاً، ليكون كلامنا عن الاسماعيلية كاملاً، هي طريقة تلقين المستجيب مبادئ الدعوة، والأمور التي تلقن له.

قبل أن ينشر التراث الاسماعيلي، ويصبح في متناول يد الدارسين. كانت معلوماتنا عن طريقة تلقين المستجيب، مستقاة من كتب الأقدمين [**الفرق بين الفرق**] للبغدادي، و[**كشف أسرار الباطنية والقرامطة**] لمحمد بن مالك الحمادي اليماني، و[**فضائح الباطنية**] للغزالي، و[**نهاية الأرب**] للنويري، و[**صبح الأعشى**] للقلقشندي، و[**المواعظ والاعتبار**] للمقريزي، وغيرها... وغيرها.

بعد نشر هذا التراث صار بين أيدينا رسالة نتحدث عن هذا الموضوع، بمنتهى الصراحة والصدق، هي [**الدستور ودعوة المؤمنين للحضور**] أو [**دستور

(١) مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة.
(٢) كامل الغزي ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ج٢، ص ٢١٤.
(٣) فيليب حتي ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢ ص ٢١٩.

علاء الدين] لشمس الدين أحمد بن يعقوب الطيبي[1].

تقع هذه الرسالة في (٢٣) صفحة من القطع العادي وتتضمن:

- الشروط التي يتوجب توفرها في المستجيب.
- صفة المرشد.
- العلوم التي تلقن للمستجيب، وطريقة تلقينه هذه العلوم.

الشروط التي يجب توافرها في المستجيب هي أن يكون بالغاً عاقلاً رشيداً، كبر وبلغ في السن، جميل الصورة، سليماً من الآفات والعاهات الجسدية والخلقية، وأن يكون إلى جانب ذلك حسن الأخلاق متمسكاً بأوامر الدين والشريعة، معظماً للنواميس الإلهية، مصاحباً لأهل الصلاح والدين، ويخضع للتجربة والامتحان، كما يجري السؤال عن أقواله وأفعاله وأحواله جميعها الظاهرة منها والباطنة. فإذا عرف منه السداد والرشاد، يجرب بترك المعاصي ويمتحن بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال في سبيل العقيدة وأداء أحكامها. فإذا ظهر أنه كان محقاً في الطلب، مجداً في الرغبة، مطيعاً، متسلماً، تبدأ المرحلة الثانية، مرحلة تلقينه أسس الدعوة، في طقوس خاصة حيث يفاتح بأسس الدعوة بحضور جماعة من المؤمنين يجب ألا يقل عددهم عن نقيب وشاهدين. فيقول النقيب بحضور الجماعة: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل بعضنا لبعض دليلاً، وبعث منا رسولاً، وأوضح لنا السبيل، وفتح علينا من كشف الأسرار ما هو أشد وطأً وأقوم قيلا... جماعة المؤمنين.... هذا فلان.... قد عرفتم ظاهره وباطنه وكشفتم سرائره وقد قصدكم طالباً، ولأنواركم راغباً... فصلوا حبل معناكم بحبله، وأجيبوه بما علمكم الله من فضله وأحيوه من موت جهله، وعرفوه حقائق الدين القويم وأرشدوه إلى الصراط المستقيم...».

وقبل أن يلقن المستجيب أسس العقيدة، عليه أن يقسم قسماً معظماً بالله،

---

(١) حقق هذه الرسالة ونشرها الدكتور عارف تامر ضمن كتاب بعنوان «أربع رسائل اسماعيلية».

وبجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويشهد الملائكة المقربين وأرواح الأنبياء المرسلين، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين أنه راغب في المذهب الاسماعيلي، وأنه يكتم ويخفي كل سر تعلمه عن كل من لا يعتقد بمعتقده. وبعد القسم، يعطى البسملة، والتشويق، والشهادة الإلهية ضمن طقوس يتخللها سجود، ويشرب المستجيب خلالها مرة الماء، سروراً وحبوراً وتذكاراً لصفي الله آدم ووصيه شيث، ومرة لبناً، تذكاراً لنجي الله نوح ووصيه سام. ومرة ثالثة عسلاً ممزوجاً بالماء، تذكاراً لخليل الله ابراهيم ووصيه اسماعيل. ومرة رابعة، شعاع العقل وبرق الوصول سروراً وحبوراً وطرباً لروح الله عيسى ووصيه شمعون... وفي آخر الأمر يشرب ذكرى للناطق المؤيد رسول الله محمد ﷺ ووصيه علي عليه السلام وبعدئذ يشير النقيب إلى أحسن الجماعة صوتاً فيقوم فيؤذن بهذا الأذان الإلهي: «الله أكبر عن إدراك الأوهام واللاهوتية، الله أكبر عن إماطة العقول بمعنويته، الله أكبر عن صفات العقول والنفوس. الله أكبر عن التحديد بالمعقول والمحسوس، وأشهد أن لا إله إلا الله الأول الأزل السابق، وأشهد أن لا إله إلا الله العالم القادر الخالق، وأشهد أن محمداً رسول الله الناطق بالتنزيل، والدليل إلى أوضح السبيل، وأشهد أن علياً ولي الله، ووصيه الناطق بحقائق التأويل، والقائم من بعده بالحق المبين، ونور الله المدل إلى سواء السبيل، حي على الصلاة، صلاة المتصلين علوم الأصول والفروع، حي على الصلاة، صلاة القائمين بأعمال المعقول والمشروع، حي على الفلاح بالاستفادة من جواهر أنوار التالي، حي على الفلاح بالتوجه إلى أركان أساس البيت المعمور، حي على خير العمل بإجابة الدعاة وإطاعة الحدود. قد قامت الصلاة في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد. قد قامت الصلاة في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد. قد قامت الصلاة في أسرار العارفين بالتأويل والتوحيد، وحقت كلمة العذاب على المنكرين بالتقليد. الله أكبر عما يتوهم الظالمون. الله أكبر عما يتوهم الجاحدون، لا إله إلا الله العلي المتعالي عن الأوهام والظنون...».

وبعد هذا الاذان يقوم أعلمهم وأكبرهم فيصلي فيهم ركعتين، ثم تبدأ مرحلة تعليم المستجيب معرفة الموجودات وكيفية الاعتقادات وتأويل المعتقد،

ومعرفة مرتبة الإمام، وتحقيق التوحيد.

من ذلك مثلاً:

النبوءة والرسالة هي ظهور الكلمة بالحجاب، وتنصيب الدليل والمرشد والباب، إلى منهج الحق، وطريق الصواب. والنبي هو المخبر عن الأصول، والداعي إلى ما يدعو إليه الرسول، وهو الناطق الداعي الى الأصلين السابق والتالي. والفروع الثلاثة والخمسة العلوية الحاملة للكمال. وأما الصحيفة والكتاب، وتبيان جزيل الخطاب، فهو اتصال التأييد من السابق إلى الناطق وهدايته إلى التأليف وإعانته على التصنيف. وأما الملائكة المقربون، فهم القوى العالمة في العوالم العالية والسافلة. والكروبيون هم القوى الممهدة للنطقاء في تأليف التنزيل والأديان. والشرائع هي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام الأرضية.... والقبر هو الصورة الجسمانية، والهياكل الجرمانية. وعذاب القبر هو تأثير النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع، وذلك على سبيل التغيير. وإتيان منكر ونكير، هو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك. والحشر هو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها........

والميزان هو الآلة التي يستعملها العقل الدارك المحيط المميز المركب من البسيط. والصراط هو البرزخ، ومصير النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى. ومعنى الجنة العوالم الثمانية.

والمصير والرجوع إلى الله تعالى هو انتهاء جميع النسب والإضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة إلى المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية، أو معرفة مرتبة الإمام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام، والحلال الواجب إظهاره وإعلانه والحرام الواجب ستره وكتمانه هو الطاعة والدخول في عهد إمام الزمان، والثاني المعصية والميل لأئمة الضلال والعدوان... والصلاة صلة الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلى

الإمام. والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق وإرشاد الطالب لمنهج الحق، والصوم الإمساك عن كشف الحقائق والنواميس الشرعية لغير أهلها في دور الكشف. والستر هو استتار الإمام بحججه واختفاؤه بدعاته. والنهار دليل على دور الكشف، والإفطار ظهور الإمام من وراء حجابه، وإظهار المعاني الإلهية، وعرفان حقيقة الأحوال العادية.. والحج هو القصد إلى حجة السادة الأئمة من أهل البيت.. والإحرام الخروج من مذهب الأضداد، وتحصيل القابلة الاستعداد للوقوف في عرفات، والمزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة....... والعدل ترك الناقص مع وجود الكامل. والإحسان إحاطة العلم بالإمام، وقدرته على ما بطن وظهر وتجلى واستتر. وإيتاء ذي القربى محبة الرسول، وولاية أولاد البتول، وتفضيل الهاشميين، والقول بإمامة الفاطميين. والظلم وضع الإمامة في غير آل محمد.

وإذا قارنا ما جاء في هذه الرسالة من أقوال مع ما كتبه البغدادي واليماني والغزالي والنويري والقلقشندي والمقريزي و... و... تبين لنا حجم الأباطيل التي أضافها هؤلاء على أقوال الاسماعيلية للتشنيع عليها.

القسم الثاني

الدولة الفاطمية

- مرحلة التكوين والنشوء
- مرحلة الانتشار والسيطرة
- الدولة الإسماعيلية في مصر
- الدولة الإسماعيلية في اليمن
- الدولة الإسماعيلية في بلاد فارس
- الدولة الإسماعيلية في مصياف

الدولة الفاطمية

استطاع الأئمة من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، بفضل التخطيط الدقيق، البارع، الذي اتبعوه، من نشر دعوتهم في اليمن والمغرب الأقصى، ومن ثم تأسيس دولة مترامية الأطراف، ضمت بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة[1].

ويعود الفضل، في نجاح دعوتهم، بالدرجة الأولى، إلى دعاتهم الذين كانوا طرازاً فريداً من الرجال، تميزوا بالكفاءة، والعبادة، والفضل، والعلم، والإيمان الكبير برسالتهم. ولتحقيق الأهداف الملقاة على عواتقهم، انتشروا في مختلف الجهات والأمصار، يدعون إلى مذهبهم، ويبشرون بظهور المهدي عليه السلام من آل محمد. وكان من أشهرهم: **الحسين بن فرج بن حوشب ابن زادان الكوفي، وعلي بن الفضل الخنفري** اللذان نشرا الدعوة في اليمن سنة ٢٧٠هـ. **والحلواني وأبو سفيان** اللذان توجها إلى المغرب وأقاما فيه، ثم لحق بهما **أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي** وأخوه **أبو العباس** فنجحا في نشر الدعوة سنة ٢٨٨هـ ـ ٩٠٠م.

وقد وقع الاختيار على هذين البلدين أولاً، بعد دراسة دقيقة لأوضاعهما السياسية والاجتماعية والدينية، ونفسية السكان فيهما. وبعدهما عن السلطة المركزية ببغداد. وبعد عشر سنوات من انتشار الدعوة في المغرب تملك

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٤٩.

المهدي عبيد الله، بلاده كلها بسيوف الكتاميين والصقالبة. وكان هذا بداية ظهور الدولة الفاطمية التي اتخذت من المهدية، التي بناها المهدي عبيد الله سنة ٣٠٣هـ، عاصمة لها.

وتعاقبت على حكم هذه الدولة الجديدة، التي عاشت نحواً من ٢٧٠ سنة (من ٢٩٧هـ الى ٥٦٧هـ/ ٩٠٩ ـ ١١٧١م) ١٤ إماماً، أولهم عبيد الله المهدي (حكم من ٢٩٧هـ الى ٣٢٢هـ) وآخرهم العاضد لدين الله، أبو محمد، عبد الله (حكم من ٥٥٥هـ الى ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧١م) عاش ٤ من هؤلاء الأئمة بالمهدية، عاصمة مملكتهم بالمغرب، قبل انتقال عاصمة الخلافة إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م.

والحديث عن الدولة الفاطمية يجرنا إلى الحديث عن نسب الفاطميين وما أُثير حوله من شبهات.

بداية نقول: إن أقوال المؤرخين، غير متفقة، حول نسب الفاطميين، وهي تبتعد عن بعضها ابتعاداً كبيراً جداً. ولدينا بهذا الخصوص أكثر من قول.

من الأقوال إنهم من ولد ديصان البوني الثنوي. وكان لديصان ابن يدعى ميمون القداح فولد ميمون عبد الله. وكان عبد الله عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، اشتهر بالتشيع، وكان يدعو الى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام. وقد أثارت دعوته حفيظة الحكام فطلبوه فهرب إلى البصرة، ثم غادرها إلى سلمية، من أرض الشام، ومات فيها فخلفه ابنه أحمد.

وكان لأحمد ولد اسمه سعيد، اشتهر بسلمية بعد موت عمه، وكثر ماله، فطلبه الخليفة في بغداد ففر الى مصر ومنها توجه إلى المغرب وهناك تسمى بعبيد الله وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي[1].

وهناك من يقول: إن عبيد الله من اليهود. وإن الحسين بن أحمد تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودي يعمل حداداً، مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات ولم ينجب، فعهد إلى ابن امرأته هذا

(١) المرجع السابق ص ٣٤٨.

فكان هو عبيد الله المهدي[1].

وقال بعضهم: والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة[2].

لدينا قول ثالث مفاده أن عبيد الله المهدي هو ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام[3]

من المؤرخين من قال: إن محمد بن اسماعيل بن جعفر كان بالمدينة، وولد بها ولدين جعفر واسماعيل، وإن الرشيد طلبه فاستتر في داره بالمدينة، ولما هدأ عنه الطلب خرج مستتراً وتوجه إلى بلاد الديلم، لا يعرف مكانه إلا خواص شيعته. وفي الديلم ولد له ولد يكتمون اسمه، ويسمونه الإمام المستور. ثم إن محمد بن اسماعيل توفي بالمشرق، وقبل وفاته أوصى إلى ابنه المستور بالإمامة. وأكد عليه في ستر اسمه، فمضى ابنه بعده على هذه السيرة، وهم يلقبونه بالمهدي، ثم أوصى المهدي إلى ابنه بمثل ذلك، وهو يلقب بالمقتدي، ثم أوصى المقتدي إلى ابنه بمثل ذلك، وهو يلقب بالهادي. وانتقل الهادي إلى الكوفة ثم تركها هرباً ونزل بالشام مستتراً فأقام بسلمية من أعمال حمص، وبقي فيها إلى أن مات وخلف ابنه عبد الله فبعث الخليفة المكتفي من يقبض على عبد الله لكنه هرب إلى مصر ومنها إلى المغرب[4].

الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين القرشي، تكلم عن نسب الأئمة الفاطميين في معرض حديثه عن الأئمة من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويفهم من كلامه، أن كلمة اسماعيل بن جعفر بقيت في عقبه. ولما آنت نقلته، سلم الأمر إلى ولده عبد الله الرضي، وجعله الخلف والوصي. ولما انتهت مدته، أقام ولده أحمد التقي، ولما دنت إلى دار الكرامة رفعته سلم الأمر إلى ولده الحسين بن أحمد المقتدي فقام متماً لأوضاع أبيه. وكثر الاستجابة إلى

---

(١) المرجع السابق.
(٢) محمد بن أبي الفضائل الحمادي ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ١٩.
(٣) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ٢٦.
(٤) نشوان الحميري ـ الحورالعين ص ٢٥١.

دين الله الحق لقرب ظهور المهدي عليه السلام ثم قام المهدي بالله وانتشرت دعوته في الآفاق. فظهر من سجلماسة وكان المهدي بالله رابع الخلفاء، ولما آن رحيله، سلم إلى ولده القائم رتبته وأدى إليه وديعته. وانتقل إلى جوار ربه. وقام الإمام القائم محمد أبو القاسم[(١)].

بناء على الأقوال السابقة، نستطيع أن نرسم شجرة نسب الأئمة الفاطميين على الشكل التالي:

المقريزي (الخطط)	المقريزي (اتعاظ الحنفا)	نشوان الحميري	الداعي ادريس
ديصان	جعفر الصادق	محمد بن اسماعيل	محمد بن اسماعيل
ميمون القداح	اسماعيل	الامام المستور	عبد الله الرضي
عبد الله	محمد المكتوم	المقتدي	أحمد التقي
أحمد	جعفر المصدق	الهادي	الحسين بن أحمد
الحسين	مجد الحبيب	عبد الله	المهدي بالله
سعيد (عبيد الله)	عبيد الله		

وبالرغم من هذا التناقض في تسلسل نسب الأئمة الفاطميين، فإن نفي اتصال نسبهم بآل البيت عليهم السلام، والقول بأنهم من نسل ديصان الثنوي، أو أنهم من اليهود، قول هراء. وإنهم اتهموا بذلك للتشنيع عليهم وصرف عواطف الناس عنهم.

وقد تنبه إلى زيف هذه الأقوال عدد من المؤرخين القدماء منهم ابن

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي ـ كتاب زهر المعاني ص ٢٠٥ وما بعدها.

خلدون (ت: ٨٠٨هـ) الذي قال: ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي كتب ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة.... والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع، وهو ما علمت. وقد كان نسبهم ببغداد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة فتكون الناس بمذهب أهل الدولة، وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أول شيء على صحة نسبهم.

وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية لميمون القداح وغيره فكفاه ذلك إثماً وسفسفة[١].

وبنفس المعنى كتب **المقريزي** (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ومما قاله.... وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها إنما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطيرون من بني علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه وردوه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فإنه كتب في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيد الله ففطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد فإن المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه إذ القوم حينئذ لا يدعون لدعي البتة ولا يذعنون له بوجه وإنما ينقادون لمن كان علوياً فخاف مما وقع ولو كان عنده من الأدعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض[٢].

ومن المضحك جداً القول إن الدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة. لأن صلاح الدين الأيوبي، الذي قضى على الدولة الفاطمية، استعمل ابن ميمون اليهودي، وأطلق يده في كل شيء وبفضله صار لليهود يد عليا وكلمة نافذة في دولة صلاح الدين. ومع ذلك لم

---

(١) تاريخ ابن خلدون، المجلد الرابع ق١، ص ٦٤.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٤٩.

يقل أحد من المؤرخين إن صلاح الدين كان يهودياً.

* * *

بعد ما يقرب من تسع سنوات على وصول الداعيين أبي عبيد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، إلى المغرب، تمكنا من بسط سيطرتهما على أكثر مدنه واجتذبا إلى دعوتهما أعداداً كبيرة من سكانه. بالرغم من الصعوبات الكثيرة التي قامت في وجهيهما والحرب الشرسة التي شنها عليهما الخليفة العباسي، بواسطة أعوانه في المغرب، وعلى رأسهم زيادة الله بن الأغلب. واستعمل في هذه الحرب كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ومنها الحرب الإعلامية من فوق المنابر، حيث كانت تقرأ على سكان المغرب، كتب الخليفة التي كان يرسلها إلى أعوانه. ومنها الكتاب التالي:

بسمِ الله الرحمن الرحيم، من الأمير زيادةِ الله بنِ عبد الله الناصِر لدين الله القائم بسنّة رسول الله ﷺ المجاهد لأعداء اللهِ، إلى جماعة المسلمين بمدينة كذا وبَواديها، سلامٌ عليكم! فإن الأمير يحمَدُ الله الذي لا إله إلاّ هو ويسأله أن يُصلّي على محمد عبْدِهِ ورسوله ﷺ. أما بعدُ فإنّ الله تبارك وتعالى اسمه، وعزّ وجلّ آله، وقد تكفّل بالفتح والإعزاز لأهل دينه، والذّابين عن سنّة رسوله، على من نَاواهُم والتّمكين ممن انتصب لهم وعاداهم وممّن شاقّه ونصب له وبدّل دينه وغيَّر سُنن أنبيائه.

وقد انتهى معشر المسلمين عن هذا الكافر الصَّنْعاني المبدِّل لدين الله المحرِّف لكتابه، المُستحلّ دماء المسلمين بغير حقّها المُبيح للفروج بخلاف حلّها، مرتكباً للمحارم فيها، الآكل أموالهم مُستلباً لها، قد عرفتموه فيما انتهى إليكم عنه. فإنه أوى إلى كُتامَة بَرابر أغتامٍ، وجُهّال طغَام، فاستَزَلَّهم، واستهواهم، واستَغواهم: فدعاهم إلى تبديل دين الله، فأجابوه، وتحريف سنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) فأطاعوه لجهلهم بالدين والسنّة، وما أراده الله عزّ وجلّ بهم من الشَّقْوة والمِحْنة ولِأنّهم بمنزلة الحُمر النَّافرة، والأنعامِ السَّائمة فما زَخْرف لهم قبلوه، وما زيّنه لهم اتّبعوه، وكل من كانت لهم منهم مسكةٌ أو علم شيئاً من الكتاب والسنة لم يجد غير الهرب إلينا منه بدينه، والمُقام على

حربه، منتجزاً وعدَ الله في هَلاَكه وقطع شأْفتهِ كعادته في أمثاله.

ومن أيسر ما ظهر من كفره وانتشَرَ من قبيح ٱنتحاله وأمره وفَشا عنه، وعُرِفَ وأطبق عليه منِ ٱتَّبعه إظهار لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ﷺ وصهريه وخليفتيه وضجيعيه وعثمان ذي النُّورين، زوجِ ابنتيهِ؛ وطلحة والزُّبير حوارِيَّيه وجماعة من أخيار صحَابته (رحمة الله عليهم). ويزعم أن علياً (رحمة الله عليه) كان يرى ذلك فيهم، ويذهب إليه من أمرهم. وقد برّأه الله من ذلك بحُسْن الصِّحابة لهم وجميل العِشرة أيّام حياته وحياتهم، واتّفاقه معهم على ما أرضى الله عنهم. ثم زعم الفاسِقُ أنّ مَنْ لم يدِن بذلك ويرَهُ ويقُلْه ويعتقِده ويتبرّأ من أصحاب رسول الله ﷺ السابقين فهو خارجٌ من جملة المسلمين، حلالٌ دمُه ومالُه وسَبْيُ ذَرَاريه.

ثم شرّع شريعةً غير شريعةِ الإسلام وٱسنَّ سنّةً غير سنة محمد ﷺ كَتَمها، وأسَرَّ أمرَها. وأخذ العُهود والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها، وترك التَّفوُّه بها، وما يدلّ عليها لئلّا تظهر إلى المسلمين فيستحلُّوا جهَادهم عليها ـ وافترض لله على كل امرئ دخل في أمره ديناراً سمَّاه دينارَ الهجرة ودرهماً زعم أنه درهم الفِطْرة وجعل لنفسه حقّاً واجباً في أموال الأُمة؛ وهدم المساجد وقطع الصلاة وٱستخفّ بحرمة الدين وبان من جماعة المسلمين.

وقد رأى الأميرُ زيادة الله بن عبد الله رغبة في ثواب الله ربِّه جهاد الفاسق بنفسه، والقصدَ إليه بحُماةِ رجالهِ وأنصار دولتِه، وٱنتهاز الفرصة فيه قبل أن يُسْبق إليه ـ فقد انتهى إلى الأمير أنّ أمير المؤمنين المكتفي بالله ـ أطال الله بقاءه ـ لمّا انتهى إليه خبرُه أمر بإخراج العساكر إليه من قِبَله مادَّةً للأمير زيادة الله ابن عبد الله، وتقوية له. والأمير يرجو أن يُظْفِره الله بالفاسقِ من دون ذلك ويجعل له سبباً للظَّفر به، وفخره وثوابه، ويجعل ذلك ما سرَّه ويجمع ذِكره مع فخرِهِ لأمير المؤمنينِ بحُسن نِيَّته، والأميرِ زيادة الله بن عبد الله سهمٌ من سِهامه وشِهابٌ من شُهبه، وما أظهَرَه الله عزّ وجلّ عليه، وأظفره به فهو منسوبٌ إلى أمير المؤمنين، وسببٌ من سَبَبه.

وقد انتهى إلى الأمير ما انتشر قِبلَكُم، وفشا فيكم من الأشانيع عن أقوال المُرجفين وزَخارف المُشنعين، وتهويل المهوِّلين أمرَ اللعين الفاسق لمّا بلغهم انصراف الجيوش عنه وتغلُّبه على ما دنا وقرُب منه. وزاد في ذلك المُرجف والمُهوِّل، وشنَّع به الكذُوبُ المبطلُ. ولم يكنْ أكثر ما قالوه ولا بعض ما أرجَفُوا به، وهوَّلوه. ولا بدّ في الحروب من الكرَّات والإقدام والهزائم والإحجام، فقد قيل: الحرب سِجالٌ مرة لك ومرّة عليك. وقد انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في غير مشْهَد وأحجَمُوا في غير موقف، ثم كانت العاقبة للمؤمنين كما وعدهم الله عزّ وجلّ في كتابه المُبين. فلْيحسُن بالله ظنُّكم، وتطمئنّ بما وعدكم قُلوبكم، وليظْهرْ من قلة اكتراثكم بأمر هذا الفاسق ما يكون دليلاً على ثقتكم بربِّكم! وانفروا إليه خِفافاً وثقالاً كما أمركم الله وجاهِدوا بأموالِكُم وأنفُسكم كما افتُرِض عليكم! وادفعوا عن إباحة مُهجِكُم وانتهاك حرِيمِكُم! وأن لا تفْتَتنُوا في دينكم، وكافحوا عنه مَنْ بدَّلَه، وتبرّؤوا ممن أحدث فيه وغيَّره! وفَّقكُم الله لما يحب ويُرضيه ويُزْدَلف به إليه! والسَّلام عليكم وبركاته[1].

ثم استعمل رسولاً أظهر أنه جاء إليه من بغداد بخلع وأعلام وبسيوف وبدروع، وبكتاب كتبه نسخاً وفرقه، فقرئت أيضاً على المنابر.

وكانت نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أبي محمد المُكتفي بالله أمير المؤمنين، إلى أهل إفريقية من المسلمين، سلامٌ عليكم! فإنّ أمير المؤمنين يحْمَد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ويسأله أن يُصلّي على محمد عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله). أما بعدُ فإنّ الله(تعالى) جعل الإسلام محَجَّة هاديةً إلى مرضاتِهِ، وجنَّة واقيةً من سخطه، وعصمة ومثابة لمن لجأ إليه، ووسيلةً إلى النجاة لديه. وجعل المسلمين إخوة ألَّف بين قلوبهم، وأوجَبَ التَّرافد والتّعاون عليهم، وجعل من فارق جماعتهم، وخرج عن جُملتهم، ومرَقَ عن ملَّتِهم

(١) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ١٨٦.

واختار غير دينهم مُنقطِعَ العِصْمة بريئاً من الذِّمَّة مُبدلاً بالكفر النِّعمة؛ وألزمَهم أن يكونوا يداً على سِواهم، وأعداء لمن عاداهم، وإلْباً على من بغَاهُم، وحرباً لمن ناوَاهم، وسِلماً لمن والاَهم، يجتمِع على ذلك ألْسِنتهم وأهواؤُهم، ويتّفق فيه أيديهم وآراؤُهم حتى يكون عدوُّ الله عدوَّهم المقصود بكيدهم، المقهورَ بأيديهم، المكبُوب بتظاهرهم، المغلوبَ بتآزرهم، ولا يجدوا ولِيجَةً بينهم ولا سبيلاً إلى المخالفة بين قلوبهم. فمنْ فعل ذلك فقد سلك الطّريق المُثلى وتمسَّك بالعُروة الوثقى واستحقّ خير الآخرة والأولى وجرى مع طاعةِ الله عزّ وجلّ وأمْره. ومنْ جانَبَهُ مُخالفاً له، حائداً عنه، ناكِباً عن سبيله، أوْتَغَ دينه، وخانَ أمانته وخترَ عهده وباء بغضبٍ من ربّهِ، وكان الحاطب على ظهره والجانيَ على نفسه، يقول الله جلّ ذكره **﴿لا تجِدُ قوْماً يُؤمنُون بالله واليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ منْ حادَّ الله ورَسُولَهُ ولوْ كانُوا آباءَهُم أو أبنَاءهُم أو إخوانهم أو عشيرتهُمْ﴾** والله يؤيِّد من أحبَّ بإرشاده وبتوفيقه ويكِلُ من بَرِئَ منه إلى نفسه واختِيارهِ **﴿ومنْ يضْلِلِ الله فما له من هادٍ ومنْ يهْدِ الله فما له من مُضلٍّ أليس الله بعزيز ذي انتقامٍ﴾**.

وانتهى إلى أمير المؤمنين خبرُ عدوّ الله الخارجي النَّاجم بأطراف نواحي المغرب واستِهوائه من استهواه من أشياع الضَّلال وأوباش الجهَّال المُوضِعين في الفِتن وما هم مُعتقدُون من خَلْع رِبقَة الإسلام، وتَدرُّع جلْباب الكفرِ، وإظهار الشِّقاق والنِّفاق والمروق عن الدّين والمِلّة، وبسْطِ الأيدي بالعظائم، وسفك الدِّماء وانتهاك المحارمِ، وارتكاب المآثم، ما قد فَشا من الفسَاد في ذلك الصَّقع بهم، ووصل إلى أهله من معرفتهم، وأنّ زيادة الله بن عبد الله أنْفَذَ إليهم الجيوش عِدَّة دفعاتٍ وأنّ هؤلاء الكفرة مقيمون على مُناوءتِهِ والطَّمع في نواحيه، مُغْترُّون بالمُهْلةِ التي جعلها الله حُجَّة عليهم، وأملى لهم، ليزدَادُوا إثماً إلى إثمهم وليحْمِلُوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم. وليس يخْفَى على أهل الحزم والرّأي والنَّظرِ والتمييز موقعِ الطّاعة ومقدار فضلها، وما تعودُ به على أهلها من صلاحِ الدّينِ والدُّنيا وسلامَةِ البدْءِ والعُقبى، إذ كانَ الله جلَّ ثناؤُه قد جعل طاعة سلطَانه وخُلفائه في أرضه معقودةً بطاعته وطاعة رسُوله وفرضها على المؤمنين من عباده، فقال: **﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا أطِيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُول وأُولي الأمر مِنْكُم﴾** فالسَّعيد الوافر حظاً الرَّشيد أمراً، الفائز يوماً من تمسَّك

بحبلها وأوَى إلى ظلّها، والشَّقيُّ الخاسر ذو الجِدِّ العاثر من عنِدَ عنها وابتغى غير سبيلها.

وقد علمتم حال زيادة الله بن عبد الله من المُوَالاةِ والإخلاص والمشايعة لأمير المؤمنين، والانتهاج بسبيلِهِ والاقتفاء لأثره، والعمل بعهده والوقوف عند أمرهِ، وحسن السيرة، والرّفق بالرَّعيَّة وإقام المعدَلَة والذَّبِّ عن الثغور التي هو بسبيلها، ومقارعةِ المتطرِّفين لها، والباغين بها، والمُحاولِين انتهاز الفرَص فيها، وما درَجَ عليه سلَفُهُ من ذلك واحداً بعد واحد. وانّ من كان مذهبُه مذهبَ زيادة الله كانت وسيلتُهُ الوكِيدة وقريبتُه القرِيبة عند أمير المؤمنين، وكان حقيقاً بالاجتِباء لهُ والإحسان إليه والسُّكون إلى ناحيته. وأمير المؤمنين مُرْتضٍ أمْرهُ حامدٌ لطريقته، واثقٌ بمُناصحتِهِ، مُعتمدٌ عليه في الصَّقع الذي هو به، وقد واجه من هؤلاء الكفرة وتجرّد من أمِرهم ما الله معِينه عليه ومتَوحِّد بالصنع فيه ومُجرِ أمير المؤمنين على أفضل عاداته في أمثاله، وأمير المؤمنين على إنقاذ الجيوش ومواصلة الإمداد إليه معونة له وتقويةً لأمره وشدّاً عليه فيما هو بسبيله.

ورأى أمير المؤمنين أن يكتب إليكم لِتَعلمُوا حال زيادة الله عنده وموقعه من رأيه وما يرعاه من حُرْمته ويحافظ عليه من وسيلته بنفسه وسلَفِه وتُؤْثروا بالتَّمسك بطاعته، وترك الخلافِ عليه والتَّصرُّف مع أمرِهِ ونهيه ومُكاتمَتِهِ على محاربة أعداء الله الكفرة ومجاهدتهم، وإجابة دعوته متى استدْعاكُم واللُّحوق إليه وترك التَّثاقُل عنه والإجلال له لِتُردَّ كُتُبه بوصف ذلك منكم، والإخبار به عنكم، فيَحْسن موقعُ شهادته لكم وتُحلُّوا محلّ الأولياء وأهل السّمع والطّاعة الذين يجب حياطتهم ويركَنُ إليهم، ويعود عليكم من عوائد ذلك ما تغتبطون به وتحْمدُون اختياركم معه. فاعلموا ذلك من رأْي أمير المؤمنين واعملوا به. وقِفُوا عنده ولا تخالفوه إلى غيره، وأجيبُوا عن كتاب أمير المؤمنين بوصوله وامتثال ما حدّ لكم منه إن شاء الله(تعالى) والسّلام![1].

وفي المقابل، كتب أبو عبد الله كتباً ووزعها على مدن المغرب لتقرأ في المنابر بين فيها أسباب خروجه وماهية الدعوة التي يدعو إليها.

---

(١) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ١٩٢.

من هذه الكتب، الكتاب التالي:

أمّا بعد، فإن الله ـ وله الحمد ـ قد شرَّف منزلةَ العدل وأعلى قدْرَهُ، وأثنى ذِكْره، واختاره لنفسه، ورَضِيَهُ وصيَّره ذريعة إلى الهدى وسبباً إلى التَّقوى وأقامه مِيزاناً بين خلقه، وجعلَ به صلاحاً لكل شيء ونظامه وقوامَهُ وتمامه، فكان من عدله أنّه أوجب الثّواب لمن أطاعه والعقابَ لمن عصاه، ولم يُوجب للمُسيء ثواب المحسنِ، ولا للمحسن عقاب المسيء، بل جازى كلّ ساعٍ على قدر سعيه وأعطى كل عاملٍ أجر عمله، عدلاً منه كما قال (جلّ ثناؤه) في مُحكم كتابه ـ الذي **﴿لاَ يأتيهِ البَاطلُ مِنْ بينِ يدَيْهِ ولاَ منْ خلفِهِ﴾** **﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ما سَعَى﴾** **﴿وأنَّ سعْيَهُ سوفَ يُرَى﴾** **﴿ثمَّ يُجْزَ لهُ الجزاء الأوْفى﴾** وأوجب إظهار مِنهاج الحقِّ وإبطال سُنن الجورِ والغَشَم على منْ مكَّنه الله في بلاده وعبادِهِ، ومنحه ما مَنَحنِي من النُّصرة والتَّأييد والعزِّ والتَّمكين على أعدائه وأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انقادت إليَّ الأُمور بأزمَتِها وسَلِسَتْ أعِنَّتُها.

وإنَّ أوْلى النّاس بنُصرة الحقِّ والذَّبِّ عنه من فهّمه الله ما فهّمني منْ علم كتابه ومواقع وعْدِه ووعيده وعلِمَ أنّه مسؤول عن رعيّته ومأمور بالعدل فيها والإحسان إليها، قال الله (تبارك وتعالى): **﴿إنَّ الله يأْمُرُ بالعَدل والإحْسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى وَيَنْهى عنِ الفحْشاء والمُنكَرِ والبغْي يَعِظُكُم لعلّكُم تذكَّرون﴾** فجعل (تبارك وتعالى) الحُكم بالعدلِ أمْراً عامّاً دخل فيه الشَّريفُ والوضيعُ والصَّغيرُ والكبيرُ. ثمّ دلَّ رسولُه صلى الله عليه وآله وسلم أُمَّتـهُ على الشيْئينِ المُنَجِيينِ من الضَّلال والهادِيَيْن إلى الرَّشاد وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أُمّتـه بالتَّمسُّكِ بهما فقال: «إني تاركٌ فيكُم الثَّقَلينِ ما أن تمَسَّكْتُم به لنْ تضلُّوا بعدي كتاب الله وعِتْرتي أهل البيتِ» فمن تعلَّق بكتاب الله وعمل به وتصرّف مع أوامره وزواجره فقد تعلّق بالحُجّة العُظمى ومن تمسَّك بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيـرة أهلِ بيته وسَلَك سبيلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى» وقاداه معاً إلى النّجاة ووقَفَا به على محجَّةِ الحقِّ الذي أمر الله به داود عليه السلام أن يحكم به فقال: **﴿يا دَاوُدُ إنَّا جعلْناكَ خليفةً في الأرض فاحكُمْ بينَ النَّاس بالحقِّ ولا تتَّبع الهَوَى فيُضِلَّك عن سبيلِ الله إنَّ الذينَ يضِلُّونَ عن سبيلِ اللهِ لهُم عذَابٌ شديدٌ بما نَسُوا يوْمَ الحسابِ﴾** فأمر نبيه داوود عليه السلام

بالحكمِ بالحقِّ الذي هو أزكى الأعمال وأشرف الذَّخائر وأرْجحُ كلِّ موزنٍ وأفضلُ مخْزُونٍ لديه. ثمِ أخبر رسول الله ﷺ بمنازل أهل العدل والحقّ والآخرة فقال: «المُقسِطونَ على منابرَ مِنْ نورٍ يومَ القيامةِ».

وقد علم الله ـ وكفى به مُسْتشهداً وعليماً ـ أن نيَّتي وَطَويَّتي وإرادتي إقامةُ العدل في الرَّعيَّة والإحسان إليها والرّفق بها، وإنْ تكأَّد إظهار ذلك وحملُه باضطراب الخيلِ وٱنتقالِ الأمرِ وجنايات فرَطَتْ من السُّفهاء والغوغاء فلم أستجزِ في ذلك كلمةً وإن عَظُمَ موقع فِعلهم منّي لا آخُذُ البريءِ بالنَّطِف ولا الحليمَ بالسَّفيه لقول الله (تبارك وتعالى) ﴿وَلَا تزرُ وازرَةٌ وزْرَ أُخرى﴾ فلا تستكثروا ـ رحمكم الله ـ ما تكأَّدَ من ذلك فإنَّ لكلٍّ بادرةٍ وهنةً ولكلِّ سائلةٍ قرارةً ولكلّ داخلٍ دهشةً ولكلِّ مُوقِدِ نارٍ دخاناً ولكلّ هدمٍ غباراً، ثمّ تسْكُنُ الأُمور وتستقرُّ في قَرَارها وتثبتُ في نظامها. ولا تستَوْحِشُوا من سرعةِ خُروجي من بلدكم وٱنقشاعي عنكم فإنّي إنما آثرتُ ترك الدَّعة والسَّعة وهجرتُ مهاد الخفضِ ورفاهةَ العيش ٱبتغاء ثواب الله وطَلَبَ الزُّلْفى لديْهِ، ثمّ إنَّ لَمَّ شعَثِكُم وضمَّ نشَرِكُم يعودِ نفعه عليكم في يومكم وغدِكم وعاجِلكم وآجلكم، فاسكنوا إلى ذلك واطْمَئِنُوا إليه وكونوا على إحياء الحقّ أنصاراً وعلى إماتةِ الباطل أعواناً. فأنا أرجو من الله أن يُبْلِغَني إظهار العدْلِ وإحياءَ الحقّ إلى غايةٍ يشرَبُ لها الذِّئبُ والشَّاةُ من منهلٍ ويجتمع العدوُّ مع عدوه في منزلٍ رضى بالحقّ واصطلاحاً عليه ويسلُكُ السَّفْر والسَّيَّارةُ بلا خفيرٍ ولا سفيرٍ من لَدُن أرض مِصْر إلى أقصى البَحْر إن شاء الله (تعالى).

وقد أمَرْتُ تمّام بن مُعارِك بالرِّفق بالرَّعيَّة والإحسان إليها وإفاضةِ العدْلِ والعُرف فيها وقَبْضِ يد الجور وإزالة الغَشْمِ منها وإنفاذ نسخة كتابي هذا إلى جميع العمّال في جميع أعمال إفريقية ليأْتمّوا به وينتهوا إلى أمري فيه ويقفوا عنده ولا يتَجَاوزوه إن شاء الله. والسلام(١).

* * *

ولما وجد أبو عبد الله الشيعي وشقيقه أبو العباس أن الظروف مهيأة لحضور المهدي كتبا إليه بالحضور وتسلم زمام الأمور.

وكانت عين الخليفة المكتفي ببغداد، تراقب ما يجري بانتباه شديد، لذلك أرسل في طلب المهدي[1] فخافه المهدي وغادر سلمية مع ابنه نزار، متوجهاً إلى مصر. فكتب الخليفة إلى عيسى النوشري، أمير مصر، بالقبض عليه، كما كتب بنفس المعنى إلى زيادة الله بن الأغلب في المغرب. لكن المهدي استطاع الإفلات من النوشري وزيادة الله، ووصل إلى سلجماسة فقبض عليه عاملها اليسع بن مدرار وسجنه بعد أن ورده كتاب من زيادة الله ابن الأغلب.

وعندما وصلت أخبار القبض عليه إلى رقادة حيث يقيم أبو عبد الله الشيعي سار في جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره، يريد سلجماسة.

وبعد يوم من القتال فر اليسع ودخل أبو عبد الله المدينة وأخرج المهدي وابنه من السجن ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل، وهو يبكي من شدة الفرح ويقول للناس هذا مولاكم، حتى وصل الى فسطاط ضرب في العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل في طلب اليسع فأدركته ومن هرب معه من أهل بيته وأتوا به إلى المهدي فأمر بضربه بالسوط فضرب أربعين سوطاً وطيف به في العسكر وفي مدينة سلجماسة، واستصفى أمواله وأموال من أعانه وهرب معه من أهل بيته، وقتله بعد ذلك وقتلهم[2].

وأمر بكتابة كتب وزعت في البلدان وقرئت على المنابر، منها الكتاب التالي الذي قرئ على المنبر بالقيروان:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين، سلامٌ عليكم! فإنّ أمير المؤمنين يحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ويسألُه أن يُصلّي على محمد عبده ورسوله ﷺ.

---

(١) هناك أقوال مفادها أن المهدي خرج من سلمية مع أهله وعياله هرباً من القرامطة الذين أرادوا قتله بعد أن اكتسحوا سلمية ودمروها وقتلوا خلقاً كثيراً فيها.

(٢) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ٢٨١.

أما بعد فالحمد لله الذي رفع علَمَ الحقِّ وأعزَّ أهله، ونكَسَ ألْويةَ الباطِل وأذلَّ حزْبَهُ، القادرِ فلا يُعارض في قدرته، العزيز فلا يُغالب في أمره. النَّاصر لدينه الذي رضِيهُ لنفسه، وشرَّفه بأكرم أنبيائه عليه وأعلاهم درجةً عنده، وأشرفهم منزلةً، وأقربهم وسيلةً لديه، محمد ﷺ حاملِ حكمته ومُسْتَودع غيبِهِ وما يكون بعده منْ كيْدِ الكائدينِ وخيانةِ الخائنينِ وظُلْم الظّالمين لأهل بيته، إلى ما سبق من وعدِه له فيهم بالنصرِ والتأييد والعزِ والتَّمكين كما قال في محكمِ كتابه وتنزيله: الذي ﴿لا يأْتيه الباطلُ منْ بين يدَيْهِ ولاَ من خلْفهِ﴾ ﴿ونُريدُ أن نمُنَّ على الذينَ استُضْعِفوا في الأرض ونجعلَهُم أئِمَّة ونجعَلَهُم الوارِثين﴾ ﴿ونُمكِّن لهم في الأرض ونُري فِرْعَون وهامَانَ وجُنُودَهُما مِنهُمْ ما كَانوا يحْذَرُون﴾ وقال: ﴿ولقد كتَبْنا في الزَّبُور منْ بعْدِ الذِّكْر أنَّ الأرض يرِثُها عِبادي الصَّالحُون﴾ ﴿إنَّ في هذا لَبَلاغاً لقومٍ عَابدينَ﴾.

وأنجزَ (جلَّ ثناؤه) وتقدَّستْ أسماؤه وعده لرسوله ﷺ يرَدِّ إرث النّبوّة ومقاليد الإمامة إلى عِتْرة نَبيِّهِ، وأعزَّ الدين والمؤمنين، وأنقذهم من الهَلَكَة، في كلّ سُكونٍ وحركة، بعبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، وأظهر بهجَةَ الإسلام وجمالَه بقيَامِهِ. وأخذ تُراث جدِّه النبي وأبيه الوَصيِّ (صلوات الله عليهما)، وجعل أولياءه وأنصار حقِّه أُولي البصائر النّافذة من سادات العرب وأنجادِ كُتامة، فألقَت الإمامة عصَاها في دارِها، وقرَّتْ عينُها، وأنست وحشتُها، وٱستقرّ قرارُها، وصار أمير المؤمنين طَوْداً مُنيفاً وجبلاً راسياً على الأرضِ، وظِلاًّ ظليلاً لأهلها، فثَبَتَتْ به وطأة الهُدى وسكن إليه نُفُور التّقوى، وتقوَّم به ما كان متأَوّداً من عُودها وتوطّد ما كان بها مُتَخَلْخلاً من قواعدِها، وانبرم ما كان سَحِيلاً من حَبْلها، وٱجتمع ما كان مُتفَرّقاً من شملها وتلاءمَ ما كان مُتشَعِّثاً منها ببركة أمير المؤمنين ويُمْن نقيبتِه، وسعدِ نجمه وهُبوب ريحه، فداوى الإسلام من الدّاء العُضال ورَتَقَ من فُتُوقِه ما كان مُنْخرِقاً، وجبرَ منْ كسْرِه ما كان لا يُجْبَر، ولاءَم مِنْ صدْعِهِ ما كان لا يُلاءَم، فهو مفتاحُ الرّحمة ودليلُ الخيرِ، ذبّاً عن الحقِّ وحياطَةً للدين وعناية بأمر المسلمين وبُعد نظرٍ فيما يُقْطع به أماني المبطلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

فلم يحاول أمير المؤمنين ـ بحمد الله كثيراً ـ عسيراً إلّا يسَّره الله، ولا صعباً إلّا ذلَّله، ولا وعْراً إلّا سهَّله، فأصبحت الكلمةُ به مجتمعة والأُلفة متّصلة، والدَّهماء ساكنة، وقواصي الأرض وأدانيها منه آمنةً ووليّه غريزاً ممنوعاً، وعدوّه ذليلاً مقموعاً، فكلٌّ من قدح بزَنْدِه واحتطب في حبْلِه فمحكومٍ له النَّصر ومَقضِيٌّ له بالظفر، وكلٌّ من نكث عليه وخان أمانته ونقض عهده وخفرَ ذِمّته فقد باءَ بغضب من الله في الخلاف عليه وإطلاق الفتنة من عقالها، وكلٌّ من أوقد عليه نارَ الحرب أحرقته بنارها، وكلَمَتْه بأظفارها، وكلٌّ من تمسّك بالعروة الوثقى، وفاز في الآخرة والأُولى، وكلٌّ من التمَسَ ولِيجَةً غيرها فقد ﴿**خسِرَ الدُّنْيا والآخرَةَ، ذلك هُو الخُسْرانُ المُبينُ**﴾،

فاحْمَدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين واْختصّكم ببركة أيّامه وسعادة دولته، فلْتَنْبَسط أعمالكم، ويكثر بالثّقة بعدله اْستبشاركم ولْيَنفسحْ للمعرفة بحسن نظره رجاؤكم، ويشتدّ تمسّككم بحبل طاعته وأسباب ولايته، فإنَّه لا يتصل بين الله وبين عباده سببٌ إلّا بمحبّتهم لآلِ محمد ﷺ قال الله جل ذكره ﴿**قُلْ لا أسْألُكُم عليه أجْراً إلّا المَودَّة في القُرْبى**﴾ وقال رسول الله ﷺ «مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمَثَلِ سفينة نُوحٍ من ركِبَها نجَا ومَنْ تخلَّف عنها غرِقَ». وجدِّدُوا الشُّكر لله على ما منحكُم من رأْفَةِ أميرِ المؤمنينِ ورحْمَتِهِ، وتعاهُدِهِ لأُمورِكُم وتغمُّدِهِ لكم فإنَّ الشُّكر أحْرسُ حفيظةٍ لملاَبِسِ نعمِهِ وأحفظُ مؤْتمن لفواضلِ مِنَنِه وأبْعثُ مستمدٍّ لمُؤْتَنِف صُنعه ومُوادٍّ مزيده.

وأمير المؤمنين يسأل الله وليَّ الإحسان والنِّعم، والإفضال والمِنَن أن يصلّي على محمد مفتاح رحْمتِهِ، والمبلّغ لرسالته الذي حَباه بجميع فواضله ومَزيد كرامته، وأن يُشعره خِشْيَتَهُ ومراقبته، وأن ينفّذ بالتّوفيق عزائمه وأن يُلْهِمَه فيما استرعاه، وناط به من أمر عباده، أفضل ما ألْهَمِ راشداً من خُلفائه، وأن يعِينه على صالحِ نِيَّته، وأن يبتليه أحسن بلائه، ويوفّقه للعمل بطاعته والقيامِ بحقَّه حتّى يقْمَعَ الكُفر والإلْحاد، ويدوِّخ أطراف البلادِ، وأن يجعله خيرَ إمامٍ أحسَنَ إلى رعيته، ورعيّته خير رعيّةٍ أدّت حقّ إمامها، فإنَّ التَّوفيقَ به والمزيدَ

من عنده والسّلام!»[1].

أقام المهدي بسلجماسة أربعين يوماً ثم سار إلى إفريقية في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م ونزل برقادة.

ودعي له بالخلافة يوم الجمعة أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م.

عاش المهدي بعد مبايعته بالخلافة، ٢٥ سنة، قضاها في صراع مرير مع الخارجين عليه. وكان أول هؤلاء داعييه أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس. وجرت له معهما وقعة هائلة في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، انتهت بمقتلهما مع أعيان جندهما.

وبعد داعييه، عصا عليه أهل طرابلس سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م فأخضعهم بالسيف. ثم خرج عليه محمد بن خرز الزناتي سنه ٣١٥هـ/ ٩٢٧م[2] فكسر شوكته وحطم قواه.

وكانت أكبر مشكلة واجهها هي خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد، أو كندار، الأباضي المعروف براكب الحمار، الذي خرج سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م.

وقد عجز المهدي عن القضاء عليه.

كما عجز عن افتتاح مصر، بصورة تامة، بالرغم من المحاولات التي قام بها، والحملات التي وجهها الى هذا البلد.

لكن انشغاله في محاربة أعدائه والخارجين عليه، لم يصرفه عن العمران. ومن مآثره العمرانية بناء مدينة المهدية سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م.

وكانت من أعجب الآثار، بناها بالحجارة وبوّبها بأبواب الحديد المحصن وزاد إليها في البحر، واحتفر في آخرها ميناء خرقها بها، وجعل لها مخرجاً الى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٤.
(٢) المرجع السابق.

البحر وقفلاً عليه[1] وبنى خارجها مصلى.

وانتقل إليها في شوال سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م وجعلها عاصمة له.

أخيراً، وبعد جهاد طويل، في سبيل توطيد دعائم ملكه، أسلم المهدي الروح في ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م.

فقام بعده ولده **القائم بأمر الله، أبو القاسم محمد**، ودامت خلافته ١٢ سنة قضاها في دفع خطر مخلد بن كيداد.

وكان أمره قد استفحل، وكثر أتباعه، وحاصر باغاية ثم حاصر قسطيلية سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م، وفتح تبَّسه ومجانة وهدم سورها ودخل مدينة مرماجنة، وهزم كتامة، وافتتح سبيه ومدينة الأربس، وحاصر المهدية، ومات القائم، وهو تحت حصار مخلد، في شوال سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.

وقام بالأمر بعده ابنه **المنصور بنصر الله، أبو طاهر اسماعيل** فكتم موت أبيه حتى لا تؤثر وفاته على معنويات رجاله وهم في حالة حرب مع مخلد ابن كيداد. وأبقى الأمور على حالها، وجعل همه كله القضاء على مخلد وبعد محاولات ومصاولات تمكن من حصره في قلعة بكيانة ثم قبض عليه وقتله في المحرم سنة ٣٣٦/ هـ.

قال الشاعر علي بن محمد الأبادي في هذه المناسبة[2]:

فارتقى الملعون من خيفته ... في ذرى أعبط عال مصعد
في ذرى خلقاء ملساء على ... ذلك المعقل ليست بصدد
معقل من فوقه الله ومن ... تحته المنصور في جيش معد
فارتقى المنصور بالسيف له ... يوم طعن كشآبيب البرد
واثقاً بالله في غربته ... عن بني أحمد ناء منفرد
فإذا مخلد في كف الردى ... موثق الجيد بحبل من مسد
قد رمته الحرب عن غاربها ... واهي الركن ذليل المستند

(١) المرجع السابق.
(٢) سيرة الأستاذ جوذر ص ٤٨.

كنفيـــض أخـــرجتـــه أمـــه ليـــس إلا نبـض عــرق وجسـد
فـأوى مــن كــرم المنصـور فـي كنــف رحـــب وخفـض ورغـد
طلبـــاً منــه ليبقـــى روحـــه وبقـــاء الـــروح أشفـــى للكمـد
فـــأبـــى الله ســـوى إعجـــالـــه وعـــذاب الله للجســـم أهـــد
فنضـــا عنـــه أديمـــاً دنســـاً كـــان قــد أســرف فيــه ومــرد
كـــأديـــم التيـــس لمـــا لـــم يطـــب ريمـــه جـــرد منــه فـــانجـــرد
وحشـــاه ســـالخـــوه سعفـــاً مـــاليـــاً بيــن كعــب وكنـــد
ثـــم رقـــاه علـــى مستحصـــد بـــاســـق أجـــرد مـــا فيـــه أود

وبعد أن فرغ المنصور من أمر مخلد بن كيداد، خطب في الناس معلناً موت أبيه. وقال في خطبته:

«الحمد لله حمد شاكر لأنعمه التي لا يحصى لها عدد، متعرض للمزيد من فضله الذي لا ينفد، ولا إله إلّا الله إخلاصاً بالتوحيد، ولا إله إلا الله إجلالاً لذكره العلي المجيد، سبحان المستشهد بآياته على قدرته، الممتنعة من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن العقول تحديده، ذي الكبرياء والعزة والجلال، والقدرة والثناء والعظمة، له السموات العلى والأرضون السفلى، وما فوقهما وما تحت الثرى، كل خاضع لعظمته، متذلل لعزته، متصرف لمشيئته، واقع تحت قدرته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره وانتقاه، وأكرمه واصطفاه، وانتجبه وارتضاه، وبعثه بالهدى ودين الحق الذي تعبَّد به من في السموات من الملائكة المقربين، ومن في أرضه من الثقلين، واضطلع عليه السلام بما حُمِّل، وبلَّغ ما به أُرسل، صادعاً بأمره صابراً على البأساء والضراء في جنبه، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان، وأزهق حقّه أباطيل الأوثان. صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرم.

عباد الله: أوصيكم بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته، والتقرب إليه بما يرضيه، فإنه بما في قلوبكم عليم، وبأعمالكم خبير بصير، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه في السموات والأرض مثقال ذرة، ولا ينجى من سخطته ولا يوصل إلى رحمته إلا طاعته ﴿**ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً**﴾ ألا

وإن الله عز وجل جعل يومكم هذا عيداً معظماً على الأيام، ختم الله به شهراً مفضلاً على الشهور، وافتتح أيام شهور الحج إلى بيت الله العتيق الذي عظمه وكرمه وجعله قبلة الصلاة، ومحل البركات، ومنزل الرحمات، مثابة للناس وأمناً، ومناراً للناس وعلماً، فتقربوا إلى الله في يومكم بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم وسنة نبيكم سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، كل امرىء منكم عن نفسه، وكل واحد من أهله، ذكورهم وإناثهم، وصغارهم وكبارهم صاعاً من بر أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من شعير من طعامكم وأكلكم لا من غيره، فليس يقبل منكم إلا ذاك، وأكثروا الدعاء واستشعروا الحذر والرجاء. ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ فقريب والله وكأن قد إنه عز وجل لم يهملكم إهمال الهمج، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج، ولا عذر بعد إيضاح النهج، وتأكيد الحجج برسوله وأئمة الهدى من ذريته عليهم سلام الله ورحمته، وفقنا الله وإياكم لديه، فإنا به وله، وصلى على سيد المرسلين وعلى الأئمة المهديين الذين بالحق قضوا وبه يقضون، وبه عدلوا وبه يعدلون.

ثم جلس، وقام بالثانية فقال:

«الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلوات الغاديات الرائحات الزاكيات الناميات الباقيات على محمد وعلى آله الطيبين، الأئمة المهديين، السادة الأكرمين، الأطهار الأبرِّين، حمداً حمداً وشكراً شكراً، أنجزت وعدك ونصرت عبدك على كره الكافرين، وصغار المارقين الأخسرين الأفجرين، أصحاب الدجال اللعين، المغضوب عليه وعليهم الضالين، الأرجاس الأنجاس، أولي الذل والإتعاس، الأشقياء الأخزياء، المعلونين في الأرض والسماء، حمداً حمداً، شكراً شكراً، عوداً بدءاً، وسعاً طولاً، لا مكافياً نعماءك، ولا مجازياً آلاءك، معترفاً بالعجز عن الشكر ولو بكل لسان طول الدهر. سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته عليكما يا أميري المؤمنين، يا ابني الهداة المهديين، يا أبتاه، يا جداه، يا ابني محمد رسول الله، سلام مسلم لله فيما قضاه على من فقدكما، صابر على ما امتحنني من بعدكما أوان الحسرة وشرق العبرة عليك يا أبتاه! يا محمداه! يا أبا القاسماه! يا سيداه! يا

جبلاه! واشوقاه! واألماه. وخالق الأرض والسماء، باعث الموتى مميت الأحياء: ما أنا في ريب من اختيار الله لك، ونقله إياك إلى دار كرامته، ومستقر رحمته التي بوأها محمداً رسوله ﷺ جدك، وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب أباك، وفاطمة الزهراء البتول أمك، وآباءك المهديين الأبرار، لكن لوعة المحزون باعثة للشجون، مبكية للعيون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وله مسلمون وعل كل حال تصرف بنا حامدون، ولنعمائه شاكرون، فقد أعظم الله عز وجل النعمة، وضاعف المنة بما ربط به على قلبي من الصبر، وما أكرمني به من العز والنصر الذي أرسى به قواعد الإسلام، ونور به قلوب المؤمنين بعد الإظلام، وبعد انقطاع الرجاء لتطاول مدة البلاء بالفتنة العظمى وأهوالها وبلبالها، وهي العمياء الصماء الجهلاء بدجال النفاق وأحزابه المراق، أعداء الدين وأنصار بالأمس، وبنو جديك المهدي بالله والقائم بأمر الله ـ صلوات الله عليهما ـ اليوم، لأن بني أمية إنما استحقوا ذلك لعداوتهم لجدك رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب، صلى الله عليهما، وكذلك استحق هؤلاء ذلك بعداوتهم لله ولأولياء الله، وجحدهم فضلنا وإنكارهم حقنا، فاعلم ذلك وتدبره. وسأدفع إليك كتاباً عملته في هذا لم يسبقني إليه أحد قبلي، ولم أُظهره إلى الآن، أردت به هداية المؤمنين وتثبيت قلوبهم وإزالة الشك عنهم، وملأته علماً ظاهراً وباطناً، وبراهين شافية تسرُّك وتبهجك وتفيدك ما لا نفاد له أبد الآبدين، فإن أكثر البلاء إنما دخل عليّ ضعفاء المؤمنين المساكين من مثل هذه القردة والخنازير؛ فقل لجوذر يسكِن قلبه من هوانهم عليه، وخساستهم في نفسه، وقلتهم في عينه، ما يُسْكِنه لليهود والنصارى، والله لا حلوا ولا عقدوا أبداً، ولا اتّبعهم من الكلاب فضلاً عن العباد اثنان، فإن الخير إذا ظهر للناس ملك قلوبهم ونفوسهم، وأخذ بأسماعهم وأبصارهم، وقد أعراهم الله، وله الحمد من الخير كله، وأما العار والشنار الذي تنفر منه النفوس والقلوب فقد لبسوه وارتدوه، فهل لجوذر المسكين عندهم ذنب إلا أنه منعهم من الانتهاك والانكشاف، وأراد صيانتهم بترك هذا البنيان العظيم، فصار له ذلك ذنباً»[1].

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥.

وفي شوال سنة ٣٤١/ هـ ـ ٩٥٢/م توفي المنصور وكانت مدة خلافته ٨ سنين، وقيل ٧ سنين و١٠ أيام[١].

وكان خطيباً بليغاً يرتجل الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً[٢].

وقام بعده ابنه المعز لدين الله، أبو تميم معد.

خطب بالناس خطبة عيد الأضحى سنة ٣٤١/هـ ـ ٩٥٢/م نعى فيها والده. وقال في خطبته:

«الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الأعز الأقدر، الخالق المدبر، ذو الكبرياء والجبروت، والعزة والملكوت، الأحد الصمد، الفرد المتفرد، الأعلى القاهر، الباطن الظاهر، الأول الآخر، مبدع السموات والأرض بالقدرة، ومالكها بالعزة، ومدبرها بالحكمة، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة، وبدائع التركيب والصنعة، الذي كل شيء من موات وحي بالدعاء إليه، والدلالة عليه، والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتحميد، فتكوينه الأشياء كلها من عدم شاهدٌ بأن لا شيء قبله، وانتهاؤها إلى الغايات دليل على ألا غاية له، وإحاطته بحدودها منبى بأن لا حد له، فالضعف والعجز والفقر والنقص الذي لم يخل منه مخلوق أفصح ناطق وأصدق شاهد للخالق وحده جل ثناؤه بالإلهية والفردانية والقدرة والربوبية والتمام والكمال والأزل والدوام، تبارك الله رب العالمين، أحسن كل شيء خلقه، وتكفل لكل حي رزقه، ثم هدى بالعقل الذي قامت حجته ووجبت طاعته، والكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته، فصلى الله عليهم أجمعين، وعلى محمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره، وأعلى قدره، فأكرمه بالوسيلة، واختصه بكل فضيلة، وابتعثه هادياً للعباد، ونوراً في البلاد، علم به من الجهل، وهدى به من الضل، وكثر به القل، وأعز به من الذل، فألف به بعد الشتات، ونور به دياجير الظلمات، صلوات الله عليه وعلى آله المهديين، الأخيار الطيبين.

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١ ص ٣٥١.
(٢) المرجع السابق.

يا أيها الناس: إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يهملكم سدى، ولم يجعل عليكم في الدين حرجاً، ولم يضرب الذكر عنكم صفحاً، للعبادة خلقكم، وبطاعته وطاعة رسوله أمركم، وجعل للطاعة أعلاماً منصوبة وفروضاً مكتوبة، ومن أفضل أعلامها وأكرم أيامها يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق مبوأ ابراهيم خليل الله، وقبلة محمد رسول الله صلى الله عليه، فتقربوا إلى الله بما أمركم به ورزقكم إياه من بهيمة الأنعام، مقتدين سنة محمد نبي الرحمة والهدى، مستشعرين لله التقوى، فإن الله عز وجل يقول: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فبالتقوى تقبل الأعمال ويدرك الأمل، وكبروا الله على ما هداكم واشكروه على ما أولاكم، ألا وإن خير الهدي الإبل، وخير الإبل إناثها، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن، وسلامة الضحايا سلامة العين والأذن، وأن تكون من حلال الأموال، نسأل الله لنا ولكم قبول العمل بامتنانه وبلوغ الأمل من رضوان الله ورحمته وإحسانه».

وجلس في الثانية وقام وقال:

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر شأناً وأعظم سلطاناً، وأوضح آيات وبرهاناً عن أن تنكر العقول توحيده، أو تروم تحديده، خالق السموات والأرض، ومالكهما ومدبرهما الفرد الصمد، الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا ند، الخالق القدير، الرحمن الغفور، النافذ قضاؤه، الكائن ما يشاؤه، المتقن كل شيء صنعاً، الموسع كل شيء رزقاً، والمحيط بكل شيء علماً، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأُفوض إليه وأتوكل في كل الأمور عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً خيرته من عباده، ونجيبه من بريته، وصفوته من المتطهرين، ورسوله إلى كافة العالمين، وبعيثه بالإمامة إلى الثقلين ليبلغ حجة الرب، ويوضح محجة الحق، فأدى رسالة الله ورحم ورأف بعباد الله، وصبر على الكبار من مكر الكفار إلى أن أدال[1] الله للحق على الباطل، والهدى على الأضائل، محمد صلى الله عليه وآله أفضل الصلاة وأزكاها وأكملها وأنماها، وأخلدها وأبقاها، وعلى الأئمة

(١) سيرة الاستاذ جوذر ص ٧٦.

المهديين من عترته الكرام الأبرِّين الذين اختارهم للخلافة، وارتضاهم للإمامة، وأكد بوصية الرسل حجتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم، بعد تفضيله إياهم على العالمين بأبوة محمد سيد المرسلين، وعلى أفضل الوصيين، وعلى أمه سيدة النساء، خامسة أصحاب الكساء، صلوات الله عليهم، وعلى أميري المؤمنين المهدي بالله والقائم بأمر الله، سيدي الورى وإمامي الهدى، اللذين أعلن الله بهما دعوة الحق، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين، وأقام بهما دعوة الدين، وأزهق بحقهما باطل المدعين، وأكاذيب المتخرصين وقطع بسيوفهما دابر الظالمين، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليهما. اللهم اخصص الإمام الفاضل، والوصي العادل، والبر الفاضل، والغيث الوابل، ذا الآيات المعجزات، والعزائم النافذات، الباذل نفسه الكريمة في حين الأزل والكربات، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الأرض من جبابرة الأعداء، عبدك ووليك ونجيبك وصفيك أبا الطاهر المنصور بك، والمتوكل عليك والمفوض إليك، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديك، الذي فجعتنا بفقده، وأوحدتنا من بعده، وأفردتنا منه وأوحشتنا فقبلت دعاءه، وأجبت نداءه، وجمعت بينه وبين أحبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك، وإن القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه، يا سيداه، يا إسماعيلاه، يا أبا الطاهراه، يا بحر علوم الأئمة الطاهرين الهداة المهديين، يا بقية أبناء الرسول، وأبناء الوصي والطاهرة البتول، يا إمام الأئمة ومفتاح باب الرحمة، يا سراج الهدى وشمس الورى، ومجلي الطخياء، يا مخصوصاً من الله بتعجيل الكرامة، عظم والله علينا المصاب بك، وحل البلاء، وعدم العزاء لفقدك، وقصرت الألسن عن إدراك إحصاء شمائلك، وتعداد مناقبك، فوحق الذي اختصك بكرامته، وحباك بجزيل عطائك «وشرفك بأبوة رسوله، لولا ما أوعزت إلي به وأكدته علي، من القيام بحق الله والذب عن أُمة جدك رسول الله، واستنقاذهم من غمرة الجهالة، وبحار الضلالة، ومهاوي الفتن، ومعاطب المحن، وما تقرر عندي، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله، ولأئمة الهدى لضربت على وجهي سائحاً في البلاد، قالياً للمهاد، راضياً ببلغة من الزاد، إلى أن يلحقني الموت سريعاً بك، فأفوز بقربك، ورحمة ربك، لكني فكرت ونظرت وتدبرت

فلم أر لي وجهاً أستوجب به درجتك واللحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب، فتجلدت، وصبرني ربي فصبرت، وغلب علي البين فأمسكت، فأقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الرحمن الرحيم، له الحمد على ما أبلى، والشكر على ما أولى.

معاشر أوليائنا، والقائلين بطاعتنا، والمتمسكين بولايتنا هذه والله المحن الشداد، المنضجة للأكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الأقدام، هذه المشاهد التي لم يألكم أئمتكم لها تثبيتاً، ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم، ووقوع المحنة فيها عليكم، فتثبتوا تسلموا، ولا تضلوا لتندموا فلن يخلي الله أرضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحق، شاهد على الخلق، يقر به المؤمنون، ويجحد به الكافرون الضالون الأخسرون، إن الله بحمده خلق الخلق من غير حاجة كانت منه إليهم، لكن لعبادته وإظهار فضله وجوده عليهم، وجعل الحياة فيهم قوة عاملة، والموت كأساً دائرة، وما بعد الموت جزاء للعمل وبين لكم بين هذين نهج السبيل برسله المنتجبين، وبأئمة الهدى المختارين، وجعل ثوابهم وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم، واضطلاعهم بأمره وإرشاد خلقه، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناه ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**﴾ تبارك الله رب العالمين، الذي لم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمنين، ولا عقاباً للكافرين. يا أيها الناس ما من حي إلا وهو رهين بالموت، ولا موت إلا وبعده نشور، ولا نشور إلا بحساب، فثواب وإلا عقاب، فطوبى لمن لقي الله متمسكاً بحجزة أوليائه، معتصماً بعصمتهم، قائماً بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه وأصفيائه، متفيئاً بظلال ألوية عترة سيدنا محمد رسول الله سيد المرسلين، يوم لا ينفع إلا الدين، ولا ينجي إلا صحة اليقين، ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**﴾.

يا أيها الناس إنما الأعمال بخواتمها، والجزاء من الله بحسب الوفاء لله

ولرسوله، ولأئمة الهدى من ولد الرسول، وقد شاهدتم سيد الأئمة وراعي الأمة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه، وأدى وديعة جده محمد لديه، وبين لكم من سننه ما إن اقتديتم به لن تضلوا، ولن تبت أيديكم من رحمة الله، ولن تعشو أبصاركم عن قصد السبيل الأقوم، والتمسك بالدليل الأعظم، وما من ولي سالف إلا وبعده وصي خالف قائم لله بحقه متحرٍ ثوابه، عامل بما يرضيه حسب طاقته، ومنتهى استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية أمة نبيه إلا الأفاضل الأمجاد، الآحاد الأفراد، ذوي الهمم العالية، والأخلاق الرضية والنفوس الأبية من خالص الذرية، وقد جرت سنة الله في خلقه، ونفذ في حكمه ما لا يستطاع له جحد، ولا للقول به رد، من مواصلة الرسل لتبيين السبيل في الزمان بعد الزمان، لإعلان دينه حسب الإمكان، وأوجب للعباد الثواب بطاعتهم وإجابة دعوتهم وقبول هدايتهم، والعقاب بإسخاطهم وجحدهم وإنكارهم، وليس المؤمن بأولهم جاحداً آخرهم، ولا ينفع جاحد أولهم تصديق آخرهم للثواب والرحمة، من العذاب الأليم والخزي المقيم، وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى بطاعة الرسل، وطاعة الرسل بطاعته، فقال ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ بذلك جرت عادته في الأنبياء والمرسلين، ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ ﴿**ولن تجد لسنة الله تحويلا**﴾ وهل لمقر نبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين إذا أنكر نبوته، وهل له انتفاع بأعماله أو ثواب لعبادته.

النور ـ أيها الناس ـ فينا مصون، وعطاء ربك لنا غير ممنون، فأين تذهبون، وفي أي أرض تتيهون، هيهات هيهات لما توعدون فأطيعونا تهتدوا، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا، واعملوا بما تفوزون في أُخراكم تسعدوا، ولا تجعلوا همتكم أكبر دنياكم، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الأئمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال: «إن الله أحل حلالاً وأعان عليه، وحرم حراماً وأغنى عنه»، فدعوا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع، فقد أُمرتم بالعمل، وتكفل لكم بالرزق، فلا يكون طلب المضمون لكم أولى بكم من طلب المفروض عليكم. اللهم أوزعني شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب

إليك، ويوجب المزيد من فضلك، والذخر عندك بإتمام نعمتك علي في الدنيا والآخرة. إله الخلق رب العالمين، اللهم أيدني بنصرك، وافتح لي على أعدائك فتحاً تحيي به الدين، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره، وحلول داره، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا، وقد جددت لنا العز ولأوليائنا، وقد أيدتنا وإياهم بالنصر، وأكرمتنا بالظفر وأظهرتنا على القوم الظالمين، وأخضعت لنا رقاب العاصين، وقد تقدم منك الميعاد للآباء والأجداد، ولا خلف لوعدك، ولا راد لأمرك، والرضا والتسليم بما قضيت، عجلت أو أجلت. اللهم اجعل ما مننت به من إحسانك، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك علي وعلى العباد رحمة منك، اللهم واقرن بكل عز تجدده لي ذلاً تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك، فلا عز إلا في الخضوع والعبودية لك، ولا غنى إلا في الفقر إليك، ولا أمن إلا في خوفك، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا برضاك، يا رب العالمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات واخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك وموالاة أوليائك ومعاداة أعدائك، وصلى الله على رسوله محمد سيد الأولين والآخرين. اذكروا الله العظيم يذكركم»[(١)].

وفي عهده فتحت مصر على يد قائده **جوهر الصقلي**، وكان المعز اختصه من مواليه وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة. وسيره على رأس جيش كثيف إلى مصر في ١٤ ربيع الأول من عام ٣٥٨/ هـ ـ ٩٦٨/ م. ووصلت البشارة بفتحها في منتصف رمضان سنة ٣٥٨/ هـ ـ ٩٦٨/ م.

وبعد أن تم الفتح أذاع جوهر الصقلي على المصريين كتاب الأمان التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم» هذا كتاب من جوهر الكاتب[(٢)]، عبد أمير

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨.
(٢) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ٧٢.

المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم: إنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي وهم «أبو جعفر مسلم الشريف» أطال الله بقاه و «أبو إسماعيل الرس» أيده الله، و «أبو الطيب الهاشمي»، أيده الله، و «أبو جعفر أحمد بن نصر» أعزه الله، والقاضي أعزه الله، وذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وحسن نظره لكم، فلتحمدوا الله على ما أولاكم وتشكروه على ما حماكم وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسعادة عليكم، وبالسلامة لكم، وهو أنه صلوات الله عليه لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم، والجهاد عنكم إذ قد تخطفتكم الأيدي، واستطال عليكم المستذل، وألمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم، حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق وتأكد عزمه واشتد كلبه، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمهم الخزي وشملتهم الذلة، واكتنفهم المصائب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم! فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم، ومضَّه حالهم وأبكى عينه ما نالهم وأسهرها ما حل بهم، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فرجا بفضل الله عليه، وإحسانه لديه وما عوده وأرجاه عليه، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم، وعذاب أليم وأن يؤمن من استولى عليه المهل، ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولي عليهم، وإذ لا يؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أُخرى، فسفكت دماؤهم وابتزت أموالهم على اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات، وقطع عبث العابثين فيها. ليطرق الناس آمنين ويسيروا مطمئنين، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات إذ كان قد انتهى إليه صلوات الله عليه انقطاع

طرقاتها لخوف مارَّتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دافع للظالمين، ثم تجويد السكة وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا إصلاحها، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها، وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفي الأذى ورفع المؤن، والقيام في الحق، وإعانة المظلوم، مع الشفقة والإحسان وجميل النظر، وكرم الصحبة ولطف العشرة «وافتقاد الأموال» وحياطة أهل البلد، في ليلهم ونهارهمٍ، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم، حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لَمَّ شعثهم وأقام أودهم وأصلح بالهم وجمع قلوبهم وألف كلمتهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما أمره به مولاه من إسقاط الرسوم الجايرة التي لا يرتضي صلوات الله عليه بإثباتها عليكم، وأن أُجيزكم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال، وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقاد، وأن أُعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم، أدرها عليهم، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال لا بإحالة مما ضمنه كتابه هذا من ترسل عنكم أيدكم الله وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، من أنكم ذكرتم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم، فذكرتها إجابة لكم وتطميناً لأنفسكم فلم يكن لذكرها معنى ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وهي إقامتكم على مذاهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض في العلم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذهبهم وفتواهم، وأن يجري الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه ونصه نبيه ﷺ في سنته وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه، ولكم على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل

المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم، وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض ولا يتجنى عليكم متجنٍ ولا يتعقب عليكم متعقب، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرصون، ويذب عنكم ويمنع منكم، فلا يتعرض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قويّكم، فضلاً عن ضعيفكم، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ويشملكم نفعه ويصل إليكم خيره، وتتعرفون بركته. وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ولكم عليَّ الوفاء بما التزمته، وأُعطيكم إياه عهد الله وغليظ ميثاقه وذمته وذمة أنبيائه ورسله وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين قدس الله أرواحهم، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، فتصرحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إليّ وتسلمون عليّ وتكونون بين يدي إلى أن أعبر الجسر وأنزل من المناخ المبارك، وتحافظون من بعد على الطاعة وتثابرون عليها وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون ولياً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتلزمون ما أُمرتم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين»[(١)].

بنى جوهر مدينة القاهرة في عام ٣٥٨/ هـ ـ ٩٦٨/ م.

ووصل إليها المعز في الثامن من رمضان سنة ٣٦٢/ هـ ـ ٩٧٢/ م، ومعه أولاده وأخوته وسائر أولاد عبيدالله المهدي، وبتوابيت آبائه[(٢)] ولما وصل إلى قصره خرَّ ساجداً ثم صلى ركعتين[(٣)].

كان المعز يحب العدل والإنصاف ما بين الرعية. وكان رجلاً عادلاً عاملاً حازماً لبيباً فصيحاً شاعراً وله شعر جيد[(٤)].

تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنهما ثم تعلم الصقلبية.

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم في عصر الفاطميين ص ٣٤٠.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٥١.
(٣) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ١٩٢.
(٤) ابن اياس ـ المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الأول ص ٣٥.

من مآثره العمرانية بناء قصر الزمرد مكان دار الضرب، وبناء مدينة القاهرة والجامع الأزهر. أقيمت له الدعوة في الحرمين سنة ٣٦٣/ هـ ـ ٩٧٣/ م.

وفي عهده استولى قائده جعفر بن فلاح على الشام.

توفي بالقاهرة بعد ثلاث سنين من وصوله إليها يوم الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥/ هـ ـ ٩٧٥/ م.

وهو أول خليفة فاطمي حكم في مصر.

وبعد وفاته قام بالأمر ابنه **العزيز بالله، أبو منصور نزار**. كان يحب العدل في الرعية وينصف المظلوم من الظالم، وكان كريماً جواداً ممدوحاً[(١)].

دفعه حبه للعدل إلى شنق عامله النصراني سنطروس، كما شنق عامله في دمشق منشأ اليهودي لظلمهما الرعية[(٢)].

أقيمت له الدعوة في الموصل وضربت باسمه السكة سنة ٣٨٢/ هـ ـ ٩٩٢/ م كما أقيمت له الدعوة باليمن وانتشر عماله بأعمالها[(٣)].

في أيامه ظهر السمك البلطي في النيل، ولم يكن به قبل ذلك منه شيء.

في عهده استفحل أمر القرامطة فوجه جيوشه لحربهم. وحين خرج عامله بمصر، حسين بن القاسم، لقتالهم أرسل إليه العزيز بالله كتاباً يبشره بالفتح، جاء فيه:

من عبدالله ووليِّه نِزارٍ أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنينَ، إلى حُسَينِ ابن القاسم.

سلامٌ عليك، فإن أمير المؤمنين يحمَدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصَلِّي على جدّه محمدٍ نبيه ورسوله صلى الله عليه، وعلى الأئمة من عترته الأبرار، الطاهرين المطهرين وسلَّم تسليماً.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ابن ميسر ـ أخبار مصر، ص ٤٩.

أما بعدُ، فالحمدُ لله الملِك العظيم، العليم الحليم، ذي الطَّوْل الكريم، والمَنِّ الجَسِيم؛ والعِزِّ المَدِيد، والمحال الشَّدِيد؛ وليِّ الحقِّ ونصيرِه، وماحق الباطل ومُبيره؛ المتكفِّل بالنصر والتمكين، والتأييد والتحصين، لأوليائه المتقين، وخلفائه المصطَفين الذابِّين عن دينه، والقائمين بحقِّه، والدالين على توحيده؛ الحاكم بإعلاء كلمتهم، وإفلاج حُجَجهم وظهورهم على أعدائه المشاقِّين له، الضالِّين عن سبيله، المُلْحِدين في آياته، الجاحدين نِعمه، المنَزَّل رِجْزُه، وقوارع بأسه على من عصاه فحادّه، وصدَّ عنه فنادّه، القاضي بالعَوَاقب الحُسنى والفوز والنعماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمره، وفوّض إليه حُكْمه؛ كلُّ ذلك فضلاً منه وعَدْلاً، وقضاءً فصلاً؛ وهو الحَكَم العَدْل الذي لا يَظلمُ الناسَ شيئاً ولكِنَّ الناس أنْفُسَهُمْ يظْلِمُون. فتبارك الله الغالبُ على أمره الفردُ في ملكه؛ سبحانه وتعالى عُلُوّاً كبيراً. والحمد لله الذي ٱبتعث عبده المصطفى، وأمينهُ المرتضى؛ من أكرِم سنخ ونبعة، وأظهر ملَّته وشرعه في أفضل دهر وعصر؛ وأنزل عليه كتاباً من وحيه حكيماً غيرَ ذي عِوَج قيِّماً بديع النظام، داخلاً في الأفهام، خارجاً عن جميع الكَلَام، ليس كسجع الكهّان، ولا كتحبير ذوي اللسنِ والبيان؛ وقد تفرَّقت بالأمم أهواؤهم، وتوزعتهم آراؤهم، فضلَّت أحلامُهم وعَميت أفهامُهم وٱستحوذ عليهم الشيطان، فعبدوا الأصنام والأوثان؛ جهلاً بعبادة الرحمن، فدعاهم إلى الإقرار بإلٰههم، وعرَّفهم وحدانية ربِّهم وكان حريصاً على إرشادهم، جادّاً في الاجتهاد، هاجراً للدَّعة والمهاد؛ صابراً على تكذيب المشركين، وتفنيد المُلْحدين؛ ينصح لهم فيستكبرون، ويهديهم فيضلُّون، ويحذِّرهم فيستهزئون؛ حتّى ظهر دينُ الله فسما، وطُمس الكفر فانمحق وعفا؛ وعمَّت بركتُه، وفضلت على الأمم أمَّته، وعلت على الملل ملَّته، صلى الله عليه أفضل صلاة المصلِّين، وزاده شرفاً في العالمين إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي حبَا أمير المؤمنين وٱنتخبه لخلافته، وجعله صفيَّه من خلقه وأمينه على عباده وهادياً إلى سبيله، قائماً بحقه، مقسطاً في أرضه؛ ذابّاً عن دينه، محْيياً ما أماته أهلُ الكفر من أحكامه؛ وأيَّده بنصره، وأمدّه بقوته؛

وتكفَّل له بالنُّجحِ في مَسعاه، والظفر بمبتغاه، ونيل طلبته فيما أمَّه وٱرتآه. وحكم بكَبت كلِّ عدوٍّ له وخزيهم، وإذلالهم ومحقهم وخذلهم، وإيهان كيدهم؛ وضرب الذلَّة عليهم حيثُ كانوا وأين كانوا؛ فلا ينعق ناعقٌ منهم بطلال، أو يسعى بفسق وخَبال؛ أو يُدفعُ إلى ٱفتراء على الله أو مروقٍ عن دينه أو إذهابِ ما فرض الله عزِ وجل من طاعةٍ إلا ٱصطلمه وأخزاه، وأكبَّه لوجهه وأرداه، وقضى عليه بالشقوة في دنياه، وعذاب الآخرة في أُخراه.

والحمد لله الذي منح فأجمل، وأعطى فأجزل؛ من نِعَمه السابغة، وآلائِه المتتابعة؛ التي لا يوازيها شُكر، ولا يُدركُ كُنهها ذكر؛ حمداً يُوجب منه المزيد، ويستدعي المنَن والتَّجديد؛ وإليه يرغبُ أمير المؤمنين خاضعاً ويسأله راغباً حسن العون على ما بلَّغ رضوانه، وٱمترى فضله وإحسانه. وتقدّم أمير المؤمنين إليك بما هيَّأه اللهُ من وصوله إلى مدينة الرملة على أجمل صُنع وألطف كفاية، وأتمّ أمن، وأكمل عزٍ وأوطد حال، وأحسن ٱنتظام، وأبسط يد، وأظهر قدرة، وأشملِ هيبة؛ وبما أولى الله أمير المؤمنين في حلّه وظعْنه، وٱرتحاله وثَوائه، من نِعمه العميمة، ومواهبه الجسيمة؛ ومنحه الجليلة، ومننه الجزيلة؛ وأنه مما يستغرق الحمد والشُّكر، ويفوت الإحصاء والنَّشر، وذكر أمير المؤمنين أمر اللعين التركيّ وهربه من بين يديه، وأنه لم يلو على شيء إلى أن بلغ طبريَّة للذي تداخله من الفرق، وٱستولى عليه من القلق؛ ولما سكن قلبه من الرُّعب، وحشاه من الرَّهب؛ بقصد أمير المؤمنين إيَّاه وإغذاذِه السير في طلبه ومواصلته الأسباب، ومتابعته الإدآب. ووصف أميرُ المؤمنين ما عليه عزمه في تتبُّعه وٱقتفاء أثره، والحلول بعقوته حيثُ قصد وحلّ، لثقته بالله ربِّه، وتوكُّله عليه، وتفويضه إليه. ولم يزلْ جلَّ وعزِ يولِي أمير المؤمنين ـ بعد نفوذ كتابه ـ من عزٍّ يؤيده، وظفر يؤكّده، ونصر يوطّئه؛ وآلاءٍ يجدّدها، ومواهب يتابعها، وعدو يذلّه، ومناوٍ يقلُّه؛ وشاردٍ يصرفه إلى طاعته، ومارق يُعيده إلى موالاته؛ إلى أن تمّ له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه، وتهيَّأ له ما تواتر شكره له جل وعز فيه وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعذار، ومتابعاً الإنذار؛ ومحذِّراً له ما يُعذر، ومستدعيه إلى ما يُختار ويُؤثر؛ وممنياً له مما يمنّى به مثله من العفو عنه، وتغمُّد ما جرى منه؛ والإقالة لعثرته، والتجاوز عن هفوته؛ والامتنان عليه

بما رغب فيه من تقليده ناحيةً من نواحي الشام، وإدرار الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه؛ وإيثاره بالفضل الجليل، وٱختصاصه بالطَّول الجزيل. فما نجح في الفاسق وعد، ولا نجع فيه وعظ، ولا وفّق إلى قبول حظ؛ ولا أصغى إلى قبول تذكرة، ولا أناب إلى تبصرة. وما زال جاداً في تهوُّكه، متمادياً على تمهُّكه؛ جارياً على ضلالته، سالكاً سبيل عمايته؛ متردِّداً في غوايته، متلدِّداً في جهالته؛ مقدِّراً أن بأس الله لا يرهقه، وسطوته لا تلحقُه، ورجزه لا يمحقه، وذنوبه لا تُزهقه، وأجرامه لا تُوبقه. وما زال اللَّعين في خلال ذلك يبسط آمال العرب ويُرجِّيها، ويرغِّبها ويمنِّيها؛ بأقوالٍ كاذبة، وآمالٍ خائبة؛ ومَواعيد باطلة؛ حتى أصغى أكثرها إلى غُروره، وقبول إفكه وزُوره؛ وأجابته طائفةٌ طاغية، ووصلت إليه متتابعة؛ فتوفَّر جمعه، وكثر عدده وٱشتدّ طمعه، وقوي أملُه؛ وتمكنٍ له باستدراج الله إيَّاه وغضبه عليه أن يورِّط عصبته ومن ٱختدعه بغيِّه وٱستفزَّه معه جهله؛ ويوردهم جميعاً ونفسه الرَّذلة مورداً لا صدر له، ولا علل بعده؛ فخرج من طبريَّة وحلَّ بيسان، محلَّ الخِزي والهوان؛ فعندها ٱنتهى إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل، الذي حصل فيه بعد رحيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطَّواحين. فعندما قرب ٱستجرار الفاسق اللعين، وٱعتمد ما يعود بأطماعه، أقام في الموضع أياماً ناظراً فيما يحتاجُ إليه، متأهِّباً لما يُريده، وكان ذلك هو السبب الذي أطمعه. فبعد ما طمع قاده الحينُ الغالب، والقدر الجالب؛ وما أراد الله عز وجلَّ من ٱستدراجه إلى موضع نكاله، ومنهلِ وباله؛ ورحل من بيسان رحيل من ٱستعجلته البلية، وٱستدعته الرَّزيَّة؛ فحلَّ بموضع يُعرف بكفر سلاَّم، كافراً بحدود الإسلام، متجرِّئاً على الله محارباً لنجل نبيه عليه السلام؛ وأقام بها متلدِّداً في حيرته، متردّداً في سكرته؛ ثم ٱستجرَّه شُؤمه، وقاده حينه ولؤْمه؛ إلى أن رحل فنزل بكفر سابا البريد، فأنبأه ٱسمها بما حلَّ به من السَّبي المبيد والخزي الشديد؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه المأكولة، ونصب أعلامَه المخذولة، وأقام صفوفه المفلولة؛ وأظهر آلة الحرب إقداماً، و أخفىعن اللقاء إحجاماً.

فأمر أمير المؤمنين بتزيين العساكر المنصورة والجيوش المظفَّرة وتعبئتها على مراتبها، وترتيبها على مواكبها؛ وتقدّم إلى قوّادها أن لا يمشوا إلا صفّاً،

ولا يسيروا إلا زحفاً، وعرّفهم أنه سيسير بنفسه، ويقصد اللعين بموكبه وجمهوره ومن معه من حماة رجاله؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثانٍ ولا يصرفه عن الاقتحام صارِف؛ فبدا من عزائمهم، وشدّة شكائمهم، وخلوص بصائرهم، وسكون أفئدتهم، وثبات أقدامهم، ما كانت به دلائل النصر واضحة وشواهد الفلج لائحه؛ وعلامات الفتح ظاهرة، وآيات النُّجح باهرة؛ فمشوا على ما أُمروا، وساروا على ما سيّروا؛ فعندما دنوا من عدو الله أصابوه للجلاد معدّاً، وفي المحاربة مجدّاً؛ وٱستخاروا الله عز وجلَّ وتدانَوا للتَّلاق، والأخذ بالنواصي والأعناق؛ وقامت الحرب على ساق، وتجرَّع منها أمرَّ مَذَاق؛ فاستطار شرارُها، وتأجَّجتْ نارُها؛ وٱرتفع دخانها، وعظُم شأنها؛ والتزم الأقرانُ بالأقران، وٱشتدّ الضَّربُ والطِّعان؛ إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موكبه؛ متوكِّلاً على الله، ماتًّا إليه بجدّه محمدٍ ﷺ، متوسِّلاً بمتقدِّم وعده، وسالف إنعامه عنده، وقصد اللعين غير متلوم عن مصادمته، ولا معرِّج عن ملاحَمته؛ فقويت نفوسُ أوليائه وعبيده، ومن ٱشتملت عليه عساكره المنصورة، وجيوشه المظفَّرة بما تبيّنوه من إقدامه، وشاهدوه من ٱعتزامه؛ وحملُوا على الفاسق وأحزابه؛ وقذف الله في قلوبهم الرُّعب فتزلزلت أقدامهم، وأُرعشت أيديهم ونخِبَت أفئدتُهم، وولَّوا الدُّبر منهزمين، ومنحوا ظهورهم مولِّين؛ وٱفترقوا ثلاث فرق: فرقةٌ قتلت في المعركة، وصرعت في الملحمة؛ فاحتزَّت رُؤوسهم، وفرقةٌ أحسَّت وقع السُّيوف وإرهاقَ الحُتُوف؛ فاستأمنت تحت الذِّلّة والصَّغار، والغلبة والاقتدار، فبقِيَت عليهم الأرواح، وحُقنت منهم الدِّماء. وفرقةٌ أُسِرت أسراً، وقُيِّدت قيداً؛ وهرب التُّرْكيُّ اللعين رئيس ضلالتهم، وعميد كفرهم؛ في شُرِيذمة من أصحابه، فظنَّ أن ذلك من بأسِ الله يُنجيه، ومن الأخذ بكظمه يوقيه، هيهات! كما قال الله عز وجل: ﴿**هيْهَاتَ هَيْهاتَ لما تُوعَدُون**﴾، ﴿**إنْ كانَتْ إلا صَيْحةً واحِدَةً فإذَا هُمْ جَميعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾ فٱتَّبعه سرعان الخيل وخِفاف الرِّجال؛ مع مفرِّج بن دغْفَل بن جراح، فأخذه قبضاً وأتى به قوداً أسيراً من غير عهد، وذليلاً من غير عقد؛ وٱستولى أهلُ العساكر المنصورة، والجيوش المظفَّرة؛ على مُناخه وسواده، وما كان فيه من مال وأثاثٍ وكراع ومتاع؛ وقليل وكثير، وجليل وحقير؛ فحازُوه وٱتَّسعوا به، وأكثروا من حمد

الله، وانصرفُوا إلى مُعسكرهم سالمين، بالمَغْنم والظَّفر آمنين؛ لم يُكْلَم منهم أحد، ولم ينقص لهم عدد؛ وكان جملة ما أتوا به معهم من رُؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس، ومن أسراهم ثمانمائة أسير، غير من استُؤمن وقت الإيقاع بهم، ولم يفلت من الفسقة إلا من هرب بحُشاشة نفسه مع من لاءم التركي اللعين، وصاحب عقده وموّرِطه في هلاكه، وقائدُه إلى نقماته، وسائقُه إلى موبقاته؛ وهو كاتبه المعروف بابن الحمارة، فلحق بطبريَّة فقُتل هو وجلُّ من كان معه واحتُزَّ رأسه وأُتِي به، فكمُلت النعمة، وتمت الموهبة؛ وتجدّد حمدُ أمير المؤمنين واتصل شكره، لما أولاه من جليل عطائه وكريم حبائه، وسنيّ آلائه. وكان ما آتاه الله من عظيم آياته، وأكبر شواهده، واختصاص الله إيّاه وانتخابه له؛ فالحمدُ لله! ثم الحمد لله ربّ العالمين على عطائه الهنيّ، وحبائه السَّنيّ؛ وما أيَّد أمير المؤمنين، وأعزَّ الدين، وقمع المشركين؛ إذ كان الفاسقُ اللعين، التركيّ الغويّ المبين؛ ثلَّةً من ثُللهم وركنا من أركانهم، وحزباً من أحزابهم، ووثناً من أوثانهم، وطاغيةً من طواغيتهم؛ ولم يكن لهم في بلد المسلمين يدٌ تصدّ عنهم بأسٍ غيرهم، ولا عضدٌ يدفعون بها سواه. وأميرُ المؤمنين يرغبُ إلى الله عز وجلَّ أن يوزعه الشُّكر على ما أولاه، ويوجده سبيلاً إلى بلوغ مبتغاه؛ من إعزاز الملَّة والدِّين، وإحياء شريعة جدّه سيد المرسلين؛ ومجاهدة التُّرك والمشركين، وقمع الظالمين والقاسطين والمارقين؛ حتّى يكون الدين كلُّه لله، ويجمع القلوب على طاعته بإذن الله.

أمر أميرُ المؤمنين بتعريفك ذلك، وتلخيص الكتاب إليك، لتقف عليه وتُذيعه، وتشهره فيما قبلك؛ وتحمد الله على ما منح أمير المؤمنين من النصر، ومكَّنه من الظَّفر. فاعلمه إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وكتب يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرّم سنة سبع وستين وثلاثمائة[١].

كان العزيز أول من اتخذ من أهل بيته وزيراً اسمه على الطرز وقرره باسمه، وأول من لبس منهم الخفتان والمنطقة، وأول من اتخذ منهم الأتراك واصطنعهم وقوَّد منهم، وأول من رمى منهم بالنشاب، وأول من ركب منهم

---

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج٦، ص ٤٣٣.

بالذؤابة الطويلة والخلك وضرب بالصوالجة وعمل بالرمح، وأول من عمل مائدة في رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق، وأقام طعاماً في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان، واتخذ الحمير لركوبه أياماً مفردة من غيره[1].

مات العزيز في ٢٨ رجب سنة ٣٨٦/هـ ـ ٩٩٦/م بمدينة بلبيس وحمل إلى القاهرة. وقام بعده ابنه **الحاكم بأمر الله، أبو علي منصور** أغرب شخصية في التاريخ. وأشدها غموضاً.

في عهده، كتبت ببغداد، سنة ٤٠٢/هـ ـ ١١١١/م، محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين بأمر من الخليفة العباسي.

وصل إلينا من هذه المحاضر صيغتان تقول إحداهما: إن الحاكم بمصر هو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والعار، ابن مسعد بن إسماعيل بن عبدالله بن سعيد لا أسعده الله فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وإن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون بسبب وإنه منزه عن باطلهم، وإن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وإنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وإن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، وقد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية[2].

أما الصيغة الثانية فهي: هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن

---

(١) ابن ميسر ـ أخبار مصر ص ٥٢.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١، ص ٣٤٥.

عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل. وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار وفساق زنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون أباحوا الفروج وأحلّوا الخمور وسبّوا الأنبياء وادعوا الربوبية[1].

في عهد الحاكم كان خروج أبي ركوة. وهو أموي من ذرية هشام بن عبد الملك. كان يحمل الركوة في السفر ويتزهد، وقد لقي المشايخ، وكتب الحديث، ودخل الشام واليمن وهو من خلال ذلك، يدعو إلى القائم من بني أمية ويأخذ البيعة عمَّن يستجيب له، ثم جلس مؤدباً، واجتمع عنده أولاد العرب فاستولى على عقولهم وأسرَّ إليهم أنه الإمام، ولقب نفسه الثائر بأمر الله. وكان يخبرهم بالمغيبات، ويمرق عليهم. ثم إنه حارب متولي تلك الناحية من المغرب. وظفر به، وقوي بما اجتمع له من العسكر ونزل ببرقة وطمع فيها. وضرب السكة باسمه ولعن الحاكم فجهز الحاكم لحربه ستة عشر ألفاً فظفروا به وأتوا به إلى الحاكم فقتله ثم قتل قائد الجيش الذي ظفروا به[2].

أُقيمت للحاكم الدعوة بالموصل من قبل صاحب الموصل قرواش. ثم سار قرواش إلى الكوفة فأقام بها الخطبة للحاكم وبالمدائن وذلك في سنة ٤٠١/هـ ـ ١٠١٠/م[3] كان الحاكم محباً للعمران، بنى الجامع الحاكمي على القرب من باب الفتوح، كما بنى جامع راشد جنوب الفسطاط، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة. وجامع المقس على شاطئ النيل. ونقل إلى الجامع الضيق بالفسطاط وغيره من الجوامع المصاحف وآلات الفضة والستور ما له قيمة جليلة.

---

(١) أبو الفداء ـ المختصر في أخبار البشر، أخبار سنة ٤٠٢هـ.
(٢) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ج٣، ص ٦٤.
(٣) المرجع السابق ص ٧٦.

من أهم مآثره العمرانية بناء دار الحكمة. ووقف لها ولجامع الأزهر أموالاً كثيرة، وفيما يلي نص الوقفية(١):

هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب إليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربعمائة، أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله صلوات الله عليهما، على القاهرة المعزية ومصر والإسكندرية والحرمين حرسهما الله وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين، من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم، أنه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة، التي يذكر جميع ذلك ويحددها هذا الكتاب، وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بإنشائهما وتأسيس بنائهما، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب، منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعاً، جميع ذلك غير مقسوم ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها؛ فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة، الذي كله بفسطاط مصر، ومن ذلك ما تصدق به على جامع المقس أربعة الحوانيت والمنازل التي علوها والمخزنين، الذي ذلك كله بفسطاط مصر بالراية في جانب الغرب من الدار المعروفة بدار الخرق، وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بحمام الفار، ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار، وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيس بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه

(١) المقريزي ـ الخطط (الطبعة الأهلية) ج٤، ص ٤٩.

وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجاري مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه، وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة تبلة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية على سبيلها المعروفة في هذا الكتاب لا يوهنها تقادم السنين ولا تُغيَّر بحدوث حدث، ولا يستثنى فيها ولا يتأول ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الأوقات، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسموات، على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي إليه ولايتها ويرجع إليه أمرها، بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها، من إشهارها عند ذوي الرغبة في إجارة أمثالها فيبتدئ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمّته من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه، وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً، فمن ذلك للجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الإشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع، يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمن دينار، من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر ديناراً ونصف وربع دينار، ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع من ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار ومن ذلك لثمن أردبين ملحاً للقناديل ربع دينار، ومن ذلك ما قدر لمؤونة الناس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار، ومن ذلك لثمن قنطارين خرقاً لمسح القناديل

نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار وربع دينار، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل من أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف. ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً خمسمائة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف، منها للمصلين ولكل رجل منهم ديناراً وثلثا دينار في كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ومع ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه الطين والوسخ دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارياً لعلف رأس بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار، ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير، ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأس البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ومن ذلك لأجرة متولي العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف، ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع إثنا عشر ديناراً. وإلى هذا انقضى حديث الجامع الأزهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثين قنديلاً فضة. فللجامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلاً ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلاً وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت عادتها أن تحفظ به، وشرط شروطاً كثيرة في الأوقاف منها أنه إذا أفضل شيء اجتمع يشترى به ملك فإن عاز شيئاً واستهدم ولم يف الريع بعمارة بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لا فائدة من ذكرها فإنها مما خربت بمصر.

وقد غالى قوم في الحاكم ورفعوه إلى مرتبة الألوهية وهذا ما نقرؤه صراحة في شعر **السلطان الخطاب** ومما قاله:

يا مَنْ أُسَمِّيه بالألفاظ مُعْتَرفاً   أنَّ المعاني فيها عنه تقصيرُ

وأستعيرُ له ما كنتُ عنه به   أُكني ليثبته في العقل تقرير

إشارةً لا لتحقيق تصوَّره   عقلٌ ولا جال لي في ذاك تفكيرُ

إذ نفيُ معرفة التحقيق معرفةٌ   به، وطول العمى عن ذاك تبصيرُ

وسلب ما يصفُ الإنسان من صفةٍ   عنه إليه إشاراتٌ وتعبير

وكيف والعقل مهما جال ملتمساً   لذاك ردَّ إليه وهو مبهورُ

لا يستطيع سوى إدراك غاية ما   في ذاته، فهو فيها عنه محصور

له به عن ترقّيه ليدرك ما   فوق الحجاب حجابٌ عنه مستورُ

إذ كان في ذاته عند اللِّحاظ لها   بها من النور أمرٌ فيه تحييرُ

حتَّى إذا رام إدراكاً لمبدعه   بالوهم أظلم عنه ذلك النورُ

عمتْ بصائرُ قومٍ أبصروك بما   حقيقة الحقِّ عن مبصوره زورُ

فقال قائلهم: جسمٌ يلوح لنا   دمٌ ولحمٌ وتشكيلٌ وتقدير

لا أدَّعي فيك ما قالوه من كذبٍ   للعين أنّى وعنك الفكر مقصورُ

بل ينظر المرءُ منهم في مراءته   تشكيله، لا سواه منه منظورُ

لكونها قد تغشَّى وجهها صدأ   غدا به وهو أعمى اللُّبِّ منبورُ

وإنما أنت في قولي ومعتقدي   ما قد تضمَّنه في الشعر تصديرُ

وما ظهرت من الناسوت أنت به   تجلِّياً لهدانا فهو مشكورُ

صفوٌ من الصَّفو شفَّافٌ تقدس أن   يشوب جوهره الشفَّاف تكديرُ

قد شُقَّ من ألطف الشُّقوق، منه لنا   هذي القلوبُ المضيَّاتُ النَّحارير

فلا نرى بسواها، إذ لها صلةٌ   به، تقرُّ بها منه العناصيرُ

كم قائلٍ عند هذا لي: غلوت، وفي   ضميره لي تكذيبٌ وتكفيرُ

يعدُّ ذلك جهلا حين يسمعه   بي، وهو عندي فيما قال معذورُ

ولو تحقَّق مما قد نطقتُ به   مصرِّحاً وهو في القرآن مسطور

لما تخطَّى إلى لومي وذمِّي فيـ   ـما قُلت ما هو عند الله محظورُ

ولاستأمَّ إلى قولي ولاحَ له   نورٌ تضيءُ لساريه الدياجيرُ

هيهات من عرف المنصور معرفتي   لم يَكُن عنه له نظمٌ ومنثورُ

ولا وهـــومٌ ولا عقـــلٌ ولا فكَــرٌ   متـــى تحقَّقـــه فيهـــنَّ تصـــويـــرُ
ومــن تـوالاه بـالتحقيـق فهـو ولـو   أنَّ الـــورى خـــذلـــوه فهـــو منصـــورُ
حسبـي بـه، وكفـى مـولـى ألـوذُ بـه   فـي يـوم ألقـى كتـابـي وهـو منشـورُ
وجَّهـتُ وجهـي إليـه لا إلـى وثـن   ردَّت إليـــه وجـــوهـــاً معشـــرٌ بـــورُ
هـو الـذي كنـتِ التـوراةُ عنـه وفـي   الإنجيـل مـا ضمِنـت فيـه المـزاميـرُ
عليـه فـي كـلّ مـا أرجـوه معتمـدي   ففـي العسيـر بـه لـي عنـه تيسيـرُ[1]

وقال في قصيدة ثانية:

يـــا مـــن نسميـــه تعـــريفـــاً نقـــرّرهُ   بشخصـه فـي نفـوس القـومِ تقـريـرا
إشـــارةً ورمـــوزاً تحتهـــا نُكـــتٌ   مـــن العلـــوم ستـــرنـــاهـــن تستيـــرا
ولـــو نشـــاء لقلنـــا فـــي النـــداء لـــه   بـالصدق: يـا حيُّ يـا قيُّـوم مشهـورا
يـا عـالـم الغيـب منّـا والشهـادة يـا   بـــاري البـــريّـــة تـــركيبـــاً وتصـــويـــرا
شهـــدت أنـــك فـــردٌ واحـــد صمـــدٌ   شهـــادةً لـــم تكـــن مَيْنـــاً ولا زُورا
وجَّهت وجهيَ في سري وفي علني   إليـــك حمـــداً وتهليـــلاً وتكبيـــرا
عبـــادةً هـــي عيـــن الحـــق خـــالصـــةً   وكـــان ذلـــك فـــي القـــرآن مسطـــورا
تمسّكـــاً بـــولاءٍ منـــك أذخـــرُه   كنـزاً يكـون ليـوم الحشـر مـذخـورا
وعصمـــةً عِلِقـــت كفّـــي بعـــروتهـــا   فمـــا أُحـــاذر مـــا عُمِّـــرت محـــذورا
إنـي لأعجـب مـن قـوم ظهـرت لهـم   في قالَب الجسم مسموعاً ومنظورا
لُطفـاً بهـم وحنـانـاً كـي تبـدِّلهـم   ممـا هـم فيـه مـن ظلمـائهـم نـورا
ورحمـــةً لهـــم فـــاستكبـــروا وعتَـــوا   وخـــالفـــوك وكـــانـــوا معشـــراً بـــورا
بُعـداً لهـم وضـلالاً مـا اعتـذارهـم   إذا غـدا قـالـبُ الأجسـام مقشـورا
وصـــادف المـــرءُ منهـــم عنـــد رجعتـــه   كتـــابـــه يـــوم مـــا يلقـــاه منشـــورا
هنـــاك يـــأكـــل كفَّـــيْ نفســـه نـــدمـــاً   وحسـرةً يـوم يصلـى النـارَ مـدحـورا
ألا تـــدبَّـــرتَ آيـــاتـــي لتعلمهـــا   تبصُّـــراً لمعـــانيهـــا وتفكيـــرا
جـاءتـك رسلـي فـاستهـزأت معتـديـاً   بقـولهـم واتّخـذت الـذكـر مهجـورا

---

(١) اسماعيل قربان حسين ـ السلطان الخطاب ص ١١٢.

فاليومُ تجزى بما قدَّمت من عملٍ ... مِثلاً بمثلٍ جزاءً كان موفورا
يا آمراً بحقوق الله منتصراً ... من الطواغيت والأجبات منصورا
أبا عليٍّ إمام العصر ناطِقَه ... كنايةً عنه لا تحتاج تفسيرا
جرياً على العادة الأولى وتسميةً ... بقولنا لك تقديماً وتأخيرا
لا ندَّعي أنّها أقصى نهاية ما ... تدعى به عند أهل العلم مذكورا
أنت الذي كل شيءٍ نحن نعلمُهُ ... فانٍ، سوى وجهه عكساً وتغييرا
أنت الذي فطر الأشياء قاطِبَةً ... خلقاً وأمراً وإيماراً ومأمورا
أنت الذي سَمَكَ السَّبْعَ الشداد على ... علم أدار بها الأفلاك تدويرا
أنت الذي سطح الأرض المهادَ لنا ... فرشاً وقدَّر فيها الرزق تقديرا[1]

فقد الحاكم في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١/ هـ ـ ١٠٢٠/م. وقيل إنه قتل بتدبير من أخته ست الملك الفاطمية. وبرأينا أنه قتل على يد الذين غالوا فيه، وأُخفيت جثته لإعطاء غيبته رمزاً دينياً. وكان هؤلاء من الدهاء بحيث أبعدوا الشبهات عنهم وانصبت على أخته. تقول رواية قتله إنه لما استأثر بالسلطة، واندفع في تيار العنف اندفاعاً كبيراً، وأسرف في القتل وإصدار الأحكام والقوانين الشاذة، كانت ست الملك تعترضه، وتسدي إليه النصح، وتحذره من العواقب. ولما لم يستجب إلى نصحها اتصلت بزعيم كتامة الحسين ابن دوّاس وكان من أشد الناقمين على الحاكم لأنه مال على كتامة وسلبها نفوذها، واتفقت معه على قتل الحاكم، وأخذت عليه ميثاقاً بالوفاء والكتمان، ووعدته بأنه سيكون مدبر الدولة وصاحب الكلمة العليا في شؤونها. ورتب الحسين خطته، وعهد بتنفيذها إلى عبدين من أخلص عبيده، فخلعت عليهما ست الملك ووهبتهما مالاً وخيلاً وغيرها وزودتهما بسكينين ماضيين. وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١/ هـ ـ ١٠٢٠/ م خرج الحاكم كعادته ليلاً إلى المقطم لرصد النجوم. وكان مغرماً بذلك، فلما توغل وطال تجواله حتى الفجر. خرج عبدا الحسين من مكمنهما وكانا يرصدان حركاته، فانقضا عليه وقتلاه، وقتلا الركابي الذي كان يرافقه، وقطعا قوائم الحمار، وحملا جثة الحاكم إلى سيدهما

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢.

في كساء فحملها إلى ست الملك، فدفنته في نفس مجلسها، واتخذت كل أُهبة لإخفاء الجريمة وتدبير ما يجب لجلوس الخليفة الجديد. وقامت بتنصيب ولد أخيها **أبي الحسن علي، الظاهر لإعزاز دين الله** مكان أبيه وهو فتى يافع لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره[1] وبويع بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١/هـ ـ ١٠٢٠/م ولم يكن له من الخلافة غير اسمها وكان المتصرف بالدولة الشريف الكبير العجمي والشيخ نجيب الدولة الحرحرائي والشيخ العميد محسن ابن بدوي والقائد معضاد. وكان لا يدخل عليه أحد سواهم.

وفي عهده كثر اضطراب الناس واشتد الغلاء بمصر وتفشت الأمراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان، وأصبح الناس في مصر، بفعل هذه الأحداث، في أقبح حال من الأمراض والموتان وشدة الغلاء وعدم توفر الأقوات.

وخرجت بلاد الشام عن سلطة الخليفة الفاطمي بعد أن استولى عليها الأمير حسان بن مفرج الطائي، شيخ عربان جبل نابلس، وأخذ صالح ابن مرداس حلب.

وفي المقابل كثر دعاة الظاهر في بغداد، وكان بثهم سنة ٤٢٥/هـ ـ ١٠٣٣/م عند اختلاف الأتراك فكثروا واستجاب لهم خلق كثير.

توفي الظاهر سنة ٤٢٧/هـ ـ ١٠٣٥/م فبويع بعده ولده **المستنصر بالله، أبو تميم معد** وشهد عهده اضطرابات كثيرة.

ففي العام ٤٤٠/هـ ـ ١٠٤٨/م وقيل ٤٤٣/هـ ـ ١٠٥١/م أقام المعز ابن باديس بالمغرب الدعوة للقائم بأمر الله العباسي، وخلع طاعة المستنصر، فبعث المستنصر جيشاً من العرب يحاربونه، وكان ذلك أول دخول العربان إلى أفريقية وهم بنو رياح وبنو زغبة[2].

كما خرج عن طاعته أيضاً عرب البحيرة بني قرة والصلحيين، فأرسل

---

(١) محمد عبد الله عنان ـ تراجم إسلامية ص ٣٤.
(٢) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ج١، ص ١٩٣.

عليهم عسكراً وقتل منهم خلقاً كثيراً، وحملت الرؤوس إلى القاهرة ومعها أموال كثيرة.

وأقام البساسيري الدعوة له ببغداد سنة ٤٥٠/هـ ـ ١٠٥٨/م بعد محاربته أهلها حرباً شديدة ودامت الخطبة سنة ثم أُعيدت للقائم، الخليفة العباسي، بعد قتل البساسيري. وكان خطب له قبل ذلك في الكوفة وواسط والموصل. وخطب له سنة ٤٦٨/هـ ـ ١٠٧٥/م بمكة والمدينة وكانت الخطبة قد انقطعت بها خمس سنين. ومن أهم الأحداث التي شهدها عهد المستنصر، حضور الحسن بن الصباح إليه سنة ٤٧٩/هـ ـ ١٠٨٦/م وتعهد له بإقامة دعوته في خراسان وبلاد العجم.

أما بالنسبة لأحوال مصر في عهده، فقد اشتد فيها الغلاء، وقلت الأقوات وعظم الفساد وأكل الناس الجيف والميتات، ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به وأخذوا ماله.

كما عظم الجوع وتزايد الموتان واشتد الوباء بالقاهرة ومصر حتى إنه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضي اليوم أو الليلة حتى يموت جميع من فيه، وامتدت أيدي الجند إلى نهب العامة. وفرّت جماعات كثيرة من أهل القاهرة ومصر إلى البلاد الشامية وإلى بغداد هرباً من الجوع والفتن، وعظم الأمر بمصر حتى أكل الناس بعضهم بعضاً[1].

توفي المستنصر ليلة الخميس ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧/هـ ـ ١٠٩٤/م، بعد أن حكم ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، وفي بعض التواريخ ستة وستين سنة وشهور وأيام.

وكان خلال فترة حكمه وزر له /٢٤/ وزيراً هم: أبو القاسم الجرجرائي ثم أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي ثم أبو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد الجرجرائي ثم أبو الفضل صاعد بن مسعود ثم أبو محمد الحسن بن علي البازوري ثم أبو الفرج عبدالله بن محمد البابلي وأبو الفرج محمد بن جعفر ابن

---

(١) ابن ميسر ـ أخبار مصر، ص ٢٠.

محمد بن علي بن عبد الحاكم المعروف بابن المغربي ثم البابلي مرة ثانية ثم عبدالله بن يحيى بن المدبر ثم أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفاركي ثم أبو علي أحمد بن عبد الحكيم بن سعيد الفاركي ثم البابلي مرة ثالثة ثم أبو عبدالله الحسين بن سديد الدولة الماسكي ثم أبو علي أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم ثم ابن المدبر مرة ثانية ثم أبو علي أحمد بن عبد الحكيم بن سعيد الفاركي ثم أبو غالب بن الظاهر بن الفضل بن العجمي (تولى الوزارة أكثر من مرة) ثم الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة ثم أبو المكارم ابن أسعد ثم أبو علي الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري ثم أبو القاسم هبة الله بن محمد الرعياي ثم أبو الحسن بن الأنباري ثم أبو عبدالله الحسين بن سديد الدولة الماسكي ثم أبو شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملك ثم أبو الحسن طاهر بن وزير الطرابلسي ثم أبو عبد الله محمد بن أبي حامد التنيسي ثم أبو سعيد منصور بن أبي اليم سورس بن مكرواه بن زنبور ثم أبو العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف ثم بدر الجمالي.

أما قضاته فهم: الحاكم بن سعيد الفاركي ثم القاسم بن عبد العزيز ابن النعمان ثم أبو يعلا ويقال أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد الوفي ثم أبو الفضل القضاعي ثم جلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ثم أبو الفضل بن نباتة ثم أبو الفضل بن عتيق ثم أبو الحسن علي بن يوسف بن الكحال ثم فخر الحكام أبو الفضل محمد بن عبد الحاكم.

لما مات المستنصر، بادر الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القصر وأجلس ابن المستنصر **أبا القاسم أحمد**، ولقبه **بالمستعلي** وسير إلى نزار وعبد الله وإسماعيل أولاد المستنصر وأعلمهم بذلك. فترك نزار وعبد الله وإسماعيل وابن مصال الملكي القاهرة إلى الاسكندرية وكان الوالي بها ناصر الدولة أفتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي، وعرفوه بالحال ووعدوه بالوزارة فبايعه هو وأهل الاسكندرية، ولقب **بالمصطفى لدين الله**، وخرج الأفضل بعساكر إلى الاسكندرية لقتال نزار وأفتكين، وكانت بينهما حرب شديدة بظاهر الاسكندرية انكسر فيها الأفضل ورجع بمن معه إلى القاهرة منهزماً

ثم أخذ في التجهيز لقتال نزار مرة ثانية. ودس إلى جماعة ممن معه من العربان واستمالهم عنه ثم خرج إلى قتاله، فكانت بينهما وقعة بظاهر الاسكندرية انهزم فيها نزار بمن معه إلى داخل البلد فحاصرهم الأفضل حصاراً شديداً، ولما اشتد الحصار فر ابن المصال إلى المغرب فضعفت لذلك قوى نزار وأفتكين وخافا وطلبا من الأفضل الأمان فأمنهما ودخل إلى البلد وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى مصر. وقيل إن الأفضل بنى لنزار حائطين وجعله بينهما إلى أن مات، وأما أفتكين فإنه قتل بعد ذلك.

في أيام المستعلي، اختلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام، واستولى الفرنج على بيت المقدس وملكوه وقدم إلى مصر خلق كثير من البلاد الشامية فراراً من الفرنج والغلاء، وعم جميع البلاد الوباء ومات بمصر خلق كثير.

وانقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: نزارية تطعن في إمامة المستعلي ومستعلية ترى صحة خلافة المستعلي.

في ليلة السابع عشر من صفر سنة ٤٩٥/هـ ـ ١١٠١/م توفي المستعلي. ويقال إنه قتل سراً. وقيل إنه سمم فمات.

ولما مات أحضر الأفضل ابنه أبا علي وبايعه بالخلافة، ونصبه مكان أبيه ونعته **بالآمر بأحكام الله** وعمره خمس سنين وشهر وأيام(١) ولم يكن له حل ولا ربط وكانت أمور الدولة كلها بيد أمير الجيوش الأفضل. ولما قتل الأفضل وتولى المأمون البطائحي الوزارة قوي مركز الآمر. وصار يتصرف ويركب في يوم الجمعة والسبت والثلاثاء. ثم لم يلبث أن قبض على وزيره المأمون ابن البطائحي وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله وصلبه مع إخوته.

وكان أهم الأحداث التي شهدها عهد الآمر، استيلاء الفرنج على كثير من المعاقل والحصون بساحل الشام مما كان بيد آبائه. فملكوا عكا في شعبان سنة

(١) ابن ميسر ـ أخبار مصر ص ٤٠.

٤٩٧/هـ ـ ١١٠٣/م وعرفة في سنة ٥٠٢/هـ ـ ١١٠٨/م وتسلموا طرابلس بالسيف سنة ٥٠٢/هـ ـ ١١٠٨/م وملكوا بانياس وجبيل بالأمان سنة ٥٠٢/هـ ـ ١١٠٨/م ثم قلعة تبنين سنة ٥٠١/هـ ـ ١١٠٧/م ثم استلموا صور سنة ٥١٨/هـ ـ ١١٢٤/م قتل الآمر يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة ٥٢٤/هـ ـ ١١٢٩/م بجزيرة مصر بالقرب من المقياس وثب عليه عدة أشخاص من النزارية فقتلوه وقبض على قتلته فقتلوا. وكانت مدة خلافته ٢٩ سنة و٨ أشهر ونصفاً[(١)].

وقام بالأمر بعده **الحافظ لدين الله، أبو الميمون عبد المجيد**. وفي عهده وقع الخلاف بين ولديه أبي تراب حيدرة المعروف بأبي علي كتيفات وحسن. وحصلت بينهما حروب طالت واشتدت وافترق العسكر فرقتين. فرقة مع أبي تراب وفرقة مع حسن وهما الريحانية والجيوشية. وكان حصيلة القتال بين الفرقتين ما يقرب من ١٠ آلاف شخص، وسبب الخلاف بين الأخوين هو أن الحافظ جعل ابنه حيدرة ولي العهد من بعده فلم يرض حسن بذلك. ووقع القتال بينهما وكان النصر فيه لحسن وهرب حيدرة والتجأ إلى أبيه فبعث أبوه خلف حسن لتهدئة الحال فامتنع عن المجيء وطالبه بحيدرة أخيه وحاصر القصر حصاراً شديداً، وفي نهاية الأمر رضخ والده لمطالبه وجعل له ولاية العهد من بعده، وكتب بذلك سجلاً قرئ على الناس. وبسط حسين سيطرته على شؤون الدولة، وتضاءل ظل والده، وانحسر أمامه.

ولما صارت مقاليد السلطة بيد حسن، قبض على جماعة من الأمراء ممن وقفوا إلى جانب شقيقه حيدرة وقتلهم، وأقام غيرهم فخافه من بقي من الأمراء وعزموا على خلع الحافظ من الخلافة وخلع حسن وتجمعوا بين القصرين، وبعثوا للحافظ بما هم عليه فسير إليهم واعتذر وفر حسن إليه فأمسكه وقيده وبعث به إلى الأمراء فقالوا له: لا بد من قتله فسقاه سماً مات منه وذلك سنة ٥٢٩/هـ ـ ١١٣٤/م.

في عهد الحافظ تأسست الدولة الإسماعيلية في مصياف. ومن الأحداث

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٥٧.

طلائع بن رزيك وهو في الصعيد، تطالبه بالثأر من عباس وأرسلت مع الكتب شعور النساء، فجمع العربان والأجناد ومقطعي البلاد وحشد وسار من منية أبي الخصيب، وبلغ عباس فجهز إليه عسكراً فسار من القاهرة للقائه. وانجلى الموقف عن فرار عباس ومعه أسامة بن منقذ بما خف من المال والتحف إلى جهة أيلة متوجهاً إلى الشام، ونهب الناس دورهم ودخل طلائع القاهرة وشقها بعساكره وهو لابس ثياباً سوداء وأعلامه وبنوده سود وشعور نساء القصر على الرماح حزناً على الظافر ونزل طلائع دار المأمون التي كان يسكنها عباس وأحضر الخادم الذي كان مع الظافر لما قتل فأعلمهم مكانه فأخرجه وغسله وكفنه وعمله في تابوت مغشى وحمله الأستاذون والأمراء ومشى طلائع والناس حتى وصلوا به إلى القصر فصلى عليه ابنه الفائز ودفن في تربة القصر وجلس فائز بقية النهار وخلع على طلائع بن زريك بالموشح والعقد(١).

ثم إن الفرنج قبضوا على عباس وولده نصر فأرسلت إليهم عمة الفائز أموالاً وهدايا وطلبت تسليمهما فسلموهما فصلبا على باب القصر.

في أيامه نقلت رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٩/ هـ وبنى لها الفائز مشهداً ودفنها به(٢) توفي الفائز في السادس والعشرين من رجب سنة ٥٥٥/ هـ فأقام الصالح بن زريك في الخلافة بعده **العاضد لدين الله، أبا محمد عبد الله** وكان عمره يوم بويع نحو ١١ سنة وقام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قتل في رمضان سنة ٥٥٦/ هـ ـ ١١٦٠/م فقام من بعده ابنه زريك ابن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولايته قوص فلم يقبل العزل فجمع الناس وسار إلى القاهرة فلم يثبت زريك وفر فقبض عليه شاور واستقر في الوزارة وبقي فيها إلى أن ثار ضرغام صاحب الباب فهرب منه شاور إلى الشام واستبد ضرغام بالوزارة. ثم حضر شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة ٥٥٩/ هـ ـ ١١٦٣/م محاربة ضرغام فانهزم ثم كانت بين

---

(١) ابن ميسر ـ أخبار مصر.

(٢) ابن اياس ـ المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الأول ص ٣٥ وما بعدها.

المهمة، في عهد الحافظ، قتل الملك الأكمل أحمد بن الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي. وكان سجن بعد مقتل أبيه مدة إلى أن قتل الآمر وأقيم الحافظ، فأخرجوا الأكمل وولي وزارة السيف والقلم، فحجر على الحافظ ومنعه من الظهور، وأخذ أكثر ما في القصر وأهمل ناموس الخلافة الفاطمية وأبطل من الأذان حيّ على خير العمل، فأبغضه الدعاة والقواد وتآمروا عليه. وصدف أن ركب للعب الكرة في المحرم سنة ٥٢٦/ هـ ـ ١١٣١/ م فوثبوا عليه وطعنه مملوك الحافظ بحربة، وأخرجوا الحافظ ونزل إلى دار الأكمل، واستولى على خزائنه واستوزر يانس مولاه، فهلك بعد عام(١).

من الأحداث الأُخرى غلاء الأسعار وفقدان القمح والشعير، وعظم الوباء فهلك فيه عالم لا يحصى.

مات الحافظ سنة ٥٤٤/ هـ ـ ١١٤٩/ م. وكانت مدة خلافته ١٨ سنة و٤ أشهر و١٩ يوماً(٢).

تولى الخلافة بعده **الظافر بأمر الله، أبو منصور إسماعيل**. وكان شاباً جميل الصورة حسن الهيئة يميل إلى اللهو والطرب يهوى ابن وزيره عباس وينزل إليه ويبيت عنده في غالب الأوقات.

قتل ليلة الخميس سلخ محرم سنة ٥٤٩/ هـ ـ ١١٥٤/ م قتله عباس بتحريض من أسامة بن منقذ. وبعد قتله دخل عباس إلى دور الحرم وأخرج الأمير عيسى بن الظافر، وتلقب بالفائز بنصر الله وكان عمره ٥ سنوات. وظن عباس أن الآمر يستقيم الأمر له، فكان الأمر خلاف ما تمناه. لأن أهل القصور أكثروا النياحة على الظافر وأخذوا في إعمال الحيلة على عباس. وكان الأمراء والسودان قد نفروا منه لإقدامه على القتل فاختلفت الكلمة عليه وهاجت الفتنة بالقاهرة وتفرق العسكر فرقاً ولبسوا السلاح فخرج إليهم عباس في يوم الاثنين عاشر ربيع الأول وحاربهم فكسرهم وقتل منهم جماعة وبعثت عمة الفائز إلى

(١) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ج٤، ص ٦٧.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٥٧.

الفريقين حروب آلت إلى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان سنة ٥٥٩/ هـ ـ ١١٦٣/م واستولى شاور على الوزارة مرة ثانية لكنه لم يهنأ في منصبه، إذ سرعان ما اختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب. ولكي يتمكن من دفع شرهم عنه كتب إلى مري ملك الفرنج يستدعيه إلى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر ونزل هو وشاور على بلبيس وحصرا شيركوه ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز إلى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور إلى القاهرة. لكن شيركوه قدم من الشام بالعساكر مرة ثانية فخرج شاور إلى لقائه واستدعى مري ملك الفرنج ثم عاد شيركوه وأصحابه إلى الشام. وقد طمع الفرنج في البلاد وتسلموا أسوار القاهرة وجاروا في حكمهم وألحقوا بالمسلمين أنواع الإهانة. وحاول مري أخذ القاهرة عنوة فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزهم وسيرهم إلى مصر. ولما ورد الخبر بقدوم شيركوه رحل الفرنج عن القاهرة. ونزل شيركوه على القاهرة فخلع عليه العاضد وأكرمه وقلده الوزارة لكنه مات بعد شهرين وخمسة أيام ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب ابن أخ شيركوه. وكان صلاح الدين، على ما يبدو، ينتظر هذه الخطوة بفارغ الصبر لذلك ما أن تسلم هذا المنصب حتى أخذ يعمل وفق خطة منظمة على إضعاف العاضد، واستنفاد ما عنده من مال. فكان يوالي الطلب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه إلى إرساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت، وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم فوهبها لأصحابه وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام[1].

وبلغ مجموع ما أخذه صلاح الدين من العاضد ألف ألف دينار سوى

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٣٥٨.

الثياب وغيرها[1] وفي مطلع عام ٥٦٧/ هـ ـ ١١٧١/ م قطع صلاح الدين خطبة العاضد وخطب للمستضيء العباسي بتحريض من نجم الدين الخبوشاني، وكان صلاح الدين يعتقد فيه ويبالغ في احترامه.

وكان العاضد قد مرض مرضاً شديداً، وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يحتم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستضيء، ففعل وكان العاضد رأى في منامه أن عقرباً قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلدغته فاستيقظ مرعوباً واستدعى معبراً، فعبر له ذلك بوصول أذى إليه من شخص بذلك المسجد، فطلب من بالمسجد فأُحضر إليه نجم الدين الخبوشاني[2].

توفي العاضد في يوم عاشوراء سنة ٥٦٧/ هـ ـ ١١٧١/ م.

ولما مات احتاط صلاح الدين على أهله وأولاده فكانت عدة الأشراف في القصور ١٣٠ والأطفال ٧٥ وجعلهم في مكان أُفرد لهم خارج القصر، وجمع عمومته وعشيرته في إيران بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم. وتسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الأموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف، واستعرض من فيه من الجواري والعبيد فأطلق من كان حراً ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين[3].

وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها أمراءه وضرب الألواح على من كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادي في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب إلى الدولة الفاطمية، فكان الرجل إذا استحسن داراً أخرج منها

---

(١) الذهبي ـ العبر في خبر من غير ج٤، ص ١٨٩.
(٢) القلقشندي ـ مآثر الانافة ج٢، ص ٥٢.
(٣) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج١، ص ٤٩٦.

سكانها ونزل بها[١].

وقبض صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد واعتقل معه جميع إخوته وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال حتى انقرضت الدولة الأيوبية[٢].

ولما انقرضت دولة الفاطميين راح الشاعر **عمارة اليمني** يكثر ذكرهم والتأسف عليهم والدعاء على من كان سبباً لهلاكهم ومما قاله فيهم:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فإن ... قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقنى فأنفك لا ... ينفك ما بين قرع السنّ والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل ... سعيت مهلاً أما تمشي على مهل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما ... رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة ... وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة إن قصرت في عذلي
بالله در ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل
وقل لأهليهما والله ما التحمت ... فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي
هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما ... ملكتموا بين حكم السبي والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدّكم ... محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهي خوف منتقد ... من الأعادي ووجه الودّ لم يمل

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

أسلت من أسفي دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكي على ما تراءت من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورث منها جديد عندهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليج لكم ... يأتي تجملكم فيه على الجمل
وأوّل العام والعيدين كم لكم ... فيهنّ من وبل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز في يوم الغدير كما ... يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض في وشى وفي شية ... مثل العرائس في حلى وفي حلل
ولا حملتم قرى الأضياف من سعة ... الأطباق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم ببرّ أهل ملتكم ... حتى عممتم به الأقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضـ ... ـيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذي عظمت ... منه الصلاة لأهل الأرض والدول
وللجوامع من إحسانكم نعم ... لمن تصدّر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فعقلها ... منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم ... ولا نجا من عذاب الله غير ولي
ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأ ... من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت ... من خان عهد الإمام العاضد ابن علي
أئمتي وهداتي والذخيرة لي ... إذا ارتهنت بما قدّمت من عملي
تالله لم أوفهم في المدح حقهم ... لأنّ فضلهم كالوابل الهطل
قولوا تضاعفت الأقوال واتسعت ... ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة ... وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل ... الغيث إن ربت الأنواء في المحل
أئمة خلقوا نوراً فنورهم ... من محض خالص نور الله لم يغل
والله ما زلت عن حبي لهم أبداً ... ما أخر الله لي في مدّة الأجل

وقال أيضاً، في قصيدة أُخرى:

لمّا رأيتُ عِراصَ الحيّ خاليةً ... عن الأنيس وما في الرَّبع سادات
أيقنتُ أنّهم عن ربعهم رحلوا ... وخلَّفوني وفي قلبي حراراتُ
سألتُ أبلَه قلبي في السُّلوّ وقد ... يقال للبُلْه في الدُّنيا إصابات
فقال رأيي ضعيف لا يطاوعني ... كيف السُّلوُّ وأهل الفضل قد ماتوا
يا ربّ إن كان لي في قربهم طمعٌ ... عجِّل بذاك فللتَّسويف آفات

ولما أُنشدت هذه الأبيات بين يدي صلاح الدين، كبر ذلك عليه فأمر بشنق عمارة مع جماعة ممن هم على رأيه. فشنق في درب خزانة البنود بالقاهرة في ١٢ رمضان من سنة ٥٦٩/ هـ ـ ١١٧٣/ م[(١)].

وبعد قطع صلاح الدين الخطبة للعاضد، حاول ثمانية من الدعاة الإسماعيليّين إعادة الدولة الفاطمية، فشنقهم صلاح الدين. وكان من بينهم **هبة الله بن كامل المصري التنوخي**، قاضي القضاة وداعي الدعاة، قاضي الخليفة العاضد، وذلك في سنة ٥٦٩/ هـ ـ ١١٧٣/ م[(٢)]:

وقد أظهر كثير من الشعراء والكتاب شماتتهم بانقضاء الدولة الفاطمية.

قال بعض الشعراء في بني أيوب[(٣)].

أبدتم من بلى دولة الكفر من ... بني عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية ... مجوس وما في الصالحين لهم أصل
يسرون كفراً يظهرون تشيعاً ... يستروا سابور عمهم الجهل

ومن هؤلاء أيضاً **ابن الأثير** الذي قال من قصيدة طويلة:

والفاطميون قليلو العدة ... لكنهم مدّ لهم في المدة
فملكوا بضعاً وستين سنة ... من بعده مائتين وكان كالسنة
والعدة أربع عشرة المهدي ... والقائم المنصور المعدي

---

(١) أبو مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن ص ١٦٨.
(٢) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ج٤، ص ٢٩.
(٣) ابن الأثير ـ البداية والنهاية ج١٣، ص ٢١٠.

أعنـي بـه المعـز بـانـي القـاهـرة ثـم العـزيـز الحـاكـم الكـوافـرة
والظـاهـر المستنصـر ثـم العـاضـد آخـرهـم مـا لهـذا جـاحـد
أهلـك بعـد البضـع والسنيـنَ مـن قبلهـا خمسمـائـة سنينـا
وأصلهـم يهـود ليسـوا شـرفـاً بـذاك أفتـى السـادة الأئمـة
أنصـار ديـن الله مـن ذي الأمـة[1]

---

(١) المرجع السابق.

الدعوة الإسماعيلية في اليمن
و
الدولة الصليحية

اختلفت الأقوال حول تاريخ بدء انتشار الدعوة الإسماعيلية في اليمن.

الرأي الراجح يقول إنها بدأت سنة ٢٦٧/ هـ - ٨٨٠/ م.

وهناك من قال سنة ٢٧٧/ هـ - ٨٩٠/ م[١].

وكان انتشارها على يد الداعيين **المنصور الحسن بن فرج بن حوشب، وعلي بن الفضل الخنفري** اللذين أرسلهما عبيد الله المهدي إلى اليمن.

ذهبا صديقين متآلفين، لغاية واحدة، وهدف واحد، وماتا خصمين متعاديين متقاتلين.

اتجه ابن حوشب إلى عدن لاعه، وملك جبل مور بالسيف، وأسر عامل الأمير ابراهيم بن محمد بن جعفر الحوالي[٢] وبنى حصناً، وغلب على تلك الناحية[٣].

بينما قصد علي بن الفضل يافع وجذب أهلها إليه وجندهم وقصد بهم لحج واستولى عليها ثم استولى على المذيخرة[٤] وجعلها نقطة انطلاقه لفسخ

(١) العلامة عبد الواسع يحيى الواسعي اليماني - تاريخ اليمن ص ١٥٩.
(٢) ذكر عبد الواسع اليماني اسمه أسعد بن أبي يعفر.
(٣) نشوان الحميري - الحور العين، ص ٢٥٢.
(٤) عبد الواسع اليماني - تاريخ اليمن ص ١٥٩.

باقي المدن. ولم يمض كبير وقت حتى ملك حصون اليمن ومدن عدن وزبيد وصفاء وطرد الناصر بن الهادي، إمام الزيدية، من صعده واستولى على جبال اليمن وتهامة[(١)].

وبدلاً من أن يوجه هذان الداعيان جهودهما، ويعملا معاً، اختلفا وتقاتلا بسبب موقف كل منهما من الدعوة.

فابن حوشب ثبت على ولائه للمهدي بينما انحرف علي بن الفضل وأخذ يدعو لنفسه، واتهم بأنه ادعى النبوة، وقام بأعمال شنيعة، منها أمر جواريه أن يغنين بالدفوف على منبر جند:

خذي العود يا هذه واضربي	نقيم شرائع هذا النبي
تولى بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
فحط الصلاة وحط الزكاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الفراس لمن ربه	وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلالاً فقدت من مذهب[(٢)]

ربما كان الخنفري قد دعا لنفسه. ليس في ذلك غرابة. لكننا نشك في أنه أباح المحرمات، نظراً لما نعرفه من أن الدعاة الإسماعيليين كانوا على جانب كبير من التقى والإيمان والعبادة. مات ابن حوشب سنة ٣٠٢/ هـ ـ ٩١٤/ م وكان قبل وفاته أوصى ابنه أبا الحسن، وتابعه عبد الله الشاوري بأن يستمرا على إقامة الدعوة للمهدي وأهل بيته. لكن ابنه ارتد عن المذهب الإسماعيلي وجمع العشائر وأشهدهم على ذلك، ثم انقض على أنصار أبيه، وأمعن فيهم قتلاً حتى

---

(١) اليافعي اليماني ـ مرآة الجنان ج١، أخبار سنة ٣١٧هـ.
(٢) المرجع السابق.

أفنى عدداً كبيراً منهم، وتفرق الباقون في البلاد.

وبعد سنة من وفاة ابن حوشب، توفي علي بن الفضل. وقام ابنه بعده. وبنفس العام ـ سنة ٣٠٣/ هـ ـ ٩١٥/ م ـ خرج الأمير **أسعد بن يعفر الحوالي** من صنعاء ومعه قواد اليمن، لحرب القرامطة، والمقصود بهم أتباع علي ابن الفضل ـ لأنه بنظر بعض المؤرخين أول من سن القرمطة في اليمن ـ[1] وتمكن من الاستيلاء على بلدانهم ثم حاصر عاصمتهم المذيخرة في جمادى الأولى سنة ٣٠٤/ هـ ـ ٩١٦/ م، وافتتحها في رجب من العام نفسه، وأعمل السيف في رقاب أهلها، وغنم أموالاً لا تدخل تحت الحصر، وسبى نساء ابن فضل فوهب بنته لابن أخيه قحطان فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن. وبيع من القرامطة ناس كثيرون. وأخذ ولدين لعلي بن فضل، وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء وأمر بهم فذبحوا ورميت أجسامهم في بئر بالجبانة، ووضعت رؤوسهم ضمن أربعة صناديق وبعث بها إلى مكة فنصبت هناك أيام المواسم[2].

وقد أثرت هذه النكبات على الدعوة الإسماعيلية، فانحسر مدها، وانتقلت من العلن إلى السرية، واستمرت على هذه الحال مدة طويلة ثم قويت شوكتها من جديد، وظهرت إلى العلن مرة ثانية على يد الداعيين **عبد الله ابن قحطان بن أبي يعفر**، أمير صنعاء، **وعلي بن محمد بن علي الطيحي**.

أقام عبد الله الدعوة سنة ٣٧٩/ هـ ـ ٩٨٩/ م، واستولى على بعض البلاد المجاورة، وملك زبيد بعد أن هزم أميرها إسحٰق بن إبراهيم بن زياد، المعروف بأبي الجيش، وأقام الخطبة للخليفة العزيز بالله الفاطمي، واستمر ذلك حتى وفاته سنة ٣٨٧/ هـ ـ ٩٩٧/ م[3].

أما علي بن محمد الصليحي، الذي تبتدئ به الدولة الصليحية، فكان حلقة من سلسلة تمتد من ابن حوشب إليه.

---

(١) محمد بن مالك الحمادي اليماني ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣١.

(٢) نشوان الحميري ـ الحور العين ص ٢٥٤.

(٣) الدكتور محمد جمال الدين سرور ـ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٥٩.

فبعد مقتل الإسماعيلية على يد أبي الحسن بن حسن بن حوشب، وتفرقهم في البلاد، انتقل أمر الدعوة بالتسلسل التالي:

ابن الطفيل ـــ فخيم ـــ يوسف بن الأسد ـــ عامر بن عبد الله الرواحي ـــ علي بن محمد الصليحي.

كان، محمد الصليحي، أبو علي، فقيهاً عالماً قاضياً باليمن، سني المذهب، حسن السيرة مطاعاً في أهله وجماعته. وكان الداعي عامر بن عبد الله الرواحي يتردد عليه لمكانته في قومه، وعلمه وصلاحه. وكان إذا أتاه في بيته، خلا بولده علي وأطلعه على ما عنده من العلوم حتى استماله وغرس في نفسه محبة مذهبه.

ولما مات عامر أوصى لعلي بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً وافراً كان جمعه من أهل مذهبه. وعكف عليٌ على دراسة الكتب، واستوعبها وصار مستبصراً في علم التأويل. ثم بدأ يهيىء نفسه لأداء الرسالة التي ندب لها، وكان عليه أولاً، ترسيخ قدميه، لذلك سار في عام ٤٢٩/ هـ ـ ١٠٣٧/ م على رأس /٦٠/ رجلاً من رجاله واستولى على قلعة جبل مسار[١] وتملكها وأخذ يتمدد شيئاً فشيئاً، واستطاع بسهولة ويسر القضاء على مناوئيه ومنهم جعفر ابن قاسم بن علي العياني، وجعفر بن العباس، وابن أبي حاشد.

واستولى على جبل حضور وحصن يناع، وصنعاء، واستخلص عدن من بني معن. وطوى اليمن طياً سهله ووعره وبره وبحره[٢] ومع ذلك بقي القلق يساوره من نجاح عبد مرجان، صاحب زبيد، فكان يلاطفه ويستكين لأمره في الظاهر، وهو في الباطن يعمل الحيلة في قتله حتى قتله بالسم على يد جارية بارعة الجمال أهداها إليه، دست له السم فمات سنة ٤٥٢/ هـ ـ ١٠٦٠/ م[٣].

وفي عام ٤٥٣/ هـ ـ ١٠٦١/ م كتب إلى المستنصر الفاطمي يستأذنه في

---

(١) جبل مسار أعلى جبل في جبال حراز.
(٢) أبو مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن ص ١٦٠.
(٣) المرجع السابق.

إظهار الدعوة ومع الكتاب هدية جليلة فيها ٧٠ سيفاً قوائمها من عقيق، حملها رجلان من قومه هما أحمد بن محمد والد زوجته السيدة الحرة، وأبو سبأ أحمد بن المظفر.

ولم تمض سنة ٤٥٥/هـ ـ ١٠٦٣/م، حتى كان قطر اليمن من مكة إلى حضرموت، سهله وجبله، تحت سيطرته وفي قبضته.

وبعد أن حقق كل ما يصبو إليه رغب في أن يختم أعماله بالحج إلى بيت الله الحرام. وفي آخر سنة ٤٥٩/هـ ـ ١٠٦٦/م استخلف ابنه **السلطان المكرم، أبا علي، أحمد**، وتوجه إلى مكة المشرفة في ٥٠٠ فرس مجنوبة عليها مراكب الفضة و٥٠٠ هجيناً عليها أكوار الفضة والركب فضة و٥٠ دواة من ذهب وفضة، وغير ذلك من الزينة. واصطحب معه زوجته الحرة الكاملة **أسماء بنت شهاب** و٥٠ ملكاً من ملوك اليمن، وما بين ١٥٠ إلى ١٧٠ شخصاً من آل الصليحي و٢٠٠٠ فارس. وكان قصده من اصطحاب هذا العدد الكبير من الملوك ومن أهله وأقاربه الحيلولة دون انقضاضهم على الملك أثناء غيابه.

وعندما حط رحاله للاستراحة في ضيعة أم الدهيم وبئر أم معبد في ظاهر الهجم، باغته سعيد الأحول، ابن نجاح صاحب زبيد، في ٥٠٠٠ رجل من أتباعه وقتله مع شقيقه عبد الله الصليحي وسائر الصليحيين، واستولى على أموالهم وذخائرهم، وأسر زوجة الصليحي، الملكة الحرة، وحملها ذليلة مهانة إلى زبيد في هودج، وجعل رأس زوجها ورأس أخيه عبد الله، أمام هودجها على عمود المظلة[١] وفي ذلك يقول القاضي العثماني:

بكـرت مظلـة عليـه فلـم تـرح إلا علـى الملـك الأجـل سعيـدهـا
مـا كـان أقبـح وجهـه فـي ظلهـا مـا كـان أحسـن رأسـه فـي عـودهـا
سـود الأراقـم قـابلـت أسـد الشـرى وارحمتـا لأُسـودهـا مـن سـودهـا[٢]

بعد مقتل الصليحي، خرجت مناطق كثيرة من يده، ولم يبق للصليحيين

---

(١) أبو مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن ص ١٦٣.
(٢) المرجع السابق.

غير حصن التعكر والعاصمة صنعاء.

تلقى المكرم هذه الضربة القاسية بشجاعة الأبطال، فلملم قواه، ونظم صفوفه وهاجم سعيد الأحول في عقر داره وقتله، وخلص والدته من الأسر[١] وكانت أمه بقيت في أسر سعيد الأحول سنة ثم كتبت إليه كتاباً وجعلته في قرص خبز ودفعته إلى فقير يوصله إليه وذكرت فيه أنها حامل للعبد فإن أدركتني وإلا فالعار والفضيحة. فثار وخرج من فوره في ٣٠٠٠ فارس[٢].

وبعد هذا الانتصار، قصد عدن وطرد منها بني معن، وكانوا استولوا عليها بعد مقتل أبيه، وولاها العباس ومسعوداً ابني المكرم الهمداني، وكانا من أعوان والده في قيام الدعوة للمستنصر الفاطمي، فجعل للعباس حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه، وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وترك أمر المدينة لنفسه[٣] في عهد المكرم، بلغت الدولة الصليحية أقصى اتساعها. ومع الأيام عجز المكرم عن القيام بأعباء الحكم بسبب مرض الفالج الذي اشتد عليه، فاعتكف في حصن التعكر. وترك تصريف الأمور لزوجته الملكة الحرة **أروى بنت أحمد الصليحي**.

ولما مات المكرم سنة ٤٧٩/هـ ـ ١٠٨٦/م وقيل سنة ٤٨٥/هـ ـ ١٠٩٢/م نهضت أروى بمسؤوليات الدولة، وعينت **السلطان سبأ بن أحمد الصليحي**. مساعداً لها.

وسرعان ما دب الخلاف بين أروى وسبأ بسبب طموحه المتزايد، ورغبته في الاستئثار بالسلطة، والزواج منها. ولم تتزوجه إلا بعد أن أمرها المستنصر بذلك. وبالرغم من هذا الزواج فإن أمور الدولة بقيت في يدها.

في عام ٤٩١/هـ ـ ١٠٩٧/م وقيل ٤٩٢/هـ ـ ١٠٩٨/م توفي السلطان أبو حمير سبأ بن أحمد الصليحي. وبعد وفاته خرجت صنعاء وأعمالها من

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق ص ٨٦.

حظيرة الدولة الصليحية، فاستولى عليها السلطان حاتم بن الغشيم الهمداني وأقامت الملكة الحرة **المفضل بن أبي البركات الحميري** على قيادة الجيش وإدارة شؤون الدولة. فحارب المفضل القبائل التي خرجت على طاعة الدولة الصليحية، واسترجع نصف خراج عدن من آل زريع[١].

وفي سنة ٥٠٣/هـ ـ ١١٠٩/م اختلف أولاد جياش بن نجاح فيما بينهم، وأدى هذا الخلاف إلى فرار منصور بن فاتك بن جياش من زبيد مع عبيد أبيه ولجوئهم إلى الدولة الصليحية وتعهدوا بدفع ربع محاصيل تهامه للملكة في مقابل مساعدتها لهم. فبعثت الملكة الحرة المفضل إلى زبيد لنصرة منصور ابن فاتك بن جياش على عمه عبد الواحد بن جياش، وكتبت إلى زريع ابن العباس بن المكرم الهمداني وإلى عمه مسعود بن المكرم أن يلقياه إلى زبيد فلقياه وقاتلا معه وقتلا على باب زبيد[٢].

وفي أثناء غياب المفضل عن التعكر، ثار الفقهاء واستولوا عليها بمساعدة الخولانيين. ولما عاد المفضل من زبيد انتحر سنة ٥٠٤/هـ.

وبعد وفاته خرجت بعض الجهات عن الدولة الصليحية، وبدأت الأمور تتعقد والدولة تتفكك شيئاً فشيئاً لذلك أرسلت الملكة الحرة إلى الخليفة الأمر، في القاهرة، تطلب منه مستشاراً لمساعدتها في تدبير شؤون الدولة. فأرسل إليها سنة ٥١٣/هـ ـ ١١١٩/م الأمير **علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة المصري** في عشرين فارساً فتركته على بابها في جبله حافظاً لها. وغزا أهل الأطراف واستخدم ٤٠٠ فارس من همدان وغيرهم فاشتد بهم جانبه، وقويت شوكته مما أوغر صدور أعدائه وتآمروا عليه مع رسول الآمر بأحكام الله المعروف بالأمير الكذاب، فاجتمع إليه أعداء ابن نجيب الدولة وحملوا له الهدايا فقال لهم أنا أضمن لكم هلاكه، فاكتبوا معي أنه دعاكم إلى نزار، وأنه راودكم على البيعة فامتنعتم، واضربوا لي سكة نزارية وأنا أوصلها إلى الآمر، ففعلوا ذلك فأوصل

---

(١) الدكتور محمد جال الدين سرور ـ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٦١.
(٢) أبو مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن ص ١٠٦.

الكتب والسكة إلى مصر فبعث الآمر بأحكام الله الأمير ابن **الخياط** ومعه ١٠٠ فارس من الحجرية، إلى اليمن، وأمره بالقبض على ابن نجيب الدولة. ولما قدم ابن الخياط ومن معه إلى الحرة وطلب منها ابن نجيب الدولة امتنعت من تسليمه وقالت له أنت حامل كتاب فخذ جوابه وإلا اقعد حتى أكتب إلى الخليفة الآمر بأحكام الله ويعود جوابه. فخوّفها وزراؤها ولم يزالوا بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يميناً، وكتبت إلى الخليفة الآمر بأحكام الله وسيرت رسولاً هو كاتبها **محمد الأزدي**، وسيرت معه هدية حسنة وفي الهدية بدنة قيمة الجوهرة التي فيها أربعون ألف دينار وشفعت فيه وسلمته إليهم، فلما فارقوا جبلة جعلوا في رجله قيداً ثقيلاً وشتموه وأهانوه، وبات في الدهليز عرياناً في الشتاء، وبادروا به إلى عدن وسفروه إلى مصر أول يوم من شهر رمضان، وأخذوا رسولها ابن الأزدي بعد خمسة عشر يوماً وطلبوا من ربان المركب أن يفرقه ففرقه وغرق المركب بما فيه على باب المندب ومات ابن الأزدي غريقاً. ولا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن[1]. أخذت الدولة الصليحية، بعد رحيل ابن نجيب الدولة من اليمن في الانهيار والانحلال. وفي أواخر أيام الملكة الحرة لم تبق في يدها إلا بضعة حصون.

توفيت الحرة سنة ٥٣٢/هـ ـ ١١٣٧/م، وبنفس العام، توفي سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس فتولى الملك بعده علي الأغر فارتاب منه أخوه محمد فهرب منه ولاذ بالمنصور بن المفضل بن أبي البركات. ولم تطل مدة ولاية علي الأغر أكثر من سنتين ثم توفي بالدملوة سنة ٥٣٤/هـ فكتب بلال ابن جرير، من عدن، إلى مولاه محمد بن سبأ يعلمه بوفاة أخيه ويأمره بالمبادرة إلى عدن ويعده بالقيام معه فلما وصل إليه كتاب بلال خرج من عند المنصور ابن المفضل مع الهمدانيين يريد عدن فلما صار بالقرب منها تلقاه بلال وزوجه ابنته. وفي أثناء مدته قدم من مصر **القاضي رشيد أحمد بن الزبير الأسواني** حاملاً رسالة من صاحب مصر إلى الأغر علي بن سبأ بتقليد أمر الدعوة له في

(١) المرجع السابق ص ١٤ و٧١.

سنة ٥٣٤/هـ ـ ١١٣٩/م فوجد علياً قد مات فقلد الدعوة أخاه محمداً ونعته بالمعظَّم ووصفه بالمتوَّج[١].

وفي سنة ٥٤٥/هـ ـ ١١٥٠/م ابتاع الداعي محمد بن سبأ من الأمير منصور بن المفضل جميع ما تحت يده من المعاقل والحصون والمدن بمائة ألف دينار وهي ٢٨ حصناً، ومن المدائن مدينة ذي جبلة. ونزل منصور بن المفضل إلى حصنيه صبر وتعز، وصعد الداعي إلى ذي جبلة وتزوج زوجة الأمير منصور بن المفضل وفي عام ٥٤٨/هـ ـ ١١٥٣/م وقيل سنة ٥٥٠/هـ ـ ١١٥٥/م، توفي محمد بن سبأ بالدملوة، وقام بالأمر بعده ولده عمران، الملقب بالمكرم بن المعظم صاحب عدن والدملوة، وبقي قائماً بالدعوة الفاطمية إلى أن توفي في سنة ٥٦٠/هـ ـ ١١٦٤/م.

وبعد مرور سبع سنوات على وفاة عمران، قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية وأصبح النفوذ الفاطمي في اليمن مهدداً.

وفي عام ٥٦٩/هـ ـ ١١٧٣/م بعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه على رأس حملة إلى اليمن فبسط سلطانه عليها[٢].

وهكذا دخلت اليمن مرحلة جديدة من مراحل تاريخها.

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٧.

(٢) الدكتور محمد جمال الدين سرور ـ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٥٩ وما بعدها.

الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس

يستفاد من المصادر التاريخية، أن الدعوة الاسماعيلية انتشرت في بلاد فارس، زمن **السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي**، أي في الفترة ما بين ٤٦٥ الى ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م.

ويعود الفضل في انتشارها إلى الداعي **عبد الملك بن عطاش**، الذي استمال إليه عدداً من الرجال ذوي الفضل والمواهب الفذة، ورسمهم دعاة وسيرهم إلى كل ناحية من نواحي البلاد. منهم: الداعي **أبو نجم السراج**، والداعي **مؤمن**، والداعي **الحسن بن الصباح** وهو أشهرهم.

وكان أول ظهور علني قوي للاسماعيلية عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م بأصبهان تجمعوا فيها من مناطق مختلفة.

وفي غير أصبهان، كان لهم وجود كثيف وملموس، في مناطق همدان وخراسان وكرمان وطبس وآمد وبيهق وطريثيث وبعض قهستان وغيرها..

ومما يلاحظ، أن انتشار الدعوة الاسماعيلية في بلاد فارس، كان محكوماً بعاملين: عامل الزمان، وعامل المكان.

فمن جهة، كان هذا الانتشار في ظل حكم السلاجقة الذين كانوا من ألد أعداء الاسماعيليين. وثم كان ظهورهم في أوساط اجتماعية تضمر لهم الكره الشديد وترى وجوب قتلهم واستئصال شأفتهم.

ولذلك، اتخذ الاسماعيليون من القلاع والحصون مساكن لهم، تحميهم من هجمات أعدائهم. وبلغ عدد القلاع والحصون التي تملكوها، ما يقرب من مائة قلعة موزعة في قهستان ورودبار وقومس وألموت و... من أشهرها:

- **قلعة أصبهان** المعروفة بشاه دز.
- **قلعة خان لجان** قرب أصفهان.
- **قلعة ألموت** جنوبي بحر قزوين.
- **سنمكوه** قرب أبهر.
- **استونا وند** بين الري وآمد.
- **قلعة الطنبور** قرب أرجان.
- **قلعة أردهن**.
- **قلعة كردكوه**.
- **قلعة الناظر** بخوزستان.
- **قلعة خلاد خان** بين فارس وخوزستان.
- **قلعة كلام**.
- **قلعة بيره** على مقربة من قزوين.

وغيرها...

وبالرغم من ذلك، كانت الاعتداءات تتوالى عليهم، وتشن الغارات على هذه القلاع من هذا الحاكم أو ذاك.

ووصلت الحملات التي شنت عليهم إلى حد الإبادة الجماعية.

فخلال العامين ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، و٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، قتل الاسماعيلية في همدان وكرمان وقهستان وطبس.

وكانت أقسى نكبة نزلت بهم سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، عندما استولى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي على قلعة أصبهان، وهي قلعة منيعة على جبل أصفهان «تناصي السماء، وتناظر الأفلاك»[١] وأخذ صاحبها **أحمد بن عبد الملك بن عطاش** أسيراً فترك أسبوعاً ثم أُمر به فشهر في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشي جلده تبناً وقتل ولده، وحمل رأساهما إلى بغداد. ولكي لا تقع زوجة أحمد في يد السلطان السلجوقي ألقت بنفسها من رأس

(١) محمد بن حامد الاصفهاني ـ تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٨.

القلعة، فماتت[١].

أما سكان القلعة، الذين نجوا من القتل فتوجهوا إلى قلعة خان لجان، وقلعة الناظر، وطبس[٢].

وأمر السلطان محمد بن ملكشاه بكتابة كتاب يقرأ على المنابر جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من الوزير الأجل مجد الدين شرف الإسلام ظهير الدولة زعيم الملة بهاء الأمة فخر الوزراء أبو المعالي هبة الله بن محمد ابن المطلب رضى أمير المؤمنين. أما بعد أطال الله بقاء الوزير وألقابه وأدام تأييده وتمهيده وأحسن من عوائده مزيده فإنّ الله تعالى يقول وقوله الحق: **﴿يا أيها الذين آمنُوا مَنْ يرتدّ منكم عن دينهِ فسوف يأتي الله بقومٍ يُحبهُّم ويُحبوُّنه أذلَّةٍ على المؤمنينَ أعزَّة على الكافرين يُجاهِدُون في سبيل الله ولا يخافُون لومة لائمٍ ذلكَ فضلُ الله يُؤتيهِ من يشاءُ والله واسعٌ عليمٌ﴾** ولقد آتانا الله وله الحمد من هذا الفضل ما صرنا به أطول الملوك في الإسلام باعاً وأعزّهم في الذبّ عن حريمه أشياعاً وأتباعاً وأشدّهم عند الحفيظة له بأساً وأطهرهم من درن الشبهة فيه لباساً وأقصدهم في اقتفاء الحق المبين أنحاءً وأثقلهم على أعداء الله وأعداء الدين المنيرِ وطأةً وأنحاءً فلا تتَّجه عزائمنا لمهمٍ في ذلك إلّا حققنا الفيصل وطبَّقنا المِفْصل وفرينا الفريّ واقتدحنا من الزناد الوريّ وأعدنا الحق جدعاً وأنفَ الباطل مجدعاً نعمةً من الله تعالى اختصنا بها من دون سائر الأنام وأجلّنا من التفرُّد بمزاياها في الذروة والسنام فالحمد لله على ذلك حمداً يوازي قدر نعمهِ ويمتري المزيد من موادّ كرمه ثم الحمد لله على ما يسّرنا له من إعزاز الدين ورفعِ عماده وقمع أضداده واستئصال شَأْفة الباطنية المناهضين لعناده الذين استركُّوا العقول الفاسدة فاستغووها بأباطيلهم واستهووها بأضاليلهم واتخذوا دين الله هُزُؤاً ولعباً بما لفقوه من زخارف أقاويلهم سيَّما ما سنَّى الله من فتح الفتوح وهيأ أسبابه من النصر الممنوح بأخذ قلعة شاه ذر التي شمخ بها الجبل وبذخ وكان الباطل باض فيها وفرَّخ وكانت قذًى في عيون الممالك وسيما الى

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٠٠ هـ.

(٢) المرجع السابق.

التورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ومرصداً عليهم بالشرارة والنكارة حيثما ينحونه من المسالك. وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضلال وطاش وكان يري الناس نهج الهدى مضلّة ويتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجلّة ويستبيح دماء المسلمين هدراً ويستحلّ أموالهم غرراً فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت وأموالٍ استهلكت وتراتٍ تجرعتها النفوس فما أستدركت ولو لم يكن منهم إلاّ ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان من اقتناص الناس غيلة واستدراجهم خديعة وقتلهم إيّاهم بأنواع العقوبات قتلة شنيعة ثم فتكهم عوداً على بدء بأعيان الحشم وخيار العلماء وإراقتهم ما لا يُعدّ ولا يحصى من مُحرّمات الدماء إلى غير ذلك من هنات يمتعض الإسلام لها أي امتعاض وما الله عن المسلم أن يتميز لها براضٍ لكان حقاً علينا أن نُناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو إلى الصين.

وهذه القلعة كانت من أمهات القلاع التي انقطع إليها رؤوس الباطنية كل الانقطاع فكان تبثّ الحبائل منها في سائر الجهات والأقطار وترجع إليها نتائج الفساد رجوعِ الطير إلى الأوكار وهي في العزّة والمنعة مثل مناط الشمس التي تنال منها حاسّة البصر دون حاسة اللمس تردّ الطرف كليلاً وتعدّ العدد الدثر في محاصرتها كليلاً. وكأنها وهي أعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق فهي بهذه الصفة مقابلةٌ لبلدة أصفهان التي هي مقر الملك ودار الثواء وأولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الأهواء ونحن نقيم بها طول هذه المدة المديدة وندبّر أمرها إلى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة وأمامنا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفرٌ تُصغي إليهم أفئدتهم فيما كانوا عليه من مخالفة الدين يتوصلون بمكرهم إلى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدّم ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الأمد وبان من القومِ المعتقد واتّضح لنا من صائبِ التدبير ما يعتمد وكنّا في خلال هذه الأحوال لم نخلِ هذه القلعة من طائفة تهزّهم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها إلى كل غايةٍ من الجد فيتوفّرون على محاصرتهم ومصابرتهم ويتشمرون لمزاولتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصدٍ ويسدون كل متنزلٍ ومصعد حتى انقطعت عنهم المواد وخانتهم المير والأزواد واضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم

الأمان بعد الاستئسار والاستئذان فأمرنا بتخلية سَرْبهم وإيمان سِربهم وسُلِّم الشطر من القلعة لخلوه من الفئة النازلة واعتصم ابن عطاش بقلة أُخرى تسمى دالان مع نخب أصحابه من المقاتلة وهذه القُلّة هي أمنع المواضع من القلعة وأحصنها وأوعرها مسلكاً وأحزنها فقد نُقل إليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة على أن يلبثوا بها أياماً معدودة فينزلوا ويُبذل لهم الأمان مثل ما بُذل للأولين فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدّمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين وفي باطن الأمر خلاف ما يُتوهم من الإعلان وذلك أنهم قدّروا أن ما سُلّم من القلعة يُترك على عمارتِهِ ومكانته وما أمتنع به من القُلّة لا يُقدر عليه لمنعته وحصانته فهم يتوصَّلون بتمكنهم من ذلك الحيل إلى سرقة ما سلّموه آنفاً ببعض الحيل هذا وقد كُفوا مؤن من نزل من الأكَلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة. ففطنّا لما عمدوا وعليه اعتمدوا وأمرنا في الحال بالقلعة المسلّمة فنُسفت نسفاً وخُسفت بها خسفاً وصُيّر سفلُها علواً كما كان علوها خلواً ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب إن الشقاء على الأشقين مصبوب. ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فأبوا إلاّ المطل والليان. فلما مضت أيام على ذلك أظهروا التمرُّد والعصيان فصاروا كما قال الله تعالى: **﴿وَمَن يُرِد الله فتنتهُ فلن تملكَ له منَ الله شيئاً أُولئك الذين لم يُرِد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدُّنيا خِزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** فعند ذلك استخرنا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من أنفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم وأهبنا بمن حضرنا من العساكر المنصورة الى الإحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة فنزلوا لفنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمرين متجرّدين وجرت مناوشةٌ عشيَّة هذا اليوم أثخنت عدّة من أولئك القوم وبات المسلمون ليلتهم تلك على أضم والملحدون لحماً على وضم.

فلما تنفَّس الصبح وعردت الديوك الصدح وطوى الليل رداءه ورفع الفجر لواءه نصر الله الحقّ وأدال الدين وساء صباح المنذرين وعدَت جيوش النصر يداً واحدة وكلمة على التظافر والتظاهر مساعدة تسطو بالفئة المتحصنة بالقلعة

سطوة الليث الهصور وكأنهم طاروا بأجنحة الصقور على صم الصخور فلم يلبثوا قبل ذرور الشمس بقرنها وأخذها الناصح من لونها أن أخذوا القلعة عنوة وقهراً وأجروا من دماء الباطنية الملحدة نهراً فلم يئل منهم وائل ولا أخطأهم من السيوف البواتر وائل وأمرنا في الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبق بها نافخ ضرَمة ولا أثر من نسمة ولا مدرٌ على أكمة وأُسر ابن عطاش رأس الجالوت وولي الطاغوت الذي كان ممن قال الله تعالى فيه: **﴿وجعلناهم أئمةً يدعونَ إلى النَّار﴾** فجعلناه وولده المقرون به مثلةً للنظّار وعبرة لأولي الأبصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين هذا الفتح المبين والعزّة التي تُتلى لأنها من الدهر الحينُ والنعمة التي تمَّت وعمَّت وأحنت بالنقمة على أعداء الله ورسوله وطمَّت وما ذاك إلاّ من بركات عقائدنا الناصعة في موالاة الدولة العباسية ظاهر الله مجدها وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة والمشايعة فيها نحن نسطو بالأعادي ونكفي من اعتراض النوائب كل العوادي ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي. وهذه البشرى التي يُهنَّأ بها الإسلام وتُرفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام، أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى لا سيما الدارة العزيزة ظاهر الله مجدها فإنها أولى من يبشَّر بمثلها ويهنّأ. وأنهينا بالأمير عز الدولة الى إيصال هذه البشارة الى الديوان العزيز النبوي أعلى الله جدَّه فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقدر هذه النعمة وهذا الأمير كان من المندوبين أولاً وآخراً لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيها بلاء حسناً جميلاً وأغنى غنى لم نجد له فيه عديلاً ولذلك ما اختصصناه بهذه المزيَّة وآثرناه بإبلاغ هذه البُشرى الهنيَّة والمعوّل تامٌّ على الاهتمام الوزيري في إلقائها الى المقارّ المعظّمة النبوية ليعلم من صدقِ نهضتها بالخدمات وعندنا المسعاة في إعزاز الدين من أوجب المهمات ما يُزلفنا من شريف المراضي ويفرضِ لنا من المحامد والمآثر التامّة على الأبد أكرم الأحاظي وأن يتقدّم في حق المُبشِّر ما هو على الدولة ثبتها الله متعيّن حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه أثرٌ بيّنٌ والوزير أولى من اغتنم هذه المكرمة فاعتنقها وتمكّن من عصمة الرأي السديد فاعتلقها واستحمد إلينا بما يتكلّفه من جميل مساعيه ويتكفّله بالا هزاز والاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه

الأمور ويراعيه إن شاء الله تعالى وكُتب بالأمر العالي شفاهاً في ذي القعدة سنة ٥٠٠[1].

بعد مقتل احمد بن عطاش، برز من الدعاة الاسماعيليين **الحسن بن الصباح**، والحسن بن الصباح رجل لا كالرجال.

وسيرة حياته، سيرة البطولة والتقى والثبات على المبدأ والعقيدة.

لم يكن زعيماً لحشاشين وقتلة، كما صوره تعصب المؤرخين للتشنيع عليه، وإنما كان تقياً عابداً زاهداً، وزعيماً لفدائيين أعدهم لردع الحكام عن الاستمرار في حملات الإبادة التي كانوا يشنونها ضد طائفته في كل حين، بسبب معتقدها الديني.

ولد هذا الداعي الخطير بمدينة الري، حوالي سنة ٤٣٠/هـ في أسرة إمامية اثني عشرية تكتم مذهبها تقية.

أرسله والده إلى نيسابور، لتلقي العلم، على الإمام موفق الدين النيسابوري، أحد أعلام عصره.

التحق في مرحلة من مراحل عمره، بديوان الكتابة في بلاط الملك ملكشاه، بواسطة صديقه نظام الملك.

تولدت قناعته بالمذهب الاسماعيلي، بعد مناقشات جرت ما بينه وبين أحد دعاة الاسماعيلية الفاطميين، ودخل الدعوة على يد **الداعي مؤمن**، موفد داعي الدعاة عبد الملك بن عطاش إلى مدينة الري.

وعندما حضر عبد الملك الى الري واجتمع به، ووقف على آرائه واختبر استعداده، عينه داعياً اسماعيلياً، ونصحه بالتوجه الى القاهرة لينعم بخدمة الإمام المستنصر. وصل الى القاهرة سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، واجتمع فيها بعدد من الدعاة الاسماعيليين، كما قابل الإمام المستنصر وعلم منه أن الإمام من بعده ولده نزار.

---

(١) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٢.

لم يرتح الوزير بدر الجمالي إلى وجوده في مصر، فأخذ ينسج المؤامرات للإيقاع به. لكن ابن الصباح كان بمنتهى الحيطة، ثم جاء من همس في أذنه ونصحه بمغادرة مصر حفاظاً على نفسه، فغادرها خلسة، بعد عام ونصف من وصوله إليها.

بعد مغادرته مصر راح يتنقل في بلاد الشام والعراق وخوزستان ويزد وغيرها من الأماكن، داعياً للمذهب الاسماعيلي، فاستجاب له كثيرون.

كان محور اهتمامه تخليص الإمام المستنصر من هيمنة وزيره بدر الجمالي وكانت الفكرة التي تدور في رأسه، هي تأسيس دولة في بلاد فارس ينتقل إليها الإمام المستنصر، ويتخذها مركزاً له وللدعوة الاسماعيلية بدلاً من مصر.

ولتحقيق أهدافه سعى أولاً الى اجتذاب أكبر عدد من الناس المتعطشين الى العدل، الذين ضاقوا ذرعاً بطغيان حكم السلاجقة[1]. واختار عدداً من الدعاة الأكفاء وأرسلهم إلى القلاع والحصون الواقعة في جنوب بحر قزوين[2] وبصورة خاصة منطقة أراضي ألموت الفسيحة. لما تتمتع به من حصانة طبيعية مثالية.

فهذه الأراضي مقسمة الى قسمين: رودبار ألموت، ورودبار شهرستان أي المدينة. وقد سميت بهذا الاسم لوجود ١٣ قلعة فيها هي: ألموت، وشيركوه، وشهرك، ونويزر شاه، ولمبسر، وقسطين لار، وميمون دج، وقلادوش هند، وبازركاه، وسيوهين، وكياكلا قلعة، وكياندشت.

وتأتي قلعة ألموت، على رأس هذه القلاع.

وهي تتألف من قسمين:
جورقلا أي القلعة الفوقا أو العليا.
وييلا قلا أي القلعة الكبيرة.

يبلغ طول القلعة ١٢٠ متراً، وعرضها بين ١٠ و٣٥ متراً. وهي مبنية على

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ٦٩.
(٢) المرجع السابق.

جبل صخري ذي سفوح وهاويات شديدة الأنحدار يبلغ ارتفاعها ١٥٠ متراً، مما يجعل الوصول إليها في غاية الصعوبة. وقد حفر في صخور الجبل ممر بطول ٦ أمتار وعرض وارتفاع مترين، هو الطريق الوحيد لدخول القلعة. وعند اجتياز هذا الممر يمكن رؤية سهل ألموت الجنوبي حتى وادي ألموت رود[١].

دخل الحسن بن الصباح هذه القلعة متخفياً عام ٤٨٣هـ، وسكن فيها منصرفاً للعبادة تحت اسم (دهخدا) الذي اشتهر به، ثم اشتراها من العلويين بمبلغ ٣٠٠٠ دينار وجعلها مركزاً لنشاطه[٢].

ولما تملكها، أمر بأن يزرع الجبل، المقامة عليه بالأشجار والزهور وبنى فيها قصوراً فاخرة.

ولدينا وصف لهذه القصور كتبه الرحالة الإيطالي المشهور **ماركوبولو** ونصه:

«... هناك في واد مونق محصور بين جبلين شامخين، أنشأ بستاناً فاخراً، جمع فيه أشهى الثمرات وأعطر النباتات التي استطاع اليها وصولاً. وشيدت قصور متنوعة الأحجام والأشكال بمختلف أرجاء المنطقة، زينت بزخارف من ذهب، وملئت حجراتها بالصور الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الدمقس والاستبرق، واستخدمت أنابيب صغيرة صممت في هذه المباني، وبواسطتها كانت أنهار من خمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهي تفيض في كل اتجاه. وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دربن حتى أتقن جميع فنون الغناء، واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية والرقص، كما أتقن بوجه خاص أفانين الغزل والإغراء والدلال. وكن يشاهدن دوماً وقد ارتدين أثمن الثياب وهن يتلاعبن ويسلين أنفسهن في الحديقة وما حوت من جواسق وسرادقات. إذ كان حراسهن من النساء يبقين داخل المباني ولا يسمح لهن أبداً بالظهور»[٣].

---

(١) مجلة الراصد ـ العدد ٦١ ك١/ك٢ ١٩٩٦م..

(٢) المرجع السابق.

(٣) رحلات ماركوبولو ص ٦٤.

ولا يخامرنا أدنى شك في أن ماركوبولو اعتمد على خياله في وصف قلعة ألموت، يؤكد لنا ذلك زعمه وجود أنهار من خمر. . . ذلك لأن الحسن ابن الصباح قتل أحد أولاده لأنه شرب الخمر[١]. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فليس في كلامه ما يدل على أنه رأى بعينه القصور التي وصفها وإنما نقل على السماع.

لدينا قول مفاده أن الحسن بن الصباح هو الذي أظهر مذهب الاسماعيلية في بلاد فارس، ونص هذا القول هو: «فنابت النوائب، وظهرت العجائب، وفارق الجمهور من بيننا، جماعة نشأوا على طباعنا، وكالوا بصاعنا، وكانوا معنا في المكتب، وأخذوا حظاً وافراً من الفقه والأدب. وكان منهم رجل من أهل الري، وساح في العالم، وكانت صناعته الكتابة، فخفي أمره، حتى ظهر وقام، فأقام من الفتنة كل قيامة، واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة. . .»[٢].

ولما حقق الحسن بن الصباح مراده، وأسس دولته بألموت، اتجه تفكيره الى استدعاء الإمام المستنصر ليتولى أمور هذه الدولة. لكن الأخبار جاءته بموت المستنصر سنة ٤٨٧هـ والدعاء في مصر بإمامة المستعلي بن المستنصر، فأبى الحسن بن الصباح الاعتراف بالمستعلي، وخطب باسم نزار. وأرسل بعض فدائييه الى مصر لإحضار نزار أو أحد أبنائه الى ألموت. فلم يتمكنوا لأن أمير الجيوش الأفضل بدر الجمالي كان قتل نزاراً وابنه قبل وصولهم الى مصر، فاصطحبوا معهم إلى آلموت ابناً آخر لنزار فأخفاه الحسن عنده حتى تأتي الفرصة لإظهاره.

بقتل نزار أصبح الحسن بن الصباح صاحب الأمر في الدعوة الإسماعيلية الجديدة ـ الدعوة النزارية ـ[٣].

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ٧٨.
(٢) محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ـ تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٦.
(٣) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ٧١.

وقد سميت هذه الدعوة بالدعوة الجديدة، لأنها قامت على آراء الحسن ابن الصباح الفكرية، وكتاباته، ومنها الفصول الأربعة التي بدأ بها دعوته وقد وصلتنا عن طريق الشهرستاني الذي عرّبها وأثبتها بنصها وهي:

الأول: قال للمفتي في معرفة الله تعالى أحد قولين: إما أن يقول أعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الى تعليم معلم، وإما أن يقول: لا طريق الى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم. قال: ومن أفتى بالأول فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره. فإنه متى أنكر فقد علم، والإنكار تعليم، ودليل على أن المنكر عليه محتاجٍ الى غيره. قال: والقسمان ضروريان، لأن الإنسان إذا أفتى بفتوى، أو قال قولاً، فإما أن يعتقده من نفسه، أو من غيره.

هذا هو الفصل الأول، وهو كسر على أصحاب الرأي والعقل.

وذكر في **الفصل الثاني** أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم، أفيصلح كل معلم على الإطلاق، أم لا بد من معلم صادق؟ قال: ومن قال إنه يصلح كل معلم ما ساغ له الإنكار على معلم خصمه، وإذا أنكر فقد سلم أنه لا بد من معلم صادق معتمد.

قيل: وهذا كسر على أصحاب الحديث.

وذكر في **الفصل الثالث** أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق، أفلا بد من معرفة المعلم أولاً والظفر به، ثم التعلم منه؟ أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه، وتبيين صدقه؟

والثاني رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق، فالرفيق ثم الطريق، وهو كسر على الشيعة.

وذكر في **الفصل الرابع** أن الناس فرقتان فرقة قالت نحنٍ نحتاج في معرفة الباري تعالى إلى معلم صادق، ويجب تعيينه وتشخيصه أولاً، ثم التعلم منه. وفرقة أخذت في كل علم من معلم وغير معلم. وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولى فرئيسهم يجب أن يكون رئيس المحقين، وإذا

تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين.

قال: وهذه الطريقة هي التي عرفنا بها المحق بالحق معرفة مجملة، ثم نعرف بعد ذلك الحق المحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دوران المسائل، وإنما عنى بالحق ههنا: الاحتياج، وبالمحق المحتاج إليه، وقال: بالاحتياج عرفنا الإمام، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب، أي واجب الوجود، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات. قال: والطريق إلى التوحيد كذلك، حذو القذة بالقذة.

ثم تركوا فصولاً في تقرير مذهبه إما تمهيداً، وإما كسراً على المذاهب، وأكثرها كسر وإلزام واستدلوا بالاختلاف على البطلان، وبالاتفاق على الحق.

منها فصل «الحق والباطل» الصغير والكبير. يذكر أن العالم حق وباطل ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة، وعلامة الباطل هي الكثرة، وأن الوحدة مع التعليم، والكثرة مع الرأي، والتعليم مع الجماعة، والجماعة مع الإمام، والرأي مع الفرق المختلفة، وهي مع رؤسائهم.

وجعل الحق والباطل، والتشابه بينهما من وجه، والتمايز بينهما من وجه، والتضاد في الطرفين، والترتب في أحد الطرفين ميزان يزن به جميع ما يتكلم فيه، قال: وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة، وتركيبها من النفي والإثبات، أو النفي والاستثناء.

قال: فما هو مستحق النفي باطل، وما هو مستحق الإثبات حق، ووزن بذلك الخير والشر، والصدق والكذب، وسائر المتضادات، ونكتته أن يرجع في كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم، وأن التوحيد والنبوة معاً، حتماً يكون توحيداً، وأن النبوة هي النبوة والإمامة معاً حتى تكون نبوة[١].

ونقل **الشهرستاني** عن الحسن بن الصباح أنه منع العوام عن الخوض في العلوم، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم.

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج١، ص ١٩١.

ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله: إن إلهنا إله محمد. قال: وأنتم تقولون: إلهنا إله العقول، أي ما هدي إليه عقل كل عاقل.

وختم كلامه بقوله: كم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك؟[1].

ولأن الحسن بن الصباح كان محاطاً بأعداء شديدي الخصومة، متحفزين للانقضاض عليه في كل لحظة، فقد تفتقت عبقريته الفذة عن ابتكار أسلوب حربي لم يسبقه إليه أحد في التاريخ هو نظام الفدائيين (الفداوية)، استوحى فكرته من بلاط الخليفة المستنصر. ويقضي هذا الأسلوب بأخذ الأطفال ثم تنشئتهم تنشئة عسكرية صارمة، يتعلمون خلالها فنون القتال واستعمال مختلف أنواع الأسلحة وعلى رأسها الخناجر، كما يتعلمون إخفاء أمر أنفسهم وأمر من معهم.

وكانوا يخضعون لتدريب قاس جداً، لإعدادهم جسدياً ونفسياً لتحمل المشاق، حتى إذا وقع أحدهم بيد الأعداء عجزوا عن انتزاع أي كلمة منه. وقتل نفسه قبل أن يتمكنوا منه.

وبهذه الطريقة تكوَّن لدى الحسن بن الصباح جيش من الفدائيين المدربين أحسن تدريب، أفزعوا العالم الإسلامي بأسره. وصار خصوم الإسماعيليين يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على أي عمل ضدهم، خوفاً من انتقام الفدائيين السريع والحاسم.

وقد وصلت أيادي هؤلاء الفدائيين إلى كل من أساء إلى الاسماعيليين، قولاً أو فعلاً، وكل من شارك أو أسهم، بصورة أو بأُخرى، في الاعتداء عليهم. وكان ممن قتلوا على أيديهم:

- **عبيد الله بن علي الحطيبي**، قاضي قضاة أصفهان، قتل بهمذان سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م وبنفس العام قتل بآمد **صاعد بن محمد البخاري**.

---

(١) المرجع السابق.

وقتل أيضاً القاضي عبد الواحد بن اسماعيل الروياني.

- **أحمديل** صاحب مراغة قتل سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م وقيل سنة ٥١٠هـ وقيل سنة ٥١٦هـ والتاريخ الأول أصح.

- **أبو طالب السميرمي بن أحمد الوزير**، وزير بغداد للسلطان محمود قتل سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م.

- قاضي القضاة **محمد بن نصر بن منصور الهروي**، قتل بهمدان سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م.

- **البرسقي** قتل سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م.

- **الخليفة المسترشد** قتل سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م.

- **الراشد بالله بن المسترشد بالله** قتل سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م.

شهرة فدائيي الحسن بن الصباح، جعلت الحكام يتسابقون إلى مهادنته وكسب وده. وكثيراً ما استعانوا به ضد بعضهم البعض تحقيقاً لمآربهم الشخصية، وشايعه عدد من الوزراء منهم أبو القاسم الدركزيني، الذي عينه السلطان سنجر بن ملكشاه بمنصب الطغراء والإنشاء، ثم تولى الوزارة للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي.

وإلى جانب حرب الخناجر التي شنها الحسن بن الصباح على أعدائه، حاربهم بالفكر أيضاً. فكان يرسل دعاته الذين اشتهروا بقوة الحجة وفصاحة اللسان والموهبة الفائقة في المجادلة، لمناظرة أصحاب المذاهب الأُخرى، علانية، على مرأى ومسمع من الناس. وكان هدفه من ذلك إصابة عصفورين بحجر واحد. تشكيك الناس بمعتقداتهم من جهة، وإظهار ضعف مستوى علماء وفقهاء المذاهب بالقياس إلى الدعاة الاسماعيليين، مما يحط من قدرهم بنظر أتباعهم، وبالتالي يسهل جذبهم إلى المذهب الاسماعيلي.

لكن فقهاء المذاهب الأُخرى كانوا يتجنبون مناظرة الدعاة الاسماعيليين،

وبدلاً من ذلك انصرفوا إلى تصنيف الكتب في الرد على معتقدات الاسماعيلية[١].

في عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م توفي الحسن بن الصباح. وبعد وفاته عاشت الدولة الاسماعيلية ما يقرب من ١٣٦ سنة، ساءت خلالها أحوال الاسماعيلية كثيراً، وتعرضوا للعديد من حملات الإبادة في السنوات ٥٢٠ و٥٤٩ و٥٥٢ و٦٠٠ و٦٠٢ و٦٢٤هـ/ ١١٢٦ و١١٥٤ و١١٥٧ و١٢٠٣ و١٢٠٥ و١٢٢٦م. طالت الصغار والكبار والرجال والنساء.

ارتكبت في هذه الحملات أبشع أنواع المجازر في التاريخ.

ففي سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، أمر وزير السلطان سنجر، أحمد بن الفضل، بغزو الاسماعيلية وقتلهم أينما كانوا وحيثما ظفر بهم، ونهب أموالهم وسبي نسائهم، وجهز جيشاً إلى طريثيث وهي لهم، وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان من أعمالها قرية طرز فقتلوا كل من بها[٢].

وفي شهر ربيع الآخر من عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م كان ما مجموعه ٧٠٠٠ آلاف شخص من الاسماعيليين متوجهين من قهستان الى خراسان فسار إليهم محمد بن أنز في جماعة من الأمراء وكثير من العشائر وتقاتل الطرفان وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم ولم يسلم منهم إلا القليل وخلت قلاعهم وحصونهم[٣].

وفي عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م جمع شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره وتوجه بهم إلى بلد ألموت فأغار عليها وأحرق القرى والسواد وقتل فأكثر وغنم أموالهم وسبى نساءهم واسترق أبناءهم فباعهم في السوق[٤].

وفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م أمر شهاب الدين الغوري متولي بلاد الغورية

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ٧٧.
(٢) ابن الأثير ـ الكامل، أخبار سنة ٥٢٠هـ.
(٣) المرجع السابق، أخبار سنة ٥٤٩هـ.
(٤) المرجع السابق، أخبار سنة ٥٥٢هـ.

علاء الدين محمد بن أبي علي بالمسير إلى الاسماعيلية ومحاصرة بلادهم فذهب إلى مدينة قاين وحصرها وضيق على أهلها، وعندما وصل إليه خبر قتل شهاب الدين صالح أهلها على ٦٠٠٠٠ دينار ركنية وحل عنهم وقصد حصن كاخك فأخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرية(١).

وفي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م توجه ايدغمش السلطان شمس الدين صاحب همذان وأصبهان والري إلى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمساً وحاصر ألموت لكنه لم يتمكن منها(٢).

وكرد فعل على قتل الاسماعيلية أحد أمراء جلال الدين بن خوارزم شاه، استنفر جلال الدين عساكره عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م وسار الى بلاد الاسماعيلية من حدود آلموت إلى كراكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل أهلها ونهب الأموال وسبى الحريم واسترق الأولاد وقتل الرجال وعمل بهم الأعمال العظيمة(٣).

الحدث الأبرز في تاريخ الاسماعيلية، ببلاد فارس، هو ارتداد **جلال الدين بن محمد بن حسن بن محمد بن بزرك** عن المذهب الاسماعيلي. وأرسل في عام ٦٠٨/ هـ ١٢١١/م، رسولاً إلى الخليفة الناصر ببغداد يخبره بأنهم تركوا مذهب الاسماعيلية وبنوا الجوامع والمساجد وأُقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصلّوا التراويح في شهر رمضان فسر الخليفة والناس بذلك(٤).

ويوازي هذا الحدث في الأهمية مسير هولاكو، إلى بلاد فارس، للقضاء على الاسماعيلية، وذلك في شهر شعبان من عام ٦٥٣/ هـ ١٢٥٥/ م. وكان قبل مسيره وجه عدة رسائل إلى الملوك والسلاطين في إيران جاء فيها: «بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة، فإذا

---

(١) المرجع السابق، أخبار سنة ٦٠٠هـ.
(٢) المرجع السابق، أخبار سنة ٦٠٢هـ.
(٣) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة ج٢، ص ٢٠٣.
(٤) ابن الأثير ـ الكامل، أخبار سنة ٦٢٤هـ.

أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم وستحمد لكم مواقفكم. إما إذا تهاونتم في امتثال الأوامر وأهملتم، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة فإننا لا نقبل عذركم، ونتوجه إليكم فيجري على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم»[١].

ولما وصلت الرسائل الى السلاطين والملوك، أسرعوا في التوجه إلى هولاكو لتقديم فروض الطاعة. وكان الخواجه نصير الدين الطوسي وجماعة من الأطباء يقيمون لدى حاكم الاسماعيلية ركن الدين خورشاه فأخذوا يحثونه على الخضوع والطاعة لهولاكو، يخوفونه من مغبة المقاومة وعدم التسليم، فاستجاب لنصحهم وأرسل أخاه الأصغر ساهنشاه مع طائفة من أعيان مملكته إلى هولاكو إظهاراً للخضوع والطاعة، فأمر هولاكو بإعزازهم وإكرامهم. وأرسل رسلاً إلى خورشاه ليخبروه أنه إذا قبل الخضوع والتسليم حقاً، فعليه أن يخرب القلاع ويمثل بنفسه أمام هولاكو. وقد برّ بوعده فخرب أجزاء من قلاع هامون ذر وآلموت ولمبسر، وحطم أبراجها، ورمى أبوابها، واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها وطلب مهلة سنة يغادر بعدها القلعة. وأن تستثنى من التخريب قلعتا آلموت ولمبسر على أن يسلم بقية القلاع ويطيع كل ما يصدر إليه من أوامر.

لكن هولاكو سار إلى فران وحاصر قلعة شاه ذر وفتحها في يومين، وأرسل الرسل مرة أُخرى ليحثوا خورشاه على التسليم.

وفي ٢٠ شوال سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م وصلت جيوش هولاكو الى قلعة آلموت وحاصروها لكنهم عجزوا عن فتحها لمناعتها.

وأرسل هولاكو رسولاً برسالة الى خورشاه يقول فيها إنه إذا نزل من القلعة، وترك المقاومة، وتوجه إلى معسكر الخان، فإن تصرفه هذا يكون سبباً في إنقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين، وإذا لم يقدم نفسه خلال

---

(١) رشيد الدين فضل الهمداني ـ جامع التواريخ، المجلد ٢ ج١، ص ٢٣٩.

خمسة أيام فإن عليه أن يستحكم في قلاعه ويستعد للقتال.

وفي يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة ٦٥٤/ هـ نزل خورشاه من القلعة بناء على مشورة أعيان دولته، وتوجه الى هولاكو في صحبة الخواجه نصير الدين الطوسي والخواجه أصيل الدين الزوزني والوزير مؤيد الدين وأبناء رئيس الدولة، فأعزه هولاكو وأكرمه وشجعه ووعد بمساعدته، وأرسل من قبله صدر الدين فتسلم من خورشاه جميع الحصون والقلاع التي كان يملكها آباؤه وأجداده في قهستان ورودبار وقومس وبلغ عدد هذه القلاع نحو المائة. وبعد إخراج الحكام منها، خربت جميعها ما عدا كردكوه ولمبسر. وكان خورشاه وأقاربه وأتباعه اعتصموا في قلعة لمبسر، وظلوا يقاومون مدة سنة ثم انتشر الوباء بين المعتصمين فأفنى كثيرين منهم ونزل الباقون ولحقوا بالآخرين[١].

وأخيراً سقطت كردكوه في يد المغول بعد أن ظلت تقاوم مدة ٢٠ سنة[٢] وأنزل خورشاه جميع ما يتعلق به من قلعة ميمون ذر وأهدى إلى هولاكو جميع الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة، فوزعها هولاكو على قواد جيشه[٣].

وبعد ذلك، توجه هولاكو الى آلموت وأرسل إليها ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم، فأبى قائد القلعة ذلك، فشن المغول هجوماً عليها دام يومين أو ثلاثة ثم أرسل هولاكو إلى المحاصرين كتاباً يؤمنهم على حياتهم.

وفي يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة نزل قائد القلعة وسلمها لهولاكو، وصعد المغول إليها وكسروا المجانيق وخلعوا الأبواب. وطلب السكان مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم. وفي اليوم الرابع اقتحم الجنود القلعة وأعملوا فيها السلب والنهب.

وبعد أن فرغ هولاكو من أمر القلاع أرسل إلى خورشاه من قتله مع أقاربه

---

(١) المرجع السابق، المجلد ٢/ج١/ص ٢٥٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

وأفراد أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال في المهد، فيما بين أبهر وقزوين فلم يبق منهم أثر.

وهكذا انتهت الدولة الاسماعيلية في بلاد فارس، بعد أن عاشت ١٧٧ سنة، وتعاقب عليها /٨/ حكام هم على التوالي:

- **الحسن بن الصباح** توفي سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م.

- **كيا بزرك أميد** توفي سنة ٥٣٣/ ١١٣٨م.

- **محمد بن بزرك أميد** الذي اشتهر بلقب «على ذكره السلام» توفي سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م.

- **حسن بن محمد بزرك أميد** توفي سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م.

- **محمد بن حسن بن محمد بزرك أميد** توفي سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م.

- **جلال الدين بن محمد بن حسن** «نو سلمان» توفي سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م.

- **علاء الدين محمد بن جلال الدين بن محمد بن حسن** توفي سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م.

- **ركن الدولة خورشاه بن علاء الدين** توفي سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م.

الدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام

الدولة الاسماعيلية في مصياف

لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية ببلاد الشام، نظراً لطابع السرية الذي أحاط بها.

ونستطيع القول، بالاستناد إلى ما بين أيدينا من مصادر تاريخية، إن الدعوة انتشرت في حلب ومناطقها أولاً، ثم في دمشق.

كان القائم بالدعوة في حلب، **الحكيم المنجم**. ولما مات سنة ٤٩٦/ هـ ١١٠٢/ م قام بالأمر من بعده رفيقه أبو **طاهر الصائغ العجمي**[(١)].

وبلغت الدعوة ذروتها زمن رضوان بن تتش بن ألب أرسلان (حكم بين ٤٨٨ و٥٠٧هـ/ ١٠٩٥ و١١١٣م) وكان رضوان، مال الى الاسماعيلية، وشايعهم، وحفظ جانبهم، وصار لهم، في حلب، بفضله جاه عظيم، وقدرة زائدة، مما جعل الناس يتبعون مذهب الاسماعيلية طلباً لجاههم. وكان هذا سبباً في انتشار مذهب الاسماعيلية في حلب ومناطقها، كسرمين والجوز وجبل السماق وبني عليم وبزاعة والباب وإعزاز وفاحية.

وقد أثار موقف رضوان من الاسماعيلية، حفيظة الملوك فكتبوا إليه في هذا الأمر فلم يلتفت إليهم[(٢)].

لكن وجود الاسماعيليين في حلب، سرعان ما تعرض لنكبة قاسية سنة

---

(١) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج٢، ص ١٤٧.
(٢) المرجع السابق.

٥٠٥هـ/ ١١١١م عندما تألبت عليهم الطوائف المجاورة وقتلوا منهم ألوفاً.

وازداد الأمر سوءاً بعد وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وقيام ابنه ألب أرسلان مكانه، لأن أهل حلب أوغروا صدره ضد الاسماعيلية، كما أن السلطان محمد بن ملكشاه كتب إليه يقول: كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم[١].

واستجاب ألب لكتاب السلطان، وقبض على أبي طاهر الصائغ وقتله، وقتل اسماعيل الداعي وأخا الحكيم المنجم وأعيان الاسماعيلية وقبض على زهاء ٢٠٠ نفس منهم، وحبس بعضهم واستصفى أموالهم، وشفع في بعضهم، فمنهم من أطلق سراحه ومنهم من رُمي من أعلى القلعة ومنهم من قتل، وأفلت جماعة منهم فتفرقوا في البلاد[٢].

بعد ١١ سنة على هذه النكبة، نزلت بالاسماعيلية نكبة مماثلة على يد بلك بن بهرام بن أرتق، وذلك في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، حيث قبض بلك على نائب بهرام، داعي الاسماعيلية في حلب، وأمر بإخراجهم من المدينة، فباعوا أموالهم ورحالهم، وخرجوا منها[٣]، هذا فيما يتعلق بالدعوة الاسماعيلية في حلب.

أما في دمشق، فقد انتشرت الدعوة على يد الداعي **بهرام الأسدآبادي** الذي هرب من بغداد إلى دمشق بعد مقتل خاله إبراهيم. وصار داعي الاسماعيلية في الشام. وكان يتردد في البلاد ويدعو الناس الى مذهب الاسماعيلية فاستجاب له كثيرون. وأقام بحلب مدة واتصل بصاحبها ايلغازي، وأراد ايلغازي أن يتقوى به خوفاً منه ومن جماعته لأنهم كانوا يغتالون كل من يناوئهم. وأشار ايلغازي على طغتكين، صاحب دمشق، بأن يجعله عنده لهذا السبب، فأخذه طغتكين إليه وقتها أظهر شخصه، وكثر أتباعه. ولما آنس من أهل دمشق نفوراً وغلظة في التعامل معه، طلب من طغتكين حصناً يأوي إليه هو وأتباعه فأعطاه قلعة بانياس

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٨.
(٢) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠.
(٣) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ج٤، ص

فاستقل بها وتوافد إليه أصحابه من كل ناحية فعظم شأنه. وملك عدة حصون منها القدموس وغيره[1]. ولأسباب غير معروفة، لعلها صراع على النفوذ، استدرج بهرام اليه برق بن جندل أحد مقدمي وادي التيم ثم اعتقله وقتله[2].

وفي سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م جمع بهرام جموعه وقصد وادي التيم للإيقاع بأهله، وكانوا من مذاهب مختلفة، وكان ضحاك بن جندل، شقيق برق، يترصدهم، فتركهم حتى اقتربوا من وادي التيم ونزلوا للراحة ثم باغتهم ووضع السيف فيهم، وقتل بهرام في هذا الهجوم، وقطع رأسه ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين[3]. وانهزم من سلم وعادوا إلى بانياس.

وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلاً من أصحابه اسمه اسماعيل، فقام مقامه وجمع شمل من عاد منهم، وبث دعاته في البلاد وآزره الوزير طاهر ابن سعد المزدقاني، كما كان يساعد سلفه بهرام.

ثم إن المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام شخصاً اسمه **أبو الوفا**، فقوي أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق وصار زعيمها غير المتوج وطغى نفوذه على نفوذ تاج الملوك بوري[4].

ثم إن المزدقاني راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق، ويسلموا إليه في المقابل مدينة صور واستقر الأمر بينهم على ذلك. وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة حيث يكون الناس في الصلاة.

وحينما علم تاج الملوك بوري بهذه المؤامرة، استدعى وزيره المزدقاني وقتله، وأمر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار الأهالي وقتلوا منهم ستة آلاف شخص[5] وتتبعوهم في أماكنهم واستخرجوهم من مكانهم وأفنوهم جميعاً

---

(١) الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٢٠/ هـ.
(٢) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٨، أخبار سنة ٥٢٠/ هـ.
(٥) أبو الفداء ـ المختصر في أخبار البشر ج٣، ص ٣.

تقطيعاً بالسيوف وذبحاً بالخناجر[1].

وحملت جثة المزدقاني إلى رمادة باب الحديد فأُلقيت عليها وأُحرقت بعد أيام بالنار[2] وكان من جملة من قتلوا، **شاذي الخادم**، ربيب أبي طاهر الصائغ، فقتل وصلب مع عدة أشخاص على شرفات سور دمشق[3].

ولما سمع الداعي اسماعيل بخبر هذه الكارثة اتصل بالفرنج لتسليمهم بانياس ومغادرتها لكن عارضاً مرضياً أصابه فمات في أوائل سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م وتفرق أتباعه في البلاد[4].

ولم يسكت الاسماعيليون على ما حل بهم، وثأروا لأنفسهم بقتل تاج الملوك بوري سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م.

هذه الضربات المتلاحقة التي نزلت بالاسماعيلية، في حلب ودمشق، جعلت عيونهم تتطلع إلى أماكن أكثر أمناً تستطيع بحكم طبيعتها الجغرافية أن تحقق لهم الحماية الكافية، فكان أن اختاروا مصياف وما جاورها من قلاع ومعاقل وحصون، كمكان منشود، وجاء هذا الاختيار لجملة من الأسباب:

أولاً: إن منطقة مصياف عامرة بالقلاع والحصون، حافلة بالخيرات، حصينة ومنعزلة.

ثانياً: وجود عدد كبير من أنصار الدعوة فيها، وفي ما جاورها من قرى.

ثالثاً: قربها من سلمية، المقر الروحي للإسماعيلية بالشام.

فكان أن توجهت إليها جموع الإسماعيليين من حلب ودمشق، وفارس، بعد استيلاء السلطان مسعود على قلعة ألموت.

ولكي يكون لهم موطئ قدم ثابتة، اشتروا في عام ٥٢٥/هـ حصن القدموس من صاحبه سيف الملك بن عمرون.

---

(١) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

ثم بدأوا شيئاً فشيئاً بالاستيلاء على الحصون والقلاع المجاورة، فاحتلوا الخوابي والكهف سنة ٥٣٢هـ واستخلصوا مصياف من أيدي بني منقذ سنة ٥٣٥/هـ. ثم احتلوا المينقة سنة ٥٤٦/هـ، وهكذا حتى بلغ مجموع ما صار بأيديهم من قلاع ١١ قلعة وحصناً أطلقوا عليها اسم قلاع الدعوة وهي: الخوابي، الكهف، القدموس، العليقة، المينقة، الرصافة، أبي قبيس، مصياف، بلاطنس، المرقب، صهيون[١].

وجميع هذه الحصون والقلاع، كان الصليبيون بنوها لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الأقاليم الإسلامية الداخلية والمناطق الإفرنجية الساحلية[٢].

من هذه القلاع والحصون تشكلت الدولة الإسماعيلية الجديدة، التي وصلت إلى أوج ازدهارها في عهد شيخ الجبل سنان راشد الدين.

ولد سنان واسمه الحقيقي سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن، في قرية صغيرة من قرى البصرة[٣] وقيل في آلموت، سنة ٥٢٨هـ وكانت أُسرته على مذهب الشيعة الاثني عشرية، ولما شب تحول هو إلى مذهب الإسماعيلية على يد داعي دعاة العراق، الذي لمس فيه مخيل النجابة والذكاء فحبب إليه الرحيل إلى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الإسماعيلية. وكان صاحب آلموت إذ ذاك محمد بن كيا بزرك أميد الذي أحسن استقبال سنان وجعله مع ولديه في طلب العلم، فتوطدت صلة سنان بولي العهد الحسن بن محمد، فلما تولى الحسن أمور الطائفة بألموت أمر سناناً بالرحيل إلى الشام ليشرف بنفسه على شؤون الطائفة[٤].

---

(١) شيخ الربوة (شمس الدين الدمشقي) ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٨ ويقول البطريرك الدويهي في تاريخ الأزمنة ص ٤٦ إنهم احتلوا مصياف وجبلة وحدد تاريخاً لذلك سنة ٥٣٤/هـ.

(٢) فيليب حتّي ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢، ص ٢٤٥.

(٣) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ٩٩.

(٤) المرجع السابق.

توجه سنان في بادىء الأمر إلى حلب حيث رتب أوضاع الإسماعيليين هناك بعد الضربات التي نزلت بهم، والانقسامات والنزاعات التي استفحلت بينهم. ثم نقل مقره إلى مصياف، فوصلها متخفياً بزي الصوفية الدراويش، وأقام في قرية بسطريون يعلم الصبيان القراءة والكتابة، ويعالج المرضى من الأهالي، ويقدم إليهم الأدوية التي كان يركبها بنفسه من الأعشاب، فذاع صيته، وانتشر خبره. ولما وصلت أعماله إلى مسامع أبي محمد كبير دعاة الإسماعيلية وقتذاك، والذي كان يقيم في قلعة الكهف، توجه إليه واجتمع به، وعرض عليه الإقامة عنده، وهكذا انتقل سنان إلى قلعة الكهف، وأخذ يساعد الشيخ أبي محمد في شؤون الدعوة، من دون أن يكشف له عن شخصيته، أو طبيعة المهمة الموكولة إليه. وعندما مرض أبو محمد، مرض موته، خلا به سنان وأطلعه على شخصيته وعرض عليه أمر تعيينه مكانه قبل موته. فأعلن أبو محمد لأتباعه ولمجلس دعاته أنّ الإمام في ألموت عيّن سنان راشد الدين خلفاً له واحتفل بهذه المناسبة في جميع القلاع والحصون، وتسلم سنان قيادة الدعوة، ونقل مقره إلى مصياف(١) وجعلها عاصمة دولته.

كان سنان راشد الدين رجلاً فذاً اشتهر بالحزم وسعة الأُفق العلمي والدهاء السياسي.

كون جيشاً من الفدائيين، مدرباً أحسن تدريب، وكان يستخدمهم في الدفاع عن أبناء طائفته، وقتل كل من يحاول أن يمسهم بسوء. سواء أكان من الحكام المسلمين أم من الفرنج. وكانت جرأة وشجاعة الفدائيين الإسماعيليين مضرب المثل.

ونستطيع أن نأتي بمثال صغير على أعمال فدائيي سنان ودفاعهم عن إخوانهم، هو ما قاموا به في حلب سنة ٥٧٥هـ ففي هذه السنة قبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد، فكتب سنان إليه كتباً عدة في إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعة من الرجال معهم النفط

---

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٧.

والنار فعمدوا الى الدكان التي في رأس سوق الزجاجين من الشرق في القرنة فألقوا فيها النار فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة وحراس الأسواق وأخذوا السقائين لإطفاء الحريق فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق وألقوا النار والنفط في الأسواق فاحترق سوق البز الكبير وسوق العطارين وسوق مجد الدين والمعد للبز وسوق الخليع وسوق الشراشين وسوق السراجين والسوق الذي في غربي الجامع جميعه إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة الحلاوية، واحترق للتجار والسوقية من القماش والآلات شيء كثير وافتقر كثير منهم بسبب ذلك، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد[١].

وكثيراً ما كان الأمراء والملوك، يستعينون بسنان راشد الدين وفدائيته لتحقيق مآربهم السياسية، والقضاء على خصومهم. جاء في الأخبار أن كمشتكين[٢] أرسل إلى سنان أموالاً عظيمة لقتل الملك الناصر عندما هاجم حلب وحاصرها سنة ٥٧٠/ هـ، فأرسل سنان جماعة لقتله لكن المحاولة فشلت لأن صاحب حصن أبي قبيس تعرف إلى الإسماعيلية الذين جاءوا لقتل الملك الناصر، وسبق إلى السلطان، فأدركوه على باب الخيمة، فقتل خمارتكين ـ أمير جاندار ـ واحداً منهم واجتمع الغلمان فقتلوا الباقين[٣] وهذا ما جعل العلاقات تسوء بين صلاح الدين والاسماعيلية، وخاصة بعد محاولتهم اغتياله للمرة الثانية، عند حصاره اعزاز سنة ٥٧١/ هـ وكان صلاح الدين سار إلى اعزاز ونازلها في الثالث من ذي القعدة وتسلمها حادي عشر ذي الحجة، وقيل بل أقام عليها ثمانية وعشرين يوماً. وقد نجا صلاح الدين من القتل بأعجوبة. وقد أثرت هذه الحادثة بنفسه تأثيراً كبيراً، لذلك عقد العزم على محاربة الاسماعيلية فتوجه في محرم سنة ٥٧٢هـ إلى بلدهم فنهبه وخربه وأحرقه وحاصر قلعة مصياف

---

(١) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج٣، ص ٣٨.

(٢) كمشتكين هو سعد الدين كمشتكين الخادم. مولى بنت الأتابك عماد الدين كان مقدم العساكر ومتولي أقطاعهم في حلب زمن الملك الصالح، جعله نور الدين والياً من قبله بالموصل.

(٣) أحمد بن إبراهيم ابن الحنبلي ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشيد بغداد ١٩٧٨، ص ٨٦.

ونصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها، وأرسل إلى سنان يتهدده ويتوعده فرد عليه سنان بقوله:

يا للرجال من أمر هال مفظعه ... ما مرَّ قط على سمعي توقعه
يا ذا الذي بقراع السيف هددنا ... لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدده ... واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه ... يكفيه ما قد تلاقي منه اصبعه
إنّا منحناك ثوباً للحياة فإن ... كنت الشكور وإلا سوف نخلعه

وقفنا على تفاصيله وجمله، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فيا للعجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تعض في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون **﴿فدمرناها عليهم وما كان لهم من ناصرين﴾** أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون، **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**.

وأما ما صدر من قولك في قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوي وضعيف ودنيء وشريف وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله ﷺ في قوله «ما أوذي نبي ما أوذيت» ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال والأمر ما زال، ولله الحمد في الأولى والآخرة، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، وإذا جاء الحق زهق الباطل **﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾** ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت **﴿قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾**، وفي أمثال العامة السائرة (أو للبط تهددون بالشط) فهيىء للبلايا جلباباً وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرن عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع أنفه بكفه، وما ذلك على الله بعزيز. فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ

أول النحل وآخر صاد»[1].

ثم كتب إليه ثانية[2].

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

وتذكر المصادر التاريخية أن سناناً أرسل إلى شهاب الدين الحارمي صاحب حماة، وهو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم، ويقول له: إن لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين، فشفع فيهم وسأل صلاح الدين الصفح عن الاسماعيليين فأجابه إلى ذلك وصالحهم ورحل عنهم[3].

لكن المصادر الاسماعيلية تروي حادثة حصار صلاح الدين لمصياف ثم رحيله عنها بشكل مغاير. فهي تقول إنه لما قصد صلاح الدين معقل سنان راشد الدين في مدينة مصياف ونصب عليها المنجنيقات وعسكر بضواحيها، أخذ سنان يتجول في القرى يتفقد أمرها، ويعدها لليوم الفاصل وللمعركة الحاسمة، وصعد إلى قمة جبل مشهد ليرقب الجيش، ويستقبل الوفد الذي سيره إليه صلاح الدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكردي. . . ولما شعر سنان أن الرسائل لا تجدي نفعاً، أرسل أحد الفدائية ليلاً فدخل خيمة صلاح الدين برغم حيطته في فرض الحراسة المشددة، فبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ووضع خنجراً مسموماً غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين وبجانبه قطعة من الورق كتب عليها:

إنا منحناك ثوباً للحياة فإن كنت الشكور وإلا سوف نخلعه
قد قام قف إلى قاف يزعزعه كضفدع تحت صخر رام يقلعه
ما يستحي ثعلب من صغر همته يرسل إلى أسد الغابات يفزعه

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ١٠٢.
(٢) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١.
(٣) ابن الأثير ـ الكامل ج٩، ص ١٣٩ أحداث سنة ٥٧٢هـ وأيضاً أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج٣، ص ٥٨ وتاريخ ابن الوردي ج٢، ص ١٣٣.

وعندما استيقظ صلاح الدين من نومه، ورأى الخنجر والكتاب تيقن أن سناناً من أشرف الرجال، لأنه لو أراد قتله لفعل، وعلى الفور استدعى خاله أمير حماة شهاب الدين الحارمي وكان صديقاً لسنان، وطلب إليه أن يتوسط بينه وبين سنان شريطة أن تشارك فدائية الإسماعيلية في الحروب الصليبية[١] وقد نفذ سنان شروط الإتفاقية، وأرسل فدائيين قتلا أمير صور الصليبي كونراد مونفراتي، وقدما رأسه لصلاح الدين الذي كافأهما وأعطى سناناً عشر قرى ألحقها بمصياف[٢].

توفي سنان راشد الدين سنة ٥٨٨/ هـ.

وكان رجل دولة من طراز فريد. يقضي أيام الأسبوع متنقلاً بين القلاع والحصون، وخصص يومين للإقامة بجبل مشهد حيث ينقطع للتأليف، ورصد النجوم، والعبادة والتأمل. وكان يسير بين القلاع في طرق ومعابر سرية مشياً على الأقدام حتى لا يعرفه أحد. ويكثر من الذهاب إلى شيزر وحماة وحمص والشام متخفياً[٣].

بعد وفاة سنان، تولى الأمر من بعده شخص لا نعلم عنه شيئاً إلا أن اسمه أسد الدين[٤].

وفي عهده، قتل الإسماعيلية ابن البرنس بكنيسة طرطوس، فجمع والده الفرنج ونزل على حصون الإسماعيلية وقتل وسبى ثأراً لولده وحصر حصن الخوابي فكتبوا إلى السلطان يستغيثون به ويستنجدونه فاستخدم السلطان مائتي راجل وسير جماعة من عسكر حلب يحفظونه، ليدخلوا إلى حصن الخوابي،

---

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الاسماعيلية ص ٣٠١ نقلاً عن مخطوطات اسماعيلية. وكذلك عارف تامر ـ سنان وصلاح الدين ص ٩٠.

(٢) مصطفى غالب ـ أعلام الاسماعيلية ص ٣٠٣.

(٣) عارف تامر ـ سنان وصلاح الدين ص ٣٣ نقلاً عن كتاب فصول وأخبار. وكذلك مصطفى غالب ـ أعلام الاسماعيلية ص ٢٩٨.

(٤) محمد بن علي بن نظيف الحموي ـ تاريخ المنصوري، تحقيق الدكتور أبي العيد دودو مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢، ص ٩٦.

. ويمنعوا الفرنج من الإستيلاء عليه[1].

توفي أسد الدين سنة ٦١٩/هـ، فولي الأمر أخوه صلاح الدين الذي بقي مدة ثم مات، فوليها أخوهما تاج الدين فبقي مدة ثم جاء الأمر من ألموت بعزله واستدعائه إليهم وولوا مكانه محيي الدين أعجمي[2].

وكما كان الحال في زمن سنان، بقيت الدولة الإسماعيلية في مصياف، في زمن محيي الدين أو مجد الدين كما ورد اسمه في بعض الروايات، تلعب دوراً مؤثراً في سياسة بلاد الشام، وكان الملوك والأمراء من مسلمين وافرنج يخطبون ودها ويتقربون من متوليها بالهدايا لتحقيق مصالحهم، ومآربهم.

ونكتفي هنا بعرض بعض ما وصلنا من أخبار عن ذلك.

* في سنة ٦٢٤/هـ سير مجد الدين متولي حصون الإسماعيلية بالشام إلى ملك الروم، علم الدين كيقباذ يطلب منه المقرر لهم عليه، وهو ألف دينار التي كانت جرت العادة بحملها إلى ألموت، فأبوا ذلك وسير الرومي إلى جلال الدين بألموت في ذلك، فقال له: تحملها إليهم بالشام فقد عيناها لهم ذخيرة[3].

* في سنة ٦٣٠/هـ سير الملك شيركوه بن محمد بن شيركوه الأيوبي هدية للفرنج وللإسماعيلية[4].

* وفي سنة ٦٣٦/هـ اتفق الملك الجواد وصاحب حمص ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلج نائب الملك الجواد بدمشق فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا بقتل عماد الدين بن عمر ابن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية في ذلك ودفعوا إليهم مالاً وقرية فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع في سادس

---

(١) ابن واصل - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق الشيال - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٨، ج٢، ص ٢٢٤.
(٢) محمد بن نظيف الحموي - تاريخ المنصوري ص ٩٦.
(٣) المرجع السابق ص ١٤٥.
(٤) محمد بن نظيف الحموي - تاريخ المنصوري ص ٢٥٩.

عشري جمادى الأولى[١].

* في سنة ٦٣٨/هـ عندما بلغ القاضي بدر الدين سنجار أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر يطلبه، مضى إلى مصياف وأخذ يتحيل في الوصول إلى مصر، فبلغ ذلك الملك الصالح إسماعيل، فأرسل إليه ليحضر، فامتنع من الحضور، واستجار بالإسماعيلية فأجاروه ومنعوا الصالح منه، وأوصلوه إلى حماه[٢].

لكن هذا العز لم يطل أمده، وسرعان ما وجدت الدولة الإسماعيلية نفسها وجهاً لوجه أمام الكارثة. وذلك عندما اقتحمت جحافل التتار قلاعها وحصونها في سنة ٦٥٨/هـ واستولوا على مصياف والكهف والقدموس والخوابي.

وعندما سار الملك المظفر سيف الدين قطز، من مصر إلى الشام لملاقاة التتار ومنازلتهم، انضم الإسماعيليون إليه وقاتلوا معه في عين جالوت.

ولما انهزم جيش التتار في هذه المعركة، انتهز الداعي أبو المعالي هذه الفرصة وجمع رجاله، واسترد بهم القلاع التي كان التتار استولوا عليها[٣].

ولئن كانت القلاع عادت إلى الإسماعيلية، إلا أن الدولة الإسماعيلية التي كانت تتشكل من هذه القلاع، لم تعد إلى ما كانت عليه من التألق والازدهار والقوة. ولم تعش بعد ذلك أكثر من اثنتي عشرة سنة ثم انتهت. وكانت نهايتها على يد الملك الظاهر بيبرس.

وتتضارب الأقوال عن كيفية انتهائها، وتتباعد بحيث لا يمكننا رسم فكرة واضحة عن نهايتها.

ويستفاد مما ذكره أبو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما أنّ الظاهر بيبرس تسلم قلاع وحصون الإسماعيلية على مراحل.

---

(١) المقريزي ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ص ٢٧٦.
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢.
(٣) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الاسماعيلية ص ١٠٧.

في سنة ٦٦٧/ هـ تسلم حصن بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون.

وفي سنة ٦٦٨/ هـ تسلم مصياف.

وفي سنة ٦٦٩/ هـ تسلم قلعة العليقة وبلادها.

وفي سنة ٦٧٠/ هـ تسلم نوابه ما تأخر من الحصون وهي الكهف والمينقة وقدموس[١].

بينما يفهم مما كتبه المقريزي أنه في ٦٦٨/ هـ عندما حضر الملك الظاهر إلى حماه، حضر إلى خدمته كثير من أصحاب البلاد المجاورة، ولم يمتنع عن الحضور إلاّ نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الإسماعيلية، الذي بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال بدلاً مما كانوا يحملونه إلى الفرنج.

وكان الملك الظاهر تغير على صاحب العليقة صارم الدين مبارك ابن الرضى، فدخل صاحب صهيون بينه وبين الملك في الصلح وأحضره إلى الخدمة. فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً وعزل نجم الدين حسن ابن الشعراني وولده من نيابة الدعوة وتوجه صارم الدين إلى مصياف في سابع عشري جمادى الآخرة وصحبته جماعة لتقرير أمره[٢].

وذكر المقريزي في أخبار سنة ٦٧٠/ هـ ما نصه:

في سادس عشريه - أي شهر صفر - قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوابي وحصن العليقة[٣].

---

(١) أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر ج٤، ص ٦ و٧ وتاريخ ابن الوردي ج٢، ص ٣١٤.

(٢) المقريزي - كتاب السلوك ج١، ص ٥٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٥٩٩.

وذكر أيضاً: في ثاني عشر ذي الحجة ـ سنة إحدى وسبعين وستمائة ـ استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية وهي: المينقة والقدموس والكهف، وأُقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها، وعفيت المنكرات منها وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره[1].

ومن جهة أُخرى جاء في كتاب «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين» ما نصه:

«وفي سنة ثمان وستين فتح الملك الظاهر الحصون الإسماعيلية وأمر على الحصون الإسماعيلية نجم الدين حسن بن المشغراني، وقرر عليه أن يحمل في كل عام مائة ألف درهم. والمشغراني نسبة إلى مشغرة وهي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه، وهي بسفح لبنان الشرقي بين صيدا ودمشق»[2].

وأيّاً ما كان الأمر، فإن الدولة الإسماعيلية انتهت بإجماع المصادر سنة ٦٧٠/هـ ـ ١٢٧٢/م بعد أن عاشت ١٣٥ سنة. منها ٥٣ سنة بعهد سنان راشد الدين و٨٢ سنة بعده.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠٨.

(٢) أحمد بن علي الحريري ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق الدكتور سهيل زكار ـ دمشق ١٩٨١، ص ١٠٢.

القسم الثالث

* الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية

المآثر العمرانية

سطر الإسماعيليون، في سجل الإنسانية، صفحات ذهبية تشع من بين سطورها آيات المجد والعظمة.

وتركوا للتاريخ آثاراً عمرانية وفكرية خالدة، تحدث عنها المتحدثون، وما زالوا، بإعجاب كبير. أبرزها في مجال العمارة، المدن والجوامع ودور العلم التي بنوها في هذا البلد الإسلامي أو ذاك، والتي تشهد لهم بالتفوق والتفرد.

أولاً: المدن

بنى الإسماعيليون، خلال فترة الدولة الفاطمية، أكثر من مدينة أهمها:

* المهدية، المعروفة بالبيضاء.
* المنصورية، أو المنصورة في الديار التونسية.
* القاهرة، في بلاد مصر.

المهدية، البيضاء:

كانت المهدية أول مدينة بناها الفاطميون بعد أن استتب لهم الأمر في المغرب. بنيت هذه المدينة للسياسة، وأقيمت للدفاع، ووسعت للامتناع وقويت للحصانة[1]. وصفت بأنها من أعجب الآثار[2] جليل قدرها، شهير في قواعد الإسلام ذكرها[3].

---

(١) نقولا زيادة ـ مدن عربية ص ٨٤.
(٢) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ٢٩٦.
(٣) نقولا زيادة ـ مدن عربية ص ٨٤، عن رحلة التيجاني.

ولدينا أكثر من إشارة يفهم منها أن أهل المغرب كانوا يعلمون، عن طريق الكتب القديمة التي يتداولونها، أن دولة جديدة ستظهر في ديارهم بزعامة المهدي، وأن المهدي سيبني مدينة يطلق عليها اسم البيضاء.

قال يحيى بن عبد الله بن أبي عقب الليثي، في قصيدة له:

قد قلت لما طار عني الكرى ... حتى متى ذا الليل لا يصبح
عذبني الحزن وفقد الكرى ... كلاهما أقسم لا يبرح
وكيف لا يحزن من لا يرى ... بأنه يبلغ يا مسطح
دهراً يرى فيه إمام الهدى ... بالله بالمغرب يستفتح
ويبتني البيضاء في لجة ... خضراء فيها نونها يسبح
ينجو من الأهوال سكانها ... والأرض منها كلها تفتح
لو مُدَّ من عمري إلى عمره ... لكنت في القرن الذي يفلح
هيهات ماذا العمر مما أرى ... فيما أرى الموت به يسمح

وذكروا أن يعقوب بن المضا بن سوادة بن سفيان ـ أخو الأغلب ـ بن سالم بن عقال كان له ضياع بناحية جمة. وكان إذا جاء إليها، أتى الجزيرة التي بنيت عليها المهدية، فيقف عندها وينظر إليها ويقول: هذه صفة الجزيرة التي يقال إن المهدي يبني مدينته عليها(١).

بنى المهدية عبيد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، لتعتصم بها بناته، الفواطم، ساعة من النهار(٢).

وكان المهدي، بالعلم الحدثاني الذي يعلمه، يعرف أن خارجيّاً اسمه مخلد بن كيداد ـ صاحب الحمار ـ سيخرج عليه فأراد أن يبني مدينة حصينة، يأمن فيها على بناته وأزواجه.

ولاختيار المكان المناسب، جاب الشاطىء التونسي من أقصاه إلى

---

(١) القاضي النعمان ـ كتاب افتتاح الدعوة ص ٧٦.
(٢) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ١٠٢.

أقصاه، فقاده المسير إلى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند. هناك وجد راهباً في مغارة فسأله عن اسم هذا الموضع، فأجابه الراهب يسمى جزيرة الحلفاء فأعجبه الاسم[١] والمكان. وفي يوم السبت السادس من ذي القعدة سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م شرع في بناء المدينة. واستغرق بناؤها ما يقرب من خمسة أعوام. وكان المهدي يشرف بنفسه على أعمال البناء، ويوجه الصناع إلى ما يفعلونه، ويجد لكل عقبة تعترضهم حلاً يدل على عبقريته الفذة. فعندما وجدوا مسامير الأبواب تتقلقل أمر بتسميرها ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح وصارت كلها قطعة واحدة. ولما ركبوا الأبواب وصعب عليهم فتحها وإغلاقها لثقل أوزان مصاريعها، أمر أن يكون مدار الأبواب على الزجاج فسهل فتحها وإغلاقها.

كانت المهدية محاطة بسور محكم ذي أبواب عظيمة، مصنوعة من الحديد المصمت، لكل باب مصراعان وزن كل مصراع مائة قنطار[٢].

وإلى جانب الدور والقصور التي بنيت داخل المدينة. حفر فيها مخازن للطعام، وصهاريج عظيمة للماء، عددها ٣٦٠ صهريجاً، جلب إليها الماء من قرية ميانش القريبة من المهدية. وكان الماء يصب في صهريج عند جامع المدينة، ويرفع من الصهريج إلى القصر بواسطة الدواليب[٣].

وباعتبار أن المدينة تقع على شاطىء البحر، حفر في صخر الشاطىء ميناء يسع ثلاثين مركباً. وبنى على طرفي الميناء برجين بينهما سلسلة من حديد، فإذا أريد إدخال سفينة أرخى حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدُّوها كما كانت.

ولما فرغ المهدي من بناء المدينة، وعاينها وجدها صغيرة فردم من البحر ما يساوي مساحتها وأدخله في المدينة فاتسعت[٤] وانتقل إليها وسكنها مع أهله

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان.
(٢) ابن السراج ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ٤٥٨.
(٣) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان.
(٤) ابن السراج ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ٤٥٨.

وأوليائه وجنده في شوال سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م. وبنى لعامة الناس مدينة أخرى تدعى زويلة، ملاصقة للمهدية، وجعل فيها الأسواق والفنادق.

كانت المهدية من أعجب المدن، وأحسنها بناء، وأعجبها هيئة. زارها المقدسي بعد ما يقرب من ثلاثين سنة على بنائها، وكتب يصفها لنا: «والمهدية على البحر مسورة بالحجر والجير. شربهم من آبار وجباب ماء المطر. وهي خزانة القيروان ومطرح صقلية ومصر. عامرة، آهلة، ومن أحب أن ينظر إلى القسطنطينية فلينظر إليها ولا يتعنى إلى بلد الروم، فإن على عملها في جزيرة يدخل إليها من طريق واحد مثل الشراك»[١].

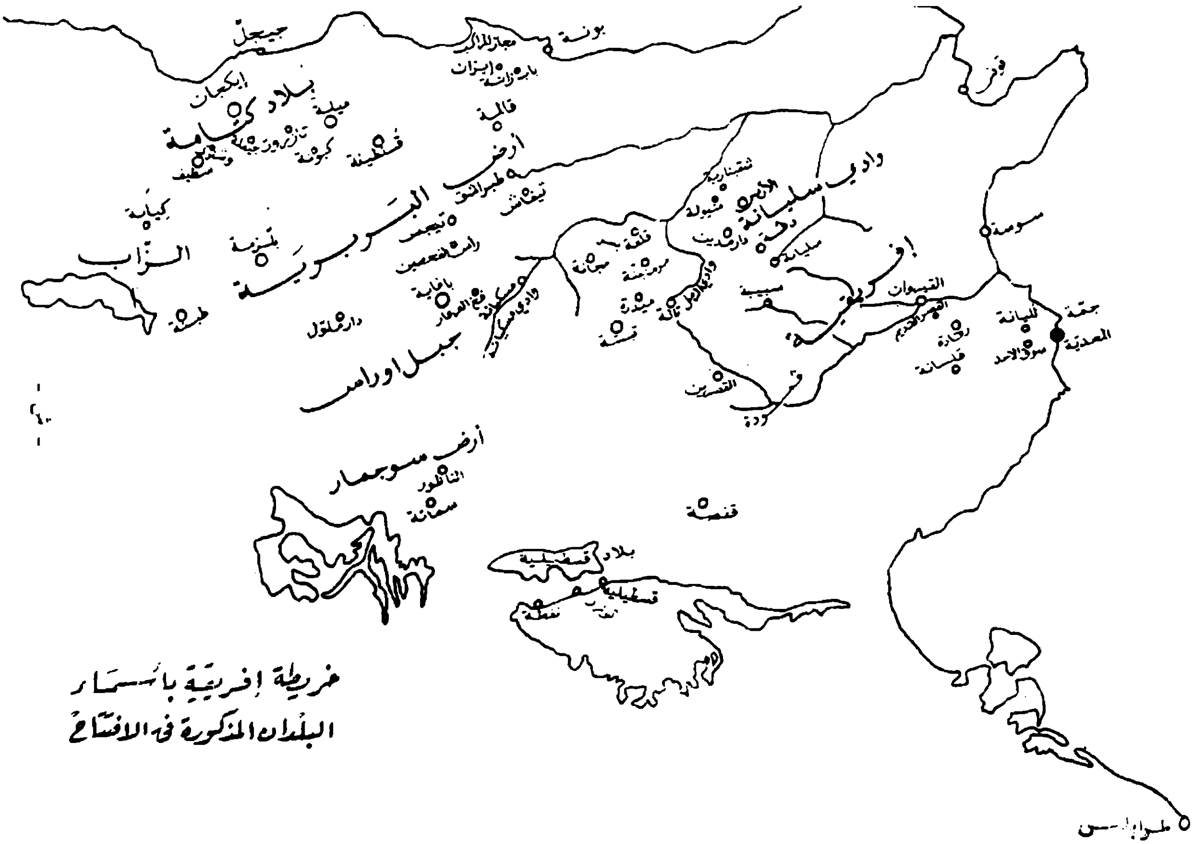
وزارها أيضاً ابن حوقل سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م وقال عنها: «المهدية مدينة صغيرة. . . . كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة. ولها سور من حجارة له بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير. . . . كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور. حسنة الحمامات والخانات، خصبة رفهة الفواكه والغلات، طيبة الداخل نزهة الخارج بهية المنظر»[٢].

لكن حال المهدية تبدل مع الأيام فاندرست معالمها بفعل الزمن وتعاقب الحدثان ولم يبق من مجدها وآثارها الفاطمية غير جامعها الأعظم، وباب زويلة الذي يطلق عليه، اليوم، اسم «السقيفة الكحلاء» أي السقيفة السوداء، وهو يقع على الخط الفاصل بين المدينة العتيقة، والمدينة الحديثة[٣].

ويظن علماء الآثار أن موقع المهدية الفاطمية، هو نفس مكان المقبرة الكبرى. عثر في أطلال المهدية على لوح من مرمر عليه نقش بارز يمثل رسم أمير يلبس تاجاً وفي يده كأس وأمامه فتاة تعزف على مزمار[٤].

---

(١) المقدسي ـ أحسن التقاسيم ص ٢٢٦.
(٢) نقولا زيادة ـ مدن عربية ص ٨٣، نقلاً عن ابن حوقل.
(٣) حسونة المصباحي ـ جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٧٠٠٠ تاريخ ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٨.
(٤) الدكتور زكي محمد حسن ـ كنوز الفاطميين ص ٩٧.



خريطة إفريقية بأسماء
البلدان المذكورة في الافتتاح



زقاق قديم في المهدية

المنصورية، المنصورة، صَبْرَه:

تحدثت عنها الكتب تلميحاً، وبإشارات عابرة. لا تفيدنا هذه الإشارات إلا في معرفة موقعها وتاريخ بنائها واسم بانيها.

تقع بقرب القيروان، في المكان الذي جرت فيه المعركة الفاصلة بين الخليفة المنصور بن القائم ومخلد بن كيداد الخارجي، صاحب الحمار.

بناها الخليفة المنصور سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، عمر أسواقها واستوطنها وجعلها منزلاً للخلفاء الفاطميين.

بقيت هذه المدينة قائمة إلى أن تهدمت، عندما دخل العرب إفريقية، بُعيد سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[١].

القاهرة، المنصورية:

إذا كانت المهدية أول مدينة بناها الفاطميون في بلاد المغرب. فإن القاهرة أول مدينة بنوها في الديار المصرية.

والقاهرة، ثالث عواصم مصر بعد الفسطاط، التي بناها عمرو بن العاص (٢١هـ/ ٦٤١م).

ومدينة العسكر، التي أنشأها العباسيون (١٣٣هـ/ ٧٥٠م).

والقطائع، التي أقامها أحمد بن طولون (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

بناها جوهر الصقلي، قائد جيش المعز لدين الله، رابع الأئمة الفاطميين الخلفا، سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م.

وقد اختار جوهر الصقلي مكاناً لمدينته، بستاناً لبني طولون بالقرب من منازلهم المعروفة بالقطائع[٢].

(١) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان.
(٢) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ٣، ص ٣٤٨، نقلاً عن ابن سعيد.

ولتسمية المدينة باسم القاهرة قصة هي: أن جوهر الصقلي لما أراد بناء المدينة، جمع المنجمين وطلب إليهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس، وطالعاً آخر لرمي حجارته. فوضع المنجمون بدائر السور قوائم خشبية ربطوا بينها حبلاً علقوا فيه أجراساً وقالوا للعمال، متى سمعتم صوت الأجراس ارموا ما بأيديكم من طين وحجارة في الأساس.

وجلسوا ينتظرون الوقت المناسب لأخذ الطالع. وفيما هم ينتظرون، وقف غراب على الحبل فاهتز، باهتزازه جلجلت الأجراس فقام العمال برمي ما بأيديهم من طين وحجارة في الأساس فصرخ المنجمون عليهم لا، لا، القاهر في الطالع. وكان المريخ في الطالع، وهو يسمى عند المنجمين القاهر، فسموها القاهرة[١].

لم تقنع هذه القصة الأستاذ فؤاد فرج، فعلق عليها قائلاً: إن القاهرة لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد حضور المعز إلى مصر ومرور أربع سنوات على تأسيسها[٢].

ويرى أن سبب تسميتها بالقاهرة هو أن المعز، العالم المتبحر في التاريخ واللغات، فكر ملياً واستعاد في ذاكرته ما سمعه ودرسه عن تاريخ مصر الطويل، وعن تاريخ مدينة منف «قاهرة الوجهين» ثم أصدر أمراً بتسمية هذا المكان مدينة القاهرة[٣].

لكن الأستاذ فؤاد فرج، الذي طرح جانباً قصة الغراب، لم يتعرض للقولين الآخرين، في سبب تسميتها بالقاهرة. وأولهما أنه كان بقصور المدينة قبة تسمى القاهرة فسميت المدينة على اسمها[٤]. والثاني هو أنه لما أراد المعز تسيير جيوشه لأخذ مصر، التفت إلى المشايخ الذين وجههم مع قائده جوهر الصقلي، وقال: والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن إلى مصر

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٧٧.
(٢) فؤاد فرج ـ القاهرة ج/٣، ص ٤١١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ابن تغري بردى ـ النجوم الزاهرة ج/٤، ص ٤٢.

بالأردية من غير حرب، ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا[1].

وأياً ما كان الأمر، فإن المعز لدين الله الفاطمي هو الذي أطلق على المدينة اسم القاهرة عندما قدم من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها. وكان جوهر الصقلي سماها المنصورية نسبة إلى المنصور والد المعز.

كانت القاهرة تقع شمالي الفسطاط على بعد ثلاثة أميال منه، مساحتها حوالي ٣٥٠ فداناً. وقيل: ٤٠٠ فدان. يحيط بها سور ضخم من اللبن طوله من أوله إلى آخره ٢٩٣٠٢ ذراعاً بالهاشمي، اندثر وبقيت أجزاء منه حتى القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ أدرك المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) قطعة كبيرة من هذا السور، قال يصفها: «وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً. وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هد منها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا، حتى أن اللبنة تكون قدر ذراع، في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان»[2].

وكان في كل جهة من جهات السور الأربعة، بابان:

في الجهة الشرقية: باب البرقية، وباب القراطين الذي أطلق عليه فيما بعد اسم المحروق لأنه سقط بحريق عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م.

في الجهة الغربية، المطلة على الخليج الكبير: باب السعادة وباب الفرج الذي يسمى أيضاً بباب القنطرة، لأن جوهر الصقلي بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة.

وكان هناك باب ثالث يعرف بباب الخوخة، ورابع يسمى باب الفرج[3].

في جهة القاهرة البحرية: باب النصر، بأول الرحبة التي تقع أمام الجامع

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٣٧٨.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٣٧٧.
(٣) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/ ١، ص ٣٦.

الحاكمي، وباب الفتوح. شاهد المقريزي من بقايا هذا الباب عقدة مع عضادته اليسرى وما عليها من كتابة بالخط الكوفي[١].

في الجهة القبلية: بابا زويلة. أحدهما يدعى باب القوس لأن المعز دخل منه عند قدومه إلى مصر، وفي عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م بنى أمير الجيوش بدر الجمالي السور الثاني، وزاد فيه الزيادات فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير، وفيما بين باب الفتوح عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الحديث. وزاد عند باب النصر الرحبة الواقعة تجاه جامع الحاكم.

بني السور من اللبن، والأبواب من حجارة[٢].

لم يكن تخطيط القاهرة، يبتعد كثيراً عن تخطيط المدن اليونانية والرومانية. حيث نجد شارعاً رئيسياً يشطرها شطرين، يمر بين القصرين، يمتد من باب الفتوح في وسط أسوارها الشمالية إلى باب زويلة في الجنوب واتجاهه من البحري إلى القبلي. وكانت سعة هذا الطريق ١٥ متراً ثم تزداد أمام القصرين فيتكون منه ميدان فسيح. تتقاطع مع هذا الشارع الرئيسي شوارع عرضية على شكل زوايا قائمة، تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب.

كانت القاهرة في أول أيامها مدينة صغيرة، لا يوجد فيها غير قصر الخليفة، ودور وقصور وزرائه وقواده، وثكنات الجنود. ثم أخذت تكبر وتتسع بصورة مذهلة فأقيمت فيها القصور الفخمة والمناظر والمتنزهات والأسواق والمدارس والمساجد.

وكثرت فيها الشوارع والحارات.

وكان أهم أحياء وحارات القاهرة:

- **حارة برجوان**: المنسوبة إلى الخادم برجوان.
- **حارة زويلة**: نسبة إلى قبيلة زويلة البربرية التي كان رجالها مع جيش

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٣٧٧.
(٢) المرجع السابق.

جوهر الصقلي.

ـ **حارة الجودرية**: والجودرية طائفة تنسب إلى جودر خادم عبيد الله المهدي.

ـ **حارة الأمراء**: التي سميت فيما بعد باسم درب شمس الدولة.

ـ **حارة الديلم**: أو حارة الأتراك.

ـ **حارة الروم**: (العليا والسفلى) اختطها الروم الذين قدموا مع جوهر الصقلي.

ـ **حارة الباطلية**: نسبة إلى طائفة من المغاربة جاءوا إلى مصر مع المعز.

ـ **حارة الملوخية**: نسبة إلى أحد فراشي القصر الذي يدعى الملوخية، وكان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله.

ـ **حارة الكافوري**: أو خط الكافوري.

ـ **حارة العطوف**: منسوبة إلى عطوف أحد خدام القصر.

ـ **حارة الوزيرية**: نسبة إلى الوزير يعقوب بن كلس.

ـ **حارة كتامة**: نسبة إلى قبيلة كتامة.

ـ **حارة البرقية**: وهي منسوبة إلى أهل برقة.

ـ **حارة المحمودية**: أو حارة المصامدة. وهي منسوبة إلى طائفة المحودية التي قدمت إلى مصر أيام العزيز بالله الفاطمي.

وجميع هذه الحارات داخل السور. أما الحارات أو الخطط خارج السور فهي:

ـ **الحسينية**: وهي ثمان حارات خارج باب الفتوح هي: حارة حامة، الحارة الكبيرة، المنشأة الكبرى، المنشأة الصغرى، حارة عبيد الشراء، الحارة الوسطى، سوق الكبير، الوزيرية.

ـ **الخندق**.

- أرض الطبالة.
- ميدان القمح.
- خط حارة المصامدة.
- الهلالية.
- المنتجبية.
- اليانسية.

وكانت القاهرة الفاطمية تمتد من بوابتي الفتوح والنصر شمالاً إلى مسجد ابن طولون جنوباً[(١)]. بعيدة عن النيل تتزود باحتياجاتها من الماء عن طريق السقائين الذي يمضون بجمالهم البالغ عددها خمسة عشر ألفاً مرتين يومياً إلى النيل ليملأوا أزيار المنازل، وقِرب السقائين المتجولين في الشوارع. ولهذا فقد أقام أهل اليسار أسبلة عامة تضمن السقاية مجاناً لعابري السبيل والفقراء، حيث يحصلون على الماء من خلال صنابير بواسطة أكواب مثبتة بسلاسل وكلها من النحاس الأصفر اللامع[(٢)].

وعلى الرغم من أن القاهرة كانت مدينة جديدة بالقياس إلى غيرها من المدن. إلا أن سرعان ما علا نجمها وسمت مكانتها، وصارت في العصور الوسطى عروس مدن العالم وجميلة جميلاتها. وهذا ما دفع ابن خلدون إلى القول في مقدمته: «من لم ير القاهرة لا يعرف عز الإسلام، فهي حاضرة الدنيا وبستان العالم».

ودفعت غيره إلى القول: «هي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق، ولا يسمع بمثلها في مصر من الأمصار»[(٣)].

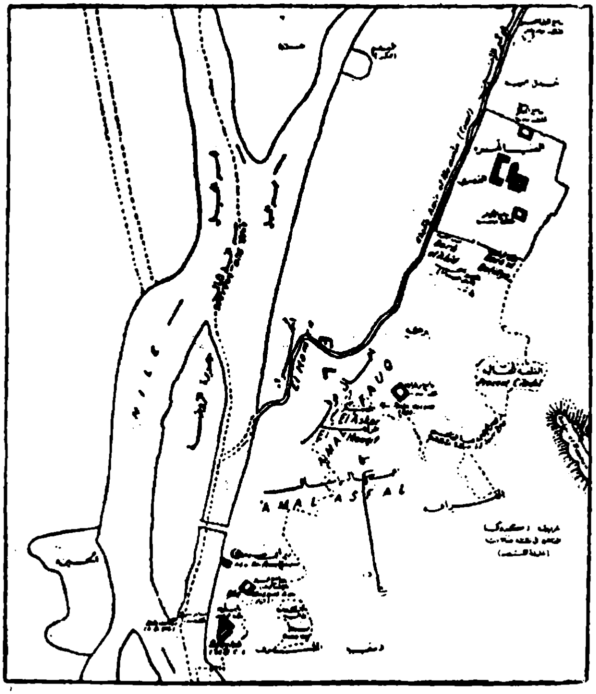
ويقودنا الحديث عن القاهرة إلى الحديث عن قصورها، وأشهرها القصر الكبير الشرقي، القصر الصغير الغربي أو قصر البحر..

---

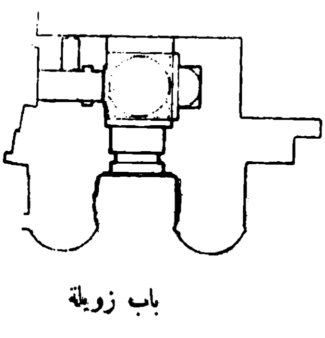
(١) الدكتور أحمد تيمور - جريدة الأهرام - العدد ٤٠٦٦٣ تاريخ ١٦ إبرايل (نيسان) ١٩٩٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٤٨.



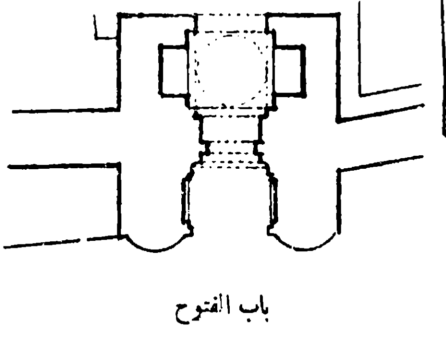
- - - - - - سور جوهر   جامع   -------- سور بدر الجمالى



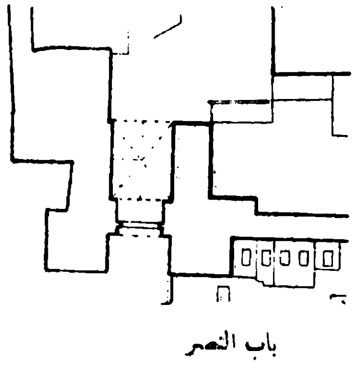
الموقع الذى انتخبه جوهر لإقامة ضاحيته على الشاطىء
الأيمن للخليج المصرى وترى فى الرسم السور الثانى الذى
بناه بدر الجمالى فى عهد الخليفة المستنصر



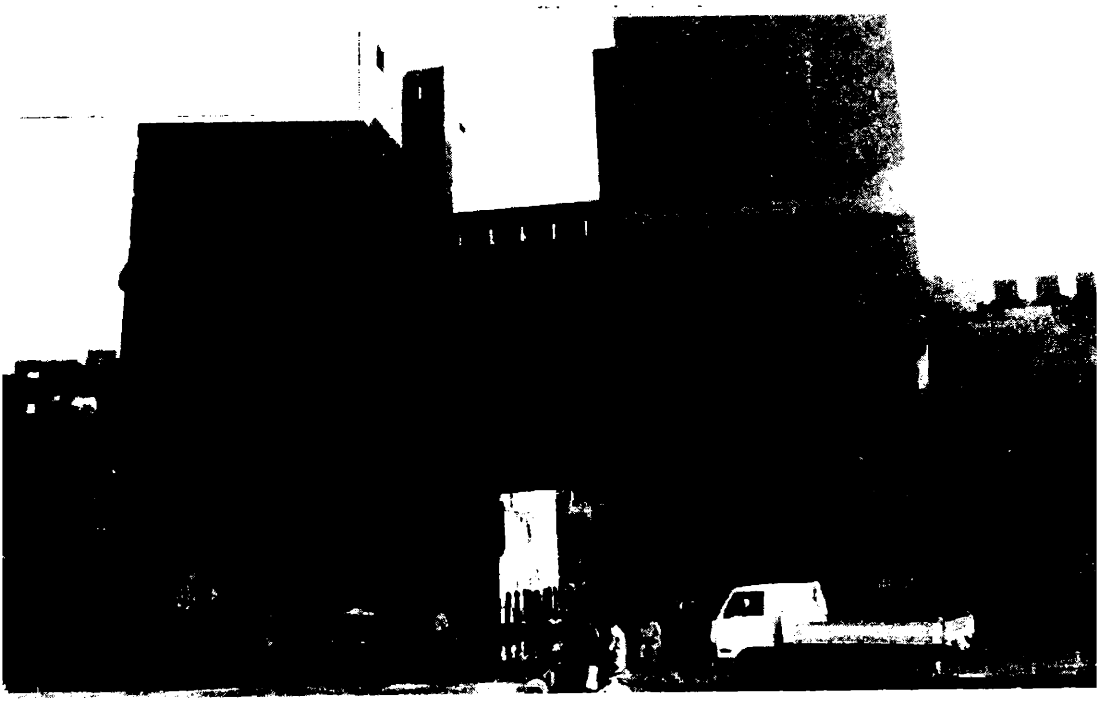
باب زويلة



باب الفتوح



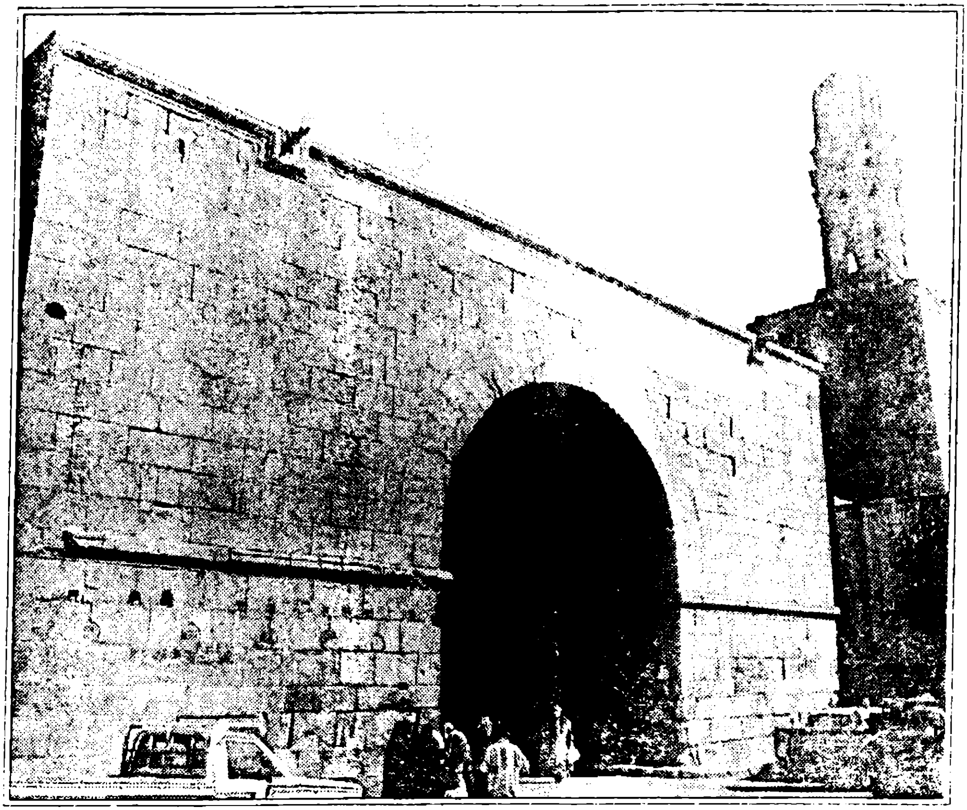
باب النصر



باب النصر أحد أبواب القاهرة الفاطمية



باب زويلة. . .



بوابة الفتوح تعتليها مئذنة جامع الحاكم بأمر الله

القصر الكبير الشرقي:

كان يقع في الجهة الشرقية من القاهرة، لذلك سمي بالقصر الكبير الشرقي. وكانت دار الخلافة بهذا القصر، وبه سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم.

اختطه القائد جوهر الصقلي، وحفر أساساته ليلة الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، وأدخل فيه أحد أديرة النصارى المعروف بدير العظام.

كان هذا القصر في غاية الفخامة، وله تسعة أبواب هي:

* **باب الذهب**: وهو أكبر الأبواب، ومنه تدخل العساكر وجميع أركان الدولة في يومي الاثنين والخميس.

كان يعلو هذا الباب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معلومة.

هدم هذا الباب جمال الدين يوسف الاستادار. ثم مع الأيام صار محله محراب مدرسة الظاهر بيبرس.

* **باب البحر**: أنشأه الحاكم بأمر الله. أطلق عليه فيما بعد اسم قصر بشتاك. في عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م أمر الظاهر بيبرس بهدم هذا الباب، ونقل أعمدته إلى بعض العمائر السلطانية، فعثر فيه على طلسم لحماية مصر وصونها من الأعداء وحفظها من كل شر. وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفسطيريات وأوفاقاً وصوراً[1].

* **باب الريح**: كان باباً مربعاً يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم ينتهي إلى ما بين القصرين تجاه حمام البيسرى.

أطلق على هذا الباب في زمن المقريزي اسم باب القصر. وكان على حالته له عضادتان من حجر ويعلوه اسكفة حجرية عليها كتابة بالخط الكوفي.

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٣٤.

هدم هذا الباب سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. وظهر بداخله شخص من حجر قصير القامة، إحدى عينيه أصغر من الأخرى، فحطم[١].

* **باب الديلم**: وهو باب مشهد الحسين[٢].

* **باب الزمرد**: منه يصل الداخل إلى قصر الزمرد، كان يقع إلى جانب باب العيد.

* **باب العيد**: وهو عقد محكم البناء تعلوه قبة تدعى القاهرة، حولت إلى مسجد، وتحتها حانوت سمي باب العيد، لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد.

عندما تولى الظاهر بيبرس زمام السلطة، أمر ببناء خان للسبيل بظاهر مدينة القدس، ونقل باب العيد وجعله باباً للخان المذكور وذلك في عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م[٣].

* **باب قصر الشوك**: تحول مع الأيام إلى زقاق ينتهي إلى بئر يسقى منها بالدلاء.

* **باب تربة الزعفران**: ويسمى اختصاراً باب التربة. وهي مقبرة أهل القصر.

* **باب الزهومة**: أو باب الزفر سمي بهذا الاسم، لأن اللحوم وكل حاجات مطبخ القصر كانت تدخل من هذا الباب.

وكان يلحق بالقصر الكبير: **التربة المعزية**، وكذلك:

- **الإيوان الكبير**: وكان الخلفاء يجلسون به يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

- **السقيفة**: التي كان يقف عندها المظلومون. وكان من عادة الخليفة أن

---

(١) المرجع السابق.
(٢) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٥٠.
(٣) المرجع السابق.

يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين، فإذا ظلم إنسان وقف تحت السقيفة وصاح بأعلى صوته، لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره ويستمع إليه، أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي[١].

- دار الضرب.
- المارستان العتيق.

وكان بالقصر الكبير من الخزائن منها: خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التبعية ودار الفطرة وخزانة الجوهر والطيب وخزائن السلاح... وغيرها...[٢].

وصلنا عن هذا القصر وصفان، الفاصل الزمني بينهما (١٢٢) سنة.

الأول على لسان الرحالة ناصر خسرو علوي، والثاني على لسان غليوم رئيس أساقفة صور، الذي وصف رحلة الرسولين الصليبيين اللذين أرسلهما الملك عموري (أملريك) سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م ليعقدا حلفاً مع العاضد آخر الخلفاء الفاطميين.

قال ناصر خسرو: «يقع قصر السلطان في وسط القاهرة، وهو طلق من جميع الجهات، ولا يتصل به أي بناء. وقد مسحه المهندسون فوجدوه مساوياً لمدينة ميافارقين، وكل ما حوله فضاء، ويحرسه كل ليلة ألف رجل، خمسمائة راجل وخمسمائة فارس، وهم ينفخون البوق ويدقون الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب، ويدورون حول القصر حتى الصباح، ويبدو هذا القصر من خارج المدينة، كأنه جبل، لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة. وهو لا يرى من داخل المدينة، لارتفاع أسواره. وقيل إن به اثني عشر ألف خادم مأجور، ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجواري؟ إلا أنه يقال به ثلاثين ألف آدمي. وهذا

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٠٥.
(٢) المرجع السابق.

القصر يتكون من اثني عشر بناء، وله عشرة أبواب فوق الأرض فضلاً عن أبواب أخرى تحتها، وأسماء أبوابه الظاهرة هي: باب الذهب، باب البحر، باب السريج، باب الزهومة، باب السلام، باب الزبرجد، باب العيد، باب الفتوح، باب الزلاقة، باب السرية، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكباً، وهذا الباب على سرداب يؤدي إلى قصر آخر خارج المدينة. ولهذا السرداب الذي يصل بين القصرين سقف محكم، وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة، تقول إنها قدت من صخر واحد. ويتألف القصر من المناظر والإيوانات العالية، وفي داخله دهليز به دكك»[1].

أما غليوم رئيس أساقفة صور فكتب يقول: «وسار السفراء الفرنج يقودهم الوزير ساور بنفسه إلى قصر له رونق وبهجة عظيمان، وفيه زخارف أنيقة نضيرة. وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم جد التأثر، دون أن يتطرق إلى نفوسهم أي خوف أو رهبة. ووجدوا في هذا القصر حراساً عديدين. وسار الحراس في طليعة الموكب، وسيوفهم مسلولة، وقادوا الفرنج في ممرات طويلة وضيقة، وأقبية حالكة الظلمة، لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئاً.

.... فلما خرجوا إلى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة، كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلمين، الذين كانوا ينهضون عند اقتراب شاور، ويحيونه باحترام. ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف، يحيط به أروقة ذات أعمدة، وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان، وفيها تذهيب خارق العادة بنضارته وبهائه، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة.

وكان كل ذلك مونقاً رائعاً وبهياً رائعاً، بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً، وأكثرهم هماً إلا أن يقف للإعجاب به، وكان في وسط الفناء نافورة، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام. وكانت ترفرف في الفناء أنواع لا حد لها من الطيور الجميلة، ذات

---

(١) ناصر خسرو علوي ـ سفرنامه، ص ٤٨.

الألوان المفرطة في الندرة، مجلوبة من شتى أنحاء الشرق. ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة إعجاباً بها، ودون أن يقول إن الطبيعة كانت تمرح وتلعب، حين كونت هذه المخلوقات الجميلة. ومن هذه الطيور ما كان يلزم النافورة، ومنها ما كان يظل بعيداً عنها، كل بحسب طبيعته، وكان لكل منها من الغذاء ما يوافقه ....

وسار هؤلاء الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أقنية جديدة، أشد جمالاً وإبداعاً، ثم إلى حديقة لطيفة غناء، لم تكن الحديقة الأولى شيئاً بجانبها. ورأوا في هذه الحديقة أنواعاً من الحيوانات ذوات الأربع، غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب إذا وصفها، أو تحدث عنها، وبحيث لا يستطيع أي مصور أن يتخيل أو أن يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة.................

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى، وساروا في تعاريج كثيرة، كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة وإعجاباً، وصل الفرنج إلى القصر الكبير، حيث يقطن الخليفة. وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك»[١].

القصر الصغير الغربي، قصر البحر:

كان من القصور التي يعز نظيرها في الشرق والغرب[٢]. بناه العزيز بالله لسكنى ابنته ست الملك. ابتدىء في عمارته سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م واستغرق بناءه مدة سبع سنين متواصلة، وصرف عليه مليوني دينار. كان في غاية الاتساع. حده الشرقي النهاية الغربية للميدان الواقع بين القصرين، وحده الغربي سور القاهرة المطل على الخليج، وحده البحري ميدان الخرشتف[٣].

لهذا القصر عدد من الأبواب منها: **باب التبانين، وباب الزمرد، وباب الساباط**، وقد جرت العادة أن تذبح في هذا الباب الذبائح وتفرق على الناس في

(١) الدكتور زكي محمد حسن ـ كنوز الفاطميين، ص ٧٢.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٥٧.
(٣) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٤.

أيام النحر وعيد الغدير.

يلحق بالقصر عدة أماكن منها: **الميدان، والبستان الكافوري، والقاعة** التي كانت تسكنها ست الملك، أخت الخليفة الحاكم بأمر الله.

عندما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية، أعطى هذا القصر لأخيه أبي بكر بن أيوب. ثم اشتراه عثمان بن سنقر الكاملي المهمندار فأصبح من يومها يعرف بفندق المهمندار(١).

ثانياً: الجوامع

بنى الفاطميون في مصر عدداً من الجوامع أهمها: جامع الأزهر، جامع الحاكم، جامع الأقمر، جامع الظافر، جامع راشدة، جامع المقس، جامع الغيلة، جامع المقياس، وجامع الصالح، وغيرها...

امتازت، الجوامع التي بناها الفاطميون، بعدة ظواهر معمارية هي:

١ ـ استعمال الأكناف والمجاز المرتفع الذي يقطع رواق القبلة.

٢ ـ استخدام الحجر المنحوت في واجهات المساجد بدلاً من الطوب.

٣ ـ تزيين الواجهات بالزخارف المنوعة المحفورة على الحجر.

جامع الأزهر، جامع القاهرة:

بناه جوهر الصقلي، يوم السبت الواقع في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، قبلي القصر الكبير الشرقي. بينه وبين القصر اصطبل الطارقة(٢). استغرق بناؤه مدة ٢٧ شهراً، وافتتح للصلاة يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م،

كان جامع الأزهر يسمى عند إنشائه بجامع القاهرة، وأطلق عليه اسم

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٤٨٧.
(٢) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/ ١، ص ٣٨.

جامع الأزهر بعد إنشاء القصور الفاطمية المسماة القصور الزاهرة، في عصر العزيز بالله، تيمناً باسم السيدة فاطمة الزهراء(ع) التي ينتسب إليها الفاطميون[١].

كتب بدائر القبة التي في الرواق الأول على يمين المحراب ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلثمائة».

وقد اندثرت هذه الكتابة مع القبة.

كان الجامع وقت بنائه مكوناً من ثلاثة إيوانات حول الصحن. الشرقي منها مكون من خمسة أروقة، وبكل من الجانبين القبلي والبحري ثلاثة أروقة. المشرف منها على الصحن قائم على أكتاف مبنية. أما الحد الغربي فلا أروقة به ويتوسطه الباب الرئيسي الذي كانت تعلوه المنارة.

فتحت بأعلى الجدران شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية تتخللها مضاهيات مزخرفة أحيطت بإفريز مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن. يشطر الإيوان الشرقي مجاز يتجه مباشرة إلى المحراب، ارتفعت عقوده كما ارتفع سقفه عن مستوى ارتفاعات الإيوان. وقد حليت حافات عقوده بآيات من القرآن مكتوبة بالخط الكوفي، كما حليت وجهات عقوده بزخارف نباتية مورقة. وينتهي هذا المجاز إلى المحراب القديم.

يعلو المحراب قبة مملوكية حلت محل القبة الفاطمية القديمة، كما كان ينتهي طرف هذا الإيوان بقبتين غير موجودتين الآن[٢].

لم يبق الجامع الأزهر على هيئته الأولى، بل لحقت به مع الأيام إضافات وتغييرات كثيرة. ففي سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م جدد فيه العزيز بالله أشياء[٣]، وفي

(١) محمد عبد الله عنان ـ مجلة العربي ـ العدد ٢٨٧ أكتوبر ١٩٨٢.
(٢) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد الأثرية ج/ ١، ص ٤٩.
(٣) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ٢، ص ٢٧٣.

عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م جدده الحاكم بأمر الله وجعل فيه تنورين (موقدين) وعشرين قنديلاً من فضة، ووقف عليه وعلى جامع المقس والجامع الحاكمي ودار العلم أعياناً دونها في وقفية كبيرة، نال الأزهر حصة الأسد منها، ومما جاء في الوقفية:

«يصرف فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزي الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار، وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً، ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عيدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر ديناراً، ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع من ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر، وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار، ومن ذلك لثمن اردبين ملحاً للقناديل ربع دينار، ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقاً لمسح القناديل نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المضع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً خمسمائة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلث دينار وثمن دينار في كل شهر من

شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع من سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً، ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتر بيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير، ومن ذلك لأجرة متولي العلف واجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً»[١].

وقام الخليفة المستنصر، أيضاً، بتجديد الجامع، وجدده بعده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة فاطمة تجاه الباب الغربي[٢].

وفي عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م أمر الخليفة الآمر بأحكام الله أن يعمل للجامع محراب من الخشب. وهو محراب مزخرف بالنقوش، بطرفيه عمودان رشيقان وعظمه من خشب قرو تركي وتجويفته من فلق، ويعلوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي «بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبي علي الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين وأبنائه الأكرمين ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بني الهداة الراشدين وسلم تسليماً إلى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٢٧٣.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ٢ ص ٢٧٣.

وحده»[1].

في المدة بين ٥٢٤ ـ ٥٤٤هـ/ ١١٢٩ ـ ١١٤٩م أضاف الخليفة الحافظ لدين الله إلى صحن الجامع رواقاً يحيط به من جوانبه الأربعة وقبة على رأس المجاز، حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية وكلها آيات من القرآن، آية الكرسي وآيات من سورة يس[2].

كان جامع الأزهر في بداية الأمر مسجد الخلافة الرسمي، تقام فيه الصلوات الجامعة يوم الجمعة، وفي المواسم والمناسبات الدينية الهامة، وتقام فيه أيضاً طائفة من الحفلات الدينية والاجتماعية الباهرة.

بدأت فكرة الدراسة بالأزهر في صفر سنة ٣٦٥هـ/ أكتوبر ٩٧٥م عندما جلس، قاضي القضاة، أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني بالجامع وقرأ كتاب أبيه [الاختصار] في فقه آل البيت، في جمع حافل من العلماء والكبراء، وسجلت أسماء الحاضرين. فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر.

بعد أربع سنين، وعلى وجه الدقة في رمضان سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م، جلس يعقوب بن كلس، وزير المعز لدين الله ثم وزير ولده العزيز من بعده، بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس كتابه [الرسالة الوزيرية] في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية.

وكان يقرأه بنفسه في خاصة الناس وعامتهم، ويهرع إلى سماعه الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة.

ثم فكر ابن كلس في اتخاذ الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة. فاستأذن الخليفة العزيز بالله، سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر. وكان عددهم (٣٧) فقيهاً، رئيسهم ومنظم حلقتهم الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق،

---

(١) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد الأثرية، ص ٥١.
(٢) المرجع السابق.

ورتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم داراً للسكنى بجوار الجامع وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشريفاً لهم وتكريماً، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً أرزاقاً من ماله الخاص.

وقد استمر الأزهر أيام الدولة الفاطمية في تقدم ونماء، واتسعت حلقاته وتنوعت دراساته، وزاد عدد طلابه حتى تجاوزوا الآلاف.

وكان فضلاً عن صفته الجامعية، مركزاً لكثير من المناسبات الرسمية من ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الكريم، ويوم عاشوراء، كما كان فيه أيضاً، مركز المحتسب.

وكانت الخطبة تقام فيه فلما بني الجامع الحاكمي انتقلت الخطبة إليه.

كان بجوار الجامع الأزهر، من قبليه، منظرة تشرف على الجامع الأزهر تدعى منظرة الجامع الأزهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالي الرقود، وهي ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه[١].

عرفنا ممن تولوا التدريس بالجامع الأزهر علي بن النعمان القيرواني وأولاده، علي ومحمد والحسين، والحسن بن زولاق فقيه مصر ومؤرخها الكبير، المتوفى سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م وغيرهم...

جامع الحاكم، الجامع الحاكمي، جامع الخطبة، الجامع الأنور:

تاج مساجد القاهرة، ودرتها الغالية التي تزين جبينها[٢].

يقع بالقرب من باب الفتوح، وباب النصر.

أسسه الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م وخطب فيه

(١) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٧.
(٢) محمد عبد العزيز مرزوق ـ مساجد القاهرة، ص ٦٧.

وصلى بالناس، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م، وأنفق عليه أربعين ألف دينار، وعلق فيه أربع تنانير فضة، وعدد كبير من قناديل الفضة، وفرش أرضيته بالحصر، ونصب فيه المنبر وكمل فرشه وتعليقه وأذن فيه ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م وهو جامع كبير، تبلغ مساحته ١٤٧٨٤,٢٣ متراً مربعاً. يتوسطه صحن واسع تبلغ مساحته ٥٦١٢,٧٢ متراً مربعاً[١].

لهذا الجامع واجهة لا مثيل لها. يقوم في زاويتيها الشمالية والجنوبية برجان عظيمان يتكون كل منهما من مكعبين أجوفين يعلو أحدهما الآخر. ويخرج منهما مئذنتان عاليتان من أجمل المآذن الإسلامية[٢].

في منتصف واجهة الجامع، يقع المدخل الرئيسي ويبرز عن سمتها بنحو ستة أمتار. فوق المدخل لوح من الرخام نقش عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. مما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو علي المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة».

تخطيط الجامع قريب من المربع، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أروقة مسقوفة. وفي ناحية المحراب خمسة أروقة تسير عقودها موازية لحائط القبلة، وفي كل من الجانبين الشرقي والغربي ثلاثة أروقة تتجه عقودها عمودية على الجدار، في الجهة البحرية رواقان تسير عقودها موازية لحائط المحراب، وكلها محمولة على أكتاف. ويقطع رواق القبلة مجاز مرتفع في نهاية المجاز، فوق المحراب قبة تحمل كتابة كوفية من الجص، وفي أقصى يسار حائط القبلة قبة مهدمة[٣].

---

(١) فؤاد فرج ـ القاهرة ج/٣، ص ٤٢٧.
(٢) محمد عبد العزيز مرزوق ـ مساجد القاهرة، ص ٦٨.
(٣) أبو صالح الألفي ـ الفن الإسلامي، ص ١٨١.

احتفظ جانب القبلة بكثير من العناصر المعمارية. ففيه نافذتان قديمتان، وفيه جانب من الدعائم. وما تحمله من عقود وفيه جزء من السقف وطراز الكتابة الذي يحف به من أسفل.

للمسجد تسعة أبواب. خمسة منها في الواجهة، واثنان في الجدار الشرقي، وواحد في كل من الجدارين الغربي والقبلي[١].

لم يبق من نوافذ هذا الجامع غير نافذتين في جدار القبلة على يسار المحراب تزدان إحداهما بزخارف نباتية وكتابة كوفية جميلة تتضمن عبارة «الملك لله» مكتوبة طرداً وعكساً.

امتزجت في النافذة الثانية، الزخرفة الهندسية بالزخرفة النباتية امتزاجاً تاماً[٢].

كتب في دائر القبة الوسطى للجامع العبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً. هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً».

كتب على باب الجامع «أمر بعمله الحاكم أبو علي المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة».

وكتب على منبره: «أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربعمائة».

في يوم الخميس ١٣ ذي الحجة سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م زلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما، ألحقت هذه الزلزلة بالجامع أضراراً فادحة فسقطت منه بدنات كثيرة، وخرب أعالي المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه، فأمر الأمير ركن الدين بيبرس بإعادة بناء ما تهدم. ولما شرع البناؤون في إعادة بناء المئذنة

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق ـ مساجد القاهرة، ص ٧٤.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ٢، ص ٢٧٧.

الكائنة من جهة باب الفتوح وجدوا صندوقاً بداخله كف إنسان بزنده ملفوفة بقطن طرية كأنها مقطوعة من ساعات. وعلى الصندوق كتابة لم يهتد أحد إلى فك حروفها[1].

عندما دخل الصليبيون إلى القاهرة، جعلوا الجامع مقراً لجندهم، وبنوا فيه كنيسة. وفي العصر الحديث، جعلت وزارة الأوقاف أروقة محرابه مخزناً لبعض أدواتها، واتخذت من فضاء الصحن مكاناً لسقط متاعها[2].

في عام ١٩٨٦م قام سلطان البهرة بترميم المسجد، إلا أن منظمة اليونسكو انتقدت عملية الترميم، واعتبرتها غير مطابقة للمواصفات لأنها لم تحافظ على السمات الأصلية للأثر مثل لون الأحجار القديمة.

جامع راشدة:

بناه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م. بني بادىء الأمر بالطوب ثم هدم وبني بالحجر وزيد فيه. وكان الحاكم يشرف بنفسه على بنائه.

فرش وعلقت فيه قناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة. وأقيمت فيه الجمعة. قيل: إنه لم يكن في بناء الجوامع أحسن منه[3].

جدد هذا الجامع أكثر من مرة. ظل قائماً حتى القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ . أدركه المقريزي وقال عنه: «أدركته عامراً تقام فيه الجمعة ويمتلىء بالناس لكثرة من حوله من السكان. وإنما تعطل من إقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة»[4].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) محمد عبد العزيز مرزوق ـ مساجد القاهرة، ص ٦٧.
(٣) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ٢، ص ٢٨٢.
(٤) المرجع السابق.



مسجد الحاكم بأمر الله
في القاهرة القديمة

جامع المقس، الجامع الأنور[1]

بناه الحاكم بأمر الله على شاطىء النيل، بالمقس بباب البحر، سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م، بنفس العام الذي بني فيه جامع راشدة. وأوقف له أربع حوانيت، والمنازل التي فوقها، والحوانيت المعروفة بحصص القيسي بالراية بفسطاط مصر.

تصدع هذا الجامع وأوشكت زريبته على السقوط في رمضان سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م لكثرة زيادة ماء النيل فأعيدت عمارتها.

وفي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م جدده الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقس، وبيضه وجعل له أوقافاً[2].

كان بجوار هذا الجامع منظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول إلى غزو الفرنج.

جامع الفيلة:

بناه الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وبلغت تكاليف بنائه ستة آلاف دينار.

سمي جامع الفيلة لأن قناطر قبابه تبدو للناظر من بعيد كمدرعين على فيلة، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء[3].

جامع الأقمر:

بناه الخليفة الآمر بوساطة وزيره المأمون البطائحي، وكمل بناؤه سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م.

---

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ٣، ص ٣٦٥.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ٢، ص ٢٨٣.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٩.

يعد هذا الجامع تحفة من تحف الفن الجميل وجوهرة من أكثر أعمال الفاطميين جمالاً.

كان مكانه مجموعة من تجار العلافة، وعندما تقرر بناء الجامع في هذا المكان قام الوزير المأمون البطائحي بهدم الدكاكين واشترى حماماً وداراً وأوقفهما على أجور خدم هذا الجامع والعاملين به ولإيقاد مصابيحه.

واجهة الجامع الغربية مبنية بالحجر، وهي واجهة جميلة حافلة بالنقوش والكتابات الكوفية، من آيات قرآنية ونصوص تاريخية، كما اشتملت على مقرنصات وعقود تتوسطها دوائر مكتوب عليها (**محمد**) مكررة و(**علي**) وأجملها الدائرة الكبيرة فوق الباب التي كتب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

ويتوسط العقد الأيسر للباب دائرة كتب حولها (**محمد**) مكررة و(**علي**).

وفي الواجهة أيضاً، حنايا وشبابيك صغيرة، تكتنفها عمد صغيرة حلزونية يتوسطها قنديل، مكتوب أعلاها «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له».

على يسار الباب مفارق لم يبق منها غير جزء صغير.

دُوِّن على واجهة الجامع تاريخ إنشائه في موضعين: **أولهما** بخط كوفي كبير، في الوجهتين الغربية والبحرية، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله... فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقرباً إلى الله الملك الجواد... آمين، وأقام... اللهم انصر جيوش الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة المشركين السيد الأجلّ المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل القضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة.. لإقامة البرهان».

والثاني: بخط كوفي صغير، يمتد مع الوجهة فوق عتب الباب ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر . . . فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجلّ المأمون أمير الجيوش (سيف الإسلام) ناصر الإمام (كافل قضاة) المسلمين وهادي دعـاة المؤمنين أبي عبد الله محمد الآمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته (في سنة) تسعة عشرة وخمسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل».

يمتاز الجامع بصغر حجمه. يؤدي إليه باب بارز قليلاً عن الواجهة.

يتألف الجامع من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات، أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية تحمل عقوداً فارسية مغطاة بقبوات صغيرة[١].

كانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية من آيات قرآنية يقرأ منها: «بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مَثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء»[٢].

اللافت في هذا الجامع أنه منحرف في تخطيطه حتى يواجه القبلة[٣].

جدد هذا الجامع أكثر من مرة. أهم هذه التجديدات قام بها الوزير يلبغا ابن عبدالله الساعي، أحد مماليك الظاهر، سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م حيث أنشأ ببابه حوانيت، وجعل في صحنه بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزابيز نحاسية، وجعل فيه منبراً، وبنى على يمنة المحراب البحري مئذنة وبيّض الجامع كله ودهن صدره بلازورد

---

(١) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد الأثرية، ص ٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٧٣.
(٣) محمد عبد العزيز مرزوق ـ مساجد القاهرة، ص ٩٣.



الواجهة الرئيسية ومئذنة جامع الأقمر

وذهب[1]. ولما ولى نظر بعض الفقهاء سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م رأى هدم المئذنة التي جددها السالمي من أجل ميل حدث فيها، وأبطل الماء من البركة[2].

جامع الظافر، الجامع الأفخر، جامع الفاكهيين، الفكاهين[3]

بناه الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور إسماعيل، داخل باب زويلة، سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. وكان بالأصل زريبة للكباش.

وسبب بنائه جامعاً هو أن خادماً كان يشرف على الزريبة فرأى ذات يوم ذباحاً أخذ رأسين من الغنم للذبح، فذبح أحدهما ورمى بسكينه جانباً وذهب لقضاء حاجة له، فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في بالوعة قريبة. وعندما عاد الذباح لم يجد السكين، فاستصرخ الخادم وخلصه منه. وعندما سمع أهل القصر بهذه القصة أمروا بعمارة الجامع[4].

يلحق بالجامع عدة حوانيت وقفها الظافر على سدنة الجامع ومن يقرأ فيه. وكان تعقد فيه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرين للقرآن.

جامع الصالح، الجامع الصالحي

هذا الجامع، هو آخر جامع أنشىءفي الدولة الفاطمية. بناه الصالح طلائع ابن رزيك سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م بقصد نقل رأس الحسين(ع) من عسقلان خوفاً عليه من الفرنج. لكن الخليفة الفائز لم يوافق على وضع الرأس في هذا الجامع، وابتنى له المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار القصر.

يشتمل هذا الجامع على مميزات معمارية قلما تتوافر في جامع آخر. منها أرضيته التي كانت ترتفع عن مستوى الشارع بنحو ٣,٨٠م. وله أربع واجهات

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٦٥.
(٤) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.

مبنية بالحجر، أهمها الواجهة الغربية. وبها الباب الرئيسي للجامع. أمام هذا الباب رواق محمول على أربع أعمدة رخامية تحمل عقوداً حليت حافاتها بالزخارف وينتهي من طرفيه بحجرتين. على نهاية هذه الواجهة وأول الواجهة البحرية نقش يتضمن العبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجلّ الملك الصالح ناصر الأئمة، وكاشف الغمّة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزي عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين، وعلى ولديه المنتجبين الطاهرين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد...»[١].

يتكون الجامع من أربعة أواوين يتوسطه صحن كبير به صهريج له ساقية ينقل إليها الماء من الخليج أيام النيل، بالقرب من باب الخرق[٢]. يعتبر الإيوان الشرقي من أهم أواوين الجامع وهو إيوان كبير مكون من ثلاثة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية حليت حافاتها من الداخل والخارج بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر[٣].

تهدم هذا الجامع بالزلزلة التي حدثت سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، فعمره

(١) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد التاريخية، ص ٩٩.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.
(٣) حسن عبد الوهاب ـ تاريخ المساجد التاريخية، ص ٩٩.

الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار[1].

جامع القرافة، جامع الأولياء:

بنته السيدة تغريد أم العزيز، على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب.

كان هذا الجامع في غاية الجمال، يحتوي على نقوش سماوية اللون وحمراء، وخضراء ورسوم ذات ألوان أخرى.

وكانت السقوف مزوقة كلها. وكذلك الحنايا وباطن العقود وظاهرها. وكان أمام الباب السابع قنطرة قوس منقوش، في باطن عقدها رسم شادروان (سبيل) مدرج، عليه نقوش ورسوم سوداء وبيضاء وحمراء وخضراء وزرقاء وصفراء، إذا تطلع إليها الواقف في سهم قوسها، رافعاً رأسه إليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص. وإذا أتي إلى أحد قطري القوس عند تمام نصف الدائرة، ووقف عند أول القوس منها، ورفع رأسه رأى أن النقوش مسطحة لا نتوء فيها[2].

* * *

كان من رسوم هذه الجوامع والمساجد أن قاضي القضاة يتولى أحباسها، وإليه أمرها ولها ديوان مفرد. وفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م جمعت أحباسها فبلغت في السنة مليون وخمسمائة درهم، وكان مرتب كل مشهد ٥٠ درهماً في الشهر يرسم الماء لزوارها.

وكانت العادة قبل رمضان بثلاثة أيام أن تطوف القضاة على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة ليتفقدوا حصرها وقناديلها وعمائرها وما تشعث منها وغير ذلك. فيبتدئون بجامع المقس ثم جامع الأزهر ثم المشاهد ثم القرافة ثم

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.
(٢) الدكتور زكي محمد حسن ـ كنوز الفاطميين، ص ٩١.

جامع عمرو بن العاص ثم مشهد الحسين[١].

ثالثاً: دار العلم/ دار الحكمة

اشتهر الفاطميون بحب العلم والعلماء، وبلغ حبهم للعلم مبلغاً عظيماً، حتى كان لهم في قصر الخلافة، وحده، اربعـون خزانة ملأى بنفائس الكتب، تحتوي إحداهـا على ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة[٢].

وكانت مكتبة القصر تتألف من عدة رفوف مقطعة بحواجز، على كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل. وتضم نحو مليون وستمائة ألف كتاب، وقيل مليونين، في الفقه والنحو واللغة والحديث والتواريخ وسير الملوك وعلوم التنجيم والروحانيات والكيمياء و...[٣].

وكان فيها ناسخان، وفراشان. ومن الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. ومن جملة ما كانت تحتويه نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد منها نسخة بخط الخليل، وما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه، ومائة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد... وصناديق مملوءة أقلاماً مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب..

اعتبرت هذه المكتبة من عجائب الدنيا لأنه لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها[٤] لكن وياللأسف تبدد قسم كبير منها بالشدة العظمى التي حدثت في مصر سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، حين وقع الخلاف بين الجنود السودانيين والأتراك. وضاع القسم الباقي عند استيلاء صلاح الدين الأيوبي على السلطة والقضاء على الفاطميين سنة ٥٦٧هـ.

كان يقف على قدم المساواة مع هذه الخزانة العظيمة، دار العلم التي

(١) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٧.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٠٨.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

بناها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م، والتي تسمى أيضاً بدار الحكمة. وكانت جامعة بكل معنى الكلمة. تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية.

خصص لهذه الجامعة دار مختار الصقلبي الملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التبانين وعيّن لها كبار الأساتذة في كل علم وفن. وعني بتأثيثها وزخرفتها عناية فائقة. فرشت أرضها بالسجاد الفاخر، والبسط والحصير وعلقت الستائر السميكة على النوافذ والأبواب لمنع الغبار، واتقاء البرد شتاء، وحر الشمس صيفاً، حماية للقراء والكتب.

دخل أحد السياح دار الحكمة في أوج ازدهارها فشاهد فيها قطعاً من الحرير الأزرق غريب الصنعة فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها وطرقها وجميع الأماكن المقدسة، ومكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه أو اسمها بالذهب(١).

وحملت إلى دار الحكمة، من خزائن القصر، مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون، ورصدت للإنفاق عليها وعلى أساتذتها وخدمها أموال ضخمة.

كان التعليم في هذه الجامعة حراً، على نفقة الدولة. وكان يقدم للطلاب والباحثين، مجاناً، كل ما يحتاجون إليه من أقلام وأوراق وأدوات كتابة.

وكان للنساء فيها مجالس خاصة(٢). كما فتحت أبوابها لسائر الناس من مختلف الطبقات فجاؤوا إليها من كل حدب وصوب مدفوعين بدوافع شتى، منهم من جاء للقراءة، ومنهم لنسخ ما يروق له من كتب، ومنهم للتعلم، فيجدون كل التسهيلات، ويعطى لهم ما يحتاجون من أقلام وورق وحبر وغير ذلك(٣).

---

(١) الدكتور عبد اللطيف الصوفي ـ لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ص ٢٠٦.
(٢) محمد عبد الله عنان ـ مجلة العربي ـ العدد ٢٨٧/ اكتوبر ١٩٨٢.
(٣) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٥٨.

ولكي تستمر هذه الجامعة في أداء رسالتها العلمية، وقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع للإنفاق على هذه الجامعة. ومما جاء في صك الوقفية: «. . . يكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير، ومن ذلك لورق الكاتب (الناسخ) تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفراش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن ينقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير. . »(١).

بقيت دار الحكمة تقوم بدورها العلمي الكبير مدة طويلة من الزمن، إلى أن أغلقها الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي لما ذاع عنها من إفساد للعقول. فلما توفي الأفضل، أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون البطائحي بفتحها من جديد، على أن يتولاها رجلٌ ديّنٌ، ويقام فيها متصدر برسم قراءة القرآن فتولاها أبو محمد حسن بن آدم سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م(٢).

انتهت هذه الجامعة بانتهاء الدولة الفاطمية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٦٠.

نظام الحكم عند الفاطميين

مهما اختلفت نظرتنا إلى الدولة الفاطمية، فثمة حقيقة لا يمكن نكرانها أو تجاهلها، هي أن هذه الدولة كانت أول دولة مستقلة بمصر. منظمة أحسن تنظيم.

وكانت مقسمة إدارياً إلى ثلاث ممالك، أو أقطار كبيرة هي:

* **البلاد المصرية**: وفيها القاهرة مركز الخلافة

* **الشام**: مع سائر فلسطين ويحكمها نواب الخليفة.

* **إفريقية**: ويحكمها نواب باسم الخليفة.

وكانت الديار المصرية مقسمة إلى أربع ولايات، هي، بحسب أهميتها:

ـ **ولاية قوص**: كانت أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد.

ـ **ولاية الشرقية**: متوليها يحكم على عمل بلبيس وقليوب وأشموم.

ـ **ولاية الغربية**: متوليها يحكم على عمل المحلة ومنوف وأبيار.

ـ **ولاية الإسكندرية**: متوليها يحكم أعمال البحيرة بأجمعها.

وكان يخلع على ولاة هذه الولايات من خزانة الكسوة بالبدنة، وهو نوع من اللباس يلبسه الخليفة يوم فتح الخليج[١].

كان الخليفة يجلس على هرم السلطة. والخلافة تنتقل بطريق الإرث من

---

(١) علي مبارك ـ الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٨.

الآباء إلى الأبناء ويتم جلوس الخليفة على العرش في موكب عظيم تسوده مظاهر الأبهة والعظمة، ويشارك فيه أرباب الدولة، والآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام وهي: التاج وقضيب الملك والسيف الخاص والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والأعلام والمذبتان والنقارات والخيام والفساطيط.

وكان الخليفة يقيم في القصر الكبير الشرقي مع أفراد أسرته وحاشيته الكبيرة. ويحمل العديد من الألقاب هي: الإمام، السلطان، سيدنا، مولانا، سيف الإسلام، ناصر الإمام أو الأئمة، كافل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين، كاشف الغمة، غياث الأنام.....[1].

وجرت العادة أن يعهد الخليفة إلى أكبر أولاده بولاية العهد. وقد وصلنا من كتب ولاية العهد نسختان: واحدة خاصة، والثانية عامة. الخاصة من الخليفة الحافظ لدين الله إلى ولده حيدرة ونصها:

من عبد الله ووليّه عبد المجيد أبي الميْمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، إلى ولده ونجْله، وسُلالته الطاهرة ونَسْله، والمُجمَع على شرفه والعامل بمرضاةِ الله في قوله وفعله، وعقْده وحلِّه؛ الأمين أبي تراب حيدرَة، وليّ عهد أمير المؤمنين، عليه السلام.

سلامٌ عليك: فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إلهَ إلاّ هو، ويسأله أن يصلّي على جدّه محمد خاتَم النبيين، وسيِّد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديِّين؛ وسلّم تسليماً.

أما بعد، فإنَّ الله تعالى لِبَديع حكمتهِ، ووسيع رحْمته، استودع خُلفاءه مَنْ خَلَقه وبرأَه، وٱستكفى أُمناءَه مَنْ صوَّره وذرأَه؛ ورتّبهم مرْتبة النفوس من الأجساد، ونزَّلهم بمنزلة الضِّياء من الأزناد؛ وجعلهم مستخدِمين لأفكارهم في مصالح البريّة التي غدتْ في أمانِهم، وحصلَتْ في ضَمَانِهم؛ فظلّت في ذِمامهم، وسعِدت في عزِّ مقامِهم وظلِّ أيَّامهم: لأنهم نُصِبوا للنظر فيما جلَّ ودقّ، وتَعِبوا لراحة الكافّة تعباً صعُب وعَظُم وشقّ؛ وكان ذلك سرّاً من أسرار

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ٧٣.

الحِكْمة، وضرباً من أفضل تدبير الأُمّة؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمرؤوس، والسائس والمَسُوس؛ لاختلط الخُصوص بالعُمُوم، ولم يبق فرقٌ بين الإمام والمأموم.

وقد ٱستخلص الله أمير المؤمنين من أشرف أُسرةٍ وأكرم عصابة، وأيَّده في جميع آرائه بالحزَامة والجزالة والأصالة والإصابة؛ وقضى لأغراضِه أن يكون السعدُ لها خادماً، وحتَم لمقاصدِهِ أن يُصاحبها التوفيق ولا ينفكَّ لها مُلازماً؛ وجمع له ما تفرّق في الخليقة من المفاخر والمناقب، وألهمه النظر في حُسْن الخواتم وحميد العواقب.

ولما كان وليُّ عهد أمير المؤمنين أكبر أبناء أمير المؤمنين، والمنتهِيَ لأشرف المراتب من تقادُم السِّنين؛ وقد ٱستولى على الفخر باكتسابه وٱنتِسابه، وتصدَّت له مخطوبات الرُّتب ليحُوزها باستحاقه وٱستيجابه؛ وله من فضيلة ذاته ما يدلُّ على النبإِ العظيم، وعليه من أنوار النبوّة ما يهتدي به الساري في الليل البهيم؛ وحينَ حوى تالدَ الفخر وطارِفَه ولم يستغْنِ بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم؛ والصِّفاتُ إذا ٱختلفتْ أربابُها لا تقع إلا دُونه، والثواب الجزيل مما أعدّه الله للذين يُخلِصُون فيه ويتولَّوْنه؛ وليفخَرْ بأن خُصَّ من العناية الملكوتيَّة بالحظِّ الأجزل، ولْيتسَمَّحْ على البرايا ليكُون ممدُوحاً بالكتاب المنزَّل؛ وليبدخ فإن وصفه لا تُبلغ غايته وإنْ ٱستُخدمت فيه الفكر، وليبْجحْ فإن فضله لا يُدرك حقيقةً إلا إذا تُليت السُّور، فأمتعه الله بمواهبه لديه وأمتع أمير المؤمنين به، وأجرى أمورَه عاجلاً وآجلاً بسببه.

رأى أمير المؤمنين أن يختصَّه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعت الشريف، وسُمُوّاً به إلى ما يجب لمجده الشامخ ومحلِّه المُنيف؛ وٱقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يُشرِّفُون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى فخرُه على متجدِّد الأزمان ومُتطاول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يُتخَيَّر من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفةٌ يكون إليه انتماؤها، وإلى شرف هذا النعت ٱنتسابُها وٱعتزاؤُها؛ فتُوسَم بالطائفة العهْديّة، وتحظى إذا أخلصت في الولاية بالسَّعادة الدائمة الأبديّة؛ وتظلّ موقُوفةً على خِدمته، متصرِّفةً على

أوامره وأمثِلتِه؛ منهيةً في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمةً لِلأّزم المتعيِّن من مُلازمة الخِدمة في مواكبه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافِلاً بالخيرات، ضامناً لشُمول المنافع وعموم البركات، إن شاء الله تعالى: والسلام على وليِّ عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه(١).

أما النسخة العامة فصيغتها كما يلي:

من عبد الله ووليِّه فلان أبي فلان الإمام الفلانيِّ إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبيّ صلّى الله عليه وسلم على نحو ما تقدّم في العهد قبله.

أما بعدُ، فالحمد للهِ الذي ٱستحقَّ الحمد بفضلِه، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووسِعَ الجرائم بعفْوه وعدْله؛ وصرَّف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى عمار الحقّ وأرشد إلى أهله؛ واختار الإسلام ديناً وعصَم المعتقلين بحبله، وأوضح سُبُل النَّجاة بما أوضح لسالكيه من سُبْله؛ وتعالى عُلاه إلى الصِّفات، فلم يُوصف بمثل قوله: ﴿لَيْسَ كمثْلِه﴾ وتنزَّه عن ٱشتراك التشبيهات، في كل جليل الوصف مستقِلَّة وغير مستقلّة؛ علِم ما ٱشتملَتْ عليه خطرات الأسرار، وأشارت إليه نظراتُ الأبصار، وٱنفرجَتْ عنه غمرات الأخطار، وأخفته ستراتُ الظلماء وباحتْ به جهرات الأنوار: **﴿سَواءٌ مِنكُم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ به ومَنْ هُو مُسْتَخفٍ بِاللَّيلِ وسارب بِالنَّهارِ﴾**.

والحمد لله الذي جعل الدين عنده الإسلام، فمن ٱبتغى غيرَه ضلَّ المنهج، وأبعد المعرَج، وٱستلقح المُخْدج، وغلِط المخْرِج، وفارق النُّور الأبلجْ، وركِب الطريق الأعوج، وأتى يوم القيامة باللِّسان المُلَجْلَج؛ ومَنْ أسلم وجهه إليه فاز بالسَّعيِ النَّجيح، وحاز المتجر الرَّبيح؛ وورد المورِد الأحمد، ويمَّم القصد الأقصد، ووجد الجدَّ الأسعد، وسلك المنهج الأرشد؛ فهو العُرْوة الوُثْقى، والطريقة المُثْلى، والدرجة العُليا؛ وأُمِر به خيرُ المرسلين، المنعوت في سِير الأولين، المبعُوث بالحق المُبين، والقائم رسولاً في الأُمِّين، والهادي

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ٩، ص ٣٧٧.

إلى الحقِّ وإلى طريق مستقيم؛ والداعي الذي مَنْ أجابه وآمَن به غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وأُجير من عذابٍ أليم، والمستقلُّ [بالعبء] العظيم، بفضل ما مُنِحَ من الخُلُق العظيم، والممدُوح بقوله: ﴿لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عزِيزٌ عليْهِ ما عَنِتُّمْ حرِيصٌ عليْكُم بِالمُؤْمِنينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

والحمد لله الذي وصل النبوّة بالإمامة، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبه إلى يوم القيامة، وخصَّها بالخصائص التي لا تنبغي إلا لِتامِّ الكرامة، وأجار بها خلْقَه من متالف الطامَّةِ وبوادي النَّدامة، وهدى بشرف مقامِه إلى دار المُقامة؛ وٱستردَّ بأنوار تدبيره من ظلام الباطِل الظُّلامة، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصَّة والعامّة، ﴿إنَّ هٰذَا لهُوَ الفَضْلُ المُبِين﴾.

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحلِّ المُنيف، وٱستعمر به المقام الشريف، وأظهر كلمة الدِّين الحنيف، ونفى عنه تغاليَ التعمُّق وتجديف التحريف، وبيّن بموافَقة توفيق هدْيه طريق التكليف، وأمدّه بموادَّ إلهيَّةٍ تشتهر فتستغني عن التعريف، وتتَّصِل فتقطع موادّ التكْيِيف.

ويسألُه أن يصلّيَ على جدّه محمدٍ الذي نسخ بشريعته الشرائع، وهذَّب بهدايته المشارع، وأيّده بالحُجج القواطع، والأنوار السَّواطع، وجعل من ذُرِّيَّته جبال الله القوارع، ومن مِشكاته نُجوم الهُدى الطَّوالع، وعُدِقت صنائعُه بالله إذا ٱفتخرت المُنعمون بالصَّنائع؛ وعلى أخيه وأبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المخصوص بأُخُوّته، وأبي الثقلين من عِترته، والسابق إلى الإسلام فهو بعدَه أبو عُذْرته؛ وإلى تفريج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ٱبنُ بجْدَته، وعلى الأئمة من ذرّيتهما مصابيح الظُّلُمات، ومفاتيح الشُّكوك المُبهمات، والممنوحين من شرف السِّمات، ما جلَّ عن المُسامَات، والممدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسَّموات.

وإن الله بحكمته البديعة، ورحمته الوسيعة؛ أقام الخلفاء لخلقه قواماً وبحقِّه قُوّاماً، وجعل نار الحوادث بنُورهم برْداً وسلاماً، وجعل لهم الهَداية بأمره لِزاماً، وٱستصرف بهم عن الخلْق عذاب جهَنَّم ﴿إنَّ عَذَابَها كانَ غَرَاماً﴾؛ فهم أرواحٌ والخلائق أجسام، وصباحٌ والمسالكُ أظلام، وثمراتٌ والوجُود

أكمام، وحُكّام والحقائق أحْكام، يسهرون في منافع الأنام وهم نِيام، وينفردُون بوصَبِ النَّصب ويُفْردُونهم بلذَّات الجام، ويهتدُون بهدَاياتهم إلى ما تَدِقُّ عنه حوائِطُ الأفهام، ولا يُدرَك إلاّ بوسائط إلهام. وقد ٱصطفى الله الأمير من تلك الأُسرة، ورقَّاه شرف تلك المنابر ومُلْك تلك الأسرَّة، وأنار بمقامه نُجوم السعادة المستَسِرَّة؛ وٱستخدم العالم لأغراضه، وسدّد كلَّ سهمٍ في رميه إلى أغراضه، وأقرض الله قرضاً حسناً فهو واثقٌ بحُسْن عواقب إقراضه، وٱفترض طاعته في خلْقه فالسعيد من تلقى طاعة أمير المؤمنين بٱفتراضه، وأمضى أوامرهُ على الأيّام فما يقابلُها صرْفٌ من صرُوفها باعتراضه، وأدار الحق معه حيثُ دار، وكشف له ما ٱستجنَّ تحت أستار الأقدار، ووقف الخِيرة والنُّصْرة على آرائه وراياته فهو المستَشَار والمستخار؛ وألهمه أن يحفظ للأمة غدَها كما حفِظ لها يومَها، وأن يُجريَ لها موارِد توفيق الارتياد ولا يُطيل حوْمَها؛ وأن يجعل المؤمِن على ثلَج من الصُّدور، وفلْج من الظُّهور، ويُودع عندها برْدَ اليقين بالإشارة إلى مستودع النُّور؛ ويجعلها على شريعةٍ من الأمر فتتبعها، ويُحلَّها بمنزلة الخِصْب فترتبِعها؛ ويُعلِم نَدِيَّ خيره ليكون غايتَها ومفزعَها، ويُعرِّفَها من تنتظرُه فتتَّخِذه مآلها ومرجِعها؛ ويقتدي في ذلك بسيد المرسلين في يوم الغدير، ويُشير إلى مَنْ يقوم به المشير مقام البشير.

ولمَّا كنتَ حافظ عهد أمير المؤمنين والسيِّد الذي لا بُدّ أن يُتوج به السَّرير، والنَّجم الذي لا بدّ أن نستطيل إلى أنواره ونستطِير، والذَّخيرة التي ادَّخرَها الله لِنيل كل خطر ودفع كلِّ خطير، والسَّحاب الذي فيه الثَّجُّ المطير، والنَّجم المُنير، والرَّجمُ المُبير، وقد تجلَّت لك أوجهُ الكرامات وتبدّت، وتبرَّجَت لك مخطُوبات المقامات وتصدّت، وطلَبَتْك كُفأً لنيل عَقِيلتها وسُكْنى معْقِلها فما تعدّتْ، وأدّت إليك لطائف فهْمِكَ من أسرار الحقائق ما أدّت؛ وعرفَتْ من سِيماك هذي النبوّة، وٱجتمع لك مزيّة الشرفين من الطَّرفين الأُبُوّة والبُنُوّة، وأخذتَ كتاب الحكمة ومَصُون العصمة بقوّة، وأجرت القلوب التي بعوارض الشَّكِّ ممْنُوّة، وآثرتَ العقائد التي بنواقض العقد مملُوّة، وغدتْ وجُوه الأنام بأيّامك مجلُوّة، وتوافقت الألسُنُ على مدحك ولا مِثل ما مُدِحتَ من الآيات المتلُوّة، وكنتَ بحيثُ تذهب بالأهوال المسْلُوّة، وتُقبِل بالآمال

المرجُوّة؛ ولو أنَّ ركباً ضلَّ لهداهُ نورُكَ في الليل البهيم، ولو أنَّ ذِكرك شذَّ لتبدّى في الآيات والذِّكر الحكيم، ولو أنّك طلعتَ على الأولين لما تساءَلُوا ولا ٱختلفوا في النَّبإِ العظيم، ولو أنَّ قديماً علا فوق كل حديثٍ لقام لك الحديث مقام القديم، ولو أنَّ جميع الأنام في صعيدٍ واحدٍ لصعدتَ دُونهم المقام الكريم، ولو أنَّ يدك البيضاء تجسَّمت للناظرين لأعدْتَ آية مُوسى الكليم، ولو أنَّ هِدايتك الغرَّاء تنسَّمت للذاكرين لأحييْتَ بها العِظام وهي رمِيم، ولو أنَّ عُلُومك ٱنتشرت بين العلماء لتَلَوْا: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ولو أنَّ ليلة ولادتِك رصدَتها البصائر، رأت كيف يُفرَقُ فيها كلُ أمرٍ حكيم؛ والصِّفات إذا ٱحتفل أربابُها وقفتْ لك عبيداً، والأيام إذا كانت ظُروفاً لفضائلك كان كلُّ يوم منها للعبيد عيداً، والأنساب إذا عددْتَها كان الجدُّ سعِيداً؛ فلتفخَرْ قبل السير بأن أمليت عليها السُّور، وأبشِر بأن المنتظر من فضل الله لك فوق ما تعجَّله النظر، وٱشمخْ بأنَّ سادة القبائلِ مُضَر وأنك بعد أمير المؤمنين سيِّدُ مُضر، وٱبذخْ بأنك عِوَضٌ من كل منْ غاب وما عنك عِوَضٌ في كل منْ حضَرْ، وٱبجحْ بأنك قد أُهِّلْتَ لأمرِ أبى الله له إلا أُولي العزم والخطر، وٱشكُر الله على نعمة خلقَك لها بقَدَر، ومزيَّةٍ لا يُوفِّي حقَّها من أضمر فأغْرَقَ أو نطق فشكر، وقُل: ﴿الحمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلاَ أَنْ هَدَانا الله﴾ ﴿وقُلْ رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلَىٰ وَالِدَيَّ وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾.

فإليك هذا الأمر يصير، وأنت لهُ والله لك نِعْمَ المولى ونِعم النَّصير؛ وتأهَّبْ له في درجته التي لا ينالُها باعٌ قصير، ولا يمتطيها إلاَّ من ٱختاره الله على عِلْم من أهل الثقلين ولو أنَّ بعضهم لبعضٍ ظهير، ولا نرى لها أهلاً إلاّ مَنْ أراه الله من آياته إنه هو السَّميع البصير، وفاوِض أمير المؤمنين في مُشكلات الأمر ولا ينبِّئُك مثلُ خبير، وٱقْتَدِ منه بمن هو في أهل دهره وصِيُّ الوصِيّ ونظير النَّذير، وٱهتدِ بنُوره الذي هو بالنُّور البائن دُون الخلق بشير، وسِرْ إذا ٱستعملك الله فيهم بما رأيتَ أمير المؤمنين به فيهم يسِير، وٱدعُ الله بأن يُيَسِّر على يدك مناجحهم إنَّ ذلك على الله يسير، وٱعرِف ما آثرك الله به من أنه لم يجعل ليدِك كُفُؤاً إلا ذا الفَقار ولا لقدمك كفُؤاً إلا المنبر والسرير، وتحدثْ بنعمة الله وإجرائها فأمير المؤمنين اليوم عليك أميرٌ وأنت غداً على المؤمنين أمير: ﴿هٰذَا

مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.

وأما العدل وإفاضتُه، والجَوْر وإغاضتُه، والصَّعْب ورياضتُه؛ والجذْب وترويضُه، والخطْب وتفْويضه؛ والجهاد ورفْع علَمه، والذَبُّ عن دين الله وحِفظ حُرَمه؛ والأمرُ بالمعروف ونشْر رِدائه، والنهيُ عن المنكر وطيُّ اعتِدائه؛ وإقامة الحدّ بالصُّفْح والحد، والمُساواة في الحقِّ بين المولى والعبد؛ وبثُّ دعوة الله في كل غوْر من البلاد ونجْد، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد؛ فذلك عهدُ الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عهدٌ مؤكّد العقْد: وهو سُنَّة فضل الخلفاء التي لا تجد لها تحويلاً، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال: ﴿إِنَّ العَهْدَ كانَ مسئُولا﴾.

وهل يُوصى البحر بتلاطُم أمواجه؟ وتدافُع أفْواجه؟ وبتزاخُر عَجَاجه؟ وهل يُحضُّ البدر المنير على أن يُنير سراجُه، ويطلُع ليتَّضِح للسالك مِنْهاجه؟ أو يُنبَّهُ على هدايته إذا تهادته أبراجُه؟ وعليك من سرائر أنوار الله ما يُغْنيك أن تُوصى، ولديك من ظواهر لطائف الله ما تمَيَّز به عن الخلقِ إذ أضحيتَ به مخصُوصاً، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرتْ عليك آياتُه نُصُوصاً؛ فبِسلام الله يُحَيِّك المؤمنون، وبالاعتلاق بعِصْمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يأمُنون، والله منجزٌ لك وعده كما أنجزه لمن جعلهم أئمةً لمَّا صبروا وكانوا بآياتِنا يُوقنُون؛ والله سبحانه يُهدِي إليك تحيةً من عنده مباركةً طيِّبة، ويُسدي إلى مقام شرفك سحابةَ رحمةٍ غدِقةً صيِّبة؛ ويجعل ما رآه أمير المؤمنين من وِلايتك عهْده، وكفالتِك للأمَّة بعده، للمسرَّات ناظماً، وللمساءات حاسماً؛ وللبركات جامعاً، وللباطل خافِضاً وللحق رافعاً. وأمر أمير المؤمنين أن يعيَّن على رجال من أولياء دولتِه، ووجوه شيعتِه؛ وأنصار سرِيَّته، عِدَّةٌ يكون إليك اعتزاؤُها وبك اعتزَازُها، وببابك العالي إقامتُها وإلى جنابِك انحيازُها؛ فتكون موْسُومةً بالعبُوديَّة، ومتعرِّضةً بالولاء للسعادة الأبديَّة؛ فتمْتَثِل على ما تُمثِّله من المراسم، وتتصرَّف على ما تُصرِّفُها عليه من العزائم؛ وتكون أبداً لما ينْفُذ عنك من أحكام الهبَات والمكارم، وتقُوم من ملازمة الخِدْمة في مواكِبك بما هو لكل خادمٍ فرضٌ لازِم؛ وتسارع في مطالِبك إلى ما يُسارع إليه الحازِم، وتجُود يا

سماء الإنعام بالغدق الساجِم. وتُقدّر لها من الواجبات والزِّيادات ما تقتضيه هِمَمُ المكارم؛ تبذُل في الخدمة الاجتهاد، وتُنافسُ فيما تَستمِدُّ به الحُظوة والإحماد؛ وعرِّضها من الإحسان الجمِّ للازْدياد، وبلِّغها المُراد بما تبلُغُ بها من المُراد: لتتشَرَّف بأن تكون تحت ركابه العالي متصرِّفة، وتفتخر بأن تكون أنسابُها باسمه العالي متشرِّفة؛ إن شاء الله تعالى[1].

وكان هيكل الدولة، أو ما أطلق عليه اسم ترتيب المملكة، على الشكل التالي:

أولاً: مراتب أرباب السيوف

وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الأمراء، وهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الأمراء المطوقون الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم.

المرتبة الثانية: أرباب القضب: الذين يركبون في الموكب بالقضب الفضة التي يخرجها الخليفة من خزانة التجمل.

المرتبة الثالثة: أدوات الأمراء.

الصنف الثاني: خواص الخليفة، وهم ثلاثة أنواع:

ـ الأستاذون: وأرفعهم شأناً المحنكون الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم، وعددهم يزيد على الألف شخص.

ـ صبيان الخاص: وهم جماعة من أخصاء الخليفة يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ شخص.

ـ صبيان الحجر: وهم جماعة من الشباب يزيد عددهم على الخمسة

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/٩، ص ٣٧٩.

آلاف، يقيمون في حجر منفردة، لكل حجرة منها اسم يخصها.

الصنف الثالث: طوائف الأجناد، وهم أعداد كبيرة من مختلف الأجناس.

ثانياً: أرباب الوظائف

وهم قسمان:

القسم الأول: ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف:

الصنف الأول: أرباب السيوف، وهم نوعان:

ـ وظائف عامة الجند. وهي تسع وظائف: الوزارة ـ صاحب الباب ـ الاسفهلارية ـ حمل المظلة ـ حمل سيف الخليفة ـ حمل رمح الخليفة ـ حمل السلاح ـ ولاية القاهرة ـ ولاية مصر.

ـ وظائف الأستاذين، وهي نوعان:

(أ) ما يختص بالأستاذين المحنكين وهي: شد التاج ـ صاحب المجلس ـ صاحب الرسالة ـ زمام القصور ـ صاحب بيت المال ـ صاحب الدفتر ـ حامل الدواة ـ زم الأقارب ـ زم الرجال.

(ب) ما يختص به غير المحنكين، أشهر هذه الوظائف نقابة الطالبيين، وزم الرجال.

الصنف الثاني: أرباب الأقلام، ينضوي تحت هذا الباب:

ـ أرباب الوظائف الدينية، وهم: قاضي القضاة ـ داعي الدعاة ـ المحتسب ـ وكالة بيت المال ـ النائب ـ القراء (قراء الحضرة).

ـ أصحاب الوظائف الديوانية، تشمل:

(أ) الوزارة ـ إذا كان الوزير صاحب قلم.

(ب) ديوان الإنشاء: حجابة ديوان الإنشاء والمكاتبات ـ التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم ـ التوقيع بالقلم الجليل.

(جـ) ديوان الجيش والرواتب: ويشمل أيضاً ديوان الاقطاع.

(د) نظر الدواوين: (ديوان التحقيق ـ ديوان المجلس ـ ديوان خزائن الكسوة ـ الطراز ـ الخدمة في ديوان الأحباس ـ الخدمة بديوان الرواتب ـ الخدمة في ديوان الصعيد ـ الخدمة في ديوان أسفل الأرض ـ الخدمة في ديوان الثغور ـ الخدمة في الجوالي والمواريث الحشرية ـ الخدمة في ديوان الكراع ـ الخدمة في ديوان الجهاد).

الصنف الثالث: أصحاب الوظائف الصناعية، أعظمها وظيفة الأطباء.

الصنف الرابع: الشعراء، وهم جماعة كبيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره.

القسم الثاني: ما هو خارج عن حضرة الخليفة

هم النواب والولاة. ولاية قوص، ولاية الشرقية، ولاية الغربية، ولاية الإسكندرية.

وكان والي القاهرة أهم الولاة. ويليه في المكانة والي الفسطاط ثم والي قوص ثم والي الشرقية ثم والي الغربية ثم والي الإسكندرية.

وكان منصب الوزارة من أهم المناصب.

وللوزير مكانة ممتازة بين سائر رجال الدواوين. فهو المقدم عليهم، وصاحب الكلمة النافذة بعد الخليفة[١] وتقع على عاتقه مسؤولية إدارة مالية البلاد وللوزراء زي خاص بهم، فهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم، وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الدراريع وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بإزار وعري، ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام[٢].

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ١٠٨.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٣٩.

وكان الوزير يحمل ألقاباً كثيرة منها: أمين الدولة، عميد الدولة، تاج الدولة، ولي الدولة... ومن الوزراء من تلقب بأسماء الملوك والخلفاء[١] وعلا شأن بعضهم وأصبحوا هم الحكام الحقيقيين للبلاد، وعظمت ثروتهم.

من أشهر وزراء الدولة الفاطمية:

- يعقوب بن يوسف بن كلس وزير المعز لدين الله وابنه العزيز بالله.
- عيسى بن نسطوروس، وزير العزيز بالله.
- محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني وزير الحاكم بأمر الله.
- أحمد بن علي الجرجرائي وزير الظاهر والمستنصر[٢].
- صدقة بن يوسف الفلاحي وزير المستنصر.
- الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري وزير المستنصر.
- عبد الله بن محمد البابلي وزير المستنصر.
- محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين المغربي وزير المستنصر.
- عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي.
- أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي.
- عبد الله بن يحيى المدبر.
- علي بن الأنباري.
- عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمي.
- بدر بن عبد الله الجمالي وزير المستنصر.
- الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستنصر ثم المستعلي.
- محمد بن مختار بن بابك البطائحي[٣] الملقب بالمأمون وزير الأفضل والآمر.
- أبو الفتح الحافظي.

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ١١٤.

(٢) وهناك من ذكر اسمه علي بن أحمد الجرجائي، راجع معجم الأدباء ج/ ٣ ص ٤٠٧.

(٣) ذكر ياقوت الحموي اسمه كما يلي: المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي، راجع معجم الأدباء ج/ ٥ ص ٧٢٤.

- الحسن بن أبي الفتح الحافظي.
- أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ.
- يانس، وزير الحافظ.
- بهرام الأرمني وزير الحافظ.
- رضوان بن ولخشي وزير الحافظ.
- علي بن السلار وزير الظافر.
- عباس الصنهاجي بن يحيى بن تميم بم المعز بن باديس.
- طلائع بن رزيك وزير الفائز.
- العادل بن طلائع بن رزيك.
- شاور بن مجير السعدي وزير العاضد.
- ضرغام بن علي بن سوار (فارس المسلمين) وزير العاضد.
- أسد الدين شيركوه وزير العاضد.

ومن هؤلاء الوزراء من كان من أرباب القلم، ومنهم من كان من أرباب السيف، ومنهم من كان من أرباب السيف والقلم.

ومن جهة أخرى دامت وزارة بعضهم مدة طويلة. في حين لم يبق البعض الآخر في الوزارة غير شهور قليلة.

وقد جرت العادة أن يكتب الخليفة للوزير الذي وقع عليه الاختيار كتاباً يرسم له فيه الخطوط العامة التي يجب أن يسير عليها في ممارسة مهماته.

وفيما يلي صورة نسخة من هذه الكتب. وهو كتاب العاضد بولاية ابن شاور السعدي نيابة الوزارة عن أبيه.

من عبد الله ووليه (بألقاب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به).

سلامٌ عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في سجل الوزارة لأبيه).

أما بعدُ، فالحمد لله مؤيِّد الحقائق بأفضل الأنصار، ومُعِزِّ الممالك بأكمل ذوي النَّفاذ والاستبصار؛ وجاعِلِ الولَد البارّ لوالده رُكناً وسَنداً، والنَّجل

المختار لناجِله نجدةً ومَدَداً؛ مرتِّب الممالك على أفضل نِظامها، ومُرقِّي الدُّول إلى المُؤثر من إجلالها وإعظامها: ليتَّضِح للمتأملين فضل تأكد الأواصر، ويستبين للناظرين فضْل تبايُن العناصر، إبراماً منه ـ جلّ وعزّ ـ لأسباب الحكمة، وتوسعاً لسبيل الحنان والرحمة؛ وشُمولاً لما يتتابعُ به إحسانُه من المَنِّ الجسيم ﴿فضْلاً منَ الله ونِعْمَةً واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾.

والحمد لله مُعلي الدَّرجات ورافِعِها، ومُفيد الأمم ونافِعها؛ ومُزيل البأْساء ودافِعِها، ومُجيب الدَّعوات وسامعها، ومُضاعِف المصالح وجامعها؛ الذي وقف على الدولة العلَويَّة أحسن السِّيَر، وخصَّها فيمن تُؤْثِر آصطفاءه بمساعدة القدَر، ويسَّر لها رائق التدبير بعد ملابسَة الرَّنْق والكدَر؛ وآدّخر لها من الأصفياء مَنْ تُشْرق الدنيا بأنواره، وتتزيَّن الدُّهور بمحاسن آثارِه؛ وتسمُو المفاخِر بمفاخِره، ويتوالى الثناء على ما آبتكره من المكارم في أوّل نشْئِه وآخره؛ ويتتابع الإحماد لمن يختارُه ويجتبِيه، وتتضاءل أقدار الملوك إذا ذُكر فضله وفضل أبيه؛ وتسكُن النفوس إلى تمام ورعه ودينه، وينطِق لسان الإجماع بصحَّة معتقَده ويقينه.

والحمد لله الذي شمل البرايا فضلُه، وعمّ الخلائق عدلُه؛ وأقرّت العقُول بأنَّ إليه يرجِع الأمر كلُّه.

يحمدُه أمير المؤمنين على نِعَمه الظاهرة، التي أحظت دولته الظاهرة بمُؤازرة البيت الجليل الشَّاوَريّ، وأيدتْ مملكتَه القاهرة، بمحاماته عن حوْزتها بالعضْب المُرْهف والسَّمْهريّ؛ ويشكُره على مِننه التي آستخلصَتْ له منه أنصاراً يُرهِفُون في طاعته العزائم، ويُحقِّرون في إرادته العظائم، فيذُبُّون عن حوزته ولا يخافُون في ذاتِ الله لومة لائم؛ ويسألُه أن يصلِّي على جدّه محمدٍ الداعي إلى الهُدى، والمبعوث إلى الخلائق وهُم إذْ ذاك سُدى؛ والمُناضل في نُصْرة الإسلام بالأسرة والآل، والمُطَّرِح عاجِل الدنيا الفانية لآجِلِ المآل؛ وعلى أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أقام من دين الله منكَر الأوَد، وقام لنبيّ الله مقام النجل المرتضىٰ والولد؛ وقط من طواغيت الكفر شامِخ الهام، وأوضح غامض التنزيل بما أفرده الله به من مزايا الإلهام؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيتهما أبناء

الرِّسالة والإمامة، والمختصين بإرث بيتِه المحبُوّ بتظليل الغمامة؛ والقائمين بُنصرة الدِّين، والمتفرّدين بإمرة المؤمنين.

وإنَّ أمير المؤمنين لِما أقامه الله له من تمكين قواعد الدِّين، وٱختاره لإيضاحه من إرشاد فِرَق المسلمين؛ وأفضى به إليه من سِرّ الإمامة المكنُون، وألقاه إليه من خفايا الإلهام الذي تُستنبط من أنوارها علَّةُ ما كان ويكون؛ وأمدَّه [به] من التأييد الذي يستأصل طواغيتَ النِّفاق بقوارع المهالك، ويسلُك بمرَدة أهل العِناد أوعر السُّبُل والمسالك؛ وأنجده في كلِّ الحالات بالألطاف الخفيَّة التي تتكفَّل بإعلاء كلمتِه، وتتضمَّن نصْر أعلامه ونشر دعوتِه؛ وآتاه جوامع المعارف والحِكَم، وفرض طاعتَه على منْ دان بالتوحيد من جميع الأُمم؛ وألزم مقاصِده وأنحاءه التوفيق، وأوجب لها السعادة في كلِّ جليلٍ ودقيق ـ يفوّض أمره إلى الخالق، ويُفيض جُودَه وبِرَّه في الخلائق؛ فلا يزال لأحوال دولته مُراقباً، ولا ينفكُّ يُفيد كلَّ ما يتعلَّق بها نظراً ثاقباً؛ فإذا لاحتْ له لائحةُ صلاح، أو بدتْ لنظره مخِيلة نجاح، ٱجتهد في توسيع منجالها، وحرَّض على حثِّها وقصْد إعجالها؛ وٱلتمس للدَّولة ٱجتلابَها، وفتح إلى ٱستدعاء النَّفع بابها؛ لينمِي الخير العميم، في دولته، ويتضاعف النفعُ الجسيم، لرعيَّته؛ وتكون كافَّةُ الخلق فيها بالأمَنة والسُّكون مغمُورين، وبحُسْن صنيع الله بهم فرِحين مسرُورين.

ولمَّا تصفَّح أمير المؤمنين أحوال دولته، وتأمَّلها تأمُّل من يُؤْثِر أن يفقَه الفحص في كل مهم على حقيقته، رأى أن الله جل وعلا قد منحَ أمير المؤمنين من خالصته وصفِيِّه، ووزيره وكافيِّه ووليِّه؛ السيد الأجلّ (بالنعوت والدعاء) الذي قام بنُصْرته، وكفَل أهوال الحُروب بنفسه وأولاده وأُسرته؛ وحالف التغرُّب والأسفار، واستبدل من لِين العيْش بملاقاة السِّهام واللَّهاذِم والشِّفار؛ وٱتخذ ظُهور الجِياد عِوضاً من الحشايا، ومُنازلة الأبطال دَأْباً في الحنادس والبُكَر والعشايا؛ وآثر على لُبس الغضِّ المُونق الجديد، لباس اليَلَب ولأمات الحديد؛ ولازم في ذات الله قرْع أبواب الحُتُوف، والتهجُّم على كل مخْشيّ مخُوف؛ حتى ذلَّل الأعداء، وقمع الاعتِداء، وحسم الأدواء، وألزم الدَّهر بعد

خطئِه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتهاده عِزّاً، وٱدّخرها لها عند الله من الأجر والمثُوبة كنزاً؛ وسيَّر عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبيَّن فضْلها على غيرها في القديم من الدَّهر والحديث؛ وأخلص لأمير المؤمنين في الطاعة حتّى ٱستخدم المُواليَ الموافق، والمُباين المنافق؛ وكمَّل فضائله التي لا تُحدّ، ومحاسنه التي لا تنْحصر ولا تُعدّ؛ بفضيلةٍ تفُوت الفضائل، ومنقبة تفُوق بفخرها المناقب الجلائل: وهي ما وجَّهه الله [له] من بنُوّة الأجلّ فلان الذي لم يزل للدولة عزّاً حاضراً، ووليّاً ناصراً؛ وعوْناً قاهراً، ومجداً ظاهراً؛ وجمالاً باهراً، وما برِح لله ـ جلَّ وعلا ـ مُراقباً، ولرضاه وغُفرانه طالباً، قد جمع إلى كمال الدِّين وصحَّة اليقين، الخالصة في طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفترُ منذ مدة الطُّفُوليَّة [عن] درْس القرآن، ولا يُباري بغير الأمور الدينية نُجباء الأقران؛ إن تصفَّحتَ محاسِنه الدنيوية عُدَّ ملِكاً مُهذباً، وإن تأمَّلْتَ مناقبه الدينيَّة حُسِب ملكاً مقرَّباً؛ وكم له من منقَبة تستنقِص الغُيوث، وشجاعة تستجبِن اللُّيوث؛ ومهابةٍ تردّ أحاديثُها الجيوش على الأعقاب، وتُغريها بموالاة الحذر والارتِقاب؛ إذا أسهبت الخُطوب أوجز تدبيرُه، وإذا ٱستطالت الحوادث قصَّر طولها فأعجبَ تقريرُه؛ فالدولة العلَويَّة من ذبِّه في الحرم الآمن، والخلافة العاضديَّة من ملاحظاته في تدبير يجمع أشتات الميامن؛ فاجتماعُ المآثِرِ قد وحَّده، بشهادة الإجماع، وتوالِي المحامد قد أفرده، بما شاع منه في الممالك وذاع؛ تتحاسد عليه غرُّ الأخلاق، وتتنافس فيه المكارم منافسةَ ذوات الإشراق؛ فلا تُوجد خَلَّة فضلٍ بارعٍ إلا وقد جمَّعها، ولا مَكنة جبْر قارع إلا وهو الذي مهَّد محجَّتها ووسَّعها؛ ومقاماتُه في الجهاد والجِلاد مقاماتٌ أوضحت الحقائق للأفهام، وثبَّتت الدقائق تثبيتاً يبقى على غابِر الأيّام؛ وأعزَّت دعوة الدولة العلوية وأيَّدتها، ونصرتْ أعلامها ونشرتْها؛ واكتنفت بالتفضيل والإحسان رجالها، وأزالتْ بالجدّ والتشمير أوجالها؛ ومحتْ آثار عُداتِها بالسُّيوف، وألفتهم عن النِّكايات المُجحِفة بوزع المنايا والحُتُوف.

والحُروب فمرباه في مُهُودها، ومنْشاه بين أُسُودها، ورُعاتُها وقفٌ على إضرامها وإخماد وقُودها؛ فإذا توردّها توردّها باسماً متهلّلاً، وإذا ٱقتحم مضايقَها تصرَّف فيها متوقِّفاً متمهِّلاً؛ لا يحفِل بأهوالها، ولا يُرى لقارعةٍ من

عظائم قوارعها والِهاً؛ وحسْبُك فتكاتُه في طُغاة الكُفَّار، وقصد أولياء الدولة بالإظهار: فإنَّ الكُفَّار حين نهَدُوا للنِّفاق، وٱجتلبوا أشباهَهم من بعيد الآفاق؛ وتهجَّمُوا على الأعمال فجأهم بعزمة من عزماته أقامتْ راية الدين، وجعلتهم حصِيداً خامدين؛ وأفنتْ منهم الصَّناديد، وٱصطلمَتْهم ببلايا تزيد على التعديد؛ وٱجتحفَتْهم بالقتل والأسْر والتفريق، ورمتهم بدواءٍ لا يقدِر بَشَريٌّ على دفاعها ولا يُطيق؛ ولمَّا ٱلتجأ طاغية الكُفر إلى الحيرة وركد، ورام ٱلاعتصام بعُروتها وٱجتهد، وٱغترَّ بما معه من الجمع وكَثرة العدد؛ نهَد إليه في الأبطال الأنْجاد، ونهض نحوه ثباتاً للقِراع والجِلاد؛ فأزاله عن مجْثمه، وذعره ذُعراً شرَّده عن معْلَمه؛ ورماه بالحراك بعد السُّكون، والتَّعب الذي قَدّر بٱغتراره أنَّ مثله لا يكون؛ وكم له فتكةٌ في أهل العمود ذلَّلت جِماحهُم، وٱستلبت أرواحهم، وأعادت ليلاً بالنَّقع صباحَهم.

وعند تمادي عُتاة الكُفَّار في الإصرار، وجوسِهم خلال الدِّيار؛ ونفثِهم في وُجُوه الأذى والإضرار، وطمعِهم في اجتياح أهل الأعمال والأقطار ـ عوّل أمير المؤمنين في ٱستئصالهم على عزْمه، وٱعتضد بذبِّه وحسْمه؛ وجعل إليه التدبير بالقاهرة المحروسة التي هي عُمدة الإيمان والإسلام، ودار هِجرة الإمام، ومعقِل الخلافة مُنذ غابر الأيَّام؛ وأطلق يَدَه في ربِّ جميع الأعمال، وتأمينها من بوائق الأوجال؛ فبثَّ بالحضرة وبالأعمال من مهابته ما شرَّد الأوغار، وسهَّل الأمصار، ومحق الضُّلَّال، وأذاقهُم النَّكال؛ فعمَّ السُّكون والأمَنة، وٱستولت على الأعمال السياسة المستحسنة؛ فجادت بنضرة الأيام وصلاح الوجُود، وٱغتبِطُوا من تدبيره بصُعُود الجُدُود، ورتعُوا من عِنايته في عيشٍ يُضاهي عيش جِنان الخُلُود؛ فالبلاغات بأسْرها لا تقوم بمدْح ما أُوتيَ من الفضائل، ولا يُوازي مجموعُها منقبةً من مناقبِه التي أرْبى بها على الملُوك الأواخر والأوائل؛ والخصائص الملُوكية بجُمْلتها فيه جبلَّة وفِطرة، وإذا قيست نادرةٌ من نوادر فضله بما تفرَّق في جميع الملُوك كانت فضائلُه بمنزلة البحر ومجموع فضائل الملُوك بمنزلة القَطْرة؛ وقد طرَّز فضائله البديعة، وخِلاله السامية الرَّفيعة، من مُوالاة أمير المؤمنين ومناصحة دولته بما تكفَّل بسعادة الدنيا والآخرة، ونِهايات مغانِم الثواب الشريفة الفاخرة؛ فلَيْلُه ونهارُه مصروفان إلى المجاهدة عن دولة

أمير المؤمنين التي هي دولة التَّوحيد، والمُخْلص فيها مُعرَّض لكلِّ مقامٍ سعيد؛ فمحاسنُه ترتفع عن قدْر التقريظ والمديح، ولا تُقابل إلا بموالاة التسبيحِ.

ولما أحمدَ أمير المؤمنين أثرهُما في خدمته، وشكر قصْدهما في دولته؛ وكان السيد الأجلُّ قد بلغ إرْبه في الحلال، وحلَّ المحلَّ الذي لا تتعاطاه جوامِح الآمال؛ وقدْرُه يشرُف على كلِّ تكريم، وموضعُه يتميَّز عن كلِّ منٍّ جسيم، ومنزلتُه تسمُو عن كلِّ تعظيم - فأوصى أمير المؤمنين السيد الأجل أن يُقرّر له جميع خِدمه، ويُسبغ عليه في المستأنَف أضفى نِعَمه: فإن محلَّه يرتفع عن محلِّ الخِدَم الجليلة، ويسمُو عن كل تصرُّف يسِمُه في الدولة بسِمَة جميلة؛ ورأى أمير المؤمنين والسيد الأجل أن يُعلن بإسناد النيابة عن والدِهِ في أُمور المملكة إليه، ويُشْهر أنَّ ذلك معولٌ فيه عليه: ليخفِّف عن السيد الأجلِّ أمير الجيوش أمر أثقالها، ويتحمَّل عنه تكليفه بعضِ أحوالها؛ ترفيهاً للسيد الأجل عن التَّعب، وتخفيفاً من كَثْرة النَّصَب؛ على أنَّ عُلُوّ قدره الأجلِّ لم يُخلِه في وقتٍ من الأوقات من مشاركةٍ في التدبير، ولا صدَّه عن ممازجةٍ في مُهمٍّ كبير؛ بل ما برحتْ يدُه في جميع أحوال الدولة جائلة، وجلالةُ منصِبه تقضي بأن تكون تصريفاتُه لجميع الأمور شاملة؛ وتوقيعاته ماضيةً في الأموال والرجال، والجِهات والأعمال؛ وأمير المؤمنين والسيد الأجل يستسعِدان بأداته، ويتتبَّعان في كل السياسات ما هو موافقٌ لإراداته: لما خصَّه الله [به] من المرامي الصائبة، والمقاصِد التي السعادة على ما يرِد منها مُواظبة، وجبلَه عليه من المحافظة على حسْن المرجِع وحميد العاقبة - خرج أمر أمير المؤمنين إلى السيد الأجل بالإيعاز إلى ديوان الإنشاء بكتْب هذا السِّجلِّ لك: فتقلَّد ما قُلِّدته من النيابة عن والدك فيما إليه من أمور مملكتِه، وأحوال دولته؛ معتمداً على تقوى الله التي بها نجاة أهل اليقين، وفوز سُعداء المتقين؛ لقول الله عز من قائل: ﴿يأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وكُونُوا مَعَ الصَّادقِينَ﴾. واحملْ عن السيد الأجل والدك ما يُؤْثر أن تحملَه عنه من الأثقال، وتكفَّل ما يُكلِّفُك إيّاه من الأشغال؛ ونفِّذ ما يختار أن تُنفِّذه، وأنجز ما يُؤثر أن تُنجزه؛ وأمض ما يُشير إليك بإمضائه من أساليب التوقيعات، وفُنُون المُهمَّات؛ وقُم في كل من أمور نيابتك المقام الذي يُرضيه، ويوجبه بِرُّك ويقتضيه؛ وقد جعلك الله ميمُون النَّقيبة، مسعُود

الضريبة؛ مُكمَّل الأدوات، مؤَهَّلاً لترقِّي الغايات؛ لا تكْبر عن مباشرتِك كبيرة، ولا تشِفُّ عن رُتبتك رتبةٌ خطيرة؛ وأجرِ على عادة والدك في حسن السياسة والتدبير، والإجمال للأولياء لكما في كل صغيرٍ من الأُمور وكبير.

والوصايا متَّسِعة الفنون، كثيرة الشُّجُون؛ ولك من مزيَّة الكمال، وفضيلة الجلال، ومساعدة الإقبال، والخُبرة بالجهات والأعمال، وطوائف الأولياء والرجال؛ ما يُعينُك على ٱستنباط دقائقها، والعمل بحقائقها، وسُلوك أحسَن طرائقها.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجتُه عليك؛ فاعملْ بأحكامه، وأجرِ أمورك على نظامِه؛ وبالغ أيها السيد الأجل أمير الجيوش في شُكر نعمة الله التي ألهمَتِ الملوك إشاعة فضلك، ورتَّبت السُّعود على ٱكتناف عقدِك وحلِّك، ومنحتكَ آية كليم الله فجعلت لك وزيراً من أهلك؛ فاعلم هذا وٱعملْ به إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاتُه(١).

وكان للقضاة، في الدولة الفاطمية، منزلة لا تقل عن منزلة الوزراء وهم:

* **قاضي القضاة**
* **قاضي المظالم**
* **المحتسب.**

كان قاضي القضاة من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً. يقدم له من اصطبلات الخليفة بغلة شهباء يركبها دائماً، ويخرج له من خزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة، وفي المواسم الأطواق(٢).

وكان له النظر في الأحكام الشرعية ودور الضرب وضبط عيارها.

وكان يشترط فيمن يولى القضاء أن يكون حراً، عاقلاً، بالغاً، مسلماً، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً المآثم، بعيداً من

---

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ١٠، ص ٣١٨.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٤٧٥ وما بعدها.

الريب، مأموناً في الرضا والغضب، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه، سليم السمع والبصر واللسان، عالماً بالأحكام الشرعية، غير محدود في قذف.

وجرت العادة أن يرافق تعيين القاضي رسوماً معينة. فبعد أن يخلع عليه في قصر الخليفة، بحضرة الأمراء وغيرهم، أن يتوجه ومعه الناس والشهود إلى المسجد الجامع على بغلة مسرجة، وتساق بين يديه اثنتان، وبين يديه خلع من تحف الثياب في مناديل يبلغ عددها سبعة عشر، ومتقلداً سيفاً، يقرأ سجله هناك وهو قائم على قدميه[1].

ويمنح القاضي عند توليه خلعاً تنسج بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان[2].

وكانت مناصب القضاء وراثية، توارثتها بعض الأسر من سنية وشيعية كأسرة النعمان وأسرة اليازوري وأسرة العوام وغيرهم. وكان يطلق على القاضي العديد من الألقاب منها: قاضي القضاة، أستاذ الدعوة بالقصر، داعي الدعاة، أمين الأئمة، وأمير الأمراء، أمين أمير المؤمنين، الموفق في الدين، الأجل المكين، الناصر لدين الله. . . وغيرها.

وكان القاضي يفصل في الخصومات المدنية والجنائية والحكم في الفروج والأنكحة والطلاق والنفقات وتنصيب الأولياء وصحة العقود وبطلانها. وكان عليه، فضلاً عن ذلك، أن يرافق الخليفة ويؤدي أعمالاً وفقاً لرسوم وتقاليد معينة أيام المواسم والحج والأعياد الرسمية وركوب الخليفة في المواكب.

ويعاون القاضي الجلاوزة، وهم الأمناء الذين يقفون على باب مجلس القضاء وقت انعقاد الجلسة، وظيفتهم المحافظة على انضباط الجلسات واستدعاء الخصوم الذين طلب القاضي استدعاءهم.

أما قاضي المظالم فكان يعين غالباً بمرسوم من الخليفة، ويقرأ سجله في المسجد الجامع حيث كان يعقد جلساته عادة.

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ٢١٤.
(٢) المرجع السابق.

يقوم قاضي المظالم بالنظر في القضايا التي يرفعها الأفراد والجماعات على الولاة الذين ظلموهم، أو لم يسلكوا طريق العدل معهم، وعلى عمال الخراج إذا توسعوا في جباية الضرائب منهم.

ومن مآثر الفاطميين أنهم خصصوا موضعاً في دار الخلافة يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون، وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين. وكان إذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عالٍ: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، علي ولي الله» فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو أحد موظفي الدولة الكبار.

أشهر من تولى منصب قاضي القضاة في الدولة الفاطمية:

- النعمان بن محمد بن منصور القيرواني (ت: ٣٦٣هـ).

- علي بن النعمان بن محمد بن منصور وكان شاعراً مجوداً، وهو أول من لقب بقاضي القضاة في مصر (ت: ٣٧٤هـ).

- محمد بن النعمان بن محمد بن منصور، عرف بالعلم والصيانة وإقامة الحق. قال ابن زولاق: لم نشاهد بمصر لقضاة من الرئاسة ما شاهدناه له، وما بلغنا ذلك عن قـاضٍ بالعراق... استحقاقاً لما فيه من العلم والصيانة والهيبة وإقامة الحق، وقد ارتفعت رتبته حتى أن العزيز أجلسه معه يوم الأضحى على المنبر وزادت عظمته في دولة الحاكم (ت: ٣٨٩هـ)[١].

- الحسين بن علي بن محمد بن منصور (ت: ٣٩٤هـ).

- عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن محمد بن منصور (ت: ٤٠١هـ).

- الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ولي القضاء سنة ٤٤١هـ، ثم أضيف إليه الوزارة، وهو أول من جمع بينهما ثم صرف عنهما سنة ٤٤٥هـ.

- عبد الحاكم بن وهب.

---

(١) الذهبي - العبر في خبر من غبر ج/٣، ص ٤٧.

- مجد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت: ٤٥٤هـ).

- هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي الخليفة العاضد، وأحد الثمانية الذين سعوا لإعادة الدولة الفاطمية، فشنقهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ[١].

ومن أشهر القضاة:

- الحسين بن علي بن إبراهيم بن الزبير الملقب بالقاضي المهذب وأخوه القاضي الرشيد.
- عبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالقاضي الجليس.
- محمود بن إسماعيل بن حميد الفهري المعروف بابن قادوس (ذي البلاغتين).
- محمود بن الموفق بن قادوس (كافي الكفاة).
- أبو طاهر الهزكي.
- ولي الدين أحمد بن علي بن خيران.
- الموفق بن الخلال.
- جلال الدين محمود الأنصاري.

والآن نذكر نسخة كتاب تعيين قاضي القضاة، ونسخة من كتاب تعيين قاض.

هذا ما عهد عبد الله ووليه... (يذكر اسم الخليفة الفاطمي ولقبه) للقاضي... (وهنا يذكر اسم القاضي واختصاصه الإقليمي والنوعي)، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وانتحاه وقصده وتوخاه؛ ومن اقتنائه لآثاره وانتهائه إلى إيثاره، في كل علية للدولة ينشرها ويحييها، ودنية من أهل القبلة يدثرها ويعفيها، وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين، عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه من أمورهم وولاه.

---

(١) التنوخي ـ المختار من حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، اختيار محمد محمود صبح، ص ١٨٤.

أمره أن يتقي الله عز وجل حق التقوى، في السر والنجوى، ويعتصم بالثبات واليقين والنهى، وينفصم من الشبهات والشكوك والهوى، فإن تقوى الله تبارك وتعالى موئل لمن وئل إليها، حصين؛ ومعقل لمن اقتفاها، أمين ومعمول لمن عول عليها، مكين، ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا الله وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**.

وأمره ألاّ ينزل ما ولاه أمير المؤمنين إيّاه من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار والفروج والأموال، عن منزلته العظمى من حقوق الله المحرمة، وحرماته المعظمة، وبيناته المبينة في آياته المحكمة، وأن يجعل كتاب الله عزّ وجلّ وسنة جدنا محمدٍ خاتَم الأنبياء والمأثور عن أبينا عليٍّ سيد الأوصياء وآبائنا الأئمة النجباء صلّى الله على رسوله وعليهم، قبلة لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكـون المتجه، فيحكم بالحق، ويقضي بالقسط ولا يحكّم الهوى على العقل ولا القسط على العدل، إيثاراً لأمر الله عز وجلّ حيث يقول: **﴿فاحْكُم بينَ النَّاسِ بالحقِّ ولاَ تتَّبع الهَوىٰ فيُضِلك عنْ سَبيلِ الله إنَّ الَّذِينَ يضلُّونَ عنْ سَبيلِ الله لِهُمْ عَذَابٌ شدِيدٌ بِما نسُوا يوْمَ الحسَابِ﴾ ﴿ولاَ يَجْرِمنَّكُم شنآنُ قوْمٍ علىٰ أنْ لاَ تعْدِلُوا اْعدِلُوا هوَ أقْرَبُ للتَّقوىٰ واتَّقُوا الله إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تعْمَلُونَ﴾**.

وأمره أن يقابل ما رسمه أمير المؤمنين وحده. . . . والقصر من عنان كل متطاول على الحكم والقبض من شكائمه، بالحق المفترض لله عزّ وجلّ ولأمير المؤمنين عليه، من ترك المجاملة فيه، والمحاباة لذي رحم وقربى، وولي للدولة أو مولى، فالحكم لله ولخليفته في أرضه، والمستكين له لحكم الله وحكم وليّه يستكين، والمتطاول عليه، والمباين للإجابة إليه، حقيق بالإذالة والنهوض فليتّق الله أن يستحي من أحد في حق له **﴿والله لا يستحيي من الحق﴾**.

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم في المواضع الضاحية للمتحاكمين، ويرفع عنهم حجابه، ويفتح لهم أبوابه، ويحسّن لهم انتصابه، ويقسّم بينهم لحظه ولفظه، قسمة لا يحابي فيها قوياً لقوته ولا يردي فيها ضعيفاً لضعفه، بل يميل مع الحق ويجنح إلى جهته، ولا يكون إلاّ مع الحق وفي كفته، ويذكر

بموقف الخصوم ومحاباتهم بين يديه موقفه ومحاباته بين يدي الحكم العدل الديان: **﴿يَوْمَ تجِدُ كلُّ نفْسٍ ما عمِلَتْ منْ خيرٍ مُحْضراً، وما عمِلَتْ من سُوءٍ تودُّ لوْ أنَّ بينَها وبيْنَهُ أمداً بعيداً، ويُحذِّركُم الله نفسَهُ﴾**.

وأمره أن ينعم النظر في الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع في منافذ القضايا ومقاطع الأحكام، ويستشفّ أحوالهم استشفافاً شافياً، ويتعرف دخائلهم تعرفاً كافياً، ويسأل عن مذاهبهم وتقلبهم في سرّهم وجهرهم، والجلي والخفي من أمُورهم، فمن وجده منهم في العدالة والأمانة والنزاهة والصيانة وتحرّي الصّدق والشَّهادة بالحق، على الشيمة الحسنى والطريقة المثلى أبقاه وإلا كان بالاسقاط للشهادة أولى، وأن يُطالع حضرة أمير المؤمنين بما يبدو له فيمن يعدله أو يردّ شهادته ولا يقبله، ليكون في الأمرين على ما يحدّ له ويمثله، ويأمن فيما هذه سبيله كل خلل يدخله، إذا كانت الشَّهادة أسس الأحكام وإليها يرجع الحكّام، والنظر فيمن يؤهل لها أحق شيء بالأحكام، قال الله تقدست أسماؤه: **﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قوَّامِينَ بالقِسْط شُهداءَ للهِ ولوْ علَىٰ أنْفُسِكُم أو الوالِدَينِ والأقْرَبِينَ﴾** وقال تعالى: **﴿والَّذِينَ لا يشْهَدونَ الزُّور وإذَا مرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾**.

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولي الخلل في عقولهم والعُجّز عن القيام بأموالهم، حتى يحوز أمرها على ما يرضي الله ووليّه من حياطتها وصيانتها من الأمناء عليها، وحفظهم لها، ولفظهم لما يحرّم ولا يحلّ أكله منها؛ فيتبوّأ عند الله بعداً ومقْتاً آكلُ الحرام والموكل له سُحتاً، قال الله تعالى: **﴿إنَّ الَّذِينَ يأْكُلُونَ أموالَ اليَتَامىٰ ظُلْماً إنَّما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم ناراً وسيصْلَوْنَ سعِيراً﴾**.

وأمره أن يشارف أئمة المساجد والقومَة عليها، والخطباء بها والمؤذنين فيها، وسائر المتصرفين في مصالحها، مشارفة لا يدخل معها خلل في شيء يلزم مثله، من تطهير ساحتها وأفنيتها، والاستبدال بما تبذل من حصرها في أحيانها، وعمارتها بالمصابيح في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها وإفاءتها لأوقاتها، وتوفيتها حق ركوعها وسجودها مع المحافظة على رسومها

وحدودها، من غير ٱختراعٍ ولا ٱختلاعٍ لشيء منها: **﴿إنَّ الصَّلاَةَ كانتْ علَىٰ المُؤْمِنِينَ كِتَاباً موقُوتاً﴾**.

وأمره أن يرعى دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقات يحتاطون عليها من كل لبس، ولا يمكنون المتصرفين فيها من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئاً من الوكس، إذ كان بالعين والورق تتناول الرباع والضياع والمتاع ويبتاع الرقيق، وتنعقد المناكح وتتقاضى الحقوق فدخول الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحة للدين، وضرر على المسلمين يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين، وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم وأرشد وأعمد من تمكنه الاستعانة به على ما طوقه أمير المؤمنين في ٱستعماله، قال الله عز وجل: **﴿إنَّا عرَضْنا الأمانَةَ علَىٰ السَّمواتِ والأرْضِ والجِبالِ فأَبَيْنَ أنْ يحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحمَلَها الإنسانُ إنَّه كانَ ظلُوماً جهُولاً﴾**.

أمرها لك فاعمل بها وحاسب نفسك قبل حسابها، ولا تدع من عاجل النظر لها أن تنظر لمآبها: **﴿يومَ تأْتِي كلُّ نفْسٍ تُجادِلُ عنْ نفْسِها وتوفَّي كلُّ نفْسٍ ما عمِلَتْ وهم لا يُظْلَمُونَ﴾**.

كتب في .... (وهنا يذكر اليوم والشهر والسنة)(١).

كتاب تعيين قاض:

من عبد الله ووليه عبد الله أبي محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين، إلى القاضي المؤتمن الأمين، علم الدين، خالصة أمير المؤمنين؛ وفّقه الله لما يُرضيه، وسدّده فيما يذره ويأتيه، وأعانه على ما عُدق به ووليه.

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، ويسأله أن يصلّي على جده سيد ولد آدم، وعالم كل عالم؛ ومُبْقي كلمة المتقين على اليقين، ومُعلي منار الموحِّدين على المُلْحدين؛ صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وعلى أُمراء المؤمنين، صلاةً تتصل في كل بُكرة وأصيل، ويُعدّها أهل الفضل وأهل التحصيل؛ ووالىٰ وجدّد، وعظّم ومجّد، وكرّر وردّد.

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ١٠، ص ٣٨٥.

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نفاذ حُكْمه ومضاء حكمته، وفوّضه إليه من إمامة أمّته؛ وأفاضه عليه من أنوار كشفت غمامة كل غُمّة، وشرّدت بعدله من بسطة ظُلم وسطوة ظلمة؛ وأظهره له من حقٍّ نصب للنصر علَمه وللهداية عِلْمه؛ وأيده به من كل عزمة فتكت بكل أزمة، ووكَّل به همه من إتمام نعمة وٱبتداء نعمة؛ وأطلق به يده من معروف روّض الآمال صوب مِدراره، وبدت على الأحوال آثار إيثاره؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وٱستقال به الرخاء من وهدات عِثاره؛ وعضّد به أفعاله من أمور التوفيق ٱتّباعاً وٱقتضاباً؛ وألهمه من مُوالاة الآلاء التي لا تذهب عهود عهادها ٱنقضاءً ولا ٱنتضاباً؛ ويسَّر له عزيمةً من الآراء التي لا تُكسب إلا حمداً أو ثواباً ـ يختص بإحسانه من ينص الاختبار على أنه أهل للاختيار؛ وتُفيض الأحوال من حوالي أوصافه ما يُديم المطار في الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوي الاستيجاب، ويصطنع الصَّنيعة بإقرارها في مغارس الاستطابة والاستنجاب؛ ويرشح لخدمه من عُرف ذكره بأنه فائح، وعَرْف عُرفه ناصع ناصح؛ ويبوّىء جِنان إنعامه من أحسن عملاً، وٱستحقت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلاً، ولم تبغ تصرُّفاته في كل الأحوال عنها حولاً؛ ودرّجته خصائصه العلية فاقتعد صهوات الدَّرجات العُلى، وٱستحق بفضل تفضيله أن يُولىٰ الجميل جملاً؛ وعُرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقتضاها ولا يتضاها، وزُويت مسالك الغناء بصدره فضاها فضاها.

ولما كنتَ أيها القاضي المشتمل على هذه الخِلال اشتمال الروض على الأزاهر، والأفق على النُّجوم الزواهر؛ والعقود على فاخر الجواهر، والخواطر على خطراتها الخواطر، والنَّواظر على ما تُصافح من الأنوار وتُباشر؛ المُثري من كل وصف حسن، المتبوع الأثر بما فرض من المحاسن وسنّ؛ الكالىء ما تُستحفظ بعين كفايةٍ لا يُصافح أجفانها وسن؛ الأمين الذي تُريه أمانته متاع الدنيا قليلاً، وتُصحبه ناظراً عن نضارتها كليلاً؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذي لا يسلو العصبة عن هواه، المخلص النية في الولاء و«لكلِّ ٱمرىء ما نواه» الناصح الذي يُنزّه ما يُلابسه عن لباس الرَّيب، البعيد عن مظانّ الظُّنون فلا تتطلع

الأوهام منه على غيب؛ النقيَّ الساحة أن يغرس بها وصْمه، التقيَّ الذي لا تُخدع يده عن التمسك ما ٱستطاع بحبل عِصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يُستودع دهر الوفاء، المتوسِّل بموات تُوجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلاً ويافعاً، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعاً؛ وحسبُك أنك حملت الأمانة وهي حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشفيت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمته يوم تنقطع الأسباب؛ وأصبح محلُّك في الدارين آهلاً أثيراً؛ وكنت ممن قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خيْراً كثيراً﴾.

وقد خالطت في مواكب أمير المؤمنين المعقِّبات التي من بين يديه ومن خلفه، وقرُبت من مجالسه المشتملة منه على عنوان عناية الله بالبريّة ولُطفه، ونوره الذي كلّت العيون عن كشفه والحِيل عن كسفه؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين، أمراء المؤمنين، إلى سوابق سبقت بها في كل مضمار، وجمعت في المخالصة فيها بين الإعلان والإضمار؛ وسبر التجريب حالتيك بصحائف خِبْرة، واستمرت بك الحال في القرب منهم وفي تقلُّب الأحوال عِبرة؛ وتدرجت في حُجُب القصور، وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قصور؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك مضمونة، وسريرتك على الأسرار المصونة مأمونة؛ وما ٱعوجّت معالم إلا وكان تقويمها بتقويمك، ولا ٱستيقظت حيلة فخاف الحقُّ سبيل غيِّها بتهويمك؛ وإنّ كل قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ما تملك بتلاوة الذِّكر الحكيم، ولا يسلك من قلبه ما تسلك بمُعجز جدّه العظيم؛ فأنت تخدم أمير المؤمنين بقلبك موالياً، وبلسانك تالياً؛ وبنظرك مؤتمناً، وبيدك مُختزناً؛ لا جرم أنك حصدت ما زرعت طيباً، وسقاك ما استمطرت صيباً، وزُفَّت لك الأيادي بكراً وثيِّباً، وحللت يفاع المنازل مستأنساً إذا حلّ غيرك وهداتها متهيباً.

فأما حرمتك التي بوّأتك من الاختصاص حرماً، وجعلتك بين الخواص علماً؛ وتوالي يدك بلمس ما حظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر، واشتمل على زهر النُّضار وزهر الجواهر، فذلك جارٍ مجرى السكة والدعوة في أنهما أمانة تعمّ العباد والبلاد، وهذه أمانة تخصُّ النفوس والأجساد؛ ولك مما في

خزائنه وكالة التخيير والتعيير، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغيير؛ وهذه مواتٌّ تجعل سماء السماح لك دائمة الديم، وتُسكن آمالك في حرم الكرم؛ وتعقد بينك وبين السعادة أوكد الذِّمم، وتتقاضى لك جدود الجد بقدم الخِدم.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه، الذي زُهي الزمان به فتاه؛ ووزيره، الذي عزّ به منبره وسريره، السيد الأجلّ أفضل الملوك قدراً، وأكثرهم قُدرة، وأعظمهم صبراً؛ وأدربهم نُصرة، وأفيضُهم جُوداً غمراً، وأكشفهم لغمرة، وأمضاهم على الهول صدراً، وأردهم لكرّة، وأثبتُهم جأشاً وصليل السيوف يخطب والمقاتل تسمع، وأوضحهم في استحقاق المجد حجّة شرعتها الرماح الشُّرع؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين لمشقة، وأشدهم وطأةً على من جحد نوره وعقّ حقّه؛ فالدنيا مبتسمة به عن ثغور السرور، والملك بكفالته بين وليٍّ منصور وعدوّ محصور؛ فأسفرت سفارته عن أنك من أمثلِ ودائع الصَّنائع وأكفاء الاستكفاء، وأعيان من يحقّق اختيارهم وفضلهم العيان، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل؛ وأن الصنيعة ثوب عرك(؟) داره، وجار قد عقد بين شكرك وبينه جواره؛ وقرّر لك تقدمةً في الحضرة لأنك فارسهم آسماً وفعلاً، وأوّلهم حين تتلو وحين تتلى؛ والنظر على المؤذّنين بالقُصور الزاهرة، والمساجد الجامعة؛ وبالمشاهد الشريفة: لأن الأذان مقدمة بين يدي القرآن، وأمارة على معالم الإيمان؛ والنظر في تقويم ما يرِد إلى الخزانة العالية الخاصّة والعامة من الملابس على اختلاف أصنافها، والأمتعة على ائتلاف أوصافها؛ ومشارفة خزانة الفُروش ليكمل لك النظر في الكسوات التي تصان للملبوس، والكسوات التي تُبتذل للجلوس؛ وخزن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر في الذهب مصوغاً ومرقوماً، وخزناً وتقويماً؛ واستصوب أمير المؤمنين ما رآه، وأمضى ما أمضاه؛ وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك.

فاعرف قدر ما عُدق بك من أمور دين ودنيا، وخِدم لا تقوى عليها إلا بلباس التقوى؛ وأنك قد أصبحت لجنّات أنعم أمير المؤمنين رضواناً، ويدك للفظ أحسانه لساناً؛ وباشر ذلك مستشعراً خشية الله في سرّك وجهرك، متحققاً

أنه غالب على أمرك؛ مدّخراً من الأعمال الصالحة ما يبقى عند فناء ذخرك، مستديماً للنعمة بما يقيّدها من شكرك، وما يصونها أن تُبتذل من بِشرك؛ عالماً أن التّقية حلية الإيمان، وضمان الأمان، وزاد أهل الجنان إلى الجنان، بقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ﴾.

وأخلِص نيَّتك في خدمة أمير المؤمنين فمع الإخلاص الخلاص، وأدِّ له الأمانة فإن أداءَها أطيب القصص يوم القصاص؛ وقُم في خدمته المقام المحمود، واستدم بها صعود ركاب السُّعود؛ فقد عرّفك الله بركة النصيحة وعوائدها، وأنجزت لك الآمال المنبسطة مواعِدها؛ وٱستشرِفْ أحوال القراء فهم أحقّ قوم بالتهذيب، ولُزوم أساليب التأديب؛ فمن كانَ للآيات مرتلاً، وللدراسة متبتّلاً؛ وبأثواب الصلاح متقمصاً، وبخصائص الدين متخصِّصاً؛ ولما في صدره بقلبه لا بلسانه حافظاً، وعلى آداب ما حفِظ مُحافظاً؛ فذلك الذي تُشافه تلاوته القلوب، وتروض بأنواء المدامع جُدوب الذُّنوب؛ ومن كان دائم الإطالة في سفر البطالة، ساتراً لأنوار المعرفة بظُلم الجهالة؛ فحقٌّ عليك أن تصرفه وتُبعده، وتجعل التوبة للعود موعده؛ وكذلك المؤذنون فهم أُمناء الأوقات، ومتقاضون دُيون الصلوات؛ ولا يصلح للتأذين إلا من كانت أوصاف عدالته، وأُمنت أوصام جهالته.

وأما الأمانة في الأموال التي وُكلت إلى خزنك وختمك، والأمتعة التي وُكلت إلى تقويمك وحُكمك؛ فأن تؤَدى بسلوك أخلاقك وهي الأمانة، وٱتّباع طباعك وهي الإباء للخيانة؛ وأن تستمر على وتيرتك، ومشكور سيرتك؛ ومشهور سريرتك، ومُنير بصيرتك؛ وأن لا تُؤْتى من هوًى تتبعه، ولا حيفٍ تبتدعه، ولا قويٍّ تنخدع له، ولا ضعيف تخدعه؛ ولا من محاباة وإن أحببت، ولا من مُداجاة كيفما تقلّبت؛ وٱذكر ما يُتلى من آيات الله في مثلها: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إِلىٰ أَهْلِها﴾ والله يتولى توفيقك وتوقيفك، ويُديم [على] ما يحبُّ تصريفك؛ إن شاء الله تعالى[1].

* * *

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ١٠، ص ٣٤٤.

إلى جانب الوزراء والقضاة يقف المحتسب.

ووظيفة الحسبة، في الإسلام، من الوظائف الدينية الهامة لأن قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغرضها الإصلاح بين الناس، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين.

وكان يراعى في اختيار المحتسب التقوى والصلاح والورع وحسن الإيمان بالله والعلم بأحكام الشريعة.

وكان يقرأ سجله بمصر (الفسطاط) وبالقاهرة. ويخلع عليه في المسجد الجامع على المنبر.

ويد المحتسب مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويساعده والي المظالم عند الحاجة، وتقوم الشرطة بتنفيذ أحكامه. وكان ديوان المحتسب متصلاً بديوان القاضي، ويجلس بجامعي عمرو والأزهر.

ولما كانت الحسبة من قواعد الأمور الدينية، فقد تولاها، في العصر الفاطمي، بعض الأئمة بأنفسهم كالحاكم بأمر الله(١)، كما تولاها أيضاً الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٦٣هـ(٢) وأسندت أعمال الحسبة أحياناً الى متولي الشرطة بمصر والقاهرة(٣).

وكان المحتسب يتخذ لكل أهل صنعة عريفاً ممن اشتهر بالتقوى والصلاح، خبيراً بصنائعهم، بصيراً بغشهم وتدليسهم، مشهوراً بالثقة والأمانة ليخبره عن سلعهم وبضائعهم ومبلغ جودتها ورداءتها وأسعار أثمانها ليقف على كل صغيرة وكبيرة منها.

وكان المحتسب يطوف المدينة ليلاً أو نهاراً راكباً وماشياً وحوله الأعوان والنواب والعرفاء والغلمان ينتقل من دكان إلى دكان ومن حانوت إلى آخر، يمر على الكتاتيب وينظر المساجد ويتفقد الطرق ويدخل دكاكين الأطباء والعشابين

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ٢٧٣.

(٢) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ٥، ص ٤٥٢.

(٣) المقريزي ـ إغاثة الأمة، ص ١٨.

وكانت اختصاصات المحتسب تشمل:

* **في البيع والشراء**: مراقبة الموازين والمكاييل وضبط نشاط الدلالين والسماسرة.

* **في الآداب العامة**: مراعاة الآداب العامة في الطرقات والأسواق وعدم التعرض للنساء أو التحرش بالفتيات.

* **في الطعام**: مراقبة الحبوبيين والدقاقين والعلافين والطحانين والخبازين وصناع الزلابية والجزارين والقصابين والشوائين والرواسين وقلاة السمك والحلوانيين والسمانين وغيرهم.

* **في الكساء**: مراقبة البزازين (باعة القماش) والحاكة والخياطين والقطانين والكتانيين والحريريين والصباغين والرفائين والقصارين والأساكفة.

* **في الصحة العامة**: مراقبة الصيادلة والعطارين والشماعين والشرابيين والحمامات وقومتها والفصادين والحجامين والأطباء والكحليين والمجبرين.

* **في الصناعة**: مراقبة النحاسين والحدادين والسروجيين وغيرهم فضلاً عن مراقبة أعمال الصيرفة والصياغة وسك العملة ومؤدبي الصبيان، ويشرف على حرية أهل الذمة الدينية والمدنية وفق الأمان المعطى لهم.

كما شملت صلاحياته الحيوانات والدواب فكان يطلب إلى أصحابها ألا يتركوها سائبة دون طعام أو شراب حتى إن استغنى عنها صاحبها، بل ألزم صاحب كل دابة بتقديم الطعام والماء لها في أوقاته وسير أحداً من أعوانه يتفقد الدابة في مواعيد إطعامها وإروائها، فإن لم يعرف صاحبها، جمعت الدواب الضالة، وأفرد لها متسعاً من الأرض المسورة، وعيّن من يقوم بخدمتها حتى يقضي أجلها.

وكان له أيضاً حمل المماطلين على دفع ديونهم لدائنيهم، وأمر العامة بالصلوات الخمس في مواعيدها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس[١].

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ٢٨٣.

وفيما يلي صورة كتاب بولاية الحسبة:

من شُكرت خلائقه، وتهذّبت طرائقه، وأُمنت فيما يتولاه بوائقه؛ ونيطت بعُرى الصواب علائقه، وفُرجت بسداده مسالك الإشكال ومضايقه؛ واستحوى من الأمانة قريناً في التصرفات يرافقه ولا يفارقه، ونهض إلى الاستحقاق ولم تعقه دونه عوائقه، وأثنى عليه لسان الاختبار وهو صحيح القول صادقه ـ استوجب أن يُخصَّ من كل قول بأجمله، وأن يُعان على نيل رجائه وبلوغ أمله؛ وأن يُقتدح زند نيَّته ليُرى نور عمله، وتُيسَّر إلى النجاح متوعرات طرُقه ومشكلات سُبُله؛ وأن يقابل جريانه في الولاية قِبلة فيظهر عليه أثر الإحسان فيكون الشكر من قِبل الإحسان لا من قبله؛ ويُوردَ من موارد النجح ما يتكفّل له بالريّ من غُلله، وَيُوسم من مياسم اَلاصطناع ما يكون حلية أوصاله ويشفع سداد خِلاله في سدّ خَلله.

ولما كنت أيها الشيخ المشتمل على ما تقدم ذكره، المستكمل من الوصف ما يجب شكره؛ الآوي إلى حرز من الصيانة حريز، المستغني بغنائه عن الاستظهار بعزوة العزيز؛ المستوجب إلى أن يُعدّ من أهل التمييز لأنه من أهل التمييز، المستوعب من الخِلال الجميلة ما لا يقتضيه القول الوجيز؛ المخرِج من قضايا الدَّنايا فما يستبيح محرَّمها ولا يستجيز، الممدّح في خدم كلِّها أخلصته خلاص الذهب الإبريز؛ وكانت له مضماراً تشهد له أفعاله [فيها] بالسبق والتبريز، المتوسل بأمانة عزَّ بها جنابه عن الشُّبهة ووجدانها في الناس عزيز ـ تقدم فتى مولانا السيد الأجل باستخدامك على الحسبة بمدينة كذا: فباشر أمرها مباشرة من يبذل في التقوى جُهداً، فلا يرى غيرها على ظمَإٍ وِرداً؛ ولا يراه الله حيث نهاه، ولا يأمره أبداً وينهاه إلا نُهاه، ولا يرى ما كشفته إلا وهو عالم أنّ الله يراه؛ وٱنتهِ فيها إلى ما ينتهي إليه من بذل غاية وُسعه، ومن لا يرتدُّ عن جرركيه من عموم نفعه؛ ومن يدُلُّ بتهذيب طباع الناس على طهارة طبعه، ومن يستجزل حسن صنيع الله لديه بحُسْن صنعه، ومن يستدعي منه بذل فضله بحظر ما أُمر بحظره ومنعه. وٱسلك فيما تستعمله من أمرها المذهب القصد والمنهج الأقوم، وٱجتهد فيها ٱجتهاد معتصم بحبل التقوى المتين وسببها

المُبرم. وآمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم. واستوضح أحوال المطاعم والمشارب، وقوِّم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب. وعيِّر المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس؛ وحذِّر أن تحمّل دابة ما لا تطيق حمله، وأدب من يجري إلى ذلك يتوخى فعله؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتُنير بالنظافة مسالكها، كما تنير بالإضاءة حوالكها؛ ففي ذلك إظهار لبهجتها وجمالها، وإيثار لصيانتها عن إخلاق نضرتها وآبتذالها؛ ولا تمكّن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر، قاطعاً للسان الخصام ومُوقظاً لعين الفكر؛ فأما من يجعلها سُوقاً للتجارة، فقد حصل بهذه الجسارة على الخسارة؛ فهي ميادين الضُّمر، وموازين الرُّجح في الظاهر من أعمالهم والمُضمر؛ وما أحقَّ لياليها أن تقوم بها الهجّد لا السُّمَّر، وهل أذِن الله أن تُرفع لغير آسمه أو تعمر؛ وآحظر أن يحضُر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوعره، وافعل في هذا الأمر ما يردع العابث ويزجره. وخذ النصارى واليهود والمخالفين بلُبس الغيار وشدِّ الزنار، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزّة وفي المخالفة من الصَّغار؛ وإبانة بالشدّ للتأهّب للمسير إلى النار، وتفريق بين المؤمنين والكفّار؛ وأدِّب من يكيل مطفِّفاً، أو يزن متحيفاً، أدباً يكون لمعاملته مزيفاً، وله من معاودة على فعله زاجراً ومخوّفاً؛ فاعلم هذا وآعمل به، إن شاء الله تعالى(١).

وكانت الادارة الرئيسية للدولة تدار بواسطة دواوين مضبوطة أحسن ضبط. لكل ديوان منها موظفون يقومون بأعماله والإشراف عليه.

كانت دواوين الدولة عندما قدم المعز إلى مصر، في دار الإمارة بجوار الجامع الطولوني. فلما تولى الوزارة يعقوب بن كلس سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م نقل الدواوين إلى داره، وبقيت فيها إلى أن توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، فنقلها العزيز بالله الى القصر. ثم لما استأثر الأفضل بن بدر الجمالي بالسلطة إثر مقتل أبيه سنة ٤٤٨هـ/ عمّر دار الملك، ونقل إليها الدواوين. فلما قتل الأفضل

(١) القلقشندي ـ صبح الأعشى ج/ ١٠، ص ٤٦٠.

سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، عادت الدواوين الى القصر من جديد[١].

وكان من أهم دواوين الدولة:

* **ديوان أسفل الأرض**، أو الوجه البحري أو الدلتا ويعنى بالنظر في أقاليم الوجه البحري الإدارية.

* **ديوان أعلى الأرض**، أو ديوان الصعيد. وكان يعنى بالنظر في أقاليم الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى.

* **ديوان الإنشاء والمكاتبات**، وكان أهم ديوان في الدولة. يتولاه أجلّ كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأجل، ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم الرسائل التي ترد من الولاة ويتولى النظر في الوارد منها والصادر ويعرضها على الخليفة.

كان يعاون صاحب ديوان الإنشاء عددمن أكابر الكتاب وأرباب الأقلام منهم صاحب التوقيع بالقلم الدقيق على المظالم وصاحب التوقيع بالقلم الجليل.

* **البريد**: كان الإشراف على البريد من اختصاص صاحب ديوان الإنشاء.

وكانت الدولة الفاطمية تضم شبكة من الخطوط البريدية الواسعة جداً، أهمها:

ـ الخط من القاهرة إلى قوص ويمر بالجيزة وزاية أم حسين وونا وبباو ودهروط وقلوحنا ومنية ابن خصيب والأشمونيين ودرده سربام ومنفلوط وأسيوط وطما والمراغة وبلصفورة وجرجا والبلينا والكوم الأحمر وندره وقوص.

ـ الخط من قوص الى بلاد النوبة ماراً بأسوان.

ـ الخط من قوص الى سواكن ماراً بكيمان قفط ولقيطه وعيذاب وبني عامر وحميثرة.

---

(١) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٩٧.

ـ الخط من القاهرة الى الاسكندرية عن طريق وردان ماراً بالجيزة وجزيرة القط ووردان وطرانه ودمنهور ولقينه والاسكندرية.

ـ الخط من القاهرة إلى الاسكندرية عن طريق قليوب ماراً بقليوب ومنوف والمحلة والتحريرية.

ـ الخط من القاهرة إلى دمياط ماراً بسرياقوس وبلبيس والسعديين والبيضا وأشمون.

ـ الخط من دمياط الى غزة ماراً بأشمون والصالحية وقاطبه والعريش والخروبة ورفح.

* **ديوان الجيش والجهاد**: كان من أهم الدواوين في الدولة الفاطمية، ويضم أيضاً ديوان الرواتب. ومهمته معرفة أحوال الجند.

كان الجيش الفاطمي منظماً تنظيماً دقيقاً. وكان ينقسم إلى خمسة أقسام: مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة الجيش(١).

ويتألف من الفرسان والرجالة. على كل عشرة عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير سلاحه السيف.

وكانت أسلحة الجيش السيوف بأنواعها والأقواس والسهام والرماح والحراب والخناجر والدروع والغفارات والتجافيف والمجانيق والدبابات.

وقد أكثر الفاطميون من استعمال الخيول في الجيش، كما استعملوا العجلات لنقل الذخائر(٢).

وقد امتاز الجيش الفاطمي بسرعة الحركة والنشاط والصبر على المكاره والاستهانة بالموت.

وكان أفراد الجيش مدربين تدريباً عالياً على مختلف أنواع الرياضات

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٥٠.
(٢) المرجع السابق.

وفنون القتال كالمشي والجري والوثب والقفز لعدة أمتار ولعب التتابع والوثب العالي والوثب الطويل ورمي الجلة ورمي القرص ورمي الرمح وكرة القدم والملاكمة والمبارزة والشيش والمصارعة والتجديف والسباحة وركوب الخيل وطرق إنقاذ الغرقى وإطفاء الحرائق والإنقاذ منه والإسعافات الأولية وطرق حمل المصابين إلى معسكراتهم[١].

وكان الخليفة يقوم من وقت إلى آخر بتفقد حالة الجيش وأسلحته، ويشرف على تدريب عناصره.

وكان يرافق الجيش في حملاته كاتباً وترجماناً وقاضياً وعمالاً مهمتهم تمهيد الطريق أمام الجيش والمساعدة في تركيب آلات الحرب، وأطباء مجهزين بما يلزم المرضى من أدوات وأدوية وأشربة لمعالجة الجند عند القتال وإسعافهم.

ويلحق بديوان الجيش، ديوان الجهاد أو ديوان العمائر يختص بالنظر في أمر الأساطيل المدنية والحربية وإنشائها وتسييرها والإنفاق عليها وعلى رجال البحر. ولهذا الديوان إيرادات خاصة للإنفاق منها على رؤساء المراكب ورجالها.

وقد اهتم الفاطميون بدور صناعة السفن. وكانت صناعة السفن الحربية تتم بالجزيرة وفي سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، نقل الوزير المأمون البطائحي عمارة المراكب الحربية الى الصناعة القديمة بساحل الفسطاط[٢].

وكان الأسطول الفاطمي يضم عدداً كبيراً من السفن المتنوعة وهي:

الشواني: وهي أهم القطع في الأسطول الفاطمي، وهي سفينة حربية كبيرة تتخذ لها الأبراج العظيمة والقلاع وتزود بالعدد والآلات الحربية وتجهز بالأسلحة النفطية لتستعمل في الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) السيوطي ـ المختار من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، اختيار محمد محمود صبح، ص: ٢٢٨.

الحراريق (الحراقات): وهي مراكب حربية كبيرة تجهز بالأسلحة النارية كالنار الاغريقية وأنابيب النفط.

الطرادات: وهي سفن صغيرة الحجم سريعة السير تستخدم في حمل الخيول تحمل نحو ثمانين فرساً.

الأغربة: وهي نوع من الشواني رأسها رأس الغراب، لذلك سميت بالأغربة.

القراقير: وهي سفن ضخمة تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمتاع وأنواع السلاح ومن أنواعها أيضاً الفلانك والقوارب والحمالات.

العشاريات: وهي مراكب نهرية تجرب في النيل وتستعمل في البحر مع الأسطول.

الشلنديات: وهي سفن مسطحة تحمل السلاح والمقاتلة، وعددها عشر مسطحات.

كان للأسطول قـائد يسمى أمير البحر أو أمير الماء، ويختار لهذا المنصب من يتمتع بالكفاءة العالية، والعلم بمهاب الريح ومسالك البحار والمقاذيف.

وكان التخاطب بين قطع الأسطول بعضها مع بعض بالرايات والإشارات.

الحياة الاقتصادية في عصر الفاطميين

كان العصر الفاطمي، بشهادة المؤرخين والدارسين، نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ مصر الاقتصادي[1].

وكانت السياسة الاقتصادية التي اتبعها الفاطميون تتسم بالتنظيم والتخطيط الدقيق. وتقوم على العناية بالصناعة والتجارة وتوفير السبل اللازمة للنهوض بها كالاهتمام بطرق القوافل التجارية، وحفر الآبار لتأمين مياه الشرب، وتشييد الرباطات والأسواق والفنادق والوكالات، ورفع المنارات في الموانىء والثغور، وإقامة الجسور والقناطر على الأنهار وتعمير الطرق وصيانتها وتقسيمها إلى مراحل ووضع الإشارات الخاصة عليها للدلالة، وتخصيص النفقات الباهظة لحراسة الطرق وخفارتها، إلى غير ذلك من الإجراءات التي من شأنها توفير الجو الملائم لنمو التجارة والصناعة وازدهارها.

وكان على رأس اهتمام الحكومة الفاطمية، مكافحة الأزمات الاقتصادية، ومحاربة الاحتكار، وحماية المنتج والمستهلك، والعامل والفلاح، من جشع التجار.

وقد احترم الخلفاء الفاطميون الملكية الخاصة، وتركوا الأراضي في أيدي أصحابها، وعاملوا الفلاحين معاملة حسنة جداً، تتسم بالتسامح واللين والرعاية. فكان الفلاح المصري يستطيع أن يتصرف في الأرض، ويغير موطن إقامته كيفما شاء[2].

---

(١) الدكتور راشد البراوي ـ حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣٦٩.

(٢) المرجع السابق.

ونظروا إلى الضرائب التي تفرض على المزارعين وغيرهم نظرة واقعية، فحددوا فئاتها، وكانوا يراجعونها من وقت لآخر[1].

وفي سبيل النهوض بالزراعة، اهتموا بعمارة الجسور وتطهير الترع من الطمي وتأمين الزراع، واستحدثوا إدارة خاصة تشرف على أمور الزراعة في البلاد ومنعوا ذبح الأبقار السليمة التي تصلح للحراثة.

وعنوا عناية فائقة بغرس الغابات. وكان غرسها يتم تحت إشراف إدارة خاصة مرتبطة بديوان بيت المال. وعينوا للغابات حراساً مخصوصين مهمتهم حماية الحراج[2].

ولمنع التجار من استغلال المواطنين، واحتكار السلع أجبرتهم الدولة على تسعير الأقوات والسلع الضرورية، وألزمتهم ببيعها في أوقات الأزمات بمكان معين تحت إشراف المحتسب.

وكثيراً ما لجأت الحكومة إلى مصادرة الغلال لمنع احتكار التجار لها، وضبط أسعارها..

وفي مجال الصناعة، اتخذت الحكومة أنجع الوسائل للنهوض بها. وشجعت الصناع الأجانب واستخدمت المهرة منهم واستقدمتهم من بلادهم، واجتذبتهم بالرواتب المغرية والمعاملة السمحة. كما توسعت في الصناعة توسعاً كبيراً.

وأهم الصناعات التي راجت في العصر الفاطمي:

أولاً: الصناعات النسيجية

عني الفاطميون بصناعة النسيج لأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من المنسوجات لأنفسهم، ولرجال البلاط، وللكسوة الشريفة، وللخلع

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الدكتور راشد البراوي ـ حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٢٦.

على الأمراء والوزراء والقضاة ورجال الدولة في كل مناسبة من المناسبات[1].

ولتأمين حاجات الدولة من النسيج أنشأ الخليفة المعز دار الكسوة، يفصل فيها أنواع الثياب من بز وغيره ويكسو بها الناس كسوة الشتاء وكسوة الصيف. وكانت الحكومة تدير لحسابها عدداً من المصانع وتشرف على إدارتها إشرافاً منظماً دقيقاً يكفل لها إنتاج الأنواع الفاخرة[2].

وكانت مصانع النسيج، في العهد الفاطمي، تنتج أنواعاً من المنسوجات الفاخرة كالخسرواني الأحمر المذهب، والمخمل المذهب، والدبيقي المذهب، والقرقوبي وغيره. وبلغت صناعة النسيج حداً من الرقة والرهافة بحيث كان بمقدور المرء أن يسحب عباءة أو ثوباً كاملاً من حلقة خاتم[3].

وكان يزين القماش شريط عريض يتضمن زخارف هندسية أو حيوانية، وتحف به من الجانبين كتابة بالخط الكوفي المشجر، وهو نوع من الكتابة تنتهي بعض حروفه بتفريعات من المراوح النخيلية[4].

وكانت أسماء الخلفاء تنسج في الأقمشة الثمينة بلحمة من الذهب أو الفضة، أو الخطوط المتعددة الألوان، تمجيداً لهم، وإشادة بذكرهم.

ومن العبارات التي كانت مكتوبة على الأقمشة الفاطمية. الملك لله، نصر من الله، العز من الله، بسم الله الرحمن الرحيم، الملك الحق، ما شاء الله كان، العز الدائم . . .

أهم المنسوجات التي كانت تصنع في مصر، في العهد الفاطمي، القطن والحرير والصوف والتيل والكتان. وكان نسيج الكتان ناعماً جداً حتى ليظن أنه من الحرير.

من المدن التي اشتهرت بصناعة النسيج تنيس ودمياط وتونه وأعمالها.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ٢٥٣.
(٤) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ٢٥٣.

كان بتنيس دار الطراز، وكان يصنع في هذه المدينة القصب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء، وقماش البوقلمون وهو نوع من القماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار. ولا يوجد في أية مدينة من مدن العالم[١].

وكان بتنيس أيضاً صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان. أما في دمياط فكان ينسج القصب الأبيض.

اشتهر من المنسوجات أربعة أنواع:

النوع الأول: قوام زخارفة أشرطة من الكتابة متوازية ضمنها جامات سداسية أو بيضوية الشكل أو معينات قد تتداخل في بعضها، فيها رسم حيوان أو طائر أو رسم حيوانين أو طائرين متقابلين أو متدابرين.

النوع الثاني: يمتاز بألوانه الزاهية، ويسود فيه لون ذهبي، وتزينه أشرطة وجامات متداخلة قد يكثر عددها، ضمنها رسوم حيوانات أو طيور أو بشر[٢].

النوع الثالث: في هذا النوع تطورت الزخرفة فنشاهد إلى جانب العناصر القديمة، عناصر جديدة. يقل فيها استخدام الجامات في الزخرفة ويحل محلها شبكات من الأشرطة تتداخل في بعضها البعض وتزينها معينات صغيرة تتمازج ألوانها وتوزع بحيث يخيل للناظر إليها أن فيها شيئاً من البروز.

النوع الرابع: يسوده اللون الأزرق الغامق، وتبدأ فيه الحروف الكوفية بالاستدارة لتصبح حروفاً نسخية. كما تظهر في الزخارف الفروع النباتية، وما يسمى بالأرابيسك والحروف المستديرة التي يصعب قراءتها، لأن الغاية منها كانت زخرفية بحتة[٣].

وفي موازاة صناعة النسيج تقف صناعة السجاد. وقد أشار المقريزي إلى شهرة مدينة أسيوط في إنتاج السجاد الذي يشبه السجاجيد الأرمنية[٤].

---

(١) ناصر خسرو ـ سفرنامه، ص: ٣٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدكتور زكي محمد حسن ـ فنون الاسلام ص ٣٥٠.

(٤) الدكتور زكي محمد حسن ـ كنوز الفاطميين ص ١٢١.

ثانياً: صناعة الزجاج والخزف والبلور الصخري

من الصناعات التي ازدهرت بمصر، في العهد الفاطمي، صناعة الزجاج بكافة أنواعه.

وكان أرقى المصنوعات الزجاجية، وأكبرها قيمة فنية، الزجاج المذهب والمزين بزخارف ذات بريق معدني. منه نوع أحمر عليه زخارف من رسوم طيور بالبريق المعدني، وهناك نوع آخر يميل لونه إلى الخضرة وزخارفه المعدنية بدون لمعان البريق المعدني المعهود. وقوام هذه الزخارف أشكال نجمية وهندسية متداخلة، في بعضها وريدات متعددة الفصوص أو خطوط لولبية الشكل.

وقد مارس صناع الزجاج في العصر الفاطمي، الرسم بالذهب الخالص.

من أهم مراكز صناعة الزجاج الفسطاط ومدينة الفيوم والاشمونين والشيخ عبادة[(١)].

وإلى جانب صناعة الزجاج، ازدهرت، أيضاً، صناعة الخزف ووصلت إلى درجة عالية من الجودة والاتقان.

وكان المصريون يصنعون الفخار من كل نوع. وكان لطيفاً وشفافاً بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل. وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها. وكانوا يلونونها بحيث تشبه قماش البوقلمون فتظهر بلون مختلف في كل جهة تكون بها[(٢)].

ونظراً لازدهار صناعة الخزف، كان التجار من بقالين وعطارين وبائعي خردوات يستخدمون الأواني الخزفية، كما يستخدم التجار اليوم أكياس الورق، فيضعون فيها ما يبيعونه للناس ويأخذها المشترون بالمجان[(٣)].

---

(١) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ٢٣٤.
(٢) ناصر خسرو ـ سفرنامه، ص ٦٠.
(٣) المرجع السابق.

وكان الخزف المصنوع على نوعين:

النوع الأول: يحتوي على رسوم منقوشة تحت طلاء من لون واحد، أخضر أو أزرق أو بني محمر أو أرجواني.

النوع الثاني: يحتوي على زخارف بالبريق المعدني تختلف في رقة جدارها، وكانت تغطى بطلاء أبيض يرسم عليه ببريق معدني وضاء باللون الذهبي أو البني، وتتكون زخارفها المزدحمة من موضوعات بشرية ورسوم طيور وحيوانات على أرضية من زخارف نباتية أو تفريعات من المراوح النخيلية[١].

وكانت الأواني ذات البريق المعدني تدهن بطلاء أبيض أو أبيض مائل إلى الزرقة أو الخضرة وتعلو هذا الدهان الرسوم ذات البريق المعدني الذي كان في معظم الأحيان ذهبي اللون، وكان أحياناً أخرى أحمر أو بني اللون، أما الزخارف فكانت من الحيوانات والطيور والفروع النباتية.

وقد اشتهر في صناعة الخزف ذي البريق المعدني، مسلم وسعد وطبيب علي وابراهيم المصري وساجي وأبي الفتوح وابن نظيف والدهان ويوسف ولطفي والحسيني برز منهم، بصورة خاصة، مسلم وسعد وكان لكل منهما طابعه الخاص وأسلوبه المميز.

نجد في مصنوعات سعد الرقة والرشاقة والتناسق والتلاؤم. والأواني التي يصنعها نادراً ما تكون مغطاة بالطلاء، ونرى ارتفاع سنتميترين أو ثلاثة من أسفلها لا دهان عليه. والميناء التي يستخدمها سعد تكون إما بيضاء نقية وغنية بما فيها من قصدير، وإما زرقاء مائلة إلى الخضرة بما فيها من نحاس، وإما حمراء وردية بما فيها من منغنيز. والبريق المعدني الذي يُشاهد على منتجات سعد ذهبي اللون أو زيتوني مائل إلى الاصفرار، وزخارفها متنوعة وغنية ومعظمها عبارة عن رسوم حيوانات وطيور تحيط بها فروع نباتية ومراوح نخيلية وجدائل[٢].

أما أواني مسلم فكانت مدهونة كلها بالطلاء حتى تكاد تختفي طينتها.

---

(١) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ٢١٦.

(٢) الدكتور زكي محمد حسن ـ فنون الإسلام ص ٣١٠.

وكان حرف قاعدتها منخفضاً جداً، وتكسوه المينا، والبريق المعدني ذو لون واحد في أغلب الأحيان وهو اللون الذهبي، لكنا نجد في بعض القطع بريقاً أحمر نحاسي اللون.

وقد استخدم مسلم الزخارف الحيوانية والآدمية والنباتية، فضلاً عن الحروف الكوفية[١].

وأروع ما وصلت إليه الصناعة الفنية، بحق هي الأشياء المقتطعة من البلور الصخري كالأوراق والصحاف والأوعية الصغيرة وقطع الشطرنج[٢] وقد وصفت بأنها من عجائب الاجتهاد الفني في الشرق[٣].

من التحف المصنوعة من البلور الصخري، وصلنا إبريق على شكل كمثرى، مقطوع، فيه زخارف قوامها رسم أسدين بينهما شجرة الخلد، وعلى المقبض خروف صغير. وبين رقبة الإبريق وبدنه شريط من الكتابة الكوفية نصها: بركة من الله للإمام العزيز بالله».

ومنها أيضاً حلقة من بلور على شكل هلال عليها بالخط الكوفي العبارة التالية: «لله الدين كله الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين».

ومنها أيضاً ابريق من البلور الصخري، رقبته مفقودة، على بدنه زخرفة من طائرين متواجهين بينهما فروع نباتية غاية في الدقة. وفوق ذلك شريط من الكتابة الكوفية نصه: «بالسيد الملك المنصور».

وكانت صناعة البلور الصخري لفتت نظر ناصر خسرو عند زيارته للقاهرة وإقامته فيها خلال السنوات ٤٣٩ ـ ٤٤٢هـ/ ١٠٤٧ ـ ١٠٥٠م فقال: «ورأيت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلوراً غاية في الجمال، وهم يحضرونه من المغرب»[٤].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) أرنست كونل ـ الفن الإسلامي، ص ٥٣.
(٣) المرجع السابق.
(٤) ناصر خسرو ـ سفرنامه، ص ٥٩.

ثالثاً: الحفر على الخشب

برع الصناع المصريون في العصر الفاطمي في صناعة الأخشاب. وكانوا يستوردون الأخشاب الفاخرة من كرواتيا ودلماسيا والشام ولبنان والسودان وغيرها... كما استخدموا أيضاً أخشاب الأشجار التي تنبت في مصر واستعملوا الأخشاب في صناعة السفن والأثاث المنزلي وعمل السقوف والأبواب والمنابر والمحاريب و...

وأدى استعمال الخشب في الصناعة إلى ازدهار فن الحفر على الخشب. وكان شائعاً في الحفر على الخشب، التفريعات النباتية ورؤوس الخيل التي تخرج من أفواهها مراوح وأنصاف مراوح نخيلية(١).

وأكثر ما يلفت النظر في الزخرفة على الخشب، شدة العناية بالتفاصيل في رسم المراوح النخيلية والأشرطة ذات الحبيبات الكروية ولجم الخيل(٢).

وأهم المناظر المنقوشة في الأخشاب:

- رسم الأمير جالساً على أريكة، وفي يده اليمنى كأس، وفي اليسرى زهرة، وعلى رأسه عمامة ضخمة وإلى يساره الساقي يصب له الشراب في كأس، وإلى يمينه خادم يقدم إليه صينية ذات غطاء.

- رسوم مطربين ومطربات من عازفين أو عازفات على القيثارة أو العود أو القانون أو الناي أو المزمار أو النقارة.

- مناظر رقص.

- رسوم رجال يمشون بصورة منفردة أو إلى جانب إبل عليها هوادج، أو أحمال من البضائع ومعهم رجال يلبسون خوذات وفي يد كل منهم رمح وعلى ظهره دراقة مستديرة.

---

(١) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ٢٣٤.
(٢) المرجع السابق.

ـ رسوم صيد.

ـ رسوم طيور جارحة ومعها فرائسها، ورسوم حيوانات خرافية أهمها أبو الهول وله جسم أسد وجناحان ورأس امرأة.

ـ رسوم حيوانات وطيور مختلفة كالباز والتيس والطاووس والأرنب.

وصلنا من أعمال الحفر على الخشب أكثر من تحفة، منها باب الجامع الأزهر الذي صنع بأمر الخليفة الحاكم بأمر الله. وهو باب ذو مصراعين من خشب شوح تركي. في كل مصراع من المصراعين سبع حشوات مستطيلة. الأولى والثالثة والأخيرة موضوعة بصورة أفقية. وبين الأولى والثالثة حشوتان متجاورتان، وموضوعتان بصورة عمودية. وبين الثالثة والأخيرة، الحشوتان الباقيتان وهما موضوعتان بصورة عمودية أيضاً. وعلى الحشوة العليا في كلا المصراعين كتابة بالخط الكوفي هي:

(الحشوة اليسرى)	(الحشوة اليمنى)
مولانا أمير المؤمنين	الإمام الحاكم بأمر الله
صلوات الله على	آبائه الطاهرين وأبنائه

ومن التحف الخشبية أيضاً، المحاريب الثلاثة الخشبية لجامع الأزهر، وجامع السيدة نفيسة، ومشهد السيدة رقية[١].

رابعاً: صناعة العاج والمعادن والفسيفساء

ازدهرت صناعة العاج في العصر الفاطمي. وكانت الحشوات الكاملة تصنع من العاج. وصلنا من هذه الحشوات رسم سيدة في هودج، وجندي يمسك بإحدى يديه رمحاً وفي الأخرى ترس. وصائد بالباز على ظهر جواده. وفي بعض الحشوات نجد رسوم طيور وحيوانات كالأرانب والطواويس[٢].

---

(١) الدكتور زكي محمد حسن ـ فنون الإسلام ص ٤٥٨.

(٢) الدكتور زكي محمد حسن ـ فنون الإسلام ص ٤٩٨.

كا وصلنا، أيضاً، من المصنوعات العاجية، أجزاء من صناديق مطعمة بالعاج تتضمن رسوم موسيقيين وراقصين وصيادين وعقبان موزعة بين تفريعات العنب، حفرت بعناية واتقان حفراً مفرغاً به كثير من التفاصيل وخاصة فيما يتعلق برسوم الملابس[١].

أما بالنسبة إلى التحف المعدنية، التي وصلتنا من العصر الفاطمي، فكانت عبارة عن مجوهرات وعدد صغير من الحيوانات المصنوعة من البرونز، منها زوج من الأقراط، ودلاية على شكل هلال زخارفها مفرغة كالدانتيلا، تعطي أسلاكها الذهبية الممتدة والمجدولة، أشكالاً هندسية منوعة، مطعمة بأحجار الفيروز يزينها رسم طائرين بالمينا المتعددة الألوان[٢].

ومن أجمل وأشهر التحف التي وصلتنا عقاب من البرونز عليه نقوش في غاية الدقة والإبداع. وحلية من البرونز عليها صورة نسر ينقض على غزال[٣]. وأسد ذنبه مجدول ينتهي على هيئة رأس حيوان وفمه مفتوح، وتمثال ظبي تكسو بدنه رسوم نباتية، وأيل مجوف من البرونز محفور على بدنه زخارف نباتية من سيقان ووريقات دقيقة ومتشابكة، وعلى بطنه من الجهتين كتابة بالخط الكوفي[٤] وهاون عليه شريطان من كتابة بالخط الكوفي بينهما زخارف نباتية وطيور محفورة بدقة وإتقان، وصينية من برونز يتألف محيطها من دوائر صغيرة تفصلها أطراف مدببة مثل سن الرمح، ضمن بعض هذه الدوائر رسوم طيور وفي بعضها الآخر في وسط الصينية رسوم هندسية متشابكة[٥].

تمتاز التحف المعدنية التي وصلتنا من العصر الفاطمي، بالخطوط المحددة لرسوم الحيوانات ورشاقتها[٦].

---

(١) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ١٣٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الدكتور زكي محمد حسين ـ فنون الاسلام ص ٥١٢.
(٥) المرجع السابق.
(٦) م. س. ديماند ـ الفنون الإسلامية، ص ١١٨.

خامساً: صناعة الورق والتجليد

ازدهرت بمصر صناعة الورق ازدهاراً لا مثيل له. وكانت الفسطاط من أهم مراكز صناعة الورق الأبيض.

وبانتشار صناعة الورق انتشر فن التجليد. واستعملت جلود العجول والحرير والديباج والأطلس في تجليد المصاحف، وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية. وبفضل صناعة الورق والتجليد، تقدمت صناعة الخطاطين.

من الصناعات الجلدية التي برع بها الصناع المصريون، في مرحلة الحكم الفاطمي، السروج ومقاعد الكراسي والأرائك والخرائط والنعال.

وكانت القاهرة من أشهر مراكز صناعة الأدوات الجلدية(١).

سادساً: صناعة السفن

سعى الفاطميون إلى أن يكون لهم أسطول قويّ يرهبون به أعداءهم ويمنع الفرنج من مهاجمة الثغور المصرية ومدن ساحل الشام.

ومن باب الاهتمام بتقوية الأسطول الفاطمي أنشأ المعز داراً لصناعة السفن بالمقس. وكانوا يجلبون إليها الأخشاب من غابات لبنان، ومن بلدان أوروبا الجنوبية. كما استخدموا، في صناعة السفن، أشجار الأثل والجميز والسنط والنبق والسرو المتوافرة بكثرة في مدن مصر كبهنا وسفط والاشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغيرها...

وكانت صناعة السفن تابعة لديوان العمائر. ولهذا الديوان إيراداته الخاصة.

وكانت مصر والاسكندرية ودمياط، من أهم مراكز بناء السفن، تبنى فيها السفن الحربية والتجارية من مختلف الأنواع والأحجام.

---

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص / ٢٩٩.

سابعاً: صناعات أخرى

ومن الصناعات التي كانت رائجة في العصر الفاطمي، صناعة السكر. وصناعة الشمع الذي كان يصنع بأحجام مختلفة، ويستعمل في إنارة البيوت والحوانيت والاحتفالات القومية. وكذلك صناعة الصابون والزيوت كزيت الزيتون وزيت السمسم وغيرها...

* * *

ولتنظيم الصناعة، وضع الفاطميون لكل مهنة عريفاً يتولى أمرهم. وكان عريف كل مهنة يتفق على الأجر الذي يدفع لأهل مهنته قبل البدء في العمل. وكان هذا العريف يعمل على حل الخلافات التي تنشأ بين أفراد المهنة الواحدة.

وجعلوا لكل صناعة من الصناعات المعروفة، نقابة خاصة بها. وكان للنقابات رأيها في تحديد الأجور التي تدفع لأهل كل صناعة، وللصناع[1].

وظائف النقابات هي:

(أ) تدريب الصبيان على تعلم أسرار المهنة، وتحديد العلاقة بين المعلم والمتدرب، أو تنظيمها.

(ب) مراقبة المشتغلين بالصناعة الواحدة من الناحيتين الفنية والاقتصادية.

(جـ) حماية المستهلك من الربح الفاحش والغش وسوء الصناعة.

(د) الاشتراك في تحديد الأسعار والأجور.

(هـ) حل المنازعات التي تنشأ بين أفراد المهنة الواحدة بطريق التحكيم الودي.

(و) القيام ببعض الخدمات الاجتماعية للأعضاء[2].

وكان بمصر عدد كبير من التجار الأجانب. وكانت لهم فنادقهم الخاصة التي يحتفظون فيها ببضائعهم، كما كان يوجد عدد كبير من الوكالات التجارية والخانات والقياسر للتجارة.

---

(١) الدكتور راشد البراوي ـ حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٨٧.

(٢) المرجع السابق.

وكانت مالية الدولة منظمة تنظيماً دقيقاً بالدواوين التي أنشأتها الدولة ووضعت لها أدق الأنظمة. وكان كل ديوان من هذه الدواوين يختص بنوع من الإيرادات والمصروفات[1].

ومن جهة أخرى، عدلت الدولة من نظام النقد وسعت إلى القضاء على سيادة النقد الذهبي في التعامل.

بالجملة، أحدث العصر الفاطمي تعديلاً خطيراً في حياة البلاد الاقتصادية. فالتجارة نمت في الداخل والخارج.

وزادت العلاقات التجارية مع العالم. وكانت أهم علاقات الفاطميين التجارية مع أمالقي وجنوا وبيزا والبندقية والدولة البيزنطية وغيرها من البلاد.

وبالرغم من ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة في العهد الفاطمي، لا يستطيع أحد أن يدعي أن السياسة الاقتصادية للفاطميين كانت مثالية، وخالية من العيوب. والمآخذ التي سجلت على الفاطميين أنهم لم يفرقوا بين أموال الدولة وأموالهم الخاصة. كما أنهم لم يحاولوا إلغاء نظام الالتزام في جباية الضرائب.

---

(١) الدكتور راشد البراوي ـ حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣٦٦.

الحياة الفكرية في العصر الفاطمي

ازدهرت الحياة الفكرية والأدبية في العصر الفاطمي ازدهاراً لا مثيل له حتى أن مصر لم تشهد في تاريخها عصراً تضافرت فيه عوامل النهضة الأدبية مثل العهد الفاطمي. ولم يجتمع فيها من علماء الأقطار العربية وأدبائها مثل ما اجتمع في هذا العصر. ويرجع الفضل في ذلك إلى حب الفاطميين للعلم والعلماء، وما بذلوه لهم من عطاء. واهتمامهم بدار العلم التي أسسوها لتكون بمثابة مكتبة عامة للباحثين والعلماء، وجامعة علمية للبحث والمناظرة[1].

وفي خطوة لا سابق لها جعلوا للعلماء رواتب شهرية سخية حتى يتفرغوا لأبحاثهم العلمية ويقبل عليها من لا مال له. وتشجيعاً لمحبي العلم، اتخذوا من القصر قاعة للمحاضرات. كما جعلوا دار العلم والجامع الأزهر قاعات لإلقاء مجالس الحكمة[2].

ذكر المقدسي الذي زار القاهرة في أواخر القرن الرابع للهجرة، أنه رأى في المسجد الجامع مائة مجلس وعشرة[3].

وذكر ناصر خسرو: أن من رآهم في مسجد الفسطاط لا يقلون في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتّاب الذين يحررون الصكوك والعقود[4].

---

(١) مجموعة من الأساتذة ـ الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٣٩.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المقدسي ـ احسن التقاسيم (طبع أوروبا) ص ٢٠٥.
(٤) ناصر خسرو ـ سفرنامة ص ٥٩.

وإذا تتبعنا كتب التراجم، وكتب الطبقات، وعددنا ما فيها من أسماء علماء العهد الفاطمي، دهشنا لكثرتهم، وكثرة ما أنتجوه من مؤلفات.

هذه النهضة الواسعة، كان يواكبها نهضة أدبية واسعة، شملت فني الأدب المعروفين الشعر والنثر.

أولا: الشعر

اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بالشعر، واتخذوه سلاحاً يدافعون به خصومهم ويرفعون به شأنهم، وشأن عقيدتهم[١].

وتقديراً للشعر والشعراء، بنى الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٥هـ) في بركة الحبش منظرة من خشب مدهون، فيها صور الشعراء، بجوار كل صورة قطعة من الشعر في المدح، ورق لطيف مذهب. ولما دخل البركة وقرأ الأشعار، طلب أن توضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً. وأن يدخل كل شاعر فيأخذ صرته بيده[٢].

وكان الشعراء في العهد الفاطمي، من أرباب الوظائف يتقاضون من الحكومة رواتب شهرية تكفل لهم العيش الهني. هذا الاهتمام الكبير بالشعراء أدى إلى ظهور أعداد كبيرة منهم. ويكفي أن نذكر أنه عندما توفي الوزير يعقوب ابن كلس سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م بلغ عدد من رثاه من الشعراء مائة شاعر[٣].

وقد وجدنا من بين الشعراء من مارس الكتابة النثرية، وبرع فيها براعته في الشعر.

من أشهر شعراء العهد الفاطمي: محمد بن هانىء، الأمير تميم بن المعز لدين الله، ابن وكيع التنيسي، أبو الرقعمق، الشريف علي بن حيدرة العقيلي،

---

(١) مجموعة من الأساتذة ـ الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٣٩.
(٢) المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج/ ١، ص ٤٨٦.
(٣) مجموعة من الأساتذة ـ الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٠.

المؤيد داعي الدعاة، ابن الضيف، الشريف ابن الأخفش، ظافر الحداد، طلائع ابن رزيك، ابن الكيزاني، القاضي المهذب (المهذب بن الزبير) وأخوه الرشيد ابن الزبير (القاضي الرشيد)، ابن قلاقس، شلعلع، عمارة اليمني، ابن نوبخت، الشريف ابن هبة الله العلوي، ابن مكنسة، أبو الفرج الموفقي، الموفق بن الخلال، القاضي الجليس، الداعي علي الصليحي، أبو بكر محمد العيدي، جعفر بن منصور اليمن، مزيد الحلي، السلطان الخطاب و. . . .

وإذا نظرنا إلى المواضيع التي تناولها الشعراء في شعرهم، وجدناها تشمل كل غرض من الأغراض: المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، المجون والخمر، الزهد، الظرف والفكاهة والدعابة، الغزل و. . . . و. . . .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نشير إلى الملاحظات التالية:

أولا: أكثر قصائد المدح قيلت في الخلفاء الفاطميين. وقد بالغ الشعراء في هذا المديح إلى درجة رفعوهم فيها إلى مرتبة الإلهية. مثال ذلك ما قاله أبو الحسن الأخفش في الحافظ(١).

صرف جريال يرى تحريمها ... من يرى الحافظ فرداً صمدا
بشر في العين إلا أنه ... من طريق العقل نور وهدى
جل أن تدركه أعيننا ... وتعالى أن تراه جسدا
تدرك الأفكار فيه نبأ ... كاد من إجلاله أن يعبدا

ومن ذلك أيضاً قول الأمير تميم بن المعز في أخيه العزيز بالله:

ما أنت دون ملوك العالمين سوى ... روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره ... تناهياً جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت ... خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر

ثانياً: وصف الشعراء كل ما وقعت عليه أعينهم من جبال وأنهار وآثار وغدران وثمار ونبات وجماد وحيوان وغير ذلك.

---

(١) العماد الأصبهاني ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء مصر ج/١، ص ٢٤١.

قال محمد علي النيلي يصف باب زويلة، أكبر وأشهر أبواب القاهرة:

يـا صـاح لـو أبصـرت بـاب زويلـة　　لعلمــت قــدر محلــه بنيـانـا
بــاب تــأزر بــالمجــرة وارتــد　　ى الشعـرى ولاث بـرأسـه كيـوانـا
لــو أن فــرعــونـاً رآه لــم يــرد　　صـرحـاً ولا أوصـى بـه هـامـانـا

وقال ظافر الحداد يصف أبا الهول:

تــأمــل بنيــة الهــرميــن وانظــر　　وبينهمــا أبــو الهــول العجيــب
كعمــارتيــن علــى رحيــل　　لمحبــوبيــن بينهمــا رقيــب
ومــاء النيــل تحتهمــا دمــوع　　وصـوت الـريـح عنـدهمـا نحيـب

ثالثاً: من حيث الشكل عني الشعراء بالمحسنات، وضروب الصنعة. من ذلك ما قاله ابن سعيد المغربي مجانساً بين القرط الذي ترعاه الدواب والقرط الذي يكون في الأذن:

سقـى الله أرضـاً كلمـا زرت روضهـا　　كسـاهـا وحـلاَّهـا بـزينتـه القـرط
تجلـت عـروسـاً والميـاه عقـودهـا　　وفـي كـل قطـر مـن جـوانبهـا قـرط

وقد جمع القاضي الجليس ثماني تشبيهات في بيت واحد. قال:

بــدا وأرنــا منظــراً جــامعــاً لمــا　　تفـرق مـن حسـن علـى الخلـق مـونقـا
أقـاحـاً وراحـاً تحـت ورد ونـرجـس　　وليـلاً وصبحـاً فـوق غصـن علـى نقـا

رابعاً: احتل الشعر الديني حيزاً كبيراً عند شعراء العهد الفاطمي. والشعراء الاسماعيليين.

وقد تضمن الشعر الديني خلاصة المصطلحات، والتأويلات الدينية، والنظريات الفلسفية التي قامت عليها عقائد الاسماعيليين كنظرية المثل والممثول والأكوار والأدوار وغيرها.. وقد وصلنا هذا الشعر بإحدى صورتين:

الصورة الأولى: الحديث عن العقائد لم يكن مقصوداً بذاته، وإنما جاء من خلال الحديث عن موضوع معين هو عادة مدح الأئمة الفاطميين. من أبرز الأمثلة على ذلك ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة.

الصورة الثانية: جاء الحديث عن عقائد الاسماعيليين مقصوداً بذاته، مستقلاً عن أي موضوع آخر، ومن أشهر الأمثلة على ذلك تائية عامر بن عامر البصري.

وهناك شبه كبير بين الشعر الديني عند الاسماعيليين والشعر الديني عند العلويين ومرد ذلك هو تفرع الفرقتين من أصل واحد، الشيعة الإمامية. ولكي لا نطيل الحديث عن هذه الناحية، نكتفي بعرض ما قاله المنتجب العاني، وهو من أبرز الشعراء العلويين، وما قاله عامر بن عامر البصري الاسماعيلي في تائيته.

يقول البصري:

وما هو وادي النمل والنملة التي	تخاطبهم رمزاً بلطف إشارة
تقول ادخلوا يا أيها النمل تسلموا	مساكنكم من حطم جند بدوسة
وما هو ذاك الهدهد الطائر الذي	يجيء سليماناً بسر سريرة
وبلقيس إذ جاؤوا إليها بعرشها	وقد نكروه بعد نقش بنقشة
....	....
وما ذلك العفريت والقائل الذي	له بكتاب الله علم دراية

وقال المنتجب العاني:

ونملة قالت لمن وعاها	من آمنت لتدخلن سكناها

وتتق الجد السليمانيا

ما الجند ما الحطم وكيف المأمن	ما النمل ما الدخول ما المساكن
وما العفاريت وما الفراعن	وما الطواغيت لها بواطن

تزري على من كان ظاهريا

وما سجود عنه إبليس أبى	ما عرش بلقيس وما أرض سبا
ما هدهد جاء يقيناً بنبا	ما حجر موسى له قد ضربا

....

خامساً: الظاهرة التي تجذب الانتباه هي تجاهل الباحثين والدارسين

للأدباء الاسماعيليين في اليمن باستثناء عمارة اليمني الذي تركزت عليه الأضواء دون غيره، مع أن اليمن عرفت شعراء إسماعيليين كان لهم شأن في مجال الشعر، منهم على سبيل المثال، لا الحصر، الداعي علي الصليحي. وربما ساهمت قلة المراجع في هذا التجاهل.

سادساً: أهم الدواوين الشعرية التي وصلتنا من العهد الفاطمي، ومن الشعراء الاسماعيليين، التي جرى نشرها:

ديوان ابن هانىء، ديوان الأمير تميم بن المعز، ديوان ناصر خسرو، ديوان ابن وكيع التنيسي، ديوان ابن الكيزاني، ديوان طلائع بن رزيك، ديوان داعي الدعاة المؤيد في الدين، ديوان ابن قلاقس، ديوان عمارة اليمني، ديوان السلطان الخطاب...

أما الدواوين غير المنشورة فهي كثيرة ضاع معظمها، وربما كلها بعد زوال الدولة الفاطمية بفعل التعصب المذهبي الذي ساد العهد الأيوبي.

من المفيد للبحث أن نقف وقفة قصيرة عند أهم رموز وأعلام الشعر في العهد الفاطمي.

ابن هانىء الاندلسي
(ت: ٣٦٢/هـ - ٩٧٢/م)

هو ابو القاسم محمد بن هانىء الازدي الاندلسي. أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة أديب شاعر مغلق. أكثر شعره في مدح المعز. تحدث عنه المعري في [رسالة الغفران] قال: «وفي الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده، يتوصل به إلى الدنيا الفانية وهي أغدر من الورهاء الزانية. وكان لهم في المغرب رجل يعرف بابن هانىء وكان من شعرائهم المجيدين، فكان يغلو في مدح المعز غلواً كبيراً، حتى قال فيه، وقد نزل بموضع يقال له رقادة:

حل برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح

حـــل بهـــا الله ذو المعـــالـــي   وكــل شــيء فــي ســواه ريــح»

من شعره نختار هاتين القصيدتين:

ألـؤلـؤٌ دمْـع هـذا الغيـث أم نُقـط؟   مـا كـان أحسنَـه لـو كـان يُلتقـطُ
بيـن السحـاب وبيـن الـريـح ملحمـة،   قعـاقـعٌ وظُبّـى، فـي الجـو، تُختـرط
كـأنّـه سـاخـط يـرضـى علـى عجـلٍ،   فمـا يـدوم رضًـى منـه، ولا سخـط
أهـدى الـربيـع إلينـا روضـةً أُنُفـاً،   كمـا تنفّـس، عـن كـافـوره، السَّفـط
غمائم، في نواحي الجو، عاكفة،   جعـدٌ، تحـدّر منهـا وابـل سبِـط
كـأنّ تهتـانهـا، فـي كـل نـاحيـة،   مـدٌّ مـن البحـر، يعلـو ثـم ينهبـط
والبـرق يظهـر فـي لألاءِ غُـرَّتـه،   قاضٍ، من المُزن، في أحكامه شطط
وللجديدين، من طولٍ ومن قِصَر،   حبـلان: مُنقبـض عنّـا ومنبسـط
والأرض تبسط في خدّ الثرى ورَقاً،   كمـا تنَشّـر، فـي حـافـاتهـا، البسُـط
والـريـح تبعـثُ أنفـاسـاً معطّـرة،   مثـل العبيـر، بمـاء الـورد يختلـط
كـأنّمـا هـي أنفـاس المُعـز سـرت،   لا شبهـة للنـدى فيهـا، ولا غلـط
تـالله! لـو كـانـت الأنـواء تشبهـه،   مـا مـرّ بُـؤسٌ علـى الـدنيـا، ولا قنـط
شـقّ الـزمـان لنـا عـن نـور غـرَّتـه،   عـن دولـة، مـا بهـا وهـنٌ ولا سقـط
حتى تسلّط منه، في الورى، ملك،   زِينـت بـدولتـه الأمـلاك والسُّلـط
يختطُّ، فوق النجوم الزُّهر، منزلة،   لم يدن منها، ولم يُقرن بها الخِططَ
إمـام عـدلٍ وفـى فـي كـلّ نـاحيـةٍ،   كما قَضَوا في الإمام العدلِ، واشترطوا
قد بانَ بالفضلِ عن ماضٍ ومؤتنفٍ،   كالعِقدِ، عن طَرَفَيه، يفضلُ الوسَط
لا يغتـدي فـرحـاً بـالمـال يجمعـه،   ولا يبيـتُ بـدُنيـا، وهـو مغتبـط
لكنـه ضِـدُّ مَـا ظـنّ الحسـود بـه،   وفـوق مـا ينتهـي غـال ومُنبسـط
يُزري بفيض بحار الأرض، لو جُمعت،   بنـان راحتـه المُغلـولـب، الخمـط
وجهٌ، بجوهر ماء العرش، متصل؛   عرقٌ، بمحض صريح المجد، مرتبط
شمـس مـن الحـق، مملـوءٌ مطـالعهـا   لا يهتـدي نحـوهـا جـور، ولا شطـط
يـروّع الأسـد منـه، فـي مكـامنهـا،   سيـف لـه، بيميـن النصـر مختـرط
خـابـت أميّـة منـه بـالـذي طلبـت،   كمـا يخيـب بـرأس الأقـرع المشـط

وحاولوا من حضيض الأرض، إذ غضبوا، كواكباً، عن مرامي شأوها شحطوا
هـذا، وقـد فـرّق الفـرقـان بينكمـا، بحيـث يفتـرق الـرضـوان والسخـط
الناس غيركُمُ، العرقوب في شرف، وأنتـم، حيـث حـلّ التـاج والقـرط
ولست أشكـو لنفسي فـي مـودّتكـم، لأنكـم، فـي فـؤادي، جيـرة خُلُـط
يا أفضل الناس، من عُرب، ومن عجمٍ، وآل أحمـد، إن شبُّـوا، وإن شمطـوا
ليهنـك الفتـح، لا أنّـي سمعـت بـه؛ ولا علـى الله، فيمـا شـاء، أشتـرط
لكـن تفـاءلـت، والأقـدار غـالبـةٌ، والله يبســط آمــالاً، فتنبســط
ولســت أســأل إلاّ حــاجـة بلغـت، سـؤل الإمـام بهـا، الـرُّكـاضـة النُّشـط
مـن فـوق أدهـم، لا يجتـاز غـايتـه نجـم، مـن الأفـق الشمسـي، منخـرط
يحتثّـه راكـب، ضـاقـت مـذاهبـه، بـادي التشحـب، فـي عُثْنُـونِـه شمـط
إنَّ الملـوك، إذا قيسـوا إليـك معـاً، فأنت، من كثرة، بحر، وهم نقط

خرزات در

وليـلٍ بـتُّ أُسقـاهـا سُـلافـاً، معتقـــة، كلـــون الجُلنـــارِ
كـــأنَّ حبـــابهـــا خـــرزاتُ دُرٍّ، علـت ذهبـاً بـأقـداح النضـارِ
بكـف مقـرطـق يُـزهـى بـردْفٍ، يضيـــقُ بحملـــه وُســع الإزارِ
أقمـتُ لشـربهـا عبثـاً، وعنـدي بنـات اللهـو تعبـثُ بـالعُقـارِ
ونجمُ الليل يركض في الدياجي، كـــأنَّ الصبـــح يطلبُـــه بثـــارِ

الأمير تميم بن المعز لدين الله

(ت: ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م)

كان، كما وصفه ابن خلكان، شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً[١] عاش في مصر بعد قيام الدولة الفاطمية، واشتهر بأشعاره الرقيقة، ونلمح فيها أول خصائص

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج/١، ص ٣٠١.

فنية للشعر المصري. يعتبر ديوانه أقدم ديوان من الشعر المصري وصل إلى عصرنا[1].

من شعره نختار المقطوعات التالية:

حلو ومر

إذا حـذرت زمـانـاً لـم تسـر بـه ... كم قـد أتى سهل دهـر بعـد أصعبه
فـاقبل من الـدهـر مـا آتـاك مختلطـاً ... لعـل مـرّك يحلـو فـي تقلبـه
خذها إليك - ودع لومي - مشعشعة ... مـن كـف أقنـى أسيـل الخـد مـذهبـه
فـي كـل معقـد حسـن منـه معتـرض ... يحميـه دونـك مـن أن تستبـد بـه
فكحـل عينيـه ممنـوع بخنجـره ... وورد خـديـه محمـيّ بعقـربـه
لا تتـرك القـدح المملـوء فـي يـده ... إنـي أخـاف عليهـا مـن تلهبـه
وصنـه عـن سقينـا إنـي أغـار بـه ... وسقـه واسقنـي مـن فضـل مشـربـه
وانظر إلى الليـل كـالـزنجي منهـزمـاً ... والصبـح فـي إثـره يعـدو بـأشهبـه
والبـدر منتصـب مـا بيـن أنجمـه ... كـأنّـه ملـك فـي وسـط مـوكبـه

نـزهة

تنـزّه وجهـي فـي محـاسـن وجهـه ... تنـزه مشتـاق إليـه كئيـبِ
فلمـا رأى لحظـي يـدل علـى الهـوى ... وصفـرة لـونـي بعـده وشحـوبـي
ثنـى خـده عنـي وقـال تمثـلاً ... ولـم يخـش مـن واش بـه ورقيـبِ
(إذا أنـت داويـت المحـب فمـا لـه ... دواء يـواتيـه كثغـر حبيـب)

وذكر له الثعالبي في [يتيمة الدهر][2] مقطوعات في غاية الرقة منها هذه المقطوعة:

---

(١) مجلة أخبار الأدب، العدد ١١٠، تاريخ ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٩٥.
(٢) الثعالبي - يتيمة الدهر ج/١، ص ٣٩٣.

نـاولتهـا شبـه خـديهـا مشعشعـة		صـرفـاً كـأن سنـاهـا ضـوء مقبـاس
فقبلتهـا وقـالـت وهـي ضـاحكـة		وكيـف تسعـى خـدود النـاس للنـاس
أليـس خـداي ذابـا إذ لمستهمـا		فـاستبطـا قهـوة حمـراء فـي الكـاس
قلـت اشـربـي إنهـا دمعـي وحمـرتهـا		دمـي وطـابخهـا فـي الكـأس أنفـاسـي
قـالـت إذا كنـت مـن حبـي بكيـت دمـاً		فسقنيهــا علــى العينيــن والــراس
يـا ليلـة بـات فيهـا البـدر معتنقـي		وباتت الشمس فيها بعض جلاسي
وبـت مستغنيـاً بـالثغـر عـن قـدحـي		وبـالخـدود عـن التفـاح والآس

وهذه مقطوعة أخرى:

ومـا أم خشـف ظـل يـومـاً وليلـة		ببلقعــة بيــداء ظمــآن صــاديـا
تهيـم فـلا تـدري إلـى أيـن تنتهـي		مـولهـة حيـرى تجـوب الفيـافيـا
أضـرّ بهـا حـر الهجيـر فلـم تجـد		لغلتهـا مـن بـارد المـاء شـافيـا
إذا بعـدت عـن خشفهـا انعطفـت لـه		فـألفتـه ملهـوفـاً إلـى الجـوع ظـاميـا
بـأوجـع منـي يـوم شـدوا رحـالهـم		ونـادى منـادي الحـي أن لا تـلاقيـا

ومن جميل شعره قوله:

يـا دهـر مـا أقسـاك مـن متلـون		فـي حـالتيـك ومـا أقلـك منصفـا
أتـروح للنكـس الجهـول ممهـداً		وعلـى اللبيـب الحـر سيفـاً مـرهفـا
فـإذا صفـوت كـدرت شيمـة بـاخـل		وإذا وفيـت نقضـت أسبـاب الـوفـا
لا أرتضيــك وإن صفــوت لأننــي		أدرى بـأنـك لا تـدوم علـى الصفـا
زمــن إذا أعطــى استــرد عطــاءه		وإذا استقــام بــدا لــه فتحــرفـا
مـا قـام خيـرك يـا زمـان بشـره		أولـى بنـا مـا قـل منـك ومـا كفـى

ابن وكيع التنيسي

(ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)

اسمه بالكامل: الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن

صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي[1].

شاعر بارع، وعالم جامع. برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في أوانه، وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام[2].

له ديون شعر جيد. وكتاب بعنوان [المنصف] بيّن فيه سرقات المتنبي.

اشتهر بوصف الطبيعة. من الأشياء التي وصفها: غدير، نخيل البلح، الزيتون، المشمش، نور الكتان، الجلنار، الطلع، الآذريون، الخشخاش، الرازيانج، الآس، الحماحم، زهر الباقلاء، روض، المطر والرعد والبرق، السماء ليلاً، فحم مشتعل.

من شعره نختار المقطوعات التالية:

غدير

غـــديـــر يجعـــد أمـــواجـــه	هبـــوب الـــريـــاح ومـــر الصبـــا
إذا الشمـــس مـــن فـــوقـــه أشـــرقـــت	تـــوهمتـــه جـــو شنـــاً مـــذهبـــا

نخيل البلح

أمـــا تـــرى النخـــل طـــارحـــاً بلحـــاً	جـــاء بشيـــراً بـــدولـــة الـــرطـــب
كـــأنـــه والعيـــون تنظـــره	إذا بـــدا زهـــره علـــى القضـــب
مكـــاحـــل مـــن زمـــرد خـــرطـــت	مقمعـــات الـــرؤوس بـــالـــذهـــب

زيتون

انظـــر إلـــى زيتـــوننـــا	فيـــه شفـــاء المهـــج
بـــدا لنـــا كـــأعيـــن	شهـــل وذات دعـــج
مخضـــرة زبـــرجـــد	مســـودة مـــن سبـــج

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج/٢، ص ١٠٤.
(٢) المرجع السابق عن الثعالبي في يتيمة الدهر.

المؤيد في الدين داعي الدعاة
(ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)

هو أبو النصر هبة الله بن موسى بن عمران وقيل ابن داود الشيرازي. عاش حياته متنقلاً بين شيراز والأهواز قبل أن يستقر في مصر.

وتقديراً لجهوده في نشر العقيدة الفاطمية في فارس والعراق والشام كافأه الخليفة المستنصر بتعيينه في منصب داعي الدعاة. كما ولي دار الإنشاء.

كان للمؤيد تصانيف جمة في الحجج والسير والأخبار وله أدعية ومناجاة في الأوراد(١).

أهم مؤلفاته: المجالس المؤيدية، المجالس المستنصرية، ديوان المؤيد، سيرة المؤيد في الدين، شرح المعاد، الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير، الابتداء والانتهاء، جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان، قصيدة الاسكندرية (ذات الدوحة)، تأويل الأرواح، نهج العباءة، المسألة والجواب، أساس التأويل(٢).

من شعره نختار القصائد التالية:

القصيدة السابعة

الله ينصُـــر رايـــة المستنصـــر ... بـــالله، مـــولانـــا الإمـــام الأطهـــرِ
ويُتِـــمُّ نـــور أبـــي تميـــم حـــاليـــا ... بسنـــاه أغســـاق الظـــلام الأكـــدرِ
ويـــديـــم دولتـــه ويجبـــر كسْـــرنـــا ... في «الظاهر» الغصن الرطيب الأخضر
السيـــد المـــولـــى المـــوارَى فـــي الثَّـــرى ... غـــضُّ الشبـــاب بنـــور وجـــهٍ أقمـــرِ
غصـــنٌ مـــن القلـــم الممـــدِّ وصِنـــوه ... ومـــن النبـــي الأبطحـــي وحيـــدرِ
غصـــنٌ أُصـــول المجـــد فـــي أوراقـــه ... والخلـــق قطـــرٌ منـــه فـــي المثْعَنْجَـــرِ

---

(١) محمد كامل حسين ـ ديوان المؤيد في الدين نقلاً عن عيون المعارف ص ٥٨.
(٢) Ivanow: A Guide to Ismaili Literature P. 43.

عاف الحصار الضيِّق الحرج الذي ... زحلٌ يَلي تَدبيرَهُ والمشتري
وسما إلى العليا من الأفق الذي ... هو نجلها وشبيهُها في الجوهرِ
قد كان محمولاً فأصبح حاملاً ... ومؤثراً في جرم كل مؤثّرِ
لكن تحرَّقت القلوب لفقده ... وتخرَّقت شجواً ثياب تصبُّري
وتصاعدت نحو الجفون دماؤنا ... فهممت بفرط تنزُّل وتحدُّرِ
صلى الإله على مقدَّس روحِه ... أبداً وجسم في ثراه مطهَّر
وأعاش مولانا معداً خالداً ... حتى يورَّث عمر كل مُعمَّرِ
أهلاً بطيب زمان مولانا الذي ... وافى بوجهٍ بالسعادة مُسفرِ
زمنٌ يبشرنا بخير مُقبِل ... تترى وشرٌّ لا محالة مُدبر
أمعدُّ عُدَّة عبده وعماده ... وعتاده والمرتجى للمحشرِ
أشبهْت عيسى في الذي أُوتيته ... طفلاً من النُّعما ولمّا تُقصر
إنْ أثمر الجذع اليبيس بفضله ... رُطباً فأحرى به المسيح وأجدرِ
فكمثله الدنيا تُنيلك مُلكها ... ثمراً فلا تعجل فديتُك واصبرِ
لله شأن فيك جدّ مُعَظَّم ... قامت به الأعلام للمتدبرِ
أن ينجز الرحمن صادق وعدِه ... بك للنبي أبيك خير مُبشرِ
أنت الذي يعنو الزمان لبأسه ... صغراً فتُلبسه لباس مُسخَّرِ
فتجذ دابر كل غرٍّ كاشح ... بمهند ماضي الغِرار وأسمرِ
وتخوض أودية الدماء خُيوله ... بجيادها من أدهم أو أشقرِ
وتؤم ما بين الدُّجيل ودجلة ... للفتك بالدجال ذاك الأعورِ
حتى توشَّح أرضه من نحره ... وبنى الزناء معاً بثوب أحمرِ
وتُريح من ذكر اللعين ورجسه ... محراب مسجدنا وعُود المنبرِ
وتزيل لبس الشافعي ومالكٍ ... ببيان زين العابدين وجعفرِ
وقياس قيَّاسٍ غدا متبرجاً ... بالاعتزال وترهات المُجبر
يا بن النبي المصطفى ووصيِّه ... وبتوله وابن الصفا والمشعرِ
إنَّ الذي بك أرجف الأرجاف عن ... كفر وعن إملاء صدر موغرِ
هو أبترٌ حقاً كنى عنه بذا ... ربُّ العلى سُحقاً لشأن الأبترِ

هــو أبتــرٌ حقــاً وإنــك كــوثــر نسـلاً وأشـرف نسـل سـاقـي الكـوثـرِ
بـرهـان علمـك فـوق بـرهـان العصـا فـي كـل حيـن غـالـب لمسحّـرِ
ومفجـر مـاء الحيـاة ولـم يكـن مـن وقعهـا الحيـوان بـالمُتفجّـرِ
وعيـان عقـلٍ لا حـديـث خُـرافـة يُـروى وليـس مشـاهـد كـالمخبـرِ
لـو كـانـت الأشجـار أقـلامـاً وفـي إحـدى بنـانـي فضـل كـل مُسطّـرِ
والبحـر فـي مـدحـي عُـلاك يمـدُّه مـن بعـد هـذا البحـر سبعـة أبحـرِ
فـاقـت ممـادحُـه مـديحـي كلـه فـوقفـت وقفـة قـاصـرٍ ومقصّـرِ
صلـى عليـك الله مـا كشـف الـدُّجى عـن وجهـه ضـوء الصبـاح الأزهـرِ
إنـي ابـن مـوسـى عبـدك القـنُّ الـذي بـك فـي الأنـام أجـرُّ ذيـل تبختـرِ
العلـم سيفـي، والـرشـاد مطيّتـي والستـر درعـي، والأمـانـة مِغفـري
أنـا آدمـي فـي الـرُّواء حقيقتـي ملـكٌ تعيَّـن ذاك للمستبصـرِ
جسمـي حمـولٌ للنـوائـب كلهـا لكـن لـي فـي الجسـم قلـب غضنفـرِ
مـا راعنـي مـن صـائـل صـولٌ ولا ضعُفـتْ قـوى جلـدي لبـأس مُسيطـرِ
يعمـي عُـداة بنـي علـيٍّ منظـري ويصمهـم فـي كـل صُقـع مخبـري
فلقـد تطيَّـر بـي النَّـواصـب كلهـم أنَّـى أقمـت وسـرت أيَّ تطيّـرِ
فتخـالُنـي إمـا مـررت بمعشـر مـن بغضهـم لـي، حتـف ذاك المعشـرِ
قـد طـاب لـي فـي الله أن أوذى وأن أُجفـى فمـا أنـا بـالأذى بمُفكّـرِ

القصيدة السابعة والأربعون

يا صاحب الكيد كدْ ما شئت مجتهداً فـالله يُطفـىءُ نـاراً أنـت تـوقِـدُهـا
أعقـدة حلّهـا البـاري بقـدرتـه من حيث لم تحتسب قد جئت تعقدها
أم الـزروع التـي الـرحمـن زارعهـا تظـن أنـك يـا مغـرور تحصـدهـا
مهلاً فذا البيت ممنوع الحمى أبداً يحمـي مبـانيـه ربٌّ يُشيـدهـا
بيت بنو المصطفى الهادي له عُمُدُ فهـل سـوى الله معـروف معمِّـدهـا
إن كنت تبغي لـه هـدمـاً فكـم أمـم بغَت عليه سبيل الـرشـد يـرشـدهـا
والله أركـس منهـم أمـس طـائفـة وهـاكـم غـدهـا دانٍ ومعهـدهـا

فابسط لها خطة قد عز مصدرها جداً وشقَّ، ولكن هان موردها

القصيدة الخمسون

لقد راحوا بقلبي يوم راحوا فبعدهم حِمى دمعي مباحُ
فيا للبين ليتك لم تقدر وسابَق يومك القدرُ المتاح
فما روعٌ كروعك في فؤادي ولا كجراح سيفك بي جراح
غدا بهج الشباب الغض مني هشيم الزرع تذروه الرياح

الشريف العقيلي

هو الشريف أبو الحسن علي بن حيدرة من ولد عقيل بن أبي طالب. من أهم شعراء مصر وأبدعهم في القرنين الرابع والخامس.

قال الصفدي في [الوافي بالوفيات]: ما رأيت أحداً من شعراء المتقدمين أجاد الاستعارة مثله ولا أكثر من استعاراته اللائقة الصحيحة التخييل[١].

من شعره:

وقائل ما الملك يا من له أجوبة يشفى بها قلبي
فقلت إن كان على مذهبي فالملك عندي راحة القلب

وله:

اسمع ـ جعلت فداكا ـ نصحي، وجانب هواكا
ألست في كل يوم ترى مناك مناكا

وله:

وفتيان بنوا لهم فخاراً رفيع السمك في خطط المعالي
إذا ما المرء صار لهم خليطاً تفكه في الجميل وفي الجمال

وله في زامر:

(١) العماد الأصبهاني ـ خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/٢، ص ٦٢.

وزامـــر يكـــذب فيـــه عـــائبـــه تكثـــر فـــي صنعتـــه عجـــائبـــه
يحجـب صبـر المـرء عـن حـاجبـه ويسكـــر الشـــارب منـــه شـــاربـــه

كأنما ناياته ذوائبه

ومما يذكر له صاحب [يتيمة الدهر]، قوله:

لنـــــا أخ يحســــن أن يحسنـــا جنـــاه للجـــانيـــن عـــذب الجنـــى
قـــد عـــرفـــت روضـــة معـــروفـــه بـــأنهـــا تنبـــت زهـــر الغنـــى
إذا تبـــدى وجـــه إحســـانـــه تنـــزّهـــت فيـــه عيـــون المنـــى

وقوله:

إن كنـــت تعلـــم أن لـــي علمـــاً بـــأســـرار الســـرور
فـــاعمـــل بحســـب وصيتـــي لـــك فـــي مـــلازمـــة البكـــور
ودع الصغيـــر مكـــانـــه واعـــدل إلـــى جهـــة الكبيـــر
مـــا بيـــن ورد كـــالخـــدو د وأقحـــوان كـــالثغـــور
وعليـــك بـــالـــذهـــب الـــذي أجـــراه روبـــاس العصيـــر
مـــا زال يسبـــك بـــالـــذي قـــد شـــب مـــن نـــار الهجيـــر
حتـــى صفـــا فكـــأنـــه دمـــع الطليـــق علـــى الأسيـــر

وقوله:

نحـــن أنـــاس نـــوالنـــا خضـــل يـــرتـــع فينـــا الـــرجـــاء والأمـــل
كـــل فتـــى ليـــس فـــي مـــودتـــه مـــذق ولا فـــي خـــلالـــه خلـــل
لـــو أبصـــر البحـــر فيـــض أنملنـــا فـــاض علـــى وجـــه فيضـــه الخجـــل
فســـق أمـــوالنـــا مـــؤملنـــا لا يعتـــرينـــا مطـــل ولا بخـــل
تسمـــح قبـــل الســـؤال أنفسنـــا بخـــلاً علـــى مـــاء وجـــه مـــن يســـل

ناصر خسرو

(ت: ٤٨١/ هـ ـ ١٠٨٨ م)

هو الحكيم ناصر خسرو بن حارث القبادياني، الشاعر المتفلسف.

كان من أعظم شعراء الفرس وأغزرهم مادة، ومن أبرز رجال الدعوة الفاطمية في خراسان.

اشتغل بتحصيل العلوم، والبحث في الأديان والعقائد والاطلاع على شعر الفرس والعرب.

قام برحلات كثيرة في البلاد العربية والإسلامية.

ترك العديد من المؤلفات هي: سفرنامه * كتاب زاد المسافرين * وجه الدين * خوان الإخوان * دليل المتحيرين * روشنائي نامة أي كتاب الوضوء * سعادة نامة أي رسالة السعادة * جامع الحكمتين * ديوان شعر.

من شعره نختار القصائد التالية:[1]:

ثمرة المعرفة

لا تلُمْ قبة الفلك الزرقاء
وانتزع من رأسك ريح الغرور
واعلم أن الفلك السماوي بريء من الإدانة
ومن العلم أنه لا ينبغي أن تُدين بريئاً
فطالما اتخذ العالم الجفاء ديدنه
فاتخذ أنت المصابرة حياله عادة
وإذا صيرت أنت نجمك نحساً
فلا تأمل من الفلك نجم سعد

---

(١) أخذنا هذه القصائد من كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال مختارات من الشعر الفارسي ص/ ١١٣.

كيف تستطيع أن تكون ذا طلعة ملائكية؟!
ولكــن بجمــال الفعــال كــن ملكــاً
ألا تـرى فـي الـربيـع الخُـزامـى النضـرة
وقـد صـارت فـي السهـل شبيهـة العيـوق؟
فإذا صارت الخزامى حافلةً بالنور، كالنجمة
فـإنهـا لـم تستمـد إلا مـن ذاتهـا صـورتهـا
إنما أنت من طيّبي المحضر بالعقل والرأي
فكيــف لا تتســم بطيــب المحضــر؟
فــإن لــم تــول وجهــك عــن العلــم
فــإن رأســك سيتــوج بــالمجــد
الشجـر الـذي لا ثمـر لـه جـزاؤه الحـريـق
كــذلــك جــزاؤك حيــن لا ثمــرة لــك
فـإذا حملـت شجـرتـك ثمـرة المعـرفـة
فإنك تنزل قبة الفلك الزرقاء دون قدميك!
إياك أن تعد ـ أيها الأخ ـ كلامي جزافاً
فتحسب أن العلم من نصيب الكاتب أو الشاعر
فهـاتـان المهنتـان محبـوبتـان لـدى النـاس
ولكنــي قــد أرحــت منهمــا رأســي
نعــم كــلاهمــا تعبيــرٌ ولكــن
ليـس منهمـا مـا يشبـه سحـر النبـوة
فــإذا اتخــذت لنفســك الشعــر مهنــة
فإن سواك من الناس قد اتخذ الموسيقا
وتعجـز أنــت حيـث يجلـس المطـرب
فينبغي أن تجتث منك اللسان الجريء على الصدق!
حتام أنت تسرف في الحديث عن السرو والخزامى
وتصف الخد بالقمر والذوائب بالعنبر

وتصف بالعلم وبخلوص الجوهر
من رأس ماله الجهل وفساد الطوية
وتدخل في النظم الأكاذيب والجشع؟
وإنما الكذب رأس مال الكافر
أيكون محموداً من «عنصري» أن يمدح
«محموداً» بزهد «عمار» و «أبي ذر»؟
لست أنا الذي يريق على أقدام الخنازير
القيم الثمينة من در كلم اللغة الدرية

الكتاب

هو لي صديق حين أجلس وحيداً
نجيي، وأنيسي وموطن سري
لا يزال يتحدث ولا يسمعُ أبداً نفسه
ليس به من هم، ولكنه يزيل الهموم
له ظهر واحد ومائة وجه
كل منها جميل كالربيع
أُربت على ظهره كلما علمت
أن قد استقر الغبار على وجهه
يقول الكلام دون صوت
ولكن لا يتحدث حتى يصادف واعياً
فلا تسمع له من قول ولا تبصر
على حين لم ير امرؤٌ مثله ذكياً فطناً
أرى كل لحظة من كلام الحكماء
على وجهه أثراً وتذكاراً
ولا يتحدث طالما لا أنظر في وجهه
ليس مثل الثرثارين الثقلاء

ولا يحــــدثــــك أبــــداً فـــي الظـــلام
كـــأنمـــا هـــو أميـــر فـــارس محتشـــم

العُقاب

حـــــوم عقــــاب مـــــن رأس صخـــــرة
ونشـــــر جنـــــاحيـــــه طلبـــــاً للصيـــــد
وفـــي طـــريقـــه نظـــر حـــولـــه وقـــال :
اليـوم كـل وجـه الأرض تحـت جنـاحـي !
حيـــن أحلـــق فـــي الأوج بنظـــري الحـــاد
أرى حتـــى الـــذرة فـــي قـــاع المحيـــط !
ولـــو تحـــركـــت بعـــوضـــة علـــى كـــومـــة
فـإن حـركتهـا تبـدو عيـانـاً أمـام نظـراتـي
واغتـــر اغتـــراراً ولـــم يـــرهـــب قـــدراً
فـانظـر مـا حـدث لـه مـن الفلـك القهـار !
فجـــأة انطلـــق مـــن قـــوس محكـــم
سهم مصوب نحوه من القضاء المسيطر ،
فـأصـابـه السهـم المصمـي فـي جنـاحـه
فهـــوى بـــه مـــن السحـــاب إلـــى الأرض
فخر على الثرى يسبح في دمه كسمكة
وبسط آنذاك جناحيه عن يمين وشمال ،
وقـال : عجبـاً : كيـف تـأتـى للخشـب والحـديـد
هـــذه الحـــدة والقـــوة والطيـــران؟
وألقـــى نظـــرة صـــوب السهـــم
فـرآه قـد وضـع بـه بعـض ريـش العقـاب
فقـــال : لمـــاذا أجـــأر بـــالشكـــوى
ومـا حـدث لـي إنمـا كـان منـي أنـا ؟ !

السلطان الخطاب
(ت: ٥٣٣/ هـ ـ ١١٣٨ م)

اسمه الكامل: السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري. صاحب مدينة الجريب.

كان شاعراً مطبوعاً، من الشعراء المعروفين الجيدين في اليمن. زاهداً ورعاً متضلعاً متبحراً في علوم الدعوة الفاطمية ومعارفها. ومن كبار رجال الدعوة المشعلية (الطيبية) في اليمن.

وكان الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي من تلاميذه.

من مؤلفاته: منيرة البصائرة * رسالة النفس(١) * غاية الأجسام * غاية المواليد * رسالة في بيان إعجاز القرآن * رسالة النعيم * ديوان شعر(٢).

من شعره نختار هذه القصيدة:

إن صح ما قالوا وما شنعوا ... من الكلام الفاسد الفاضح
عن معشر في الدين قد حللوا ... ما هو بئس الكدح للكادح
واستوطأوا مركب فسق به ... أوروا زناد الكفر للامح
لشهوة حسية عندها ... باعوا الفرات العذب بالمالح
وللطبيعيات فيها غدوا ... عالين منها مركب الجامح
فنحن منهم أبرياء كما ... تبرأ الناجي من الطالح
ولعنة الله على كل من ... ناواه من غاد ومن رائح
قد قلت ما قلت به رافعاً ... عقيرة المعلي به البائح
ديني لعن الباطني الذي ... يصد عن نهج الهُدى الواضح
وكل من دان بما دانه ... أُحلُّ جاري دمه السافح

---

(١) ذكر عبد الواسع اليماني في تاريخ اليمن اسم الكتاب [شرح رسالة النفس].
(٢) حققه ونشره إسماعيل قربان حسين وصدر عن دار المعارف بمصر.

قوم فروض الشرع قد عطَّلوا ... وصيروها هزؤ المازح
وكذبوا بالبعث واستصوبوا ... في الدين غير العمل الصالح
وأوجبوا من كان ذا محرم ... كالأم أو كالبنت للناكح
وحللوا الخمر معاً والزنا ... والفسق للداني وللنازح
تأولاً دانوا به فاسداً ... قد رسبوا في جهله الطافح
حلوا عقود الشرع من دينهم ... حتى غدوا كالنعم السارح
هيهات ما في الدين من رخصة ... يسمو إليها نظر الطامح
ما استعبد الله تعالى الورى ... بما اقتضاه مزح المازح
من مبلغ عني قوماً نسوا ... مما تسموا صفقة الرابح
يرون أن الدين ما سولت ... أنفسهم من عمل فاضح
براءتي منهم ولعني لهم ... حتى أوارى بيد الضارح
لا قدس الله لهم أنفساً ... قد عدلت عن سنن الناصح
وحبذا قوم هم ما هم ... تمسكوا بالمتجر الرابح
وأخلصوا لله مولاهم ... ديناً وللمستخلص المانح
لم يسبحوا في بحر لهو به ... قد سبح الناس مع السابح
ولا دعوا خزياً إلى ما دعوا ... إليه لكن مدح المادح
ولا أتوا فاحشة أطلقت ... عليهم في القدح للقادح
بل جانبوا الدنيا وما استكلبوا ... على الدنايا كلب النابح
واتبعوا الشرع فما فيهم ... من تارك ذاك ولا طارح
واستعملوا الدين فلم يزجروا ... عيافة السانح والبارح
ما سرهم خير ولا ساءهم ... من شر ذي شر ولا فادح
قد شغلوا بالدرس أوقاتهم ... في الدهر من ماس ومن صابح
حتى غدوا أعلام علم به ... يقوم قصد العاند الجانح
وأطلعوا من سر أسراره ... على خفي لهم لائح
وعاهدوا الله على ستره ... من كل ضد حاسد كاشح
فهم يدينون لمولاهم ... من تحت ستر لهم سانح

أولاك إخـوانـي لـم ينـأ بـي … عـن سـوحهـم منـدوحـة النـادح
تفتـرق الأشبـاح منـا ومـا الـ … أرواح مـن ذلـك بـالبـارح
فقـل لمـن يـزري علـى مـذهبـي … زرى الثمـودي علـى صـالـح
هـذا اعتقـادي فـاقـف أو فـاعتـزل … طـرت فـلآزم صفـة الـرازح
ومـن ينـاضلنـي عليـه يجـد … مـن حججـي مـوهيـة النـاطـح
أدمـغ بـالحـق أبـاطيلـه … دمـغ النـوى عـن حجـر الـراضـح
هـا أنـذا أعـرض نفسـي فمـن … شـاء فـذا بـابـي للفـاتـح
ولاءُ أهـل البيـت دينـي الـذي … بـه مسحـت الكـف للمـاسـح
هـم شفعـائـي يـوم بعثـي إذا … مـا جمعتنـا صيحـة الصـائـح
يـا قـادحـاً زنـد مـلامـي علـى … حبهـم قبحـت مـن قـادح
سمحـت مـن قبـل مـوالاتهـم … بمـا بـه لـم أُضـح بـالسـامـح
صـافحتهـم بـالعهـد فـي حيـن أن … صفحـت عنهـم أخـدع الصـافـح
فكيـف أن تـرجـو نكثـي بـه … بعـد اصطفـائـي نظـر النـاقـح
هيهـات! حبـي لهـم حـب مـن … ينجـو بهـم مـن لهـب لافـح
عسـاي أن أبعـث فـي محشـري … صـاحـب ميـزان بهـا راجـح
وجهـت وجهـي لهـم طـائعـاً … ولا أبـالـي رمـح الـرامـح
رضـى حمـامـي فيهـم بـالـذي … أنـالـه مـن عتـب الجـارح
والله لـولا مـا غـدا شـارحـاً … لـه الـذي قـدس مـن شـارح
فـي طـاعـة الله وطـاعـاتهـم … علـى الـولـي العـابـد السـائـح
مـا شـاك ذا رحمـي بـي شـائـك … ولا اغتـدى ذا ودج فـاتـح
بـل فـي رضـاء الله، لمـا اغتـدى … يمتـح فـي الفسـق مـع المـاتـح
وارتكـب الفحشـاءَ مـن محـرم … بـاشـر منـه أيّمـا جـائـح
جشمـت نفسـي خطـةً صعبـةً … فيـه أتتـه بـردى تـائـح
غسلـت عـن عـرضـي وعـن عـرضـه … بهـا مقـال القـائـل القـابـح

طاهر شاه الحسيني

(توفي بعد عام ٩٤٢هـ/ ١١٣٧م)

ينحدر من سلالة أئمة آلوت، الذين ينتسبون إلى أئمة مصر الفاطميين كان موسوعياً وعارفاً في كافة العلوم السائدة في عصره، وطبيباً بارعاً، ضليعاً بالفلسفة الإسماعيلية، وكان يولي القضايا الجعفرية اهتماماً خاصاً.

من مؤلفاته: ديوان شعر * مجموعات مقالات * رسالة في شرح الجعفرية * رسالة في الفقه الشيعي * حاشية في تفسير البيضاوي * شروح وهوامش لمقالات شتى * إشارات ومحاكمات * المجسطي* الشفاء والطول * تحفة شاهي * قلشداني راز * رسالة بلاكي * شرح في التهذيب * دار المعاد...

ظافر الحداد

(ت: ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)

هو ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني الجذامي الحداد.

كان من الشعراء المجيدين. وله ديوان شعر أكثره جيد، روى عنه الحافظ السلفي وغيره من الأعيان.

ذكر له العماد الأصفهاني الكاتب في [خريدة القصر وجريدة العصر][١] العديد من المقطوعات الشعرية نختار منها ما يلي:

بمنازل الفسطاط حل فؤادي ... فاربع على عرصاتهن وناد
يا مصر هل عرضت لغصن فوقه ... قمر بربعك إربة لمعادي

---

(١) قسم شعراء مصر ج/٢، ص ١.

ترف يميله الصبا ميل الصبا ... بقوام خوط البانة المياد
أترى أنال الليل بعض رضابه ... فعذبن منه مياه ذاك الوادي
فأفاد منه الطعم لكن شرب ذا ... يروي وذاك يزيد كرب الصادي
واهاً على تلك الديار فإنها ... أوطان أحبابي، وأهل ودادي
ولقد أحن لها ولسن منازلي ... وأودها شغفاً، ولسن بلادي
دمن لبست بها الشباب ولمتي ... سوداء ترفل في ثياب حداد
والعيش أخضر، والديار قريبة ... وأبيت من أملي على ميعاد
والقلب حيث القلب رهن والظبا ... حدق الظباء الغيد قيد الغادي
شتت شمل الدمع لما شتتوا ... شملي، وصحت به بداد بداد
فالآن تخترق الجفون عبابه ... ما بين مثنى توأم وأحاد
قاني المسيل كأن فيض غروبه ... فوق الخدود عصارة الفرصاد

وقال:

هذا الفراق وهذه الأظعان ... هل غير وقتك للدموع أوان
إن لم تفضها كالعقيق فكل ما ... تدعوه من سنن الهوى بهتان
هذا الغرام على ضميرك شاهد ... عدل فماذا ينفع الكتمان؟
إن كنت تدخر الدموع لبينهم ... فالآن قد وقع الفراق وبانوا
غدر المتيم إن يكون بقلبه ... سفر وبين جفونه طوفان

ومن شعره:

في لحظها مرض للتيه تحسبه ... وسنان أو فقريب العهد بالرمد
تريك ليلاً على صبح على غصن ... على كثيب كموج الرمل مطرد

وله مما يغنى به:

عتبت ولكنني لم أع ... واين ملامك من مسمعي
وما قدر عتبك حتى يزيل ... غراماً تمكن من أضلعي
وما دام لومك إلا ... وأنت تقدر أن جناني معي

مضـــى كـــي يـــودع سكـــانـــه غـــداة الفـــراق فلـــم يـــرجـــع
فـــؤادي فـــي غيـــر مـــا أنـــت فيـــه فخـــذ فـــي مـــلاحقـــه أو دع

وله:

أرى الشـــر طبـــع نفـــوس الانـــام يصـــرفهـــا بيـــن عـــار وذام
فـــإن كـــان لا بـــد مـــن قـــربهـــم فـــزرهـــم علـــى حـــذر واتهـــام
ومـــا ذاك إلا كـــأكـــل المـــريـــض شهـــوتـــه مـــن أضـــر الطعـــام
وقـــد ينتهـــي شـــر مـــن لا تخـــاف إلـــى غـــايـــة فـــي الاذى لا تـــرام
كمـــا يقتـــل النمـــل وهـــو الضعيـــف شبـــل الهـــزبـــر البعيـــد المـــرام
ومـــا للـــرمـــاح علـــى طـــولهـــا ـ مـــع البعـــد ـ فعـــل قصـــار السهـــام

طلائع بن رزيك

(ت: ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)

أرمني الأصل.

ملك مصر واستقل بالأمور في عهد الخليفة الفائز. ولما مات الفائز وبويع العاضد استمر ابن رزيك وزيره، وزوجه ابنته، وكان صغيراً، فاستبد بالأمر دونه، وقطع أرزاق الخاصة فدبرت له مؤامرة لقتله فقتل سنة ٥٥٦هـ.

كان فاضلاً سمحاً في العطاء، سهلاً في اللقاء، محباً لأهل الفضائل، جيد الشعر. له ديوان شعر في جزأين(١). وأكثر أشعاره في مدح آل البيت.

قيل إنه كان يرى القدر وصنف كتاباً سماه [الاجتهاد في الرد على أهل العناد]. ذكر له العماد الكاتب الأصفهاني مقطوعات شعرية كثيرة اخترنا منها ما يلي(٢):

ومهفهـف ثمـل القـوام سـرت إلـى أعطـافـه النشـوات مـن عينيـه

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج٢، ص ٣١١.
(٢) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ج/ ١، ص ١٧٣.

ماضي اللحاظ كأنما سلت يدي سيفاً غداة الروع من جفنيه
الناس طوع يدي وأمري نافذ فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فاعجب لسلطان يعم بعدله ويجور سلطان الغرام عليه
قد قلت إذ كتب العذار بخده في ورده ألفيه لا لاميه
ما الشعر لاح بعارضيه وإنما أصداغه نفضت علىٰ خديه
والله لولا اسم الفرار وأنه مستقبح لفررت منه إليه

وقال:

وفاتر الطرف في الخد الأسيل له ورد جني حمته أسهم المقل
نهبته بفمي لثماً وقد غفلت عين الرقيب وكلّت ألسن العذل
وخاف أن يفطن الواشي بنا وبه فعاد يخلف ما قد منَّ بالخجل
إن مال عني فقد مال النعيم وإن يمل إليَّ أجده غاية الأمل
هابت سطايَ ليوث الغاب غادية ورحت من لحظات الظبي في وجل
فرجت ضنك الوغى في كل معركة بحد سيفي وضاقت في الهوى حيلي

وقال:

مشيبك قد نضا صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان يقظى وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف بقاء عمرك وهو كنز وقد أنفقت منه بلا حساب

وذكر زين الدولة الحسين ابن الوزير أبي الكرام، أن الصالح بن رزيك كتب إلى والده بعد عوده من مصر إلَى الشام سنة إحدى وخمسين:

أحباب قلبي إن شط المزار بكم فإنكم في صميم القلب سكان
وإن رجعتم إلى الأوطان إنّ لكم صدورنا عوض الأوطان أوطان
جاورتم غيرنا لما نأت بكم دار وأنتم لنا بالود جيران
وكيف ننساكم يوماً لبعدكم عنا وشخصكم للعين إنسان

ومن شعره:

يا دهر حسبك ما فعلت بنا أتراك تطلب عندنا إحنا

كـــم نتقيـــك بكـــل ســابغــة وسهـــام كيـــدك تخـــرق الجننـــا
مـــا تنفـــع الـــدرع الحصينـــة مـــن عمـــا قليـــل يلبـــس الكفنـــا
كـــلا ولا الأيـــام تقبـــل عـــن أرواحنـــا رشـــواً ولا ثمنـــا
لـــو بـــالثـــريـــا حـــل معتصـــم منهـــا لكـــان لـــه الثـــرى وطنـــا
ولقـــد يهـــون مـــا أصـــابكـــم فقـــد الحسيـــن الطهـــر والحسنـــا
وبنيهـــم إذ طـــوحـــت بهـــم أيـــدي زمـــانهـــم هنـــا وهنـــا
وأرى الأئمـــة جـــار دهـــرهـــم فـــي فعلـــه بهـــم فكيـــف أنـــا
لـــي أســـوة بهـــم الغـــداة إذا أصبحـــت فـــي الأجـــداث مـــرتهنـــا

ابن الكيزاني

(ت: ٥٦٠هـ وقيل ٥٦١/ ١١٦٤م)

هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت بن ابراهيم بن فرح الكناني، المعروف بابن الكيزاني. أهم شاعر صوفي ظهر بمصر قبل ابن الفارض.

كان زاهداً ورعاً. أحدث طريقة خاصة اعتنقها كثيرون. له ديوان شعر كبير أكثره في الزهد.

وصفه العماد الأصفهاني بقوله: فقيه واعظ مذكر حسن العبارة، مليح الإشارة لكلامه رقة وطلاوة، ولنظمه عذوبة وحلاوة[١].

من المقطوعات التي ذكرها العماد الاصفهاني في [خريدة القصر] نختار ما يلي:

ســـواء أن تلـــومـــا أو تـــريحـــا رأيـــت القلـــب لا يهـــوى نصيحـــا
أمـــا لـــو ذقتمـــا صـــرف الليـــالـــي إذن لعـــذرتمـــا القلـــب القـــريحـــا
وكـــانـــت فـــرقـــة الأحبـــاب ظنـــاً فـــأصبـــح بينهـــم خبـــراً صـــريحـــا

---

(١) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/٢، ص ١٨.

ولو لم ينزلوا سلمات نجد ... لما استنشقت للسلمات ريحا
ولا أهديت للأسماع يوماً ... غناء من حمائمها فصيحا
وها أنا قد سمحت بدمع عيني ... وكنت بدمعها أبداً شحيحا
وأمكنت المحبة من قيادي ... وصنت مع النأي وداً صحيحا
وقد سكن الجوى قلباً صحيحاً ... وقد ترك الهوى صدراً قريحا

وقوله:

بربكما عرجا ساعة ... ننوح على الطلل الدارس
ففيض الدموع على رسمه ... يترجم عن حرق البائس
وعهدي بغزلانه رتعاً ... لدى ملعب بالدمى آنس
ولي فيهم شادن أهيف ... يفوق على الغصن المائس

وقال:

أسكان هذا الحي من آل مالك ... مسالمة ما بيننا وجميل
ألم تعدونا أن تزوروا تكرماً ... فما بال ميعاد الوصال يطول
وحلتم عن الوعد الجميل ملالة ... وأنتم على نقض العهود نزول
إذا قيل من تهوونه صار خائناً ... بعيشكم ماذا هناك يقول
وإنا لنستبقي المودة والهوى ... شهيد لنا إذ ليس عنه نزول
ولا تحسبوا العتبى عليكم توجعاً ... فيطمع واش أو يلج عذول
رضينا رضينا أن تبيح نفوسنا ... وما عاشق منا بذاك بخيل
وما منكم بد على كل حالة ... وإن كان فيكم هاجر وملول
كذاك الهوى: هذا حبيب معزز ... وهذا محب في هواه ذليل
ووجد وشوق وارتياح ولوعة ... وهجر وسقم دائم ونحول
دواعي الهوى محتومة فاصطبر لها ... وإن جار بين أو جفاك خليل
علمنا بوشك البين أول حالة ... وما حضرتنا للوداع عقول
إذا ما طمعنا أن تقر ديارهم ... تداركهم بعد الرحيل رحيل

المهذب بن الزبير

(ت: ٥٦١هـ/ ١١٦٥م)

ويعرف أيضاً باسم القاضي المهذب.

اسمه الكامل أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير. اختص بطلائع بن رزيك. له كتاب [الأنساب] وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً. وهو غاية في معناه. وله تفسير في خمسين مجلدة.

لم يكن في زمانه أشعر منه، وشعره محكم كالبناء المشيد(١).

من شعره: قال يمدح آل رزيك:

أقصرْ ـ فديتُك ـ عن لومي وعن عذلي ... أوْ لا فخذ لي أماناً من يد المقلِ
من كل طرف مريض الجفن تنشدنا ... ألحاظه «رُبَّ رام من بني ثُعل»
إنْ كان فيه لنا وهو السقيم شفاً ... فربما صحَّت الأجسام بالعِلل
إن الذي في جفون البيض إذ نظرت ... نظيرُ ما في جفون البيض والخِلل
كذاك لم يشتبه في القول لفظهما ... إلا كما اشتبها في الفعل والعمل
وقد وقفت على الأطلال أحسبها ... جسمي الذي بعد بُعد الظاعنين بُلي
أبكي على الرسم في رسم الديار فهل ... عجبت من طللٍ يبكي على طللِ
وكل بيضاء لو مسَّت أناملها ... قميص يوسف يوماً قُدَّ من قُبُل
يُغني عن الدُّر والياقوت مبسمُها ... لحُسنها فلها حليٌ من العطلِ
بالخدّ منّي آثار الدموع كما ... لها على الخد آثارٌ من القُبَلِ
كأنّ في سيف سيف الدين من خجل ... من عزمه ما به من حمرة الخجل
هو الحسام الذي يسمو بحامله ... زهواً فيفتك بالأسياف والدول
إذا بدا عارياً من غمده خلعت ... غِمد الدماء عليه هامة البطل
وإن تقلَّد بحراً من أنامله ... رأيت كيف اقتران الرزق بالأجل

---

(١) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/١، ص ٢٠٤.

من السيوف التي لاحت بوارقها ... في أنمُلٍ هي سُحْب العارض الهطلِ
فجاءنا لبني رُزِّيكَ معجزُها ... بآية لم تكن في الأعصر الأُولِ
تبدو شموساً همُ أقمارها وترى ... شُهْب القنا في سماء النقع لم تفِلِ
قد غايرت فيهمُ السمر الرقاق رقا ... قُ البيض خلف سجوف النقع في الكللِ
إن عانقوا هذه في يوم معركةٍ ... لاحت لهم بتلظّي تلك كالشُّعلِ
وقد لقوا كل من غاروا بمُشبهِهِ ... حتى لقوا النُّجل عند العرض بالنُّجُلِ
وضارب الروم رومٌ من سيوفهمُ ... وطاعن العُرب أعرابٌ من الأسلِ
وهزَّهم لصهيل الخيل تحت صهيـ ... ـل البيض ما هزَّ أعطاف القنا الخطِلِ
فالدم خمرٌ وأصوات الجياد لهم ... أصوات معْبد في الأهزاج والرَّملِ
والخيل قد أطربتها ـ مثلما طربوا ـ ... أفعالهم، فهي تمشي مِشْية الثَّمِلِ
من كل أجرد مختالٍ بفارسه ... إلى الطّعان جريح الصدر والكفَلِ
وكل سلْهَبَةٍ للريح نسْبتُها ... لكنها لو بغتها الريح لم تُنَلِ
أفارس المسلمين اسمع فلا سمعت ... عِداك غير صليل البيض في القُللِ
مقال ناء غريب الدار قد عدم الـ ... أنصار لولاك لم ينطق ولم يقُلِ
يشكو مصائب أيام قد اتسعتْ ... فضاق منها عليه أوسع السُّبُلِ
يرجوك في دفعها بعد الإله وقد ... يُرْجى الجليل لدفع الحادث الجلَلِ
وكيف ألقى من الأيام مرْزِئةً ... جلَّت ولي من بني رزِّيك كلُّ ولي
لولاهمُ كنت أفري الحادثات، إذا ... نابت، بنهضة ماضي العزم مُرتجلِ؟
وكيف أخلع ثوب الذلّ حيث كفيـ ... ـل الحرِّ بالعزِّ وخد الأينق الذُّلُلِ
فما تخاف الردى نفسي وكم رضيت ... بالعجز خوف الردى نفسٌ فلم تُبلِ
إني امرؤٌ قد قتلت الدهر معرفةً ... فما أبيت على يأس ولا أملِ
إن يُروِ ماء الصِّبا عودي فقد عجمت ... مني طروق الليالي عود مُكتهِلِ
تجاوزت بي مدى الأشياخ تجربتي ... قدماً وما جاوزت بي سنَّ مُقتبلِ
وأول العمر خير من أواخره ... وَأين ضوء الضحى من ظلمة الأُصُلِ
دوني الذي ظنَّ أني دونه فله ... تعاظم لينال المجد بالحِيلِ
والبدر تعظم في الأبصار صورتهُ ... ظناً ويصغر في الأفهام عن زُحَلِ

ما ضرَّ شعْريَ أني ما سبقت إلى (أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل)
فإن مدحي لسيف الدين تاه بهِ زهواً على مدح سيف الدولة البطلِ

وقال:

كأن قدودهم أنبتت على كثب الرمل قضبانها
حججنا بها كعبةً للسرور ترانا نُمسِّح أركانَها
فطوراً أعانق أغصانها وطوراً أُنادم غزلانها
على عاتقٍ إن خبتْ شمسُنا فضضنا عن الشمس أدنانَها
وإن ظهرت لك محجوبة قرأت بأنفِك عُنوانَها
كُميْتٌ من الراح لكنما جعلنا من الروح فرسانها
إذا وجدت، حلبة للسرور وكان مدى السُّكر ميدانها
يطوف بها بابليُّ الجفونِ تفضح خدَّاه ألوانها
إذا ما ادَّعت سقَماً مُقلتاه أقمتُ بجسمي برهانها
بكأس إذا ما علاها المزاج أحال إلى التبر مرجانَها
كأنَّ الحباب وقد قُلِّدَتْـ ـهُ درٌّ يُفصِّل عِقيانها
ومُسمِعةٍ مثل شمس الضحى أضافت إلى الحسن إحسانها
وراقصةٍ رقصُها لِلُّحُون عروض تُقيِّد أوزانها
ولما طوى الليل ثوب النهار وجرَّت دياجيه أرْدانها
جلونا عرائس مثل اللُّجين صنعنا من النار تيجانها
وصاغتْ مدامعها حِلْيَةً عليها تُوشِّح جُثمَانها
رماحاً من الشمع تفري الدجى إذا صقل الليل خُرصانها
بها ما بأفئدة العاشقين فليست تفارق نيرانها
وقد أشبهت رُقباء الحبيب فما يدخل الغُمض أجفانها
وفيها دليل بأن النفو س تبقى وتُذهِب أبدانها

ومن شعره ما أورده أخوه في (الجنان) وهو قوله:

لم تنلْ بالسيوف في الحرب إلا مثلما نلت باللواحظ مِنَّا

وعيـــون الظِّبـــاً ظُبـــاً وبهـــذا سُمِّـــي الجفـــن للتشـــابـــه جَفْنـــا

وقوله:

وقـد أنكـروا قتلـي بسيـف لحـاظـه ولو أنصفوني ما استطاعوا له جحدا
وقالوا دع الدعوى فما صحّ شاهدٌ عليهـا ولسنـا نقبـل الكـفّ والخـدا
ولـو كـان حقـاً مـا تقـول وتـدعـي علـى مقلتيـه عـاد نـرْجسهـا وردا
ومـا علمـوا أن الحسـام بسفكِـهِ دم القِرْن يوماً عُدَّ أمضى الظُّبا حدّا

الجليس بن الحباب

(ت: ٥٦١هـ/ ١١٦٥م)

يعرف باسم القاضي الجليس. من ذرية بني الأغلب سلاطين إفريقية. تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال في عهد الوزير طلائع بن رزيك.

«كان أوحد عصره في مصر نظماً ونثراً، وترسلاً وشعراً».

من شعره ما قاله على سبيل المداعبة في طبيب يقال له ابن السديد:

وأصـل بليتـي مـن قـد عـزانـي مـن السقـم الملـح بعسكـريـن
طبيـــب طبـــه كغـــراب بيـــن يفـــرق بيـــن عـــافيتـــي وبينـــي
أتى الحمى وقد شاخت وباخت فـــرد لهـــا الشبـــاب بنسختيـــن
ودبـــرهـــا بتـــدبيـــر لطيـــف حكـــاه عـــن سنـــان أو حنيـــن
وكـانـت نـوبـة فـي كـل يـوم فصيـــرهـــا بحـــذق نـــوبتيـــن

ومن أبياته في الغزل:

رب بيـض سللـن بـاللحـظ بيضـا مـــرهفـــات جفـــونهـــن الجفـــون
وخـــدود للـــدمـــع فيهـــاَ خـــدود وعيـــون قـــد فـــاض منهـــا عيـــون

ومن شعره في العتاب والاستبطاء والشكوى قوله:

كـم مـن غـريبـة حكمـة زارتـك مـن فكـري فمـا أحسنـت قـط ثـوابهـا
جاءتك ما طرقت وفود جمالها الـ أسمـــاع إلاّ فتحـــت أبـــوابهـــا

فتنتك إعجاباً فحين هممت أن ... تحبو سويداء الفؤاد صوابها
وأفتك من حسد وساوس حكمة ... جعلت لعينك كالمشيب شبابها
فثنيت طرفك خاشعاً لا زاهداً ... ورددتها تشكو إليَّ مآبها
وأراك كالعنين هم بكاعب ... بكر وأعجزه النكاح فعابها

وقال يرثي أباه، ومات غريقاً في البحر لريح عصفت:

وكنت أهدي مع الريح السلام له ... ما هبت الريح في صبح وإمساء
إحدى ثقاتي عليه كنت أحسبها ... ولم أخل أنها من بعض أعدائي

الرشيد بن الزبير
(ت: ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)

هو أبو الحسين أحمد ابن القاضي الرشيد أبي الحسن علي ابن القاضي الرشيد أبي إسحاق ابراهيم بن محمد بن الحسن بن الزبير الغساني الأسواني، المعروف باسم القاضي الرشيد شقيق القاضي المهذب.

«كان ذا علم غزير، وفضل كبير. كاتباً شاعراً فقيهاً نحوياً لغوياً ناشئاً عروضياً مؤرخاً منطقياً مهندساً عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم متفنناً»[١].

ولد بأسوان وهاجر منها الى مصر فاتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقدم عندهم. أنفذه الخليفة الحافظ الى اليمن داعياً له سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م. ولي النظر بثغر الاسكندرية في الدواوين السلطانية سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م. قتله الوزير شاور سنة ٥٦٣هـ/ لميله إلى أسد الدين شيركوه.

ترك الرشيد عدداً من المصنفات منها: كتاب منية الالمعي وبلغة المدعي، كتاب المقامات، كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان، كتاب الهدايا والطرف[٢]، كتاب شفاء الغلة في سمت القبلة، كتاب رسائله، ديوان شعره.

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج/١، ص ١٦٠.
(٢) نشرت وزارة الاعلام الكويتية كتاباً للرشيد بن الزبير بعنوان الذخائر والتحف.

من شعر الرشيد، قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها:

يـا ربْـعُ، أيـن تـرى الأحبَّة يمَّمـوا ... رحلـوا، فـلا خلَـتِ المنـازل مِنهـمُ

ويُروَى: ونأوْا فلا سلت الجوانح عنهُمُ

وسرَوْا، وقد كتموا الغداة مسيرهم ... وضيـاء نـور الشمـس مـا لا يُكتـمُ

وتبـدَّلـوا أرض العقيـق عـن الحِمـى ... روَّت جفـونـي أيَّ أرضٍ يمَّمـوا

نـزلُـوا العُـذيـب، وإنمـا فـي مهجتي ... نـزلُـوا، وفـي قلـب المُتيَّـم خيَّمـوا

مـا ضـرَّهُـم، لـو ودَّعُـوا مـن أودعـوا ... نـار الغـرام، وسلَّمـوا مـن أسلمُـوا

هُـم فـي الحشا إنْ أعرقُوا أو أشأمُوا ... أو أيمنُـوا، أو أنجـدوا، أو أتهمـوا

وهـم مجـال الفكـر مـن قلبـي وإنْ ... بعُـدَ المـزار فصفـوُ عيشـي معهُـمُ

أحبـابنـا، مـا كـان أعظـم هجـركُـمْ ... عنـدي، ولكـنَّ التفـرُّق أعظـمُ

غِبتُـم، فـلا والله مـا طـرق الكـرى ... جفنـي، ولكـنْ سـحَّ بعـدكُـمُ الـدَّمُ

وزعمتُـم أنِّـي صبـور بعـدكُـمْ ... هيهـات، لا لُقِّيتُـم مـا قُلْتُـمُ

وإذا سُئلـتُ بمـن أهيـمُ صبـابـةً ... قلـتُ: الـذيـن هُـمُ الـذيـن هُـمُ هُـمُ

النَّـازليـن بمهجتـي وبمقلتِـي ... وسـط السُّـويـدا، والسَّـواد الأكـرمُ

لا ذنـب لـي فـي البعـد أعـرفُـهُ سـوى ... أنِّـي حفظـت العهـد، لمَّـا خُنتُـمُ

فأقمت، حين ظعنتُم، وعدلتُ، لمـ ... ـا جُـرْتُـمُ، وسهـدت، لمـا نِمتُـمُ

يـا مُحـرقـاً قلبـي بنـارِ صُـدورِهـمْ ... رفقـاً، ففيـه نـار شـوقٍ تُضـرمُ

أسعـرتُـمُ فيـه لهيـب صبـابـةٍ ... لا تنطفـي إلاّ بقـربِ منكـمُ

يـا سـاكنـي أرضِ العُـذيـب سُقيتُـمُ ... دمعـي، إذا ضـنَّ الغمـام المُـرزِمُ

بعُـدتْ منـازلكُـمْ وشـطَّ مـزاركُـم ... وعُهُـودكـم محفـوظـةٌ، مُـذ غِبتُـمُ

لا لـوم لـلأحبـابِ فيمـا قـدْ جنَـوْا ... حكَّمتُهُـم فـي مهجتـي فتحكَّمُـوا

أحبـاب قلبـي أعمِـرُوه بـذكـركُـم ... فلطـالمـا حفِـظ الـوداد المُسْلـمُ

وٱستَخبِـروا ريـح الصَّبـا تُخبـركُـمُ ... عـن بعـض مـا يلقـى الفـؤادُ المُغـرمُ

كـم تظلِمُـونـا قـادريـن، ومـا لنـا ... جـرمٌ ولا سبـب لمـن نتظلَّـمُ؟

ورحلْتُـم، وبعُـدتُـم، وظلمتُـمُ ... ونـأيتُـم، وقطعتُـمُ، وهجـرتُـمُ

هيهـات لا أسلـوكُـم أبـداً، وهـل ... يسلـو عـن البيـت الحـرام المُحـرِمُ؟

وأنا الذي واصلتُ، حين قطعتُم
وحفِظتُ أسباب الهوى، إذ خُنتُمُ

جار الزمان عليَّ، لمَّا جرتُمُ
ظلماً، ومال الدهر، لمَّا مِلتُمُ

وغدوتُ بعد فراقكُم، وكأنَّني
هدف يمرُّ بجانبيه الأسهمُ

ونزلت مقهورَ الفؤاد ببلدةٍ
قلَّ الصديق بها وقلَّ الدِّرهمُ

في معشرٍ خُلقُوا شُخُوص بهائم
يصدى بها فكر اللَّبيب ويُبهمُ

إن كورمُوا لم يُكرمُوا، أو عُلِّموا
لم يعلمُوا، أو خوطبُوا لم يفهمُوا

لا تنفقُ الآدابُ عندهُمْ ولا الـ
إحسان يُعرفُ في كثيرٍ منهُمُ

صمٌّ عن المعروف حتى يسمعوا
هُجْر الكلام فيُقدِموا ويقدِّمُوا

فالله يُغني عنهم، ويزيد في
زُهدي لهم، ويفكُّ أسري مِنهُمُ

ابن قلاقس

(ت: ٥٦٧هـ/ ١١٧١م)

نصر الله بن عبد الله بن علي الأزهري، الأعز أبو الفتوح، المعروف بابن قلاقس.

شاعر اسكندري، رحل إلى صقلية وبقي بها نحو عامين ثم رجع الى مصر وتركها إلى اليمن ومات بعيذاب بعد رجوعه منها.

ويعتبر ديوانه الذي نشرته مطبعة الجوائب سنة ١٩٠٥م بتحقيق شاعر القطرين المرحوم خليل مطران، أول ديوان شعر كامل وصلنا عن العصر الفاطمي[1] له كتاب بعنوان [الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم].

من شعره القصيدة السيارة التي مطلعها:

ألحق بنفسج فجري وردتي شقق
كافورة الصبح فتت مسكة الغسق

قد عطل الحسن من أسمار أنجمه
فاعقد بخمرك فينا حلية الأفق

قم هات جامك شمساً عند مصطبح
وخل كأسك نجماً عند مغتبق

(١) مجموعة من الأساتذة ـ الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٢.

واقسم لكل زمان ما يليق به ... فإن للزند حلياً ليس للعنق
هبَّ النسيم وهبَّ الريم فاشتركا ... في نكهة من نسيم الروضة العبق
واسترقصتني كاسترقاص حاملها ... فخضرة الورق في مخضرة الورق
وبت بالكأس أغنى الناس كلهم ... فالخمر من عسجد والماء من ورق
كم وردت وجنات الصرف في قدح ... فتحت بالمَزج ما تعلوه من حدق
يسعى بها رشأ عيناه قد رمقت ... لم يبق فيَّ ولا فيها سوء الرمق
حبابها وأحاديثي ومبسمه ... ثلاثة كلها من لؤلؤ نسق
حتى إذا أخذت مني بسورتها ... ما يأخذ النوم من أجفان ذي أرق
ركبت فيه بحاراً، من عجائبها ... إني سلمت ـ ولم أشعر ـ من الغرق
ولم أزل في ارتشافي منه ريق فم ... أطفأت في برده مشبوبة الحرق
يا ساكني القلب عما قد رحبت به ... من ساكني الجزع مع ما فيه من قلق
لا تعجبن لكل الجسم كيف مضى ... وإنما اعجب لبعض الجسم كيف بقي
لم أسترق بمنامي وصل طيفهم ... فما له صار مقطوعاً على السرق

ومن قصيدة الوردة الثانية كلمة مطلعها:

نعم هو البرق على الأنعم ... فاشق به إن شئت أو فانعم
لاح بأعلى هضبة خافقاً ... خفق لواء البطل المعلم
وزل عن صهوة طرف الدجى ... سقطة جلّ الفرس الأدهم
حتى إذا قابل وادي الغضا ... أغضى على مدمعه المثجم
واستقبل السطح وكم فوقه ... من قلعة سافحة بالدم
فحينما شق كنوز الربى ... عن ذلك الدينار والدرهم
قام نساء الحي يجنينه ... بين فرادى منه أو توأم
فأشكل النوران من مبسم ... تعبق رياه ومن منسم
واشتبه الروضان في نضرة ... إلى حياء وحيا ينتمي
ما بين جنات إلى أعين ... وبين خيريٍّ إلى حيرم
ومعرك بينهما لم يزل ... يفتك فيه الظبي بالضيغم
بين حمى بات كليب به ... مجرداً من شملة المحتمي

يمنع ضيف العين منه القرى ... وهو مباح ليد أو فم
يا عاقري النيب لضيفانهم ... غلطتم في كبد المغرم
أتلفتم قلبي فماذا الذي ... خفف عنكم ثقل المغرم
كم من دم بات به حيكم ... كأنه ملتقط العندم
وكم عيون أصبحت عندكم ... معدودة من جملة الأسهم
لا طرقت ربعكم غارة ... يسأل فيها معشري عن دمي
ولا سرت نحوكم أسرة ... كأسر بالداهية الصيلم
من كل من تصدر أسيافه ... بضربة مثل دم الأهتم
يقول إن جرَّ كعوب القنا ... تأبط الضيغم بالأرقم
لو لم تكن من فتكات الهوى ... شقت على الحافر والمنسم
ما هذه أول ما ردَّني ... عنه بلا أجر ولا مغنم
فحل عن عتبك لي إنها ... شنشنة تعرف من أخزم
أقسمت بالله ولولا علا ... مجد أبي القاسم لم أقسم
إن ابن حمود له راحة ... تستجلب الحمد من المرزم
المجمل المنعم إن حيرت ... مدائح في المجمل المنعم
والكعبة الغراء لكنها ... تحل ما يحرم للمحرم
في كل يوم لوفود الندى ... ببابه مجتمع الموسم
للمال من راحته عندهم ... أضعاف ما للماء من زمزم
يفيض بحر الجود من كفه ... فيزدري بالزاخر الخضرم
سائله أو سله تجد عنده ... هدى جهول وغنى معدم

ومنها:

ولو أعار الليل آراءه ... ما احتاج ساريه إلى الأنجم
فضائل كادت لإفراطها ... تنطق بالشكر فم الأبكم
ما بدأ الإحسان فاحتاج أن ... يقول راجيه له تمّم
يا من يجاريه إلى غاية ... سالمه وارجع دونه تسلم
لا يرتقي للنجم ذو سلم ... فكيف من كان بلا سلم

يـــا سيـــداً أفعـــالـــه غـــرة   فـــوق جبيـــن الـــزمـــن الأدهـــم
صـم وافـر الأجـر وصـم حـاسـداً   يشجـوه قـولـي لـك صـم أو صـم
وابـق وزد واعـل وسـد واصطنـع   واردف وجـد وابـدأ وعـد واسلـم

عمارة اليمني

(ت: ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)

هو أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحدقي الحكمي. تفنن في علم الأدب وصار من أعيان زمانه فيه. صاحب الملوك آل زريع مدة ثم استقر بمصر واتصل بالخلفاء الفاطميين ومدحهم.

من مؤلفاته: [مفيد عمارة] وهو كتاب يتضمن أخبار جزيرة اليمن(١). ذكره آخرون باسم أخبار اليمن، [النكت العصرية] في أخبار وزراء الدولة المصرية(٢). وله ديوان شعر جيد يتضمن قصائد في مدح الخلفاء الفاطميين كالفائز والعاضد، وأعيان دولتهم كشاور وبني رزيك والقاضي الرشيد وأشعار يمدح بها الزريعيين ملوك اليمن وخواص دولتهم كالأديب أبي بكر العيدي وبلال المحمدي وولده ياسر وبعض آل أبي عقامة. وديوانه مشهور وشعره رائق مؤنق.

قتله صلاح الدين الأيوبي بسبب حبه للفاطميين. وخبر ذلك أنه لما قضى صلاح الدين على الدولة الفاطمية أخذ عمارة يكثر ذكرهم والتأسف عليهم والدعاء على من كان سبباً لهلاكهم وقال فيهم:

لمـا رأيـت عِـراص الحـيّ خـاليـةً   عن الأنيس وما في الرَّبع سادات
أيقنـتُ أنهـم عـن ربعهـم رحلـوا   وخلَّفـونـي وفـي قلبـي حـرارات
سـألـت أبْلَـهَ قلبـي فـي السُّلُـوّ وقـد   يقـال للبُلْـه فـي الـدنيـا إصـابـاتُ
فقـال رأيـي ضعيـف لا يطـاوعنـي   كيف السُّلُوُّ وأهل الفضل قد ماتوا

---

(١) أبي مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن ص ١٦٥، وذكره آخرون باسم أخبار اليمن.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦.

يا ربِّ إن كان لي في قربهم طمعٌ   عجِّل بذاك فللتسويف آفاتُ

ولما وصلت هذه الأبيات إلى مسامع صلاح الدين أمر بشنقه فشنق بخزانة البنود في ١٢ رمضان من سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م.

من شعره. قال يمدح الخليفة الفائز:

الحمد للعيس بعد العزم والهِمم   حمداً يقوم بما أولتْ من النِّعمِ
لا أجحد الحقَّ عندي للركاب يدٌ   تمنَّت اللُّجم فيها رتبة الخُطُمِ
قرَّبن بُعد مزار العزّ من نظري   حتى رأيت إمام العصر من أممِ
ورُحن من كعبة البطحاء والحرم   وفداً إلى كعبة المعروف والكرمِ
فهل درَى البيتُ أنّي بعد فُرقته   ما سرت من حرم إلاّ إلى حرمِ
حيث الخلافة مضروب سُرادقها   بين النَّقيضين من عفوٍ ومن نقمِ
وللإمامة أنوار مقدسة   تجلو البغيضين من ظُلم ومن ظُلَمِ
وللنُّبوّة آيات تدل لنا   على الحقيقين من حكم ومن حِكَمِ
وللمكارم أعلامٌ تُعلِّمنا   مدح الجزيلين من بأس ومن كرمِ
وللعُلى ألسُنٌ تُثْني محامدها   على الحميدين من فعل ومن شِيَمِ
وراية الشرف البذّاخ تحملها   يد الرفيعين من مجد ومن هِمَمِ
أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقداً   فوز النجاة وأجر البرِّ في القسمِ
لقد حمى الدين والدُّنيا وأهلهما   وزيره الصالح الفرّاج للغُممِ
الجامع الحسنات البيض برّقها   عجز الملوك وبعض الحظ والقِسمِ
واللاّبس الفخر لم تنسج غلائله   إلاّ يد الصَّنعتين السيف والقلمِ
والمُوسِع الناس عفواً وهو مقتدرٌ   على العقاب وبعض العفو كالنِّقمِ
قد ملّكته اللَّيالي رَقَّ مملكة   تُعير أنف البرايا عزة الشَّممِ
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمَها   عقود شهب فما أرضى لها كلمِي
ترى الوزارة فيه وهي باذلة   عند الخلافة نصحاً غير متَّهمِ
عواطفٌ أعلمتنا أن بينهما   قرابة من جميل الرأي لا الرَّحِمِ
خليفةٌ ووزير مُدَّ عدلُهما   ظلاًّ على مفرق الإسلام والأُممِ

وقال يمدح العاضد:

سُجوداً فهذا صاحب الرُّكن والحجر ... ووارِث علم النَّحل والنمل والحجرِ
وهمْساً لأصوات وغمضاً لأعُينٍ ... تُشاهد أنوار الهدى وهي لا تدري
ألا حبذا دستُ الخلافة كلَّما ... غدا باسماً عن غرَّة العاضد الطَّهرِ
إمام الهدى أربى على كل غاية ... كمالاً وما أربى سنيناً على العشرِ
إذا نحن شرَّفنا القوافي بذكره ... فيا غيرة الشِّعرى عليه من الشِّعْرِ
ولو قدرتْ أفعاله حقَّ قدرها ... مدحناه بالقرآن في النَّظم والنَّثرِ
ولكن أقول المدح شكراً لنعمة ... تُطرق للإحسان بين يديْ شِعري
مناقب وضّاح الأسرة لم يزل ... على وجهه نور الطَّلاقة والبِشرِ
ألست ترى ما أحسن التاج دائراً ... على طلعةٍ أبهى من الشمس والبدرِ
تملَّ أمير المؤمنين مواسِماً ... تزورك من صوم شريف ومن فِطْرِ
يواصِلها سعدٌ لجدّك مقبل ... بعام إلى عام وشهر إلى شهْرِ
وقد خدمت سلطانك الأرض والسَّما ... فأنوارها تسري وأنهارها تجري
تنزَّهت عن فخر بمصر ومُلكها ... وقد عدّه فرعون قاصية الفخرِ

ولما انقضت أيام بني رزيك وزراء الفاطميين واستولى شاور على الوزارة وجلس أول يوم في دست الوزارة وحوله جماعة من أصحاب بني رزيك وممن لهم عليهم إحسان فوقعوا في بني رزيك وهتكوا أعراضهم تقرباً إلى شاور وكان بنو رزيك قد أحسنوا إلى عمارة فلم يهُنْ ذلك عليه فقام وأنشد بحضرة شاور:

صحّت بدولتك الأيام من سقَمِ ... وزال ما يشتكيه الدَّهر من ألمِ
زالت ليالي بني رُزِّيك وٱنصرمت ... والحمد والذَّمُّ فيها غير منصرمِ
كأنّ صالحهم يوماً وعادِلَهم ... في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقُمِ
هم حرّكوها عليهم وهي ساكنة ... والسِّلم قد يُنبِت الأوراق في السَّلَمِ
كنّا نظنُّ وبعض الظَّن مأثمة ... بأن ذلك جمعٌ غير منهزم
ومُذ وقعت وُقوع النَّسر خانهمُ ... من كان مجتمعاً من ذلك الرَّخَمِ
ولم يكونوا عدُوّاً ذلّ جانبُه ... وإنما غرقوا في سيلك العرِمِ
وما قصدتُ بتعظيمي عداك سوى ... تعظيم شأنك فٱعذرني ولا تلُمِ

ولـو شكـرتُ ليـاليهـا مُحـافظـةً   لعهـدهـا لـم يكـن بـالعهـد مـن قِـدَمِ
ولـو فتحـتُ فمـي يـومـاً بـذمّهـم   لـم يـرض فضلُـك إلاّ أن يسـدَّ فَمـي
والله يـأمـر بـالإحسـان عـارفـةً   منـه وينهـى عـن الفحشـاء فـي الكِلَـمِ

فشكر شاور على قوله وحُسن وفائه، ومن مدحه في شاور قوله وذلك بعد عوده من حصار بُلْبِيس:

أسْمِـع بـذا الفتـح المُبيـن وأبصِـرِ   وٱقصـر عليـه خُطـا الهنـاء وأقصِـرِ
فتـح أضـاء بـه الـزمـان كـأنّـه   وجـهُ البشيـر وغُـرة المستبشـرِ
فتـحٌ يـذكّـرنـا وإن لـم ننْسَـه   مـا كـان مـن فتـح الـوصـيّ بخيبـرِ
فتـح تـولّـد يُسْـرُه مـن عُسـرة   طـالـت وأيُّ ولادة لـم تعسُـرِ
حملـت بـه الأيـام إلاّ أنّهـا   وضعتـه تمّـاً عـن ثلاثـة أشهـرِ
تلقـاه أول فـارسٍ إن أقبلـتْ   خيـلٌ وأول راجـل فـي العسكـرِ
هـانـت عليـه النّفـس حتـى أنّـه   بـاع الحيـاة فلـم يجـد مـن يشتـرِي
ضجِـر الحـديـد مـن الحـديـد وشـاورٌ   مـن نصـر ديـن محمـد لـم يضجَـرِ
حلـف الـزمـان ليـأتِيَـنَّ بمثلـه   حنِثـت يمينُـك يـا زمـان فكفِّـرِ.

ومن شعر عمارة ويُروى أنه قال قبل أن يشنق بثلاثة أيام:

إذا قـدرتَ علـى العليـاء بـالغَلَـبِ   فـلا تُعـرِّج علـى سعـيٍ ولا طلـبِ
ولا تـرِقَّـنَّ لـي فـي كُـربـة عـرضـت   فـإنّ قلبـي مخلـوق مـن الكُـربِ
وٱستخبـرِ المـوت كـم آنسـت مهجتـه   وكـم وهبـتُ لـه روحـي ولـم أهـبِ.

ثانياً: النثر

عني الفاطميون في الكتاب عنايتهم بالشعر، وذلك لاتساع حاجتهم الى الدواوين المختلفة.

وكان فن الكتابة بمصر في زمن الفاطميين، كما ذكر القاضي الفاضل «غضاً طرياً، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكاناً وبياناً، ويقيم

لسلطانه بقلمه سلطاناً»[١].

وقد صرف الفاطميون جل اهتمامهم لديوان الإنشاء وكتابه، فارتفع قدره، وشاع في الآفاق ذكره. واختاروا له بلغاء الكتّاب ما بين مسلم وذمي[٢]، وممن تولى الكتابة للخلفاء الفاطميين: أبو المنصور بن جورس والقاضي أبو طاهر النهركي والقاضي ولي الدين بن خيران والشيخ أبو الحسن علي بن أبي أسامة الحلبي وولده أبو المكارم والشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي والقاضي كافي الكفاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن أبي الدم اليهودي والقاضي الموفق بن الخلال والقاضي جلال الدين محمود الأنصاري وغيرهم[٣].

وكان راتب صاحب ديوان الإنشاء يفوق راتب أي موظف آخر بما في ذلك راتب قاضي القضاة. فكان راتب صاحب ديوان الإنشاء ثلاثة آلاف دينار غير رسوم يتناولها عن السجلات والعهود وكتب التقليدات، في حين كان راتب قاضي القضاة ألفي دينار فقط.

وكان الطابع العام للنثر السجع والتضمين من القرآن الكريم. ونظراً لوجود ديوان الإنشاء، واهتمام الخلفاء الفاطميين بهذا الديوان، ازدهر فن كتابة الرسائل. وبلغ هذا الفن مبلغاً عظيماً من الرقي والكمال وقد وصلنا عدد غير قليل من هذه الرسائل مجموعة في السجلات الرسمية، وأهمها **السجلات المستنصرية** التي تحتوي على /٦٦/ رسالة صادرة من ديوان الإنشاء من الخليفة المستنصر بالله إلى كل من علي بن محمد الصليحي وأحمد بن علي بن محمد الصليحي والملكة الحرة وإلى كافة السلاطين الصلحيين والزواحيين والمشايخ الحجازيين وطوائف المؤمنين.

تعطينا هذه الرسائل فكرة كافية عن أسلوب الكتابة النثرية في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي. منها الرسالة التالية، الموجهة من

(١) مجموعة من الأساتذة ـ الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٠.
(٢) ابن تغري بردى ـ النجوم الزاهرة ج/٧، ص ٣٣٧.
(٣) المرجع السابق.

الخليفة المستنصر إلى الملكة الحرة في اليمن:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

معلوم لك أيتها الحرة، المخلصة، المكينة، السديدة، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، وليّة أمير المؤمنين - حفظها الله تعالى وأحسن توفيقها - اصطناعنا للحرّة والدة: الملك، الأوحد، المنصور، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، عماد الملّة، وغياث الأمة، شرف الإيمان ومؤيد الإسلام، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه - أدام الله تمكينه وعلوّه، وكبت حسدته وعدوه - رحمها الله، وإخراجنا إياها من زمرة ربّات الحجال، إلى سياسة الدولة وتقديم الرجال، لمّا لمع لنا نور إيمانها، ونيّتها وإيقانها، وأنها بالزهد معروفة، وبالتقى موصوفة، فاستحقت ما خوّلناها، وقامت بشكر ما أنلناها، ورعت أحوال المؤمنين رعاية وفت على رعاية الدعاة، وسلكت في تربيتهم مسلكاً قارب مسلك الهُداة، وكان المقدّم لديها من تحلى بحلية الدين، وجانب أمور الضالّين، وطهر من الدرن أردانه، وأبعد من الخنا جوارحه ومن الرفث لسانه، فإذا اطّلعت على من هذه صفته، ورأت من هذا حليته، قدّمته إلى كفئها، وأمّته على بعلها، وتعاهدته في كل حين ببرها، ومن كان عن هذه الحالة بائناً، ولشرائط الإيمان خائناً، لم يكن له عندها مجال، ولا مجال لديها مثال، ولم تزل على هذه الحالة إلى أن لحقها الأجل المحتوم، والقضاء المؤقت المعلوم، ونحن لأفعالها شاكرون، وعليها مترحمون، ويجب عليك أيتها الحرة التدرع بمدارعها، والسلوك في أحسن مسالكها، والاقتفاء لأثرها، والعمل بمشهور أخبارها، قويّ همك وفكرك مفروغة فيما يحفظ مجد الملك الأجلّ الأوحد - أدام الله علوه - المؤمل أن يناله حُرَمه، والنور الذي كسوناه من تقليد أمر الدعوة، أن تتغشّاه ظلمه؛ فأنت من العقل والسداد بحيث كانت تلك - رحمها الله - وأزيد، ولقد كان الأجلّ الأوحد - رضي الله عنه - بمراشدها يسترشد، وبمشاورها يستنجد، وأنت الآن محتاجة إلى الفكر الصحيح، والرأي الصريح، فيما يجري حال كفئك على السّداد، ويمهدها من الاستقامة في غير المهاد، فاقدري قدر نعمة الله تعالى ووليه فيما أهّلك له من

شريف المقام، وخصّك بأوفى قسط من الاصطناع والإنعام، واجعلي قِبْلَة آمالك ووسيلة طلباتك لدينا المتكفل في كل وقت تفضّلاً بحالك وحَال المتعلقين بك: السيد الأجلّ، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين، أبا النجم بدر المستنصري ـ عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته ـ الذي قد حَنَا عليكم حنوّ دين، وتكفّل بأمركم كفالة شفيق عليكم حنين؛ وأمير المؤمنين يعلمك حال قوم قد انضوَوْا إليكم وتقمّصوا قميص الدين رياءً وسمعة، وتحلّوا بحلية الإيمان كذباً وخُدعة، يلقون لكم الأباطيل؛ ويزيّنون الأضاليل، فهم أبالسة ضالّون: ﴿وَيَحْلِفُونَ باللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ومَا هُم مِنكُم ولَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يفْرَقُونَ﴾ (٩/ ٥٦)؛ وهم: الرباني المعروف بعبد الله ـ لعنه الله ـ وابراهيم غلام العامري المدعي نبوته ـ خذله الله ـ والحصيري وولده، وشاعر كان مع صبح الخارجي هرب من سيف الحق لمّا طلبه، ولاذ بكم تابعاً أباطيله وكذبه، وخادم من بعض خدام القصر المعمور كان يلوذ بخدمة السيدة الشريفة أخت أمير المؤمنين ـ وقاها الله السوء وكبت أعداءها ـ دخل في جملة المنافقين وزَوَّر على أمير المؤمنين، وهرب إليكم واختلط بهؤلاء المفسدين، وقد تقدمنا إلى الملك، الأجلّ، الأوحد، المنصور بقبضهم، والتضييق عليهم وإنفاذهم مُصفّدين إلى باب أمير المؤمنين، وإمضاء حكم السيف فيهم جزاءً على فعلهم، ومقابلة لهم على عظيم جُرمهم، ويجب أن تفعلي في ذلك وفي إتمام ما أمرنا به وإنجاز ما تدفعين به عنكم من كيدهم شراً، ومن مكرهم عن كفئك ضيراً، وتسوقين إليك من إحسان أمير المؤمنين والله تعالى يجمع على طاعته شملكم، ويوفّق على مرضاته ومرضاة وليّه جمعكم، بمنّه ورحمته.

وكتب في العشر الأواخر من شوال من سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده، وصلّى الله على جدّنا محمد رسوله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليماً، وحسبنا

الله ونعم الوكيل[1].

وهناك طراز آخر من كتابة الرسائل مارسه عدد من الأدباء المشهورين منهم الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء الملقب بالمجيد ذي الفضيلتين صاحب الرسائل المشهورة، ومنها هذه الرسالة التي كتبها إلى بعض اخوانه:

أغبَّ كتاب مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد، وحالف بين جفني والسُّهاد:

ثُم وافى بلفظه الرَّائق العذْ ب وأغنى عن الزُّلال البَرُودِ

وقوله أيضاً:

وقرأتُهُ مُتنزِّهاً في روضه وغديرِهِ
جمعَ البلاغة كلَّها تختال بين سطُورِهِ
فالدُّرُّ في منظومه والسِّحر في منثورِهِ

وعرفت ذكر الشوق الذي هيَّج أحزاناً، ونكأ قُرحاً لا يندمل زماناً، وإنَّ عندي بشهادة الله ما يضرم ناره، ويشِبُّ أُواره، والله تعالى يُسهِّل من ألطافه الخفية ما يجمع الشمل، ويصل الحبل، ويقرِّب الدار، ويُدني المزار، بمحمّد وآله والأئمة الأطهار.

وأمّا حالي بعده، وارتياحي إلى ما عنده، وتأسُّفي على الفائت من أخلاقه التي هي من الحُسْن أدقُّ، ومن الماء أصفى وأرقُّ: فحال صبٍّ أُخذ ما في فؤاده، وحُولف بين طرفه وسُهاده، فحُرم لذلك لذيذ رُقاده، وأما عتبُهُ عليَّ لتأخُّرِ كتُبي عنه، وبُعدها منه: فهو يعلم ـ حرس الله مدته ـ أنّني إذا واصلت أو أغبَبْتُ أنه سمير خاطري، وإن غاب عن ناظري، وهو نازلٌ بضمائري، وإن بان من بين مُخالطي ومُعاشري:

يا غائباً عن ناظري وحاضِراً في خاطري

---

(١) السجلات المستنصرية ـ تحقيق الدكتور عبد المنعم ماجد، ص ٧٧.

لا تخـــش منّـــي جفـــوةً فبـــاطِنـــي كـــالظَّـــاهـــرِ

والله يعلم أنّي لم أُغفِل كتابه صرْماً وهجراً، ولا أهملت مجاوبته نقضاً لمودَّته الكريمة ولا غدْراً، فإنّه من العين بمكان السَّواد، ومن الصدر بموضع الفؤاد، وبسبب هذا الاعتقاد وما ذكرت من محض الوداد، أبثُّه أشجاناً، وأُطلعُهُ على أسراري إسراراً وإعلاناً، ثقة بودِّه، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده، ـ لو رآني فسح الله مدَّته، وضاعف عليَّ مودَّته ـ، لرأى صبّاً قلبه خفيق، ودمعه طليق:

قلِـق الضميـر بظبيـةٍ وهنـانـةٍ فلهـا بقلبـي هـزَّةٌ وعُلُـوقُ
الـوجـهُ طلـقٌ والـوشـاح مُهفهـفٌ والـرِّدف دِعـصٌ والقـوام رشيـقُ
وتبسَّمـتْ عـن واضـحٍ فضحـت بـهِ سطـح البـروقِ ونـمَّ منـه رحيـقُ

هذه الأبيات تُغني عمّا أردت أن أشرحه، وتُنبيءُ عن مكنون ما سبيلي أن أُثبِتَهُ وأوضحه، والله المسؤول أن يقضي مأرَبي بسعادة جدِّه، ويزيل عنّي ما أخشاه بتمام إقباله ومجدِهِ، وكتابُهُ هو فُسحةٌ للصَّدر، ومُنية ما يطلب من الدهر، ولرأيهِ عُلُوُّه في إمضائه إليَّ ووفُودِهِ عليَّ[1].

ظهر خلال الحقبة الفاطمية عدد كبير جداً من الكتّاب والعلماء من الاسماعيلية ومن غير الاسماعيلية خلفوا لنا تراثاً ضخماً يفوق التصور، في مختلف أنواع العلوم والمعارف كاللغة والنحو والفقه والتاريخ والمنطق والطب والموسيقى والهندسة و . . .

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر[2]:

*** عبد الله بن أحمد النسفي البردغي (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)**

كبير الدعاة الاسماعيليين في خراسان وتركستان. ومن مؤلفاته: كتاب المحصول، كتاب كون العالم، كتاب الدعوة المنجية، كتاب أصول الشرع.

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ج/ ٩، ص ١٦٨.

(٢) هناك أسماء كثيرة أخرى، رفيعة المقام لم نذكرها في هذا العرض لأن قصدنا هو إعطاء القارىء فكرة عن ضخامة التراث الذي وصلنا من الدولة الفاطمية والمفكرين الاسماعيليين، وليس تعداد جميع الأسماء.

* **أبو حاتم الرازي** (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)

داعي الري. من مؤلفاته: كتاب الزينة، كتاب الجامع.

* **أبو يعقوب السجستاني** (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)

من كبار الدعاة الاسماعيليين. له العديد من المؤلفات منها: كشف المحجوب، الينابيع، الافتخار، تأويل الشرائع، إثبات النبوات، تحفة المستجيبين، كتاب النصرة، مسلية الأحزان، أساس الدعوة، أسس البقاء، الرسالة الباهرة، المقاليد الملكوتية، القريب في معنى الإكسير، تآلف الأرواح، رسالة الأمن والحيرة، البشارات، خزائن الأدلة، مؤنس القلوب، المبدأ والمعاد.

* **القاضي النعمان** (ت: ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

من أشهر علماء الاسماعيلية في عصره. كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل غزير الإنتاج ترك عدداً كبيراً من المؤلفات منها: كتاب دعائم الإسلام، أساس التأويل، تأويل دعائم الإسلام، اختلاف أصول المذهب، الهمة في اتباع الأئمة، القصيدة المختارة، شرح الأخبار، الإيضاح، مفاتيح النعمة، كتاب الاقتصار، كتاب المجالس والمسايرات، كتاب افتتاح الدعوة، القصيدة المنتجبة.

* **المسبحي** (ت: ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)

كان بخدمة الحاكم ونال منه حظوة كبيـرة تقلد القيس والبهنا من أعمال الصعيد ثم تولى ديوان الترتيب. ترك ما يقرب من ثلاثين مصنفاً وديوان شعر. من مؤلفاته: تاريخ مصر، كتاب التلويح والتصريح، كتاب الراح والارتياح، كتاب الغرق والشرق في ذكر من مات غرقاً وشرقاً، كتاب الطعام والادام، كتاب درك البغية في وصف الأديان والعبادات، قصص الأنبياء وأحوالهم، كتاب المفاتحة والمناكحة في أصناف الجماع، كتاب الأمثلة للدولة المقبلة، كتاب القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم، كتاب جونة الماشطة، كتاب الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه، كتاب السؤال والجواب، كتاب مختار الأغاني ومعانيها.

* **الحسن بن زولاق** (ت: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)

فقيه مصر ومؤرخها الكبير. كان فاضلاً في التاريخ له فيه مصنف جيد. وكتاب في خطط مصر وكتاب أخبار قضاة مصر جعله ذيلاً على كتاب الكندي، وغيرها.

* **الشابشتي** (ت: ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)

علي بن محمد الكاتب. كان أديباً فاضلاً. التحق بخدمة العزيز بن المعز فولاه أمر خزانة كتبه. من مؤلفاته: كتاب الديارات، كتاب اليسر بعد العسر، كتاب مراتب الفقهاء، كتاب التوقيف والتخويف، كتاب مراسلات.

* **ابن يونس المنجم** (ت: ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)

علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي النجم المصري المشهور، صاحب الزيج الحاكمي. كان مختصاً بعلم النجوم، متصرفاً في سائر العلوم، بارعاً في الشعر، وله شعر كثير. من مؤلفاته: الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس.

* **أحمد حميد الدين الكرماني** (ت: ٤١٠هـ/ ١٠١٩م)

حجة العراقيين ومن كبار الدعاة الاسماعيليين له عدد كبير من المؤلفات منها: راحة العقل، المصابيح في إثبات الإمامة، الأقوال الذهبية، رسائل الكرماني وهي مجموعة تضم عدة رسائل منها مباسم البشارات بالإمام الحاكم، الرسالة اللازمة في الصوم، الرسالة الرضية في الرد على من يقول بقدم العالم، الرسالة المضيئة في الأمر والآمر والمأمور، رسالة الروضة في الأزل والأزلية، الرسالة الزاهرة في جواب بعض المسائل، الرسالة الحاوية، الرسالة الواعظة في الرد على الفرغاني، الرسالة الكافية في الرد على الهاروني.

* **القزاز** (ت: ٤١٢هـ/ ١٠٢١م)

محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني. كان في خدمة العزيز بن المعز. قيل فيه «فضح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين» كان الغالب عليه علم النحو. من مؤلفاته: الجامع في اللغة، كتاب التعويض.

* **الوزير المغربي** (ت: ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)
حسين بن علي. كان في عهد الحاكم وفر من وجهه الى حسان بن مفرج الطائي فأكرمه ثم وزر لصاحب ميافارقين. له شعر رائق وعدة تصانيف منها: مختصر إصلاح المنطق، كتاب الإيناس، كتاب أدب الخواص، كتاب المأثور في ملح الخدور.

* **الحراني** (ت: ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)
الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني. كان من أقطاب الأمراء والعلماء، تولى الوزارة للحاكم بأمر الله. أخذ قسطاً من مختلف علوم عصره. ألّف عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى أخبار مصر.

* **الحوفي القضاعي** (ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)
علي بن ابراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي. كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن. صنف في النحو مصنفاً كبيراً وصنف في إعراب القرآن كتاباً في عشر مجلدات وله تصانيف كثيرة.

* **ابن خيران** (ت: ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م)
أحمد بن علي بن خيران الكاتب الملقب بولي الدولة صاحب ديوان الإنشاء. كان متولي كتب السجلات عن الظاهر.

* **ابن الشخباء** (ت: ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م)
الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني. كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى. قيل في وصفه «المجيد كنعته، قادر على ابتداع الكلام ونحته، له الخطب البديعة والملح الصنيعة» له رسائل مدونة مشهورة أكثرها اخوانيات.

* **محمد بن أحمد العميدي** (ت: ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م)
رئيس ديوان الإنشاء بعد ابن خيران. من مؤلفاته: كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي، كتاب في تنقيح البلاغة، كتاب الإرشاد إلى حل المنطق، الهداية إلى نظم المنثور، انتزاعات القرآن.

* **القاضي أبو عبد القضاعي** (ت: ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)
محمد بن سلامة بن جعفر، الفقيه، المحدث، المؤرخ. صنف عدداً من الكتب منها: الشهاب وسند الصحاب، مناقب الإمام الشافعي، أبناء الأنبياء وقصصهم، عيون المعارف، المختار في ذكر الخطط والآثار ويعرف أيضاً باسم خطط مصر.

* **ابن بابشاذ النحوي** (ت: ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)
طاهر بن أحمد المصري الجوهري النحوي. إمام عصره في اللغة والنحو. ولي متأملاً في ديوان الإنشاء بالقاهرة يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ. له من التصانيف: شرح الجمل للزجاجي، شرح النخبة، التعليق في النحو (تعليق الفرقة)، المحتسب في النحو وغير ذلك.

* **جعفر بن منصور اليمن** (منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)
من أهم رجال الدعوة في مصر، وباب أبواب الخليفة المعز. غزير الإنتاج، ترك وراءه عدداً كبيراً من المؤلفات منها: كتاب الكشف، كتاب أسرار النطقاء، كتاب سرائر النطقاء، كتاب العالم والغلام، كتاب الفرائض وحدود الدين، كتاب الشواهد والبيان، كتاب تأويل سورة النساء، كتاب المراتب والمحيط، كتاب الرضاع في الباطن، كتاب تأويل الزكاة، كتاب الفترات والقرانات، كتاب الرشد والهداية، كتاب رسالة في معنى الاسم الأعظم.

* **المؤيد لدين الله هبة الله الشيرازي** (ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)
داعي دعاة المستنصر. من مؤلفاته: كنز الولد، المجالس كتاب جامع الحقائق.

* **محمد بن طاهر بن ابراهيم الحارثي** (ت: ٥١٤هـ/ ١١٢٠م)
من دعاة الاسماعيلية الكبار له: مجموعة التربية، الأنوار اللطيفة.

* **ابن القطاع السعدي** (ت: ٥١٥هـ/ ١١٢١م)
إمام وقته في علم العربية وفنون الأدب. من مؤلفاته: كتاب الأفعال، كتاب

أبنية الأسماء، كتاب الدرة (وقيل الجوهرة) الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة، كتاب لمح الملح، كتاب العروض والقوافي، كتاب تاريخ صقلية، كتاب فرائد الشذور وقلائد النحور.

* **محمد بن بركات النحوي** (ت: ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)

تلميذ القاضي القضاعي. كان من أئمة اللغة والنحو.

* **ابن القيم** (ت: ٥٢٦هـ/ ١١٣١م)

علي بن عباد الاسكندري. أحد شعراء مصر المهمين في عهد الآمر والحافظ. كان شاعر أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي وقتل معه.

* **الخطاب بن الحسن بن أبي الخياط**، وقيل الحفاظ (ت: ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م)

من دعاة الاسماعيلية في اليمن. من مؤلفاته: شرح رسالة النفس.

* **ابن منتجب الصيرفي** (ت: ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)

الشيخ معين الدين، تابع الرئاسة، علي بن سليمان بن منتجب. صاحب كتاب قانون ديوان الرسائل. من مؤلفاته: كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة. ويعرف أيضاً باسم أخبار وزراء مصر.

* **ابن قادوس** (ت: ٥٥١هـ/ ١١٥٦م)

محمود بن اسماعيل الدمياطي. كات الإنشاء بالحضرة المصرية.

* **ابراهيم بن الحسن الحامدي** (ت: ٥٥٧هـ/ ١١٦١م)

الداعي الطيبي الثاني في دور الستر. توفي في صنعاء. من مؤلفاته: كنز الولد، رسالة الابتداء والانتهاء.

* **ابن بشرون المهدوي** (ت: ٥٦١هـ/ ١١٦٥م)

من الأدباء المعروفين. من مؤلفاته: كتاب المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر.

* **الموفق بن الخلال** (ت: ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)

القاضي موفق الدين يوسف بن محمد المصري. «ناظر ديوان مصر وانسان ناظره، وجامع مفاخره» وآخر رؤساء ديوان الإنشاء في العهد الفاطمي. كان

إليه الإنشاء وله قوة على الترسل. يكتب كما يشاء.

* **ابن بري** (ت: ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)

عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري. كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره، عارفاً بكتاب سيبويه، وإليه التصحيح في ديوان الإنشاء له على كتاب الصحاح للجوهري حواش. وله حواشٍ على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري.

* **حاتم بن ابراهيم الحامدي** (ت: ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)

الداعي اليمني الثالث. من مؤلفاته: كتاب زهر بذر الحقائق، كتاب مفاتيح الكنوز، رسالة تحفة القلوب، الشموس الزاهرة، جامع الحقائق وغيرها.

* **علي بن محمد الوليد** (ت: ٦١٢هـ/ ١٢١٥م)

الداعي الطيبي الخامس. من مؤلفاته: كتاب الذخيرة، رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول، كتاب مختصر الأصول، كتاب دامغ الباطل، كتاب نظام الوجود.

* **علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي** (ت: ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)

من كبار دعاة الاسماعيلية في اليمن. من مؤلفاته: رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم، رسالة سمط الحقائق.

* **الشيخ حسن المعدل** (ت: ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)

من دعاة الاسماعيلية في سورية عاش متنقلاً بين قلاع الدعوة المنتشرة في جبال منطقة اللاذقية. كان أديباً شاعراً. من مؤلفاته: ألفية المعدل، رسالة مبتدأ العوالم ودور الستر.

* **ادريس عماد الدين القرشي** (ت: ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)

الداعي المطلق. أول مؤرخ اسماعيلي أرخ لدور الستر الأول وللعهد الفاطمي وللدعوة الاسماعيلية في اليمن. له مؤلفات كثيرة منها: كتاب زهر المعاني، كتاب عيون الأخبار ونزه الأحبار، كتاب روضة الأخبار وبهجة الأسمار، رسالة البيان لما وجب في تأويل شهر رجب، ضياء البصائر وزبد السرائر،

كتاب أسماء نفوس المهتدين، رسالة مهديات البهتان.

* **أحمد بن ابراهيم النيسابوري** (ت: ۰۰۰هـ/ ۰۰۰۰م)

أحد دعاة الاسماعيلية. من مؤلفاته: استتار الإمام، إثبات الإمامة، سيرة جعفر بن الحاجب.

* **عبدان** (ت: ۰۰۰هـ/ ۰۰۰۰م)

ذكر ابن النديم في [الفهرست] أنه من رجال الاسماعيلية وذكر له الكتب التالية: كتاب الرحى والدولاب، كتاب الحدود والإسناد، كتاب اللوامع، كتاب الزاهر، كتاب الميدان، كتاب النيران، كتاب الملاحم، كتاب المقصد.

* **حسن بن نوح بن يوسف بن محمد بن آدم الهندي البهروجي** (ت: ۰۰۰هـ/ ۰۰۰۰م)

داعي الجزيرة اليمنية، وأمين الدولة الفاطمية. من مؤلفاته: كتاب الأزهار، ومجمع الأنوار الملقوطة من بساتين الأسرار مجامع الفواكه الروحانية والثمار.

* **الداعي عامر بن عبد الله الرياحي** (ت: هـ/ م)

من دعاة اليمن نظن أنه عاش في القرن الخامس الهجري. له كتاب الصور.

* **محمد بن الأزدي** (ت: هـ/ م)

عاش في القرن الخامس الهجري. كاتب السيدة الحرة بنت أحمد الصليحية. كان كاتباً أديباً منشئاً للديوان، بليغاً مجيد الألفاظ باهر الإحسان.

إلخ.....

عناوين هذه المؤلفات تدل على موضوعاتها.

وموضوعاتها تدل على طول باع المفكرين الاسماعيليين في مجال الكتابة والتأليف مع الإشارة إلى أن مواضيع بعض هذه المؤلفات مكررة، نصادف أكثر من كتاب في موضوع واحد.

المراجع

الكتب

١ ـ القلقشندي: كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة
٢ ـ القلقشندي: صبح الأعشي
٣ ـ أحمد جودت باشا: تاريخ جودت
٤ ـ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية: دار الشعب بالقاهرة
٦ ـ عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن
٧ ـ ابن كثير: البداية والنهاية
٨ ـ الدكتور محمد جواد مشكور: موسوعة الفرق الإسلامية
٩ ـ الشهرستاني: الملل والنحل
١٠ ـ ابن ميسر: أخبار مصر
١١ ـ محمد بن مالك الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
١٢ ـ محسن الأمين: أعيان الشيعة
١٣ ـ ابن الحنبلي: در الحبب في تاريخ أعيان حلب
١٤ ـ البغدادي: الفرق بين الفرق
١٥ ـ النوبختي: فرق الشيعة
١٦ ـ أبو حاتم الرازي: كتاب الزينة (تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي)
١٧ ـ تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون

١٨ ـ رحلة ابن جبير: ابن جبير
١٩ ـ ابن الأثير: الكامل
٢٠ ـ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة
٢١ ـ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب
٢٢ ـ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق
٢٣ ـ عبدالله بن المرتضى: الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار
٢٤ ـ الدكتور مصطفى غالب: أعلام الاسماعيلية
٢٥ ـ الدكتور مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية
٢٦ ـ أحمد بن ابراهيم بن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب (تحقيق ناظم رشيد)
٢٧ ـ الدكتور عارف تامر: سنان وصلاح الدين
٢٨ ـ الدكتور عارف تامر: الإمامة في الإسلام
٢٩ ـ الشيخ طه الولي: القرامطة
٣٠ ـ محمد بن علي بن نظيف الحموي: تاريخ المنصوري
٣١ ـ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (تحقيق الشيال)
٣٢ ـ أحمد بن علي الحريري: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين (تحقيق الدكتور سهيل زكار)
٣٣ ـ علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي
٣٤ ـ ابراهيم جلال: المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة
٣٥ ـ اسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة
٣٦ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة
٣٧ ـ فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
٣٨ ـ رشيد الدين فضل الهمداني: جامع التواريخ
٣٩ ـ السيوطي: حسن المحاضرة
٤٠ ـ شيخ الربوة: نخب الدهر في عجائب البر والبحر
٤١ ـ هاشم عثمان: العلويون بين الأسطورة والحقيقة
٤٢ ـ هاشم عثمان: صفحات من تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي

٤٣ ـ هاشم عثمان: هل العلويون شيعة
٤٤ ـ الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)
٤٥ ـ الذهبي: كتاب العبر في خبر من غبر
٤٦ ـ اليافعي اليمني: مرآة الجنان
٤٧ ـ تاريخ الطبري: الطبري
٤٨ ـ المعري: رسالة الغفران (تحقيق بنت الشاطىء)
٤٩ ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان
٥٠ ـ الاسفرايني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين
٥١ ـ نشوان الحميري: الحور العين (تحقيق كمال مصطفى)
٥٢ ـ ابن النديم: الفهرست
٥٣ ـ الغزالي: فضائح الباطنية (تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي)
٥٤ ـ نوفل نوفل: تراجم علماء طرابلس وأدبائها
٥٥ ـ رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت
٥٦ ـ كتاب دائرة معارف بطرس البستاني
٥٧ ـ فيليب حتي: تاريخ العرب المطول
٥٨ ـ الشيخ محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية
٥٩ ـ ابن تيمية: كتاب مجموع الفتاوى
٦٠ ـ علي الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام
٦١ ـ محمد كرد علي: خطط الشام
٦٢ ـ كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب
٦٣ ـ محمود البشبيشي: الفرق الإسلامية
٦٤ ـ الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام
٦٥ ـ الدكتور مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب
٦٦ ـ عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد فكري: جامع العلوم الملقب بدستور العلماء
٦٧ ـ الثعالبي: يتيمة الدهر

٦٨ ـ محمد عزة دروزة: العرب والعروبة
٦٩ ـ الدكتور عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين
٧٠ ـ الدكتور محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية
٧١ ـ الدكتور محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية
٧٢ ـ حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي
٧٣ ـ حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله
٧٤ ـ محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين
٧٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة
٧٦ ـ ملا صدرا الشيرازي (صدر المتألهين): شرح القرآن الكريم
٧٧ ـ شهاب الدين أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
٧٨ ـ منتخبات اسماعيلية: تحقيق الدكتور عادل العوا
٧٩ ـ أربع كتب حقانية: تحقيق الدكتور عارف تامر
٨٠ ـ الداعي ثقة الإمام علم الإسلام: المجالس الشعرية (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين)
٨١ ـ المؤيد في الدين: المجالس المؤيدية (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين)
٨٢ ـ محمد الغروي: الحكم والأمثال المستخرجة من كلمات الإمام علي الرضا(ع)
٨٣ ـ الداعي إدريس عماد الدين القرشي: كتاب زهر المعاني (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)
٨٤ ـ أحمد حميد الدين الكرماني: راحة العقل (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي)
٨٥ ـ عامر عامر البصري: التائية (تحقيق الشيخ عبد القادر المغربي)
٨٦ ـ المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
٨٧ ـ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
٨٨ ـ القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة (تحقيق فرحات الدشراوي)
٨٩ ـ عبد الرحيم فودة: الدين عند الله

٩٠ ـ صبحي المحمصاني: فلسفة التشريع في الإسلام
٩١ ـ سعد محمد حسن: المهدية في الإسلام
٩٢ ـ سيرة الأستاذ جوذر: تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة
٩٣ ـ الدكتور عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم في عصر الفاطميين
٩٤ ـ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور
٩٥ ـ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق
٩٦ ـ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر
٩٧ ـ ابن الوردي: تتمة المختصر
٩٨ ـ اسماعيل قربان حسين: السلطان الخطاب
٩٩ ـ البرت الريحاني وآخرون: الموسوعة العربية
١٠٠ ـ الدكتور كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع
١٠١ ـ أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن
١٠٢ ـ الدكتور محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب
١٠٣ ـ نوفل نوفل: سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان
١٠٤ ـ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول
١٠٥ ـ ابن مسكويه: تجارب الأمم
١٠٦ ـ الدكتور محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام
١٠٧ ـ جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
١٠٨ ـ محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية
١٠٩ ـ محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية
١١٠ ـ رحلات ماركو بولو: ترجمة عبد العزيز جاويد
١١١ ـ أحمد الفارقي: تاريخ الفارقي
١١٢ ـ محمد بن محمد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق
١١٣ ـ الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
١١٤ ـ سعد محمد حسين: المهدية في الإسلام
١١٥ ـ محمد الصوري: القصيدة الصورية تحقيق الدكتور عارف تامر

١١٦ ـ مهيب عيزوقي: لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي
١١٧ ـ ناصر خسرو: جامع الحكمتين
١١٨ ـ محمد علي الإسماعيلي: حقيقة الدين (ترجمة عن الفارسية)
١١٩ ـ علي بن حنظلة الوادعي: كتاب سمط الحقائق (تحقيق عباس العزاوي)
١٢٠ ـ السجستاني: معارف النجاة (تحقيق مهتدي مصطفى غالب)
١٢١ ـ ضياء الدين اسماعيل السليماني: مزاج التسنيم (نشرة شتروطمان)
١٢٢ ـ عبدان: شجرة اليقين (تحقيق الدكتور عارف تامر)
١٢٣ ـ جعفر بن منصور اليمن: السرائر وأسرار النطقاء (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)
١٢٤ ـ جعفر بن منصور اليمن: الكشف (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)
١٢٥ ـ أحمد بن يعقوب: رسالة في الإمامة
١٢٦ ـ الشيخ حبيب آل ابراهيم: المطالب المهمة
١٢٧ ـ صدر المتألهين محمد الشيرازي: تفسير القرآن الكريم (٧) أجزاء

المجلات

١ ـ المنار: القاهرة المجموعة الكاملة
٢ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي: بغداد ١٩٥٥ و١٩٥٦
٣ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية: القاهرة، المجلد /٦/
٤ ـ الراصد: بيروت العدد /٦١/ ك١ وك٢ ١٩٩٧

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة في رسالة للدكتور عارف تامر	٥
كلمة تمهيدية	٩

القسم الأول

أصل التسمية	١٥
تاريخ ظهور الإسماعيلية	١٩
موطن الإسماعيلية	٢٢
فرق الإسماعيلية	٢٦
البهرة	٢٨
عقائد الإسماعلية	٣٢
أ ـ عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء	٣٣
ـ الخطابية	٣٤
ـ القرامطة	٣٧
ـ الباطنية	٤٣
ـ الاسماعيلية	٤٧
ب ـ عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين	٦١
ـ سوسنة سليمان في أصول العقائد	٦١
ـ تاريخ جودت	٦٩
ـ ولاية بيروت	٧٠

الأحوال الاجتماعية في الإسماعيليين ٧٤
الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية ١٠٥
الإسماعيليون من خلال آثارهم ١١٤
تائية عامر البصري ١٤٥
الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار ١٥٦
تاريخ الدعوة الإسماعيلي ١٦٠
لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي ١٦٢

القسم الثاني

الدولة الفاطمية ١٧٩
الدعوة الإسماعيلية في اليمن والدولة الصليحية ٢٣٥
الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس ٢٤٤
الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام ٢٦٣

القسم الثالث

الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية ٢٧٧
المآثر العمرانية ٢٧٩

١ ـ **المدن**: المهدية، البيضاء ٢٧٩
المنصورية ٢٨٥
القاهرة ٢٨٥

٢ ـ **الجوامع**: جامع الأزهر، جامع القاهرة ٣٠١
جامع الحاكم، جامع الخطبة، جامع الانور ٣٠٦
جامع راشدة ٣٠٩
جامع المقس، الجامع الأنور ٣١١
جامع الفيلة، جامع الأقمر ٣١١
جامع الظافر، الجامع الأفخر ٣١٥
جامع الفاكهي، جامع الصالحي ٣١٥
جامع القرافة، جامع الأولياء ٣١٧

٣ ـ دار العلم/ دار الحكمة ٣١٨
نظام الحكم عند الفاطميين ٣٢١
١ ـ مراتب أرباب السيوف ٣٢٩
٢ ـ أرباب الوظائف ٣٣٠
الحياة الاقتصادية في عصر الفاطميين ٣٥٨
١ ـ الصناعات النسيجية ٣٥٩
٢ ـ صناع الزجاج والخزف ٣٦٢
٣ ـ الحفر على الخشب ٣٦٥
٤ ـ صناعة العاج والمعادن ٣٦٦
٥ ـ صناعة الورق والتجليد ٣٦٨
٦ ـ صناعة السفن ٣٦٨
الحياة الفكرية في العصر الفاطمي ٣٧١
١ ـ الشعر: ٣٧٢
ـ ابن هانىء ٣٧٦
ـ الامير تميم بن المعز لدين الله ٣٨٧
ـ ابن وكيع التنيسي ٣٨٠
ـ المؤيد في الدين داعي الدعاة ٣٨٢
ـ الشريف العقيلي ٣٨٥
ـ ناصر خسرو ٣٨٧
ـ السلطان الخطاب ٣٩١
ـ طاهر شاه الحسيني ٣٩٤
ـ ظافر الحداد ٣٩٤
ـ طلائع بن رزيك ٣٩٤
ـ ابن الكيزاني ٣٩٨
ـ المهذب بن الزبير ٤٠٠
ـ الجليس بن الحباب ٤٠٣
ـ الرشيد بن الزبير ٤٠٤
ـ ابن قلاقس ٤٠٦
ـ عمارة اليمني ٤٠٩

٢ ـ النثر ٤١٢
ـ عبد الله بن أحمد النسفي البردغي ٤١٧
ـ أبو يعقوب السجستاني ٤١٨
ـ القاضي النعمان ٤١٨
ـ المسبحي ٤١٨
ـ الحسن بن زولاق ٤١٩
ـ الشابشتي ٤١٩
ـ ابن يونس المنجم ٤١٩
ـ أحمد حميد الدين الكرماني ٤١٩
ـ محمد بن جعفر التميمي القزاز ٤١٩
ـ الوزير المغربي ٤٢٠
ـ الحراني، الحوفي، القضاعي، ابن خيران ٤٢٠
ـ ابن الشخباء، محمد بن أحمد العميدي ٤٢٠
ـ القاضي أبو عبد القضاعي ٤٢١
ـ جعفر بن منصور اليمن ٤٢١
ـ المؤيد لدين الله هبة الله الشيرازي ٤٢١
ـ ابن منتجب الصيرفي، ابن قادوس ٤٢٢
ـ الموفق بن خلال ٤٢٢
ـ علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي ٤٢٣
ـ الشيخ حسن المعدل، ادريس عماد الدين القرشي ٤٢٣
ـ حسن بن نوح البهروجي ٤٢٤
ـ عامر بن عبدالله الرياحي ٤٢٤
ـ محمد بن الأزدي ٤٢٤

المراجع ٤٢٥